

١٧١

بسم الله
الحمد لله

في تفسير القرآن الكريم

استعمل على عجائب دلائل القرآن وعجائب آياتها

تأليف

الأستاذ المحكم الشيخ طهطاوي جوهري

المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم سابقا
متع الله المسكين بمجاهة آمين

الجزء العاشر

طبع بطبعة

مطبعة البستاني المحمدية في واولاده بمصر

و حقوق الطبع محفوظة

محرم سنة ١٣٤٧ هـ

بشر طبعه
محمد امين عمران

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة مريم مكية وهي ثمان وتسعون آية

(وهي قسنان)

﴿ القسم الأول ﴾ في قصص زكريا ويحيى وعيسى وإبراهيم وموسى وإسماعيل وإدريس عليهم الصلاة والسلام وما ينبع ذلك من فناءهم وجهالات بعض تابعيهم من أول السورة الى قوله - ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا -

﴿ القسم الثاني ﴾ نتيجة إجابة دعواتهم من الجنة والنار من قوله تعالى - تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا - الى آخر السورة

(الْقِسْمُ الْأَوَّلُ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كَهَيْعَةٍ * ذَكَرْتُ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدُكَ زَكَرِيَّا * إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاً خَفِيًّا * قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا * وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * فَرِئِمْنِي ذَرِيَّتًا مِنْ آلِي يَعْقُبُ وَأُجْمَلُهُ رَبِّ رَضِيًّا * يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا * قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا *

قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْئٍ وَقَدْ خَلَقْتَنكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا * قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي
 آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا * فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى
 إِلَيْهِمْ أَنِ مَسِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا * يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا *
 وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا * وَسَلَامٌ عَلَيْهِ
 يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا * وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ مِنْ
 أَهْلِهَا مَكَانًا شَرِيفًا * فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا
 سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ
 لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا * قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَلِكَ
 قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْئٍ وَلِنَجْعَلَ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا * فَحَمَلَتْهُ
 فَاتَّخَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا * فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا
 وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا * فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَهَزِي
 إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَلَمَّا تَرَيْنَ
 مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا * فَأَنْتَ بِهِ قَوْمُهَا
 تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا * يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا
 كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا * فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي
 عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ
 وَالزَّكَاةِ مَا مَدُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدِيٍّ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ
 وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا * ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ *
 مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * وَإِنَّ اللَّهَ
 رَبِّي وَرَبَّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ * فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَلَّى
 الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ * أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا رُسُلَهُ يَوْمَ تَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ
 الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَمْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ

* إِنَّا نَحْنُ رَبُّ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ * وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ
 كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَيِّهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ
 شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ
 لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ
 مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا * قَالَ أَرَأَيْبِ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَنْ لَمْ تَنْتَهُ
 لَا رَجُوتُكَ وَأَهْجُرُنِي مَلِيًّا * قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا *
 وَأَعِزَّنَا لَكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَمَى الْأَأْكُونُ يَدْعَاءُ رَبِّي شَقِيًّا *
 فَلَمَّا أَفْتَرْتُمْ هُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا *
 وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا * وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ
 كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا * وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا * وَوَهَبْنَا
 لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا * وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ
 وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا * وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا * وَأَذْكُرْ
 فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا * وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا * أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ
 عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَرَحْمَنًا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَرَحْمَنًا
 هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا * خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ
 خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَاعْمَلَ
 صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا * جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ
 بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا * لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ فِيهَا رِزْقُهُمْ فِيهَا
 بُكُورَةٌ وَعَصِيًّا *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(كهيعص) تقدم الكلام على مثل هذا بإيضاح في أول ﴿ آل عمران ﴾ فارجع إليه إن شئت . هذا
 الذي أتواؤه عليك (ذكر رحمة ربك عبده زكريا) بدل من عبده الذي هو مفعول رحمة (إذ نادى ربه
 نداء خفيا) دعاء سرا فان الله يعلم السر والنجوى وحينئذ يقال ماذا قال فأجاب الله (قال رب أنى
 وهن العظم مني) أى رقت وضعف من الكبر وسقطت الأسنان وقد بلغ خسا وسبعين أو ثمانين سنة (واشتعل

الرأس شيباً) كأن الشيب نارا اشتعل بها الشعر الذي كأنه الخطب واشتد بها وقوتها جعلت كأنها أحترقت نفس الرأس وقوله - رأساً - تميز عول عن الفاعل (ولم أكن بدعائك رب شقياً) أى دعائى إياك . يقول زكريا ياربى إنك عودنى لجة الدعاء فيما مضى والكريم إذا عود عادة لم يقطع رجاء من اعتادها كما ﴿يحيى﴾ أن أعرباً قال لعظم من عظماء العرب أنا فى ذماتك ولى عهد فى رقبتيك بمحبتى قال له لا أذكر ذلك فقال له انى يوما طلبت الماء فأدليت دلوى فى البئر فكان الحبل الذى فيه اللؤلؤ قصيراً فأطلته وأكلته من عندك قال ذلك الرئيس نعم حقك واجب على (وانى خفت المولى من ورائى) أى خفت فعل بنى عمى وكانوا أشرار بنى اسرائيل من بعدموتى أن لا يحسنوا خلافى على أمتى ويحصل الخلاف والشقاق والجهالة والكفر بنى اسرائيل (وكانت امرأتى عاقراً) لاتلد (فهب لى من لدنك) من عندك (وليا) بلى أمر قوبى بعدى فان هذا الولي لا يظلب إلا من عندك فان العادة تنمعه من شيخ مثلى امرأته عاقرة فكيف يربى إلا منك . ثم وصف الولي بصفتين فقال (يرثنى ويرث من آل يعقوب) فتجميع يا الله له بين كونه حبراً مثلى وبين ملك آل يعقوب (واجعله رب رضيعاً) براً تقياً . فأجابه الله قائلاً (يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى) أحب دعاءه وتولى تسمية الولد بنفسه (لم نجعل له من قبل سمياً) أى لم يسم أحد بهذا الاسم قبله أولم يشبهه أحد . قيل ذلك لأنه لم يعص الله ولم يهيم بمهصية قط وكان حصوراً لا يأتى النساء وقد ولد بين شيخ وعجوز فبهذه الصفات لم تسكن لأحد قبله . فلما أحب الله دعاءه وعلم ذلك من الملائكة (قال رب أنى كيف يكون لى غلام) يريد بذلك استكشاف الطريق التى بها يلدان . أيحوتلان شاين . أم كيف الحال (وكانت امرأتى عاقراً وقد بلغت من الكبر عتياً) حقولاً فى الفواصل ويسا فى العظام كالعود اليابس من أجل الكبر وأصل حتى عتو فقل قلبت الضمة كسرة والواو المشددة ياء (قال) الملك المبشر له الأمر (كذلك قال ربك هو على هين) يسير (وقد خلقتك من قبل) من قبل يحيى (ولم تك شيئاً) ولما كان هذا القول من باب الايمان والنفس الانسانية لاتؤمن ولا يكون عندها يقين إلا براهين تقنع العقل وتقوى الايمان كما كان من ابراهيم عليه السلام إذ قال - بلى ولكن ليظمن قاي - (قال رب اجعل لى آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سوياً) آية وقوع ذلك أنك لاتطيق التكلم ثلاثة أيام بلياليهن وأنت سوى الخلق مابك من خرس ولا بكم وانما قلنا ثلاثة أيام للتصريح بها فى سورة آل عمران فى هذه الأيام الثلاثة ولياليها الخير والذكر والشكر ولم يستطع أن يكلم الناس فكان ذلك ﴿لأمرين﴾ الأول ﴿أن يكون علامة له﴾ والثانى ﴿أن تنجيه نفسه لله بالعبادة﴾ (نفخ على قومه من المحراب) أى من الموضع الذى كان يصلى فيه وكان الناس من وراء الحجاب ينتظرونه حتى يفتح لهم الباب فيسألون ويصلون إذ خرج اليهم زكريا متغير اللون وأنكروا ذلك عليه وقالوا له مالك (فأوحى) فأوأم (اليهم) أوكتب لهم على الأرض (أن يسبحوا) صابوا (بكرة وعشيا) طرى النهار أى بأن يسبحوا أى باليسبح الخ . فلما ولد يحيى وصار ابن ثلاث سنين أعطاه الله فطنة وعتقاً به يقدر على فهم التوراة فقال الله له (يا يحيى خذ الكتاب) التوراة (بقوة) بجد واجتهاد (وآتيناه الحسب صلباً) أى آتيناه النبوة وهو ابن ثلاث سنين (وحنانا من لدنا) أى رجة وتعطفاً فى قلبه على أبويه وغيرهما (وزكاة) وطهارة من الذنوب (وكان تقياً) يفعل الطاعات ويجنب المعاصى (وبراً بالديه) وباراً بهما (ولم يكن جباراً عصياً) متكبراً عاصياً (وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً) أى له الأمان من الله يوم ولد فلا يئله الشيطان كما ينال سائر بني آدم وأمان له يوم يموت من عذاب القبر ويوم يبعث حياً من عذاب جهنم والخرى وأشد المواطن على الناس هذه الثلاثة . يخرج الطفل فىرى حالاً لم يعدها ويموت فىرى عالماً غريباً فيبعث فىرى مشهداً غريباً . فبهذه هى الوحشة العظيمة فأنه آمن يحيى عليه السلام فى هذه المواطن الثلاثة . وههنا لطائف (١) فى قوله - إذ نادى ربه نداء خفياً - الى - ولم أكن بدعائك رب شقياً * وانى خفت المولى من ورائى -

الى آخره (٢) وفي قوله - قال آيتك ألا تسكّم الناس - الخ (٣) وفي قوله - وسلام على يوم ولدت - الخ (٤) وفي الملائكة

﴿ اللطيفة الأولى - إذ نادى ربه نداء خفيا - الخ ﴾

هذا الدعاء فيه ذكراته قد كان مجاب الدعوة وعادة الله ألا يجيب من عبّده السكّم وفيه انه دعاء للامور العائمة أى انه يدعوا الله أن يرزقه بوله يكون نافعا لبني اسرائيل ففيه ﴿ أسران ﴾ فنسرا العلم وحب الانسانية ولقد أذن الله أن يجيب دعاء من حب اليه خدمة الانسانية والله حقيق أن يجيبه . وفوى هذه الآية أن العبد اذا كانت وجهته النفع العام كان الله له . فهكذا يكون من ألهمهم الله الخير من علماء هذه الأمة ونصرتهم الى الله أن يكون هدى الأمة على يديهم وأن يجمعوا شملهم وهو يلهمهم الخير ويساعدهم وذلك مجرب وقد قال تعالى - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلا وإن الله مع المحسنين - فأكد انه مع المحسنين تحقيقا بمن قرأ هذا التفسير أن يجرب ما جربت أنا بنفسى أن من وجد في قلبه شوقا الى خدمة هذه الأمة ورقبها ولم شعنها وكان عنده استعداد فإن الله يساعده وقد خلق خلقا لذلك وهو يساعدهم فان وجدت في نفسك ميلا فالمساعدة محققة وانما قلت وفيه استعداد لذلك أخذا من قوله - ولم أكن بدعائك رب شقيا - فالرجل الموفق الذى استعد لاسعاف الناس بحسن من نفسه بمعاونة الله في كل ضيق وذلك هو الذى كثيرا ما يستجاب دعاءه

﴿ جوهرة ﴾

جاء في علم الأرواح كما هو في كتاب ﴿ الأرواح ﴾ الذى ألفتة ما لم يخصه ﴿ ان روحا سئلت . أى الناس أحطى عنكم بعد الموت . فقالت إن الله وملائكته يعاونون الرجل المتصف ﴿ بصفتين الأولى ﴾ حب العلم بحيث يرى في نفسه شوقا اليه ويحذ في طلبه ﴿ الثانية ﴾ أن يكون محبا للانسانية مغرما بمساعدة الناس جميعا حتى وجد امرؤ بهذه الصفة توجه الله اليه بالعناية وكلاء بالحياة وجعله من خواصه وترادفت عليه العلوم فدخل أوديتها وشاهد محاسنها وليس لها آخر ولا تنفذ انتهى

﴿ اللطيفة الثانية - قال آيتك ألا تسكّم الناس ثلاث ليال سويا - ﴾

اعلم أن أصعب عضو يمكن المرء حفظه هو اللسان . ولقد اطلعت على كتاب قد ترجم من اللغة الافرنجية الى العربية في علم النفس بين كيف يكون الكلام سببا في قلة الرزق وضعف الحال وان امسك الأفكار في القلب تكون أشبه بامساك الماء في البحر والطعام في المحزن وأن القوة الكهربية فينا تحفظ بالسكوت وتذهب بالكلام . ومما جاء في هذا الكتاب أيضا ما يأتي

﴿ انظر في حياتك الماضية تجد انك و (٩٩) من الناس يتنزهون القرض لاختبار اخرتهم بما فعلوا لتظهر نتائجهم وهذا تيار من المغناطيسية النفسية تضع بلا فائدة وبتكرارها تضعف كهربائية فوسنا فلا تجذب من حولنا لأن نفوسنا فارغة فالكسوت يحفظ تلك القوى فلا تحقق رغبة الاطراء وسرى نتيجة ظاهرة في زمن قريب ﴿ امرين اثنين ﴾ الأمر الأول ﴿ أنك بالسكوت عن الكلام إلا للضرورة ودوامك على ذلك تشعري نفسك باحترام لنفسك وثقة بها وتعالو هيتك ووقارك ﴾ الثاني ﴿ انك ترى اخوانك قد تغيروا تغيرا كليا فازدادوا رغبة فيك لأن قوتك الباطنة جذبهم لك وهم لا يشعرون ﴾

ثم أخذ يكرر القول انه اذا طرأ على قلبك طارئ أزعجك الكلام فكأن أنت خرابه فاجبه في نفسك وهكذا من النصائح الى أن قال ﴿ وثمرة هذا السكوت والصبر عن الكلام تظهر في دأيم أو ٦ ولكن فوائدها الكبرى تظهر بالتدرج فتجد القلوب أحببتك وحواسك تنضى ﴾

وبالجملة هذه الحصلة ألف عليها وحدها هذا الكتاب كاه . فمجب كيف ظهر علم في العالم على هذه الآية

وحدها مع انهم في بلادهم (أمريكا) لا يعرفون الآية كما ان المسلمين لا يعلمون هذا العلم . انتهت اللطيفة الثانية
﴿ اللطيفة الثالثة - والسلام على يوم ولدت ويوم أموت - الخ ﴾

إن المسلم يقول ﴿ السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴾
فاذا كان يحكي قال السلام على يوم أموت . السلام على يوم أبعث حيا . فالمسلم يسلم على نفسه وعلى نبيه
وعلى جميع الصالحين . المسلم يقول في الصلاة إلى سعيد ولأسعادة لى إلا بسعادة المجموع فنبى في أمات
والمؤمنون في أمان وأنا في أمان . المسلم يذكر ذلك كله في كل صلاة وهذا يورث اطمئنان النفس بالتمسك
فاذا كان الناس كلهم في أمان وهو في أمان وقد ثبت في نفسه هذا واطمأن وتثبت على ذلك فان الله يوم
القيامة يسلم عليه وهذا قوله تعالى في سورة أخرى - سلام قولا من رب رحيم -

المسلم يقول ﴿ التحيات لله والمباركات الخ ﴾ ثم يسلم على نفسه وعلى نبيه وعلى الأم كلها اذا كانوا
صالحين . فسلام يحكي وسلام المؤمن سيان . وليس يتم هذا المعنى حق التمام إلا بجمعة - الحمد لله رب
العالمين - ولامعرفة لله إلا بمعرفة تربية العالمين تربية روحية وجسمية وهذا يستدعى جميع العلوم وتي درس
نظام هذه الدنيا أدرك حقيقة رحمة الله وأيقن أنه به رحيم لما يشاهد من رحمت في أقل الحشرات وما فوقها
الى الانسان . انتهت اللطيفة الثالثة

﴿ اللطيفة الرابعة ﴾

لعلك تقول أيها الذكي ان العلوم اليوم ملأت الكرة الأرضية والكتب السماوية تذكر لنا ملائكة فإذا
قال العلم الحديث في ذلك . ان الناس في الأرض طيعيون والطبيعة لاملأئكة فيها . فأين هؤلاء الملائكة
ونحن لم نرههم وكيف جاوزوا زكريا وكيف بشروه . أقول إقرأ كلام الامام الغزالي بخبرك أن الأرواح العالية
وغير العالية تحيط بنا من كل جانب كما يحيط بنا الهواء ولكن أجسامنا هذه تمنعهم عنا فاذا متنا أصبحنا معهم
ورأيناهم وحشرنا في درجاتنا التي تناسبنا فإما مع الشياطين وإما مع الملائكة . وان آيت الإسماع عاء الطبيعة
فهاك ما كتبه في كتاب ﴿ الأرواح ﴾ وهو خطبة للسر (أوليفرلودج) أكبر علماء الطبيعة ذكرت في مجلة
المجلات الانجليزية ومطالعتهك لها تعرف انها معجزة للقرآن إذ قال الله تعالى - سنبرهم آياتنا في الآفاق وفي
أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق - وعالم الملائكة أصبح اليوم هو وعالم الأرواح معروف كما عرفت الطبيعة وهذه
الخطبة سبقت في سورة (آل عمران) ولم يخصها أن الانسان ليس أرفع الكائنات وله أعوان يساعونه حوله
وهو لا يراههم وهناك أراض غير أرضنا وهناك عوالم لانزاه والأجرام الفلكية لا يعرف أكثرها وهذا العالم
وراء عالم وهكذا عالم وراء عالم لا ندري منتهاه وعمر الأرض قليل فيما مضى بالنسبة للكون والجوهر الفرد له
نظام كالنظام الشمسي ونسبتنا الى العوالم التي هي أعلى منا كنسبة الحبل الينا ونحن لسنا أجساما فقط ورجال
الدين والقديسون صادقون في أنهم ناجحوا أرواحا عالية وأنا كذلك ناجيتها . ومن الجهل أن نقول اننا نضمحل
اذا ضمحل الجسد . أنا لا أشك في أن الموتي ينجوننا وان أردت استيعابها فاقراها في سورة (آل عمران)
وهي هناك قد كتبت مجزأة جزأين في محلين مختلفين . انتهت اللطيفة الرابعة وبها انتهى القول في قصص
زكريا عليه السلام

﴿ قصص مريم وعيسى عليهما السلام ﴾

قال تعالى (واذكر في الكتاب) في القرآن (مريم) قصتها (إذ أنبتت) اعترلت وهوبدل اشتغال
من مريم (من أهلها) من قومها لتغفل من الحيف (مكانا شرقيا) مكانا في المار بما إلى الشرق . ولهذا
المعنى اتخذ النصارى المشرق قبلة (فاتخذت) فضربت (من دونهم حجابا) سترأ و بينا هي تغفل وقد تنجرت
إذ عرض لها جبريل في صورة شاب أمرؤ وضى البرج سوي الخلقه وهذا قوله تعالى (فأرسلنا إليها روحنا فتمثل

لها بشرا سويا) فلما رأته (قالت إني أعوذ بالرحمن منك) وذلك لثلاثة عفاها (إن كنت ثقيلا) تتقي الله وتحفل بالاستعاذة فانك تتعظ بتعويذى فلا تعرض لى (قال إيماناً رسول ربك) الذى استمنت به (لأهب لك غلاما) أى لا تكون سببا فى هبته بالنفخ فى قصصك (زكيا) طاهرا من الذنوب كما أنك أنت طاهرة أو ناميا فى الطهارة كلما زادت سنة (قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسنى بشرا) ولم يقر بى زوج (ولم أك بغيا) فاجرة فالولد إما أن يكون من سفاح أو نسكاح وأنا بعبدة عنهما (قال) جبريل هكذا قال ربك (كذلك قال ربك هو على هين) أى خلق ولدك بلا أب (و) نفعل ذلك (لنجهله آية للناس) أى علامة لهم ودلالة على قدرتنا (ورجى منا) ونعمة لمن تبعه على دينه حتى ينسخ (وكان أمرا مقضيا) محكوما مفروغا منه لا ريد ولا يبدل (فحملته) فلما حملته (انقذت به مكانا قصيا) بعيدا عن أهلها أى أقصى الوادى وهو بيت لحم لتفر من أهلها وقومها (فأجاءها المخاض) فأجأها المخاض وهو وجع الولادة (الى جنع النخلة) لتستره وتتمد عليه عند الولادة * والجنع ما بين العرق والفص وكانت نخلة لأرأس لها ياسة (قالت يا بنية مت قبل هذا) فتمنت الموت استحياء من الناس وخوفا من الفضيحة (وكنتم نسبا منسيا) أى شيا حقيقا متروكا لم يذكر أو تمت انهما لم تخلق (فنادها من تحتها) عيسى (أن لا تحزنى) أى لا تحزنى (قد جعل ربك تحتك سريرا) سيدا وهوانك عيسى أوجدولا بجري فيه الماء (وهزى اليك بجذع النخلة) أى وأمليه اليك (تساقط عليك رطبا جنيا) وهو ما بلغ الغاية وجاء ألوان اجتنانه (فكلى) من الرطب (واشربى) من النهر (وقرى عينا) بولدك عيسى * يقال أقر الله عينك أى صاف فؤادك ما يرضيك فتقر عينك عن النظر الى غيره أى تفسكن (فما ترين من البشر أحدا) أى فان ترى آدميا يسألك عن ولدك (فقولى إني نذرت للرحن صوما) صمتا كما صمت يحيى فى الأيام الثلاثة (فلن أكلم اليوم انسيا) بعد أن أخبرتكم بنذرى ولست أكلم إلا الملائكة ولا أتأذى إلا ربى (فأنت به قومها تحمله) أى أقبلت بعيسى بعد ما ظهرت من النفاس حاملة إياه فلما رآوه معها (قالوا يا سرىم لقد جئت شيا فريا) بديعا عجيبا مأخوذ من الفرى وهو القطع لأنه قطع العادة أو عظميا منكرا (يا أخت هرون) ياشبهة هرون وكان رجلا صالحا فى بنى اسرائيل شهبه به فى صلاحها وعفاها كما جاء فى مسلم عن المغيرة بن شعبة قال لما قدمت من خراسان سأله فى فقالوا لى إنكم تقرؤن - يا أخت هرون - وموسى قبل عيسى بكذا وكذا فلما قدمت على رسول الله ﷺ سألت عن ذلك فقال انهم كانوا يسمون بأساء أنبيائهم والصالحين فيهم . انتهى الحديث

ويقال ان هرون المذكور الذى شهوها به فى زمانها لما مات شيع جنازته أر بعون ألفا من بنى اسرائيل كلهم يسمى هرون سوى سائر الناس . وهذا وإن كان مبالغة دال على شبه الحقيقة (ما كان أبوك أمرا سوء وما كانت أمك بغيا) أى ما كان أبوك زانيا ولا أمك زانية . فمن أين لك هذه الخصلة الفاحشة ومن أين لك هذه الفاحشة وهى ليست فى أبويك حتى أتيت بهذا الولد (فأشارت اليه) أى الى عيسى أن كلوه ليحببكم (قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبا) ولم نعهد صبا فى المهد يكلمه الناس فلما سمع عيسى كلامهم أقبل عليهم وترك الرضاع واتسكا على يساره وأقبل عليهم وجعل يشرب بيمينه (قال إني عبد الله) والابتداء بهذه الجلة لقطع أسنة الذين قالوا برؤيته (أتانى الكتاب وجعلنى نبيا) * وجعلنى مباركا أينما كنت) أى سيؤتى الانجيل ويجعلنى نبيا ويجعلنى معلما للخير فقا للناس حينما كنت . ولما كان هذا محققا عبر عنه بالماضى الذى هو أمرتم واتقضى وانتفاع الناس به فى كل مكان حل فيه أشبه بالشمس أينما أشرفت عم نورها وهذا شأن العبر العلماء يضيئون على الناس بقدر ما أعطاهم الله من العلم (وأوصانى بالصاوة والزكوة) زكاة المال ان ملكته أو تطهير النفس من الرذائل (مادمت حيا) * وبرأ بالذى) وبارأ بها وهذا عطف على مباركا (ولم يجعلنى جبارا شقيا) عاصيا لربى متكبيرا على الخلق فأنا خاضع متواضع * ويقال الشق هو

الذى يذنب ولا يتوب (والسلام على يوم ولدت) أى السلامة علىّ عند ولادتي من طعن الشيطان (و يوم أموت) أى عند الموت من عذاب القبر (و يوم أبعث حيا) من أهوال يوم القيامة فلما كلمهم عيسى بذلك علموا براءة مريم ثم سكت عيسى ولم يتكلم حتى بلغ المدة التى يتكلم فيها الأطفال (ذلك عيسى ابن مريم) أى الذى تقدم وصفه هو عيسى ابن مريم لا ما تصفه النصارى الذين وصفوه بأوصاف لا تنفق مع الحق هو (قول الحق) الذى لا شك فيه (الذى فيه يمترون) أى يشكون فيه ويختلفون . فمن قائل هو ابن الله ومن قائل هو الله ومن قائل هو تلك ثلاثة ثم نزه الله نفسه عن الولد الذى أفادته هذه القصة فقال (ما كان لله أن يتخذ من ولد) أى ما كان من صفاته ولا بما ينبت له اتخاذ الولد (سبحانه اذا قضى أمرا) أى اذا أراد أن يحدث أمرا (فانما يقول له كن فيكون) هذا تكبير لهم ﴿لأمرين﴾ الأول ﴿انه لو أراد الولد فعلا لخلقه يقول - كن - فلاحول ولا ولادة﴾ وثانيا ﴿ان الولد ليكون حافظا لأبيه يعوله وهو حي وليكون ذكرا له بعد موته . ومعالم أن الله لا يحتاج لشي من ذلك فان العالم خاضع له لا يحتاج الى ولد ينفعه وهو حي لا يموت أبدا (وان الله ربى وربكم فاعبدوه) هذا من كلام عيسى . ولقد مرّ السلام عليها في سورة ﴿آل عمران﴾ فارجع اليه هناك . ولقد تبين فيها أن هذه نفسها معجزة عليّة لأنها جمعت ما جاء به المراسون وبنّا هناك ديانات مختلفة عجبة تسر الناظرين مصداقا لهذه الجلبة ففقرأ شذرات من دين ﴿البوذيين﴾ ودين قداما المصريين وغيرهم . فبهذه الجلبة رمز لجميع الديانات (هذا صراط مستقيم) الذى أخبركم به أن الله أمرنى به هو الصراط المستقيم الذى يوصل الى النعم المقيم لقاء الله تعالى (فاختلاف الأحزاب من بينهم) أى اختلفت أحزاب النصارى فيه حين رفع الى السماء الى ﴿ثلاثة فرق﴾ يعقوبية يتبعون عالما نصرايا يسمى يعقوب قال لهم هو الله هبط الى الأرض ثم صعد الى السماء . ونسطورية اتبعوا رجلا يسمى نسطورا عالما منهم قال لهم كان ابن الله أظهره ماشاء أن يظهره ثم رفعه اليه . والحزب الثالث قال انه كان عبد الله مخلافا وهؤلاء هم للمساكنية (فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) أى من شهود يوم عظيم لشدة هوله وحسابه وعقابه وهو يوم القيامة فان الأيدي والأرجل والألسنة تشهد على أصحابها (أسمع بهم وأبصر) تجيب أى ما أسمعهم وأبصرهم يوم القيامة حين لا ينفعهم سمع ولا بصر (يوم يأتوننا) يوم القيامة (لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين) أى لكن هؤلاء الظالمون في هذه الدنيا في خطأ بين استدراك على أنهم يسمعون ويبصرون يوم القيامة ويقفون على الحقيقة وهى لا تنفعهم فرمى يتوهم أنهم عارفون في الدنيا فاستدرك (وأأنذركم) أى خوّف بالحمد الناس ومنهم أهل مكة (يوم الحسرة) يوم يتسّر الناس فليسئى على إساءته والمحسن على أنه لما ذالم يزد في إحسانه وهو يوم القيامة (لأن قضى الأمر) إذ فرغ من الحساب وقوله - إذ ذ - هو بدل من اليوم وقوله (وهم في غفلة وهم لا يؤمنون) جلتان حالتان من فاعل أنذرهم أى أنذرهم حال كونهم غافلين غير مؤمنين (إنّا نحن نرث الأرض ومن عليها) أى تمت سكان الأرض في الشرق والغرب جميعا ولا يبقى إلا نحن (والينا يرجعون) فنجزيهم بأعمالهم

﴿ أسأله وردت على المؤلف وأجوبتها فيها أمور جلية وأسرار تسرّ المفكرين

وأزهار وثمار تشرح صدور الناظرين ﴾

لما وصلت الى هذا المقام حضر أحد المتعلمين تعلما عاليا وأتمّ علومه في أوروبا فلما قرأ هذا قال . الأهم اليوم كلها قد ادرقت وكيف يبقى المسلمون في هذه الأحداث التى تنافى الطبيعة ولا تستقر معها بحال وفي ظنى أن مثلك حين يكتب هذا يحصل له شكّ فيه وكيف تعاد وتكرّر تلك الأحوال القديمة على مدى الزمان وما فائدتها للناس اليوم اخترعوا المدافع والطائرات وأظهروا أعاجيب ونحن نرجع الى الوراء فان كان عندك علم فقله والا فلا أمر مهم ملتبس والمتعلمون جميعا في حيرة من أمرهم لا مرشد لهم ولا أمين . فقلت له ماذا

الذى انهم عليك . لعلك شككت في ظهور جبريل لربهم وأنه كلمها وشككت في أن عيسى ولد من غير أب ولم تذكر هذه قائمة تذكر في البيانات ورأيت ذكر هذه الأمور الخارقة للعادة وأنه لا فائدة منها للناس بل انها ضارة لما تعود الناس أن يصدقوا كل ما خالف العقل وعليه تصبح العقول ملوثة بما لا حقيقة له وتصدق كل ما يخالف المعقول . قال حقا كل ذلك في نفسي . فقلت أما ظهور الملائكة فأمر أصبح سهلا لأنه اذا ثبت ظهور الأرواح الشريرة والفاضلة أقوم ليدوا أنبياء فظهور الملائكة من باب أولى فلا نقل لك بعض ما كتبت في كتاب ﴿ الأرواح ﴾ وهاهو ذا

﴿ المجلس السابع في مناجاة الأرواح وانتقامها بالوسوسة وعطفها على الباكين عليها

وما شابه ذلك من الحكم والمجائب ﴾

قال شير محمد . حدثني من هذا . قلت قال في الكتاب المذكور صفحة ٨٣ ما يأتي قد يحسن بنا أن نذكر هنا شرح الأرواح للوسوسة البصرية تعريفا عن كتاب ﴿ الوسوسة ﴾ للعلم (الآن كاردك)

(س) أمن الممكن أن تتراءى الأرواح لأحد

(ج) نعم وخاصة وقت النوم والبعض يرونها وقت اليقظة وهذا نادر

(س) هل الأرواح التي تتراءى تختص بطبقة واحدة

(ج) كلا . بل يمكن لروح من أية طبقة كان أن يتراءى للعيان بشرط أن يشاء ذلك ويؤذن له فيه

(س) ما غاية الروح من ظهوره

(ج) تكون هذه الغاية جيدة أو رديئة وفقا لطبيعة الروح المتجلى

(س) ماذا يقصد الروح الشرير بظهوره لأحد

(ج) يقصد ازعاجه أو الانتقام منه

(س) وماذا يقصد الروح الصالح بتجليه

(ج) يقصد تعزية من يبكى على فقده واثبات وجوده وبذل النصيحة لمن يحبه أو طلب الاسعاف لنفسه

(س) لم لا تكون رؤية الأرواح عامة مستمرة . ألا تكون هذه أقوى وسيلة لاقتناع المتكبرين

(ج) اذا كانت الأرواح تحيط بالانسان من كل جهة فرؤيتها تكون باعثا لنشوش أفكاره وعرقلة

في أعماله وعائقا لحركته . وأما المتكبرون فلديهم دلائل أخرى واضحة تقنعهم اذا أرادوا وزعوا عنهم الكبرياء

لستم تحيلون أن كثيرا من هؤلاء رأوا بأعينهم ولم يصدقوا بل نسبوا كل ذلك الى الوهم فلا تثقروا لهم سوف

يذعنون للحقيقة آجلا أو عاجلا

(س) هل رؤية الأرواح في العالم العلوي أكثر وقوعا منها هنا

(ج) كلما ارتقى الانسان في الحياة الروحية ازداد سهولة في مناجاة الأرواح . وأما في عالم السفلى

فكثافة الجسد هي العائق الأكبر الذي يحول دون معاينة سكان عالم الغيب

(س) هل من الصواب أن يرتفع الانسان من ظهور الروح له

(ج) على العاقل أن يلاحظ أن الروح أيا كان أقل خطرا من الحي . وأنه اذا قصد أخيه أحد ليجتاح

الى الظهور له بل يكفى بما يلقى الى فكره من الاطلاعات الرديئة ليجعله يحيد عن الخير ويتبع الشر

(س) هل يمكن لمن تراءى له روح أن يطارحه الحديث

(ج) نعم بل هذا يجب عمله أى انه يسأله من هو . وماذا يريد . وكيف تمكن مساعدته . فان كان

الروح تعبنا مثلا يرتاح ببوادي هذه الحبة وان كان صالحا يأتي بنصائح مفيدة

- (س) كيف يمكن للروح أن يجيب
(ج) يجيب سائله إما بالطريقة المفظية كالحيّ وإما بطريقة الانتقال الفكري
(س) هل للأرواح التي تترأى بالأجنحة أجنحة حقيقية أم هذه صورة رمزية
(ج) ليس للأرواح أجنحة ففقروا لها لأنها تستطيع الانتقال أينما أرادت . فقط تظهر بالزى الذى يؤثر بالأكثر فى الشخص المتجلى هي له فيظهر بعضها بزىها الاعتيادى وغيرها بالحلل البيضاء والأخرى بالأجنحة كمن عن الطبقة الروحية المتتمين هم اليها
(س) هل الأرواح التي تترأى لنا فى الحلم هي أرواح الأشخاص أنفسهم المتجلى هي بهم
(ج) كثيرا ما يكونون هم أنفسهم
(س) ان الفكر نوع من الاستحضار به تجذب الأرواح اليها فكيف أن من تفكر فيهم بالأكثر وتلتف الى قيامهم لا يتراؤن لنا فى الحلم فى حين أن أناسا لا تفكر فيهم يتراؤن لنا كثيرا
(ج) ليس للأرواح امكان مطلق للظهور بل تشاء حتى ولا فى الحلم فان موانع عديدة غير منوطة بمرادتها تحول دون ذلك . وأما الأرواح التي تترأى فى الحلم وأتم غير مفكرين فيها فلا يبعد أن يكون لها بعض التعلق بكم فضلا عن أنه ليس لكم أقل إلمام بعلاقات عالم الغيب ولا بكل الأحياء والمعارف الذين لا تفكر لكم فيهم وقت اليقظة
(س) لماذا تحدث الرؤى غالبا وقت المرض
(ج) لأن العقد المادية الرابطة النفس بالجسد تتراخى وقت المرض فتزداد حرية الروح يذهب الجسد ويسهل عليها إذ ذلك مناجاة الأرواح
(س) لماذا تحدث الرؤى غالبا وقت الليل
(ج) للسبب ذاته الذى من أجله ترون وقت الليل من النجوم مالا ترونه وقت النهار أى ان قوة النور تمحو الظهور الخفيف ولكن لاتنوهوا أن الليل تأثيرا فى الرؤى . أسألوا الوسطاء الناظرين يخبركم عما رأوا وقت النهار
(س) أبرى الوسيط الروح وهو فى حالته الطبيعية أم فى حال الانخفاف
(ج) كثيرا ما يراه وهو على حالته الطبيعية إلا انه يراه غالبا وهو فى حالة قريبة من الانخفاف تدعى بالنظر الروحى
(س) كيف يجعل الروح نفسه منظورا
(ج) بما يأتى من التغيرات فى جسمه الروحانى فيظهر على أثرها بالهيئة البشرية فى الحلم أوفى اليقظة فى النور أوفى الظلمة
(س) هل يصح القول بأن الروح يجعل نفسه منظورا بتكشيفه جسمه الروحانى
(ج) ليس للتكشيف دخل ههنا بل يقال ذلك بوجه التشبيه فان الروح بقوة السائل الحيوى الذى يتشربه من الوسيط يجعل جسمه الروحانى على حالة تمكن الناظر من رؤيته
(س) هل لسلك الناس قدرة على رؤية الأرواح
(ج) فى الحلم نعم ولكن ليس فى اليقظة
(س) بماذا تقوم خاصية الوساطة البصرية
(ج) تقوم بما للوسيط من السهولة لمزج سوائله بسوائل الروح فلا يكتفى للروح أن يرغب فى الظهور حتى يظهر بل يفكر الى أن يجد فى الشخص المتجلى هو له القابلية لذلك . أما الوساطة البصرية المستمرة فهي

حالة استثنائية لا يمكنها إلا من ندر

(س) هل يمكن للروح أن تتجلى بهيئة مخالفة للهيئة البشرية

(ج) الهيئة البشرية هي الهيئة الأصلية فيستطيع أن يغير ظواهرها ولكن القالب لا يتغير

(س) ألا تظهر الأرواح أحيانا بهيئة شهب

(ج) انها تفتى شهباً وأنواراً لا ثبات وجودها ولكن ليست الأنوار والشهب هي الأرواح بل للعلم وأصدور

من الجسم الروحاني الذي لا يظهر بكأله إلا في الرؤى البصرية

(س) ما قولك في النيران الغازية المتصاعدة من المقابر والأماكن المنيئة . هل هي دليل على حضور

أنفس الأموات

(ج) اعزأؤها إلى أنفس الأموات ضرب من الجهل والغباء وعلتها الطبيعية أصبحت اليوم أشهر من

نار على علم

(س) هل يمكن للأرواح أن تتراءى بهيئة حيوانية

(ج) قد يمكن حدوث ذلك ولا يأتي هذا العمل إلا الأرواح السفلية فيكون ظهورها بهذه الهيئة مؤقتا

لأنه ليس من المقبول أن الروح تريد أن تحبس في جسم حيواني

ولما أتممت هذا المقال . قال شير محمد . ما أوفق هذا لما نص عليه أكابر علماء أمتنا فأنهم يقولون إنها لا ترى

إلا اذا تشككت فأما هي على حالها فلا تظهر . والحق أن هذا العلم الحديث شرح للدين الاسلامي . ثم قلت

﴿ الحديث السابع من كتاب المذهب الروحاني ﴾

روت الجمعية العلمية الانكليزية الملقبة (بشركة المباحث الروحية) في كتابها ﴿ أشباح الأحياء ﴾ الحادثة

الآتية وهما هي هذه

ان كانا حدث السن له من العمر تسع عشرة سنة إذ كان مقبياً (بأنفر كاكسد) من جزائر زيلنده

الجديدة اتفق يوماً مع أصحاب له على الذهاب الى جزيرة (روابوك) ولما كانت بها يوماً أو يومين قصد الصيد

والقنص . وأجمعوا رأيهم على أن ينهضوا الساعة الرابعة صباحاً ليقتنموا فرصة مد البحر و يقطعوا الصخرة

ووعدها السكان أن يأثروا لا يقاظه في الساعة المعينة فذهب هذا الى الرقاد وهو مصمم التية على مرافقتهم .

و بينما هو يصعد في سلم غرفته سمع صوتاً يقول له ﴿ لا تذهبن غداً مع هؤلاء ﴾ فهبت السكان من هذا التنبيه

إذ لم يكن حوله أحد . وسأل المشكام السرى . لماذا . أجابه الصوت وكأنه صادر من داخل غرفته

﴿ لا ينبغي أن تذهب معهم ﴾ واذكر عليه السؤال مرة ثانية أثناء الجواب ذاته . فقال السكان كيف أتخلص

من جلاجهتم وقتاً بأنون لا يقاظي . أجابه الصوت السرى بصراحة ﴿ اقبل بابك بالمفتاح فقلل محكما ﴾ فتردد

السكان برهة ثم أخذت تحذنه النفس بمحاول خطر مبین فترزع عزمه ورضخ لصوت التنبيه السرى فأقفل

الباب محكما ورفد في سريره وحضر فقاؤه الساعة الثالثة من الصباح وقرعوا باب غرفته بعنف واذ لم يجر

السكان جواباً انصرفوا عنه وهم يقرعون بلبواذع اللسان . وفي الساعة التاسعة اقام السكان ليتناول

الطعام صباحاً أخبره صاحب الفندق أن المركب القاصد جزيرة (روابوك) التطم بالصخر فانكسر وغرق

كل من فيه . وأن بعضاً من جثث الغرق قد دفنها البحر على الشاطئ . قال صاحب الرواية لو أني خالفت صوت

التنبيه ورافقت أصحابي الى جزيرة الصيد والقنص لما كنت اليوم من عداد الأحياء

وروى العلامة (مايرس) الحادث الآتي تعريبه

﴿ دخلت السيدة (كايدلى) غرفة الاستحمام وبعد أن خلعت ثيابها سمعت صوتاً يقول لها جهاراً

﴿ انزعى زلاج الباب ﴾ فهبت وفنت في كل ناحية فلم تجد مصدراً للصوت فظنت أن ماسعته وهم وعادت

الى المغفل فما كادت تستقر فيه حتى عاودها الصوت يصيح ثلاثا وبلهجة الحدة ﴿ انزعى زلاج الباب ﴾ فارتاعت السيدة ونهضت من مغفلتها ولبت أمر الصوت . ولما عادت الى المغفل أعجى عليها وسقطت تحت الماء . وانما لحسن حفظها كانت قد قبضت على حبل جرس قبل الاغماء فسمعت الخادمة وهرعت الى اتقاها من تحت الماء . فلو كان الباب من الجالمات قبل أن تتمكن الخادمة من نجاتها ﴾ انتهى ما نقلته من كتاب ﴿ الأرواح ﴾

فلما سمع صاحبي ذلك . قال أما الآن فاق لا أنكر ظهور الملائكة ولكنى أقول ما فائدة قصص عيسى وكيف يشاع بين الناس ما خالف العاوم المعهودة وفيه ما فيه من الضرر . فقلت اعلم أن هذه القصة العيسوية منتشرة بين أمم النصرى والمسلمين وهؤلاء يبلغون ٧٠٠ مليون فهم أكثر من نصف الكرة الأرضية وهم بها جميعا مؤمنون . وإني أيها الذكي أسألك . هل تبيع للمسيحيين ما لا يبيحه لنا . وهل ترى أننا نخرقون وأنت كنت بين قوم في أوروبا لا يقولون انه نخرىف . قال ان الطبقة الراقية تقول ذلك ولكن لا يعلنون آراءهم وبعضهم أعلنها . قلت ليكن ذلك ولكن هل ترى أن الله يدع أمرا ضارا بالناس عائشا آلاف السنين بينهم ولا يزيله فسكت . قلت انك لم تكشف بهذا القول . قال لا . قلت إذن أشرح الموضوع شرحا بقدر الامكان فأقول

اعلم أن النوع الانسانى يخلق مغرما في أول حياته بالامور التى توسع الخيال فاضطر البشر جميعا في الشرق والغرب أن يؤلفوا كتبها خيالية مقصدها الخيال وتوسعته حتى انهم جعلوا للعفاريت صورا ومثاوها للناس وذكروا لهم الامور المستحيلة وواجهوهم بها . وكلما وجدوا أمرا غريبا أظهره للناس فالامور المستحيلة والامور الواقعة الغريبة هى التى تفتح خيال الناس وتجعلهم يسمعون ما يلقى الهم فيتبع لهم ﴿ أمران ﴾ خرافات وحوادث غريبة

﴿ الكهرباء والقصص ﴾

وما مثل الناس وعقولهم في أول حياتهم إلا كمثل الأجسام الطبيعية فانها ﴿ سمان ﴾ قسم تهيج الكهربائية بسرعة ويقال لها أجسام موصلة جيدة للكهربائية كالمعادن من الحديد والنحاس والرصاص وأجسام لا تهيج بسرعة ولا توصل الكهرباء كالخشب ويقال لها أجسام موصلة رديئة للكهربائية . فهكذا عقولنا . فيها سرعة القبول للعلم والحب له . ومنها بطيئة القبول لا تحب إلا الامور المادية فهى كالخشب الأولى كالذهب فما مثل هذه القصص إلا كمثل الكهرباء بآء يؤلفها العلماء بصورة تبهى للنش وتفتح الخيال وتجعل الطفل والجاهل متأثرين بما فيها لغرائبها وعجبا كحوادث الزلزلة وحوادث الحروب الكبرى وأحاديث العظماء النابغين الذين يندر وجودهم وهكذا أحاديث الخرافات وهذا أمر لم تتركه أمة من الأمم . فالمتحشون والمتدينون جميعا على هذا المنوال . وترى دور التمثيل جميعها فيها الحكايات التى تجمع الفكاهات والأخبار الجيبة التى فيها المفاجآت الغريبة

﴿ القصص وصدقها وكذبها والأحلام ﴾

وما مثل الحكايات الغريبة في هذا العالم شرقا وغربا إلا كمثل الأحلام يكذب الآلاف منها ويصدق عشرات وآحاد . هكذا التأليف التى ألفها الناس في الخرافات معلوم للخاص والعام انها خرافات ولكن فائدتها توسعة الخيال للأطفال وقد دخلها أوهام وأكاذيب تستعملها العاوم الطبيعية والبراهين المنطقية . وأما القليل الذى هو صدق فهو ماجاء في قصص مريم وعيسى وزكريا . فهذه وأمثالها كما في قصة أهل الكهف والخضر وأضرابها فهذه من القليل الذى هو صادق والصدق والكذب في هذا المقام في غير الكتب السبوية اللاحقة له لأن كل رواية أو قصة خيالية هى في الحقيقة صادقة من حيث نتائجها اذا وضعت لتقرر خلق أو اظهر معنى

شريف وقد وضع أيما وضوح في كتاب (أميل القرن التاسع عشر) كما تقدم في مواضع أخرى من هذا التفسير وجهله الشرقيون مع انه مترجم باللغة العربية فالشاب منكم يذهب الى أوروبا ويرجع لايجمل في قلبه إلا الضغينة على قومه وعلى دينه وهو جاهل بأطوار أوروبا وبعالمها ولوانك قرأت هذا الكتاب وأمثاله لمعرف الحقيقة ولعرفت أن كتب الخرافات نفسها جعلت لفتح الأذهان غايبالك بالحكايات العربية التي وقعت فصلا كسائلة (نابليون) وكلازلزل وكالحرب الكبرى وكالغارات الخائفة وأمثالها . فهذه غرائب لم تكن معروفة من قبل فتجعل الطالب مشتاقا لسماعها كما يشتاق للخرافات

﴿ مفاتيح العلم ﴾

ان النفوس الانسانية كما قلنا منقسمة الى ﴿ قسمين ﴾ قسم ذكى وقسم بليد والقسمان معا يحبون الحكايات الخرافية والحكايات الصادقة اذا كانت غريبة وقلنا ان قصص مريم وعيسى وأمثالها من القسم الثاني ولذلك عم نصف المسكونة . فأمثال هذا في القرآن وفي غيره يتعجب منه الأطفال والعجب أول حب العلم وهذا العجب هو الامتحان . فكل طالب تحرك العجب فيه أكثر عند سماع الغرائب فهو الى العلم أقبل وكل طالب ظهرت عليه علامات الكسل أو عدم المبالاة عند سماع المستغربات فهرعن العلم بعزل ومثل الأولين كالمعادن فانها موصلة جيدة للحرارة والكهرباء ومثال الآخرين كالخشب الذى هو موصل ردى كما تقدم وكأما هذه الحكايات عند الأمم مقاتيح العلوم فقرأ لفتح أذهان الجهال والصبيان حتى اذا بلغوا أشدهم قرأوا علوم الطبيعة فصقلت عقولهم وأيقظتهم وعرفتهم الحقائق . فبالأول يقوى الخيال . وبالثاني يقوى العقل . فأما تقوية العقل والخيال نأتم فانه يكون أشبه بالغازى بلافرس . فقال صاحبي لقد أجدت في التعبير والسكى لا أوافقك على ما تقول . هذه قصة مريم وعيسى وزكريا والخضر مع موسى وأهل الكهف فهو لاء كلهم قد ذكروا متتابعين ولم نر علوما طبيعية وأما أنت فيظهر انك تريد أن تلصق علم الطبيعة بكل شئ حتى قصص الأنبياء . وبإيت شعري أى مناسبة بين مسألة عيسى وانه ولد من بكر بعالم الطبيعة أى ان الطالب يقرأها بعدها ولو كان الله أراد ذلك لقال اذا قرأتم هذا القصص فاقروا علوم الطبيعة . نحن سلمنا لك أن القصص العربية التي وقعت فعلا والقصص الخرافية المستغربة تفتح العقول وسلمنا أن قصص القرآن والكتب السماوية في مثل هذا من الغرائب الواقعة فعلا ولكن لانسلم أن القرآن يقول اقرؤا الطبيعة اذا كبرتم واذا عقلتم واذا تعلمتم . فمن أين نأخذ هذا المقال . فقلت يارعاك الله اصغ لما أقول . تأمل في السور السابقة من الحجر الى مريم . ألم تر الى سورة الحجر كيف ذكر فيها ما خلقه على الأرض مبتدئا من أدنى الى أعلى كما فعله علماء مذهب النشأ والارتقاء شرقا وغربا وهي سلسلة المواليد ثم ذكرت في سورة النحل بعكس ما ذكرت في الحجر ثم ذكرها مرة ثالثة في النحل أيضا بحيث جعل الانسان مذكورا في وسط السلسلة . وفي المرتين الأوليين مرة في أولها ومرة في آخرها . قال بلى قد عرفت هذا كله في هذا الكتاب . قلت سر بعد ذلك معى وأقرأ سورة الاسراء ففيها تجلج الروح نارة بالاسراء والارتقاء كانه يقول هانذا اشرح لكم ارتقاء المواليد فادرسوها . فهكذا العالم الروحي يرتقى درجة بعد درجة وأضرب لكم مثلا بارتقاء عبدى محمد ﷺ الى السموات طبقة بعد طبقة حتى وصل الى مستوى سمع فيه صريف الأقلام أى انه وقف على الحقائق فالأرواح ترتقى في العلوم والادراج كما ارتقت الأجسام في المواليد الثلاثة طبقا عن طبق . أليس كذلك . فقال بلى . ولما قررت ذلك جاء في نفس السورة وذكر الروح وقال انكم لا تقررون على معرفة حقيقتها . قال نعم كان ذلك . قلت ألم تر أنه لما جاء الى سورة الكهف أخذ يقص علينا قصصهم وقصص الخضر وقصص ذى القرنين ثم في مريم قصصها وقصص زكريا ويحيى وعيسى وكلها من الغرائب . ولما أخذ يقصها أعطانا قبلها درسا يفهمنا المقصود منها فقال . أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقم كانوا من آياتنا عجا . فهو يقول

ان ماعلى الأرض لمن زينتها وهو ماشرحناه لك من السلسلة الحيوانية طاردا وعكسا فيه عجائب وغرائب كثر من قصص أهل الكهف التى ذكرت فى القرآن اجابة للسائلين عنها كما ذكرت قصة يوسف اجابة للسائلين عنها وقال فى قصة يوسف ماقاله فى قصة أصحاب الكهف إذ أبان هناك انهم مروضون عما لاينتهى من الآيات فى السموات والأرض لاعن قصة يوسف وحدها التى هى قليلة بالنسبة لآيات الله وهكذا قصة أهل الكهف ليست شيا بالنسبة لعجائب الله . قال أما هذا فانا فهمته مما كتبه فى هذا التفسير فى نفس تلك السور . قلت ولكنى أعدته مجملًا لتكون صورته حاضرة فى ذهنك . قال حسن . قلت فهل بعد هذا بيان . يقول الله ان هذا القصص فى جانب غرائب السموات والأرض قليلة ثم يقول فى آخر سورة الكهف - قل لوكان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر - الخ ويقول الخضر فى حديث البخارى ومسلم ان على وعلمك ياموسى بالنسبة لحمل الله كما أخذه العصفور من هذا البحر . فهل كان ﷺ يقول هذا الكلام ناقلًا عن الخضر بلا فائدة ولم ذكرها فى مقام الخضر . ولماذا ذكر الله أن البحر لوكان مدادا لمعلومات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي . وكيف يقول فى سورة طه بعد هذه - وقل رب زدنى علما . - يذكر فى سورة الكهف فى الحديث الصحيح وفى الآية أن العلم لاحد له ثم يأمرنا الله فى طه أن نطلب من الله أن يزيدنا علما أليس الأمر أصبح جليا واضحا . ان الأمر عظيم وأن العلم يجب أن تدرس وأن قصص مريم وعيسى مثلا انما هى المبادئ التى تدرس فى أول التعليم للتشويق ثم من عنده استعداد يسرق معلومات الله التى قال فيها انها لانهائية لها . ثم لماذا يصرح القرآن بهذا القول وحديث الشيطان بين قصة الخضر وقصة زكريا ويحيى ومريم وعيسى . إن ذلك لم يكن مجرد مصادفات فان الكتب السماوية لها أسرار فى الترتيب وهذا أعجب مايفهم من القرآن وغرائب التربية ونظامها . ألا وان هذا من أعجب مايستخرج من ترتيب السور والآيات . ظهر الحق واستبان السبيل وانبج اشراق الصبح لذى عينين . فبالعلم فلنفرح - هو خير مما يجمعون -

✽ قال الشاعر

ففزيعلم تعش حيا به أبدا ✽ الناس موتى وأهل العلم أحياء

وقمة المرء ماقد كان يحسنه ✽ والجاهلون لأهل العلم أعداء

فهل أقنعك ما أسمعناك . قال لقد شرحت صدرى وأرى تنى فى القرآن عجا ماكنت أتوهم أن أسمعها أوأصدق أنه فى القرآن . ثم ان هذا البيان يعث الناس على قراءة جميع العلوم . قالت هو مقصود القرآن ولهذا أنزل . فقال ولكن لماذا لم نسمع هذا من العلماء السابقين . قالت أماوجود هذه المعانى بهذا الترتيب فلم أرها ولكن المتقدمون رحيم الله أيقظوا الأئمة مثل هذا ولكن القوم كانوا غافلين وهذا أوان الاستيقاظ وزمان الرفعة والمقام الأعلى لأئمة الاسلام . سيقوم فيهم عظماء مرشدون وعلماء ناهيون مجتهدون وسيكونون فى عصر جديد لم يحلم به أهل الأرض وكل أت قريب والله قد أذن بظهور هذه الأمم الاسلامية فى وقت قريب . قال ولكنى لا أزال أطلب فوائد أوسع فى ذكر عيسى وولادته بلاأ . قلت قدت لك قولنا عاما لجميع القصص فأما قصة عيسى عليه السلام فان غرائبها لها منزلة شريفة وعجيبة بدية وهى درة يقيمة وفتح صمدانى للعقول الكاملة . قال وماهو . قلت ان الناس فى أول أمرهم يتعجبون من صنعة ربهم إذ يخرق لهم القانون المسنون فى أنذر من النادر إذ جعل عيسى من غير أب فيحصل الايمان بالله بهذه الحادثة الغريبة . فاذا عجب الشاب وأخذت منه الغريبة كل ماأخذ يقال له هل سرتك هذه فيقول نعم فيأخذ بيده المربون ويقولون تعال وانظر وتعجب مما هو أكثر غرابة وعجبا والطبيعة . فهناك غرابة للعلوم وهنا غرابة للخصوص . فيقولون له انظر الزهر كيف يلقح بصفات شتى وأحوال متباعدة والأصل لم يتغير . فهذا من المقام الذى نحن فيه أى مقام الولادة العجيبة والتناسل المدهش

(١) فيقولون انظر السنت والطار والصفاف وأصافا أخرى . انظر كيف أفتحها الرياح الهابات خملت القناح من الأزهار المذكورة الى الأزهار المئنة خملت وأخرجت ثمرا . فيها لم يقصد الذكر الأثني وليس لأحدها شهوة ولا حياة معروفة ولا زواج ولا عشق ولا غرام . بل هناك رياح هبت فأخذت من هذا وأعطت ذلك والرياح لا عقل لها ولا علم

(٢) انظر النحل والحشرات المغنيات الطائفات التي شرحناها في هذا الكتاب مرارا كيف زين لها الزهر وكيف طابت رائحته وكيف جلت طلع الذكور ووضعت على الاناث من غير علم الأب ولا علم الأم فهذا أغرب ألف مرة من أمر عيسى لأن عيسى له أم تعقل وحملت وهي تفهم وولدت وأرضعت وطهرها عند الحمل شاب هييج النسوة فيها . فأما هنا فلم يكن شهوة ولا عرف الذكر الأثني بل لاحياة ظاهرة واضحة لهما ومع ذلك نرى الحل والولادة

(٣) أذكر كك بما مضى في سورة الحجر كيف تدخل الذبابة تلك الزهرة التي ضاق بابها لتستفي من برد الجوف ثم تريد أن تخرج فتقضمها الشرعات الواقفات على ذلك الباب الضيق حتى اذا وقع الطلع خرجت الذبابة فلم تقف في طريقها تلك الشرعات فتقطع في الجوف فيلسها البرد فتستفي في زهرة أخرى من نفس النوع فيفصل مثل ذلك "و يقع الطلع الذي عليها هناك وهكذا . أليس هذا أعجب ألف مرة من مسألة عيسى فكيف جاءت الذبابة . وكيف آلمها البرد . وكيف أقفلت عليها الشرعات عند الحاجة . وكيف فتحت لها عند تمام العمل وكيف يؤلمها البرد ويحركها الى الدخول في زهرة أخرى . وكيف لا تجد لها ماوى إلا هذا النوع من الزهر بعينه بحيث لا تخطئ ولا يضيع ذلك القناح . وكيف تدخل فيه ويحصل العمل مرة أخرى . فيأليت شعري أفلا تكون هذه كلها من أغرب الغرائب وأبدع الجائبات وأعظم النعم فارجع اليه في سورة الحجر أفليس ذلك أعجب وأعجب من أمر عيسى وأمه وهو من قوله تعالى - وكأين من آية في السموات والأرض - الخ وقوله - أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقم - الخ وقوله - قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي - وقوله - وقل رب زدني علما - وقول الخضر (ع) ما علمي وعلمك في جانب علم الله إلا كما أخذ هذا الطائر من هذا البحر

(٤) ارجع الى سورة (الحجر) فانظر ما ذكرناه هناك من نور الزهر واستيقاظه صباحا تارة ومساء أخرى وكيف كان النحل والحشرات الخاصة بذلك الزهر تأتي اليه في تلك المواعيد المقررة المحددة . انظر هناك وتفكر في قصة أهل الكهف الذين ناموا زمانا طويلا ثم استيقظوا وقل لي أأنت ترى الغرابية في نوم النبات واستيقاظه أشد والجهاب فيه أكثر . قل لي . أأنت ترى معي أن النبات ما كان أحد في الناس يعلم أن له حالا كهذه فظهر أن له احساسا وشعورا فهو يشعر بالنور فيمتد اليه اذا كان في ظلمة ويحس بالبرد والرطوبة فيمتد عروقه البها ويتجاف عن المواضع الجافة اليابسة فلا يمتد عروقه اليها ويرى الجبل الممدود بين حافتين فلا يحميد عنه . وهكذا يرى في نوع من الحياة . فترى بعضه يتقبض اذا لمسته كالسلف الحساس . وقد وجدوا من أنواع النبات الذي له احساس ظاهر أكثر من مائة نوع وهو مفترس كما تقدم في سورة (الزهد) فهناك ترى صور ذلك النبات وشرحه . فانظر الى تفان واسع مع الحكمة

فأذا رأيت قدرة الله واضحة في ولادة عيسى من غير أب تراها هنا قد أبدت أشكالا من الانتاج تدل على حكمة باهرة فهي أشكال مختلفة تدل على القدرة والاحكام فيها جميعها دلالة على الحكمة . فأنظر رأي الناس في خلق النواويس الطبيعية قدرة الله ظاهرة فيهاهم أولاء شاهدوا في تناسل النبات ضروبا من الاشكال والابداع أجل وأعلى من خلق النواويس المجرد فهنا تنوعت النواويس تنوعا مقرونا بالاحكام . فأذا قال أهل مكة أنزل بإحمد جبال مكة فليس فيه إلا القدرة على الهدم ولكن أين الابداع . أما هنا فقد نوعت النواويس

تويعا دلالة على الإطلاق ومع هذا الإطلاق نجد الأحكام والنظام

﴿ كيف تقرأ سورة مريم والكهف في الزهر . وكيف ذكر الله النخلة رمزاً لذلك ﴾

فانظر في الزهرات نجد محجائب الانتاج وغرائب العلم الذى ليس بمحدود . فيها تبدى عجائب اصحاب الكهف وغرائب عيسى ومريم والعلوم الغريبة التى أشارها الخضران علوم ربك لانهاية لها وابداعه لاحد له . قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا .

ويشراى ما ينفته هنا قوله تعالى . وهزى اليك يجذع النخلة . الخ ان النخلة امتاز ذكرها عن أتناها بجاء اللقاح بواسطة الهواء من الذكران للاناث وهذه الخاصية امتاز بها النخل . فأما بقية النباتات فانك تجد منها ما ذكره وأثناء في زهرة واحدة كالقطن وماعها في زهرتين في نبات واحد كالقزح والذكر إما أن يكون فى أعلى والأنى أسفل كالنرة المعروفة فى بلادنا المصرية وقد شرحناه فى سورة الفاتحة وإما أن يكون الأمر بالعكس فالذكر أسفل والأنثى ولكن الحكمة الالهية حكمت على الأنثى أنها فى زمن الاقلاح تبدل غصنها تحت الآخر فيحصل الاقلاح وذلك فى الخروج . فانظر كيف امتاز النخل عن بقية النبات ببقاعد الذكر عن أثناء وجاء اللقاح بالرياح كما امتازت مريم بالولادة من غير زوج وهذه حكمة رمزية . وهنا ﴿ ثلاث جواهر ﴾

﴿ الجوهرة الأولى فى قوله تعالى . ذلك عيسى ابن مريم . الخ ﴾

عيسى ابن مريم ليس له أب وهذه قضية العالم أجمع . يؤمن بها المسلم والنصراني وقد كانت قبل ذلك لأهم قد خلت كلها كانت مؤمنة بعظم ولد من عذراء كما علمت فيما تقدم فى آخ سورة المائدة . فبالت شعري لم عمت هذه الفكرة . ولم أمر الناس أن يصدقوا بما لانظير له فى هذه الدنيا . قد أصبح من البدهى أن لا ولد إلا بأبوين . تساوى فى ذلك الطير فى جوه والسمك فى بحره والضب فى بحره والأسد فى عرينه . كلها تساوت فى هذه القضية . فلم يفتأ هذا الانسان المسكين ويمتنع عقله ويقال له اعتدشياً لا يقبله طبعك وبنوعه سمعك ولا يألوه فيملك ومافائدة هذا التكليف وفى الناس من لا يكاد يخطر لهم ما لا يقبله العادات ولا يجيزه المألوفات . لقد حار هذا الانسان فى العلم وفى الدين . فما العمل إذن فى هذه العقيدة

أقول . اعلم أن الله عز وجل قبل أن يخلق هذا العالم علم أن هذا الانسان تسير عليه عادته ويختم على سمعه وقلبه وتجعل المألوفات على بصره غشاوة . هذا الانسان يحيط به الليل والنهار والشمس والقمر والكواكب والنبات والحيوان والجماد فهو بهذا كله مأخوذ لا يدري ما الحياة إلا باعتاده ولا اللغة إلا ما ألفه يرى كل طير وكل دابة وكل شجر لابد فيه من ذكر وأنثى . ويرى أن لا حياة إلا الحياة الدنيا وحياة الأجسام وهذا معناه الخسيس والنوم العميق فقال له الله . كلام إن هناك حياة فى عالم اتراه . وإذا ظننت أن المألوفات لك واجبة محتمة فهناك هدم هذه القواعد . أنت ترى أن الحيوان لابد فيه من ذكر وأنثى منفصلين وأنت لو تأملت لوجدت من النبات من يكون الذكر والأنثى في زهرة واحدة بل فى الحيوان ما هو كذلك بل نفس الانسان . هذا عيسى ابن مريم ولد من أنثى وقد أنزلت عليها نوعاً من الذكورة وهو الذى تمثل لها بشراً سوياً . فهذه أنثى تمثل لها ذكر فملت فولدت . فهذا أنثى وهنا ذكر لا يرى . إذن القاعدة مطردة قال تعالى . ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون . فما نحن نذكرنا فوجدنا القاعدة مطردة حتى ان مريم صاحبها ذكر من عالم المثال ولولا هذا لم تلد ولم تحمل وهذه المسألة فتح باب لعظم وحكمة كبرى ذلك أن هناك نوعاً من الحيوان أكثر الملكة الحيوانية عدداً تقوم الأنثى فيه بالعملين معا عمل الذكر وعمل الاناث ولا يدري إلا الله كيف جلت بلا ذكر . هل تمثلت ذكراً كرم . أم فيها قوة الاناث وقوة الذكور وعلى كل فهذه المسألة من أعجب العلم وأبداع الحكمة والافكيد نرى أنثى تلد أمثالها بلا ذكر . أليس ذكر مسألة مريم وعيسى فتحت لباب العلم على مصراعيه بل باب الرحمة وباب الحكمة وباب الرق العلمى . حيوان

بحرى أرسله الله لأهل الأرض فأكل منه سكان شواطئ البحار كاهل الاسكندرية وسكان شواطئ البحار في العالم كله كلهم يأكلون هذا الحيوان ولا يعلمون أن مسألة مريم وابنها نزلت لتذكر الناس بالحكمة والعلم وكان الله يقول . أيها الناس . ليس كل ما نألفونه هو العلم . كلا . فالعلم والرحمة لآحادها . فأنما كذا أخلق من أيوبين أخلق من والد واحد يقوم مقام الوالدين . ولما وجدتكم غافلين أنزلت عليكم في الكتاب أن عيسى من مريم وليس له أب . ذلك كله لتدبروا نظاي

ولما وصلت الى هذا المقام حضر صديقي العالم وأخذ يحاورنى فقال . ماهذا الحيوان الذى أخذت تطنب فى وصفه وتقول ان عيسى ابن مريم وأمه يذكر اننا به . فقلت هذا الحيوان مخلوق فى كل بحر وكل نهر ولقد كنت وأنا فى قريتنا بمديرية الشرقية أعثر على هذا الحيوان وأنا أستحم فى نهر أبى الأخضر ولا أعقل له معنى . ومن عجب أن جبان هذا الحيوان وغطاءه كان الناس يتخذونه سراجا لمازلهم بحيث يضعون الزيت فى أحد غطاهى ذلك الحيوان ويضعون فى ذلك الزيت فتيتا وبوقدونه سراجا . فإذا رأيت ثم رأيت مسارج ذات زيت موقدات وذلك بفضل هذا الحيوان . ومنه أيضا يكون ﴿ الودع ﴾ الذى يتخذه الرقاوص من السودانين على أوساطهم ليكون له صوت يجلب بعض الناس . وهكذا من ذلك الحيوان يكون الدبر الذى هو أغلى الجواهر وأغلاها قيمة وأنفسها وأبدعها جمالا وأبهجها حلية - فتبارك الله أحسن الخالقين - فقال صاحبي إذن هذا الحيوان هو

﴿ الحمار ﴾

فقلت نعم . فقال صفه لى . فقلت هذا (الحمار) مما يشبهه نوع يسمى أهل الاسكندرية (أم الخلول) فهم يصنعونه بالثوبال والأفاويه والبهارات ويأكلونه وأيضا يأكلون شيئا يقاله (بلع البحر) يطبخونه مع الارز والناس يصطادونه بشباك خاصة وبعض أهل أوروبا وبربونه فى أماكن مخصوصة من البحر كما يربى المصريون (الفراريج) المستخرجة من السباح

﴿ وصف هذا الحيوان ملخصا من كتاب أستاذنا العلامة المرحوم على مبارك باشا فى كتابه علم الدين ﴾ وصفه بأنه حيوان لحمه بارد رطب مخاطي ليس له عظام من الداخل وقد جعل الله له وقاية من الخارج وهى (الحمارة) أو (الصدفة) وتكون تارة على هيئة شكل مخروط كهيئة البرج وتارة تكون شكلا مستديرا كالدرقة وتارة كدروع الحرب وتارة تكون قطعة واحدة كالخازون وتارة تكون قطعتين فأكثر وتسمى (المبيدات) وقد انقسمت الى ﴿ ثلاث رتب أصلية ﴾ ذات الصدفة وذات الصدفتين وكثيرة الصدف

ولمبيدات المذكورة تسكن فى قاع البحار فتكون فى مواضع على صورة الجزائر والتلال وترى الواحدة منها فلتقتن ادمها كبيرة وهى التى يلتصق بها الباطن وهى محمّبة ذات سمك وهى السفلى والثانية هى العليا وهى أصغر وأرق سمكا وأقلّ تحمّبا والحيوان فى داخلها وهذا الحيوان فيه نقرة بيضاء فيها عصب أبيض اللون متصل بالحيوان وبه يكون تحريكه وفى دائر كل فلقة من الفلقتين زوائد فيها شعور يمتدّها الحيوان ويقتضها باختياره يقتصصها المواد الجيرية فتكون قوته وللحيوان فم ظاهر من جهة انفتاح الحمارة أر بع زوائد يتناول الطعام وله معدة أشبه بشكل الكمثرى وأمعاء وكبد وقلب له أذنين وبطين مثل سائر الحيوان ومن البطين يخرج عرق يفرّغ ﴿ ثلاثة فروع ﴾ فرع يوصل الدم الى أعلى وفرع يوصل الى السكبد وفرع يوجه السائل الى سائر الجسد ودم هذا الحيوان ليس أحمر بل هو شفاف عديم اللون . إذن هذا الحيوان له دورة دموية وله خياشيم كالمسمك يستخرج بها الهواء الذائب فى الماء

ومن غريب خواص هذا الحيوان أنه يجتمع فى الواحد منه أعضاء التناسل الذكورية والانثوية فيكون الواحد لسله أبا وأما معا ولسله فى أول أطواره بيض مصفر اللون كثير العدد الى الغاية حتى أن أهمل الفتر

توصلوا بكثرة البحث ودقة التحقيق الى أن قدروا الحيوان الواحد منه نحو ألف بيضة ومدة تربية هذا الحيوان في البيضة كترية البجاجة في البيض الى أن يتم تخلق الحيوان ويستقل بنفسه ثلاثة أشهر من يؤنة الى آخر مسرى وفي هذه المدة يكون البيض في طيات الغشاء المتقدم ذكره مغشورا بمادة لزجة تفرزها الأم فيغذى منها ويكون في طيات هذا الغشاء بمنزلة البيض تحت البجاجة ترقد عليه وتحضنه وحيداً يكون كل من البيض وهذه المادة في قوام القشقة ولا يرى أفرادها إذ ذاك بالعين لفرط صغره ودقته وكثرة تراكمه على بعضه ويكون في أول أطواره مصفراً كما مر ثم يتغير بعد ذلك فيقسم ثم يكون آخر الأمر بنفسجي اللون وعند ذلك يتخلق فيه الحيوان ويخرج منه وهو في طيات الغشاء المذكور كما ذكر وعند ذلك تقذف الأم في الماء متابعاً متعاقباً على صورة خيط أبيض يشاهد بالبصر فيخرج من كل محارة خيط ويتكون من المجموع طبقة عظيمة الاتساع بالنسبة لاتساع الصخور الموجود عليها المحار يتميز لونها عن لون الماء وحيداً يكون لها منظر عجيب ولكن لا يلتفت اليها إلا المشتغلون بأمرها المعانين لثربتها . ومن الغريب أن هذا الحيوان الذي تنقضي مدة حياته في حالة السكون وعدم الحركة يكون عند ولادته وانفصاله عن أصله محاطاً بمادة تتكون منها محارته التي جعلها الله سبحانه وقاية له ويكون إذ ذاك في غاية الصغر والدقة بحيث لا يتميز أفرادها إلا بالنظارة المظلمة ويكون له حينئذ شعورها يسبح في الماء ويسرح حول أصله ويفزع اليه متى دهمته أى حادثة تهوله فإذا كبر الحيوان زالت عنه هذه الشعور التي هي له كالأرجل فيتعلق ببعض الصخور والأشجار فيستقر بمكانه ويثبت فيه ولا يتحول عنه وحجمه إذ ذاك لا يكون إلا قدر خمس ملايين واحد أى بقدر جزء واحد من خمسة آلاف جزء من المتر وبعد ثمانية أشهر يصل طوله الى نحو ثمانية ملايين مترات أو عشرة ملايين مترات وبعد سنة يكون قدر خمسة سنتيمترات ولا يتم صلاحه ويكمل الانتفاع به وبيع في الأسواق إلا اذا بلغ ثلاث سنين وهذا هو المعتبر بين أرباب المعامل فانهم لا يخرجونه منها إلا اذا بلغ هذا العمر

وعالم (المحار) عالم كبير وعده كثير حتى قيل انه أكثر المملكة الحيوانية عدداً . ومن هذا المحار نوع يسمى (الدوع) ثم ان الثؤلول يتكون في داخل بعض المحار ولقد تقدم الكلام عليه في سورة الفاتحة فاعجب للعلم والحكمة وقأمل كيف كانت مسألة انفصال الذكور من الإناث ليست واجبة في التناسل وكيف كان ذكر عيسى ابن مريم وانه لا أب له أصبحت تلاء المحار كلها وأن التناسل الذي ليس له أب معروف أكثر وأغزر وأوفى عدداً من التناسل المتوقف على أبوين . واذا كنا نرى (المحارة) تلد ألفي ألف في مدة حياتها وأكثر الولادات تعدد ذريتها بالأحاد أو العشرات . فاذن مسألة عيسى ابن مريم توجب البحث في عالم الحيوان وتفتح للناس باب العلم والعرفه ويقولون ان الله لا حد لعلمه ولا حصر لقدرته ولا نهاية لابداعه . ذلك مايقهم من أمر عيسى ابن مريم والحمد لله رب العالمين

﴿ الجوهرة الثانية في عجائب العلم الحديث ﴾

عجيبة ان سمحت دلت على ما نحن فيه من هذه السورة وكشفت اللثام عما تقدم في أول سورة النساء من أن آدم وحواء وسائر الحيوان خلقت أول أمرها في خط الاستواء إذ كانت الأحوال هناك مناسبة لها ثم تناسلت تلك الحيوانات وانتشرت . فهذه العجيبة التي سأذكرها لك ان سمحت لم تردعن ذلك التأييد وتبين لنا عجائب الخلق . ذلك أنه في يوم السبت ٣٠ أكتوبر ذكرت انتشار خبر في جرائد الشرق والغرب وهذا ملخصه

﴿ توليد الحياة بطريقة كيميائية ﴾

ذكرت الصحف أن شاباً يدعى المستر (مازور) وفق بعد جهاد خمس سنوات الى توليد الحياة بطريقة صناعية في معمله الكيميائي . ولأهمية القول بأن عملاً كهذا اذا صح سيحدث أكبر انقلاب في تاريخ البشر قضى المستر (مازور) سنوات عدة في معمله يجتهد ويشغل ويقوم بإجراء التجارب العلمية حتى وفق أخيراً

الى جعل (القوقعة) بطريقة كيميائية غريبة وكان قد وفق في سنة ١٩٢١ حصول الى أول خلية من خلايا الحياة الصناعية وذلك باتنجاه طرقا غير الطرق العلمية التي تقدمه فيها العلماء ولعل تنسكه عن الطرق العلمية هو الذي أفضى به الى تلك النتيجة الباهرة . وخلاصة ما فعله أنه أخذ مجموعة من بيض (القوقعة) الطبيعية ومزجها بالوراثات الكسوسيم حتى تسكون منها مزيج مخن سائل . وبعد ثلاثة أسابيع وجد في المزيج عدة قووعات طبيعية حية . وقد حاول تفرغ البلورات عدة أسابيع فلما كملت عملية التفرغ مزج السائل بالزلال ثم حقن تربة أصبص من أصص الأزهار بذلك المزيج وبعد ثلاثة أشهر امتلأ الأصيص بالقووعات وأعاد هذه التجربة مرارا فأسفر عن كل مرة عن النجاح التام . وجاء مرة بئانية أصص في جميعها تربة متائلة وأزهار متائلة فحقن أربعة من تلك الاصص من المزيج المذكور وأعمل الأربعة الباقية ثم عرض الثمانية الاصص لنور الشمس وعملها كلها معاملة واحدة . وبعد ثلاثة أشهر ظهرت قووعات كثيرة في الاصص المحقونة بالمزيج أما الاصص الأخرى فلم يظهر فيها شئ على الإطلاق

ويعتقد المستر (مازور) أن هذه التجارب قد أثبتت بوجه قاطع صحة نظرية التولد الذاتي وهي النظرية التي تذهب الى أن الحياة يمكن أن تنشأ من الأرض نشوؤا ذاتيا أي من تلقاء نفسها وذلك باتخاذ خلايا وانضمامها معا في أحوال معينة من دون أن يكون ثمة ضرورة لاجتماع الأويين . وهذه النظرية في عرف المستر (مازور) تؤيد ملجاء في الكتب المنزلّة بشأن عملية الخلق وتناقض نظرية النشوء والارتقاء التي جاء بها (داروين)

وفي اعتقاده أيضا أن رواية السكتب المنزلّة عن الخلق أكثر انطباقا على المبادئ العلمية وأكثر تأبيدا لها من نظرية النشوء والارتقاء بشرط تفسير تلك الرواية بأنها تعني التولد الذاتي لأن البراهين قوية جدا على أن الحياة في جميع مظاهرها الحيوانية والنباتية نشأت بطريقة ذلك التولد . ولوأمكننا أن نوجد البيئة أو الأحوال التي ظهرت فيها الأنواع منذ القدم لأمكننا اليوم أن نوجد تلك الأنواع عينا بطريقة صناعية

هذا ما يدعيه المستر (مازور) على أنه يقول في أنه وإن يكن قد تمكن من إيجاد نوع من الأنواع فهو ليس بمبدع وأخلاق وانما هو آلة لانعام الخلق أي ان عملية الخلق من وظائف الطبيعة وهو لم يفعل شئاً سوى مزج العناصر اللازمة لتولد الحياة . على أنه وإن يكن الإنسان قد تمكن من حصول الحياة فانه عاجز كل العجز عن خلق الروح أو العقل وهما يختلفان عن الحياة كل الاختلاف وليس ذلك فقط بل ان الإنسان يجهل كنه الروح أو النفس ولا يعلم العلاقة بين الروح والمادة

وما يجدر بالذكر أن المستر (مازور) لا يعمل في الخفاء بل هو يشرح تجاربه لسلك من يقصده ويقول انه قد وفق الى وجود خلايا صناعية تشبه الخيرة بالطريقة الآتية

ذلك انه أذاب جراما واحدا من الفراء الاعتيادي في أربعة (أونسات) من الماء المقطر وغلى المزيج ثم أضاف اليه قليلا من حمض النيك وعلّى الجليع مدة عشر دقائق ثم رفعه عن النار لكي يبرد فنشأت منه خلايا صناعية غير متحركة فلكي يجعلها تتحرك أخذ نقطة من المزيج الذي فيه الخلايا ووضعها على قطعة من الزجاج وأضاف اليها نقطة من المادة المعروفة (بمرارة الثور) أو (صفراء الثور) وهي مادة تستعمل في تحضير مستودات بكتيرية ومزجها بالسائل الذي على الزجاج فلم تخض على ذلك ثلاث دقائق حتى تغير لون الخلايا من أسمر قاتم الى أسمر فاتح وأصبحت شفافة وكوّنت نواة . ولأشك أن العلماء سيهتمون بمباحث المستر (مازور) المدهشة وبما وصل اليه من طرق ابتكار الحياة . فإذا سحت التفاصيل التي أوردتها الصحف فسيخلد اسم هذا الشاب الكيميائي الذي وفق الى أعظم عمل يخلد الذكر ألا وهو خلق الحياة . ولكن لا بد هنا من إعادة التنبيه بأن بين خلق الحياة وخلق الروح أو النفس يونا شاسعا في نظر العلم وان الممكن من خلق الأول لا يعني التمكن من خلق الثاني . وعلى كل فان عمل المستر (مازور) اذا صح تماثيل عنه هو أعظم عمل

علمى قام به الإنسان منذ بدء العالم وسيحدث أكبر انقلاب عرفه التاريخ ، ولا يستطيع أحد أن ينبي بما قد يفضى إليه من النتائج المدهشة اهـ

هذا ملخص ماجاء في الجرائد والمجلات في العالم ونقلته جريدة (السياسة) الأسبوعية . وأقول لك إن هذا إن صح ثبت فرضاً فلم يصنع شيئاً إلا ماقلته لك وهو ماجاء في أول سورة (النساء) من أن بعض علماء أوروبا يقولون ان الحيوان اشتق أعلاه من أسفله كالبرى من البحرى وبعضهم كذب هذا وهم في حيرة فأما علمائنا السابقون فقد قالوا ان كل حيوان قد خلق أولاً في خط الاستواء إذ كانت الأحوال موافقة فانظره هناك . فهذا الإنجليزي ان صح قوله لم يأت بشئ إلا تأييد نظرية قدمائنا في أن الحيوانات خلقت في أحوال ملائمة وهذه الأحوال قد فات وقتها . فهذا السكجاني قد ركب تركيباً يناسب حالا من تلك الأحوال وليس له من الأمر شئ كما انه ليس للفلاح في غرق قمحه شئ فما هو إلا أن يضع البذور وسوى الأرض والله تولى الانبات علم الله أن أمة الاسلام سيجر عليها زمان ترى فيه نتائج هذه القصة ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ ترى الولد بلا أب كسأله عيسى فأنزله في القرآن وهذا أعظم توبيخ للمسلمين أن يظهر سر ظهور المسيح على يد المسيحين مع اننا - خير أمة أخرجت للناس - فكان علينا العلم وكشفه . فإذا حصل . ذلك أن الله قيض الأستاذ (لوب) أكبر علم في علم الحياة وقد ولد في (اللازاس) سنة ١٨٥٩ وتعلم في جامعة (ستراسبرج) ونال الدبلوم في الطب سنة ١٨٤٨ وصار مدرسا لعلم (البيولوجيا) في كلية (برين مور) بأمرىكا ثم جعل بجامعة (شيكافو) أستاذا للفسيولوجيا والبيولوجيا ثم في جامعة (كافورنيا) سنة ١٩٠٣

هذا الأستاذ هو الذى بحث هذا المبحث العجيب . فبحث حيوانا بحريا نسميه في مصر (ترسا) نراه في شواطئ البحر الأبيض المتوسط وقد ربه (مصلحة الأسماك) بالاسكندرية في البحر وهو كروى له شوك صلب على جميع محيطه . ولهذا الحيوان بيض ومثى وقع هذا البيض وانفق أن أصابه لقاح مزوج بماء البحر فانه يفقس وذلك على مقتضى الناموس المعروف ولكنه هو أقام بضع سنين يبعث حتى تمكن من جعل بيض حيوان يسمى (التوتيا) ينمو بغير تلقيح ولازال يرتقى حتى جعل ذلك أيضا في نفس الضفادع وهذه التجارب كانت في خيمته في ساحل (كليفورنيا) فعرف مقدار الملح في الماء وكما بيضة تنمو من عدد من البيض وما هي العوامل الطبيعية والكيميائية . فهذا الأستاذ أثبت أن الحيوان أمكن أن يكون له أم ولا أب له بفضل أملاح وبعض أعمال طبيعية وكيميائية . هذا هو الكشف في القرن العشرين فتبين أن قول الله تعالى - إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب - الخ قد ظهر سره الآن . فآدم ظهر سره في الفصل السابق وعيسى ظهر سره في هذا الفصل . إن هذا من عجائب القرآن

﴿ سر الوجود . الكهرباء والأرواح ﴾

إن السر في هذا الوجود يستبين لنا شيئا فشيئا . أتدرى ماذا أقول لك الآن . أقول ان الكهرباء لا يتخلو منها مكان فهى في الأرض والهواء والحيوان والنبات ولكنهم لن تظهر لأحد إلا بالتفاعل المذكور في سورة (الألعام) وغيرها ففى وضعها النحاح مع التوتيا مثلا وسائل ملحية ظهرت الكهرباء قليلة أو كثيرة على حسب التفاعل . وهذه الكهرباء تكون نورا في منازلنا ونارا طابخة لطعامنا وحركة مديرة لآلاتنا في الصناعات المختلفة فتتوعد الكهرباء بتنوع الآلات المعدة لمناقص مختلفة . فهى مضيفة في جدراننا محرك في آلاتنا طابخة لطعامنا بالحرارة . فهى كهرباء وهى ضوء وهى نار وهى حركات . تعتددت الأفعال وأساقها والعنصر واحد .

أليس هذا عجيبا . هذه هي الكهرباء

أما عالم الروح فيالقياس عليها فنقول هي المعبر عنه في الفلسفة القديمة بالنفس السكينة فهى تحيط بالعالم أشد من احاطة الكهرباء ولا تظهر إلا في أجسام قبلها بالتفاعل مثل ما حصل في الكهرباء سواء بسواء . الروح الكلى

محيط بنا وبكرتنا ولكن لا يظهر أثره إلا إذا حصل التفاعل في أجسام تستعد لقبوله كما في السكر بهاء والاستعداد بالقبول إما قليل كما في النبات وأما كثير كما في الحيوان . السكر بهاء أنتجت سالباً وموجبا النبات والحيوان أنتجا ذكراً وأُنثى كاللوجب والسالب في كل منهما زوجان . ومتى استعدت النبات والحيوان لقبول الفيض من تلك النفس السكية أخذت أعضاء الحيوان كلها ما يناسبها منه . فكما قلنا في السكر بهاء نور وحرارة وحركة باستعداد القوابل لها . هكذا نقول هنا في قبض النفس السكية على كل شيء . إن ذلك القبض إن أُنثى إلى نبات أعطاه النماء والتكاثر وأولى حيوان أعطاه فوق ذلك الحس والحركة والادراك فهو في كل حال يعطى ما يناسبه وهكذا نقول القبض في النبات به امتد العرق في الأرض وتعرض الورق للنور وأزهر الشجر وأثمر الخ وكل ذلك بحسب القوابل وهو في الحيوان يعطى القلب نبضاً والكبد طبخاً للدم والمعدة هضماً والدماغ فكراً والعين نظراً والأذن سمعاً واللسان ذوقاً وذلك بحسب القوابل كما قلنا في السكر بهاء نوراً في حجراتنا ونارا للطهي طعناً وحركة لآلاتنا . فكما اختصت الحركات بالآلات والنور بالجرات باستعداد خاص هكذا اختصت الأذن بالسمع والعين بالبصر والمعدة بالهضم وهكذا . فنتج من ذلك أن السكر بهاء تظهر عند التفاعل المناسب لها وقوة الحياة تظهر عند التفاعل المناسب لها . وكما تختلف السكر بهاء قوة ضعفاً على حسب منبهاها . هكذا تختلف الحياة قوة وضعفاً الخ ففى حصل القابل للشئ فليس الله يمانع عنه ما يناسبه وبهذا وصلنا إلى المقصود تفاعلت النطفان في الرحم فألقت إليهما الروح ومتى حصل التفاعل بأى وسيلة كانت فلا بد من حصول الروح لأن الروح سارية في العوالم سريان السكر بهاء ففى ظهرت القوابل لم تمنع عما يناسبها فإذا وضع بيض الضفدعة في وسط يناسب الإلقاح بحيث يقوم التركيب فيه مقام الإلقاح الذكر فلا بد من حصول الحياة لأن الله ليس عليه حاكم يحكمه وما الإلقاح الذكور لآلاتها إلا طريقة من الطرق التي لسانا نعرفها ومتى قام مقامها سبب آخر فلا بد من الحياة كما اتنا كما نركب السواب وقد علمنا اليوم البخار والسكر بهاء فاستعملناها وجعلنا بدل السواب . هكذا طريق التناسل ليس قاصراً على ما نعلم فقد خرق الله العادة في عيسى يقول . أيها الناس إن نوابس أرضكم جزء من كل ولا فاعملواوسع مما تعملون هذا الوجود حتى تحرقوا الحجب العقلية - ولا تكونوا كالبين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون - انتهت الجوهرة الثانية ﴿ الجوهرة الثالثة في قوله تعالى - قال إني عبد الله آتاني الكتاب - إلى قوله - فاختلف الأحزاب من بينهم - الخ ﴾

اللهم إني أجدك على التوفيق وعلى نعمة العلم . اللهم ان هذا النوع الانساني كله إلا النادر منهم نوع مقلد يتبع آخرهم أولهم . اللهم انك أنت قد أنزلت دياناً في أرضك لتهدي الأمم الانسانية كما أنزلت في أصناف الحشرات وذوات الأربع والطيور قوى وغرائزها انتظمت بمالكها وعاشت أزواجها وحفظت أنواعها وربت ذريتها . فهذه الغرائز الحيوانية قد قامت بأمرك وحيك فتمت بها النظام . أما هذه الديانات التي أنزلتها في أرضك وفرتقتها في شعوبها وقبلاتها في أزمانها المختلفة فانها قد اعترتها ما يعترى المواد الأرضية والمركبات العنصرية من التغير والتبديل والمسخ والنسخ والبي . حكمت على دياناتها حكمكم على أجسامنا ولم تحكم على غرائز الحيوان ما حكمت على دياناتها . أبقى غرائزها حفظت كيائها على مقدار طاقتها . ولم تكن هذه الغرائز في تديريها . أما نحن بنى آدم فانك وإن أنزلت لنا مختلف الديانات لم تطيعها في عقولنا طمعاً كما لم نحسن نحن فيها صنعا . ما زل دين من السماء إلا أدخلنا عليه بدعاً والبسنا من لدنا خلعا وغشينا بما لدينا من خرافات ومفاسد فلازال يزيد تلبساً ولايزال هو يبتعد عن أصله حتى لا يصلح لنظامنا فترسل رسولا آخر وهكذا . أنت خلقت أمم الاشوريين والبابليين (سبيأى الكلام عليهم في سورة الأنبياء عند قوله تعالى - وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه - الخ) و خلقت أمم الفرس وجمعات هناك دياناً كديانة

الاشوريين وديانة البابليين وديانة الجيوس وديانة (زردشت) ولادين من هذه الأديان لإدخاله البع والضلالات هكذا دين (خريستا) بالهند وقبله دين (البراهمة) وقبله كتاب (الفيدا) وبعد (خريستا) دين (بوذا) وكل هذه الأربعة يتبع بعضها بعضا فيكون كل منها أولا توحيد ثم يكون التثليث

هذه صورة مصغرة من صور الديانات في أرضنا . فالدين يأتي بالتوحيد وتابعوه على طول الزمان يتلون ويكثرون الأصنام والألوه إلى ألف أو آلاف بل إلى الملاصحة له كما في أمة اليابان الآن . لذلك أرسلت محمدا ﷺ وقلت له - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - فنشر العقيدة الخالصة بالتوحيد التي جعلها قدماء المصريين وأهل الهند وغيرهم عقيدة سرية فما وسع الاسلام إلا اظهارها وختم الله الديانات بها لعلمه أن كل دين بعد أزمان يرجع إلى الوثنية . ولما انتشر الاسلام أثر في أمة العالم قاطبة وبه وحده كما تقدم عن (سديو الفرنسي) نقلته في سورة (التوبة) وسورة (ابراهيم) فقد أثبت بصريح العبارة هو وغيره من أهل أوروبا الحاليين أن ظلم رجال الدين في أوروبا وتحكمهم في الشعب الذي امتد نحو أحد عشر قرنا لم يمنعه إلا تعاليم الدين الاسلامي وذهم الأجر والرهبان وقام بهذه الدعوة أمثال (روسو) و (فولتير) فخرروا أوروبا وارتقت وارتقى الناس معهم وبهذا الارتقاء مجرا في الآثار القديمة في مصر والهند وبابل واشور . فإذا وجدوا أن التثليث ليس دين المسيح فقد وجدوه منقولاً عن أهل الهند في الخرافات التي كتبوها في (خريستا) قبل الميلاد بنحو ٤٨٠٠ سنة وفي (بوذا) قبل الميلاد بنحو ستمائة سنة . وقد تقدم هذا موضعا في آخر سورة المائدة فارجع إليه . ولكن الذي سفت له هذا الكلام الآن هو أمر عجيب . ذلك أن صديقنا اللورد (هيدلي) العالم الانجليزي الذي أسس بعقله وأسس طائفة مسلمة في انكلترا ودعا إلى الاسلام . ذكر في كتابه المعنون (إيقاظ الغرب للإسلام) تأليف سيف الرحمن رحمة الله فاروق (اللورد هيدلي) رئيس الجمعية البريطانية الاسلامية منقولاً إلى العربية . فهذه الترجمة جاء فيها في صفحة ٤٨ وما بعدها ما يأتي

﴿ إذا كان إيمانى الاجوف في الولادة العذرية و صلب المسيح وقيامته ثانيا تجلب إلى الخلاص المطلوب فاعلما لا يفتنى لي إذن أن أومن بسر (بابيلونيا) وأؤمل خلاصى . إن رواية آلام (بابيلونيا) كانت في الوجود من مدة طويلة جداً قبل ميلاد المسيح بل كانت شرعية ومقررة في تلك الأيام كما سأء مألفة ﴾ هناك لوجان بابليان تابعا إلى مجموعة السجلات المكتوبة بالخط الاشورى التي كشفت بواسطة الحفارين الألمانين في سنة ١٩٠٣ و ١٩٠٤ م في (كاه سرجات)

﴿ قاعدة الآشوريين الأقدمين وهما يتبعان مكتبة هؤلاء الآشوريين التي أنشئت في القرن التاسع قبل الميلاد أو قبل ذلك وهما مع ذلك صورنان طبق الأصل من ألواح بابلية أقدم من ذلك ﴾ من هذين اللوحين يمكن أن نعرف أن حكاية آلام المسيح ليست أول حكاية عرفها الانسان من هذا الصنف منذ الخلق وتسهيلا للقارئ ننقل الآتي من عدد يناير سنة ١٩٢٨ من مجلة (الكوست) التي هي مجلة مسيحية بحثة

(١) حكاية الآلام المسيحية	(١) رواية الآلام البابلية
(٢) يساق عيسى أسيرا	(٢) يساق بيل أسيرا
(٣) يحاكم عيسى في منزل رئيس الكهنة	(٣) يحاكم بيل في المنزل على الرابية (غرفة المحاكم)
(٤) يحلج عيسى	(٤) يضرب بيل
(٥) يساق عيسى إلى الصلب في جلعلة	(٥) يساق بيل إلى الرابية

(٦) يساق مع عيسى شريان أحدهما يقتل
يدعى (باراباس) يطلق سراحه

(٧) عند موت عيسى يمزق حجاب الهيكل
وتزلزل الأرض وتفتقق الصخور وتفتح القبور
ويخرج الأموات الى المدينة المقدسة

(٨) تقسم العساكر ملابس عيسى

(٩) يطعن عيسى بحربة في جنبه ويخرج
دم وماء وتأتى مريم المجدلية وامرأتان أخريان
لفصل وتحيط الجثة

(١٠) يدخل عيسى القبر داخل الصخرة
ويذهب تحت الى قسم الأموات ويזור جهنم
(١١) يوضع الحراس على قبر عيسى

(١٢) مريم المجدلية ومريم الأخرى تجلسان
أمام القبر

(١٣) تأتى النساء خصوصا مريم المجدلية الى
القبر ليبحثن عن عيسى خاف باب القبر فتقف مريم
باكية أمام القبر الخالى لأنهم أخذوا سيدها بعيدا
(١٤) رجوع عيسى الى الحياة وخروجه من
القبر في صباح (الأحد)

(١٥) عيدته الذى يكون في الاعتدال الربيعي
تقريبا يحميا ويعظم أيضا كانتصاره على قوات
الظلام

(٦) يساق مع ييل شريان أحدهما يقتل
والآخر يطلق سراحه

(٧) عند ما يصعد (ييل) على الزاوية تنزل
المدينة وتحدث فيها مواقع

(٨) تؤخذ ملابس (ييل)

(٩) تمسح امرأة الدم النابع من قلب ييل
أثر خروج السلاح (حبه)

(١٠) ينزل (ييل) تحت الزاوية بعيدا عن
الشمس والورور ويذهب عنه الحياة

(١١) يلاحظ الحراس (ييل) وهو سجين
في معقل الزاوية

(١٢) تجلس آلهة مع (ييل) قد أتت
لتعتى به

(١٣) يبحثون عن (ييل) في أى مكان
هو مقم خصوصا امرأة ياكبة تبحث عنه في المقبرة وعند
ما يؤخذ تصبح مولولة (آه يا أخى . آه يا أخى)

(١٤) رجع (ييل) نائيا الى الحياة (كشمس
الريبع) ثم يخرج من الزاوية

(١٥) والعيد الأكبر عند الباطنيين وهو رأس
السنة يكون في مارس في زمن الاعتدال الربيعي
ويحتفل به لأن فيه كان انتصاره على قوات الظلام

الى هنا انتهى ما نقله اللورد (هيدلى) الانجليزى الذى أسلم عن اللوحين المكتوبين بالخط الاشورى
ثم أتبع ذلك بالتعليق عليه مثل قوله ﴿ من أين إذن أنت عظمة المسيحية التى يعلن عنها دائما من أعلى
المنابر بأنها هى الديانة الوحيدة خلاصنا ﴾ ومثل قوله ﴿ يتضح من ذلك أنه منذ ألف سنة أو أكثر قبل ظهور
المسيح كانت هناك حكاية في العالم تشابه حكاية هذا الذى وكان لها اعتقاد عظيم في أفق هذه هؤلاء الناس ﴾
ومثل قوله ﴿ إن الاعتقاد الأجوف في هذه الحكاية وتلك الرواية لا تحل اليكم (البسا بورت) الجواز اللازم
لدخول الحياة الأبدية . كل هذا ماهو إلا حكاية من حكايات ملاحي الأغفال ﴾ الى أن قال ﴿ وقد نصت
الشريعة الإسلامية على أن السموى الروحى متناسب مع ارتقاء العمل الانسانى في هذه الحياة ولهذا السبب
لا يمكن الانسان أن يحصل على خلاصه إلا الى الدرجة التى أظهرها بعمله الشخصى في الدنيا . ثم خاطب
أورو باكلها قائلا ﴿ لذا أطلب منكم جميعا أن تعملوا الأعمال الروحية الطيبة فهى خير لكم من التفكير
الكهنوتي الذى يقال إنه يسهل الوصول اليه بشبك عقيدتكم الخاوية فقط (بدويس) مع حكاية آلام بشر
(عيسى نبى الناصرة) انتهى كلامه

وأقول أنا قد اجتمعت بمؤلف هذا الكتاب في مصر وخطب خطبة في الجامع الأزهر وترجمها بعض

الاخوان للحاضرين . وماخصها انه عرف سخافة النصرانية من صغره وأيقن بالاسلام بعد البحث ولكن خاف من اظهار اسلامه على شعور أبيه وأمه والكبار من أسرته . ولما ماتوا أظهر الاسلام ثم قال ﴿ ان ثلاثة أرباع الانجيل موقوتون بمثل إيقاني ولكنهم يخافون من كبر أقالهم وأهلهم وقد كشفوني بذلك ﴾ ثم بعد ذلك تعبدت معه على مائدة كنا دعينا اليها غطاطيني هو وصديقه (خواجه كمال الدين) والشيخ عبد الحكي قائلين ان الاسلام يمكن انتشاره في أوروبا بسرعة اذا جاء من المصريين وقد دبتني وعضدنا في هذه الدعوة . انتهى

أقول . أفلا تعجب أيها الصديق الذكي لنعمة الله الواسعة وفضله العميم الذي أنعم به في هذا التفسير . ألت ترى أن هذا زمان ظهور الحقائق وأي حقائق بعد هذا البيان . اللهم إنا نحمدك على نعمة العلم وظهور الحقائق . لقد ظهر الحق واستبان أن هذا الانسان كله قديما اتبع المتأخر المتعقم في تعمد الآلهة . تلك البابليون والآشوريون والمصريون وأهل الهند وأظهر الله عز وجل آثارهم على أختارهم في زماننا وحده ولم يعرف هذا على هذا الخط إلا في زماننا وقد نشر هذا في هذا الكتاب . فأنت يقين بعد هذا . أوليس هذا بعينه هو معنى قوله تعالى - سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق - وقوله - وقل الحمد لله سير يكم آياته فتعرفونها - وقوله - ثم إن علينا بيانه - وهكذا من الآيات أصبح أمرا مشاهدا يرى بالبرص مع البصيرة فالحمد لله على نعمة العرفان . انتهى

ثم أقول بعد ذلك . أي ثقة بقيت بهذا الانسان وبأفادته . هاهذه العلوم الالهية (مابعد الطبيعة) ليس لأحد من أوروبا التي قلبت الكرة الأرضية فيها فضل . الأثرى الى ما ذكرته لك في سورة النحل عند قوله تعالى - فأسألو أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون بالبينات والزبر - فقد نقلت لك هناك ماخطه براع معاصرنا الذي لمزعه وهو الأستاذ (ستلانه الطلياني) إذ أبان هناك بالخط العربي أن فلاسفة أوروبا بالخاليين والسابقين لم يصالحوا لعشر معشار ماوصل اليه أمثال (سقراط) و (أفلاطون) فيها هو المقصود الحقيقي من الفلسفة وهي معرفة النفس والاله وما أشبه ذلك ولم ينبغوا إلا في العلوم الجزئية المشهورة . أما الامور العاتية العالية فقد قال إن نسبتهم الى فلاسفة اليونان فيها كنسبة (القة) الى (الفيل) . ونقل عن (اسينسر) ما يفيد بعض ذلك . فاذن أقول أنا يا أمة الاسلام . هذه هي مقدرة النوع الانساني . دياناتهم خرافات وهم أنفسهم أعلموا بها وعلمهم التي رقتهم علينا في الماذيات لم تنلهم حظا وافرا في العقائد وعليه يجب علينا نحن أن ندرس علومهم جميعها لمنفعتنا وشرفها ونستأنف الباحث الالهية بأنفسنا لأن الشرق أقدر على ذلك من أوروبا فاننا أصحاب البينات وأوروبا لم يكن فيها دين ألبتة . بل أهل الشرق هم الذين جالوا هذه الخرافات التي تصيدها أهل الأرض المقتدسة من خرافات الهنود ومن خرافات البابليين وضحكوا على عقول أوروبا واعتنقوا دين نبي شرق لم يصاب ولم يضرب ولم يجلد . ألا فليقم المساهمون بما يجب عليهم وليكونوا للعلم حاملين ولالحقائى مجتري ولأهل الشرق والغرب معلمين والحمد لله رب العالمين

﴿ جوهره في قوله تعالى - ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى أمرا فانما يقول له

كن فيكون * وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم - ﴾

اعلم أن هذه الآية بيت القصيد في هذه الدور المتلاحقة . وأذكرك بما مر في سورة (آل عمران) عند ذكر عيسى ابن مريم وأن هذه الجلة تضمنت العلم والعمل . والعلم والعمل هما ملخص الديانات كلها وأن هذه هناك عدت آية من الله لعيسى الخ فهذا المقام مشروح هناك مفصل بجميع حذافيره مع نموذج من الديانات المشهورة في الأمم حولنا الآن . وسترى في هذا المقام بيانا أجمل وعلمنا أكل وحكمة أشمل وهبة وبهاء ونورا وساء . ستى عجائب الحكمة وبدائع العلم وغرائب القرآن تجت لتناظرين وازيبت

للمفكرين وأشرفت للعالمين وأشرفت الأرض بنورها واستبان حقائق لم تكن لتخطر لولا هداية الله ولالتظهر لولا أنه أراد رفى الأمم في هذه الكرة بقدر معلوم

اعلم أن الله قد مهد لهذه الآية بآخر سورة الاسراء وأول سورة الكهف وآخرها وبما مضى من سورة مريم . فهذه السور الثلاث المكيات المتلاحقات تعاونت أوائلها وأواخرها على أن تكون مقدمات لا يتناهى نحن بصدها . ألم تر أنه في آخر سورة الاسراء يقول - وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك - ألم نعلم أم عقبتها فى أول سورة الكهف بقوله - لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين - ألم فهو يبشر المؤمنين الصالحين وينذر من قالوا إن الله ولدا فهذه راجعة لاتخاذ الولد فى آخر السورة قبلها . فالآيتان معتلستان ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ اتصل أول الكهف بآخر الاسراء حتى كأنهما سورة واحدة . فهناك جد على عدم اتخاذ الولد محتوما بذكر أن الله كبير وهما أى فى أول سورة الكهف حمد الله على أنزال الكتاب ثم ذكر البشارة للمؤمن الصالح والانهذار لمن قال ان الله اتخذ ولدا ثم ختم سورة الكهف بطلب العمل الصالح وعدم الشرك فى العبادة ومن الشرك فى العبادة اتخاذ الولد . فالعمل الصالح المسبوق بالإيمان هو الذى فى أول السورة والشرك فى آخرها راجع لاتخاذ الولد فى أوّلها . كل ذلك مقدمة لأول هذه السورة إذ ذكر فيها مريم وابنها وختم ذلك بما هنا وهو أن الله اذا أراد شيئا ما لا يعصى وحده قال له كن . فيكون . ولاجرم أن القول هنا هو المذكور فى سورة النساء - وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه - فاقول هنا ليس خاصا بعيسى ابن مريم . يقول الله أنا قلت فيما تقدم ان عيسى كلمتى ولكنى أقول هنا ليس عيسى وحده كلمتى بل كل ما فى هذه الدنيا كلمتى . ألم أقدم لكم أيها الناس فى آخر سورة الكهف أن كلمتى لا يحصرها العدد وليس لها حد فلو كان البحر مدادا لكلمتى لنفد البحر والبران والأنهر السبعة وأكثر من ذلك كل هذا كلمتى . أيها الناس . انى أنزلت هذا القرآن للأنهم مريدا فطنتهم . فانا قدمت فى سورة النساء أن عيسى كلمتى وختمت سورة الكهف بأن كلمتى لاحد لها وذلك بعد أن أبنت فى قصة الخضر وموسى على لسان رسولى أن عيسى لاحد له ومرت قبل ذلك الى ما أريد من بيان جهلكم بقولى فى سورة الاسراء - وما أوتيت من العلم إلا قليلا - فيكون ملخص هذا أن الانسان جهول لاطاقه له أن يعلم علوى التى لانهاية لها ومعلوماتى كلها كلمتى وعيسى كلمة منها . هذه هى المقدمة التى أنزلها الله لفهم آية - ما كان لله أن يتخذ من ولد -

﴿ عظمة الله ﴾

لقد تجلت عظمة الله المشار لها بقوله تعالى - وكبره تكبيرا - فى آخر الاسراء وبقوله فى آخر الكهف - قل لو كان البحر - ألم فى هذا العصر - ألا ترى الى ما تقدم فى آخر سورة الكهف أن شمسنا التى هى أعظم من أرضنا ألف ألف وثلاثمائة ألف مرة أقل من كوكب الجوزاء ٢٥ ألف ألف مرة . فاذا كانت شمسنا العظيمة أصبح الكشف الذى لم يظهر إلا هذه السنة يبين لنا أن نورها بالنسبة لنور الجوزاء كنور حشرة الحباب بالنسبة لنور الشمس وأن مقدارها شئ صغير بالنسبة لمقدار اجزاء كائناتكم فى الخطبة الفلكية ذلك دال على أن عظمة الله وكبريائه أخذت تظهر الآن وأن كون البحر وأمثال البحر لو كانت مدادا لكلمات ربى لنفد البحر . هذا زمان انكشاف قصر يسير منه وبهذا استبان جهل الانسان المذكور فى قوله تعالى - وما أوتيت من العلم إلا قليلا - . ذلك لأنه كلما بدا لنا نجم وظهر لنا سديم علمنا علما ليس بالظن أننا لم نعرف منه إلا بعده وقدره ونوره بطريق الحساب ولكن جهلنا به عظيم فلانعرف سكانه ولاسياراته ولاحيواناتها ولانباتاتها ولاشياء من مخلوقاتها

﴿ بيان ما ترتب على جهل الانسان قديما وحديثا ﴾

لقد تقدم فى الخطبة الفلكية أن عمر الانسان على الأرض نحو (٣٠٠) ألف سنة على سبيل الحدس

والتقدير ويقول قوم آخرون ان مدته أقل وأقل الأقوال انها (٥٠) ألف سنة ولكن هذا الانسان في تلك المدة ظهر جهله العظيم . لماذا . لأنه أراد أن يعرف خالق السموات فيبحث عنه في الشمس والقمر والكواكب والحيوان والنبات والانسان . بحث في هذه العوالم أى في هذه الكلمات وتلك الكلمات منتفحات فهي هيئتها أشبه بنظام الموسيقى ونظام الموسيقى مطرب مفرح . سار مهيج للسامعين

إن كلمات الله المذكورة في الآية التي نحن بصددتها التي لم تخص عيسى بل شملت السموات والأرض وغيرها وعلت الى الجوزاء وما هو أكبر منها . وهكذا شملت كل حشرة صغيرة وكل حيوان كبير وما هو أقل وأصغر . كل ذلك كلمات مطرب بات منعمات مفرحات سارات مهيجات ولكن الموسيقى في كلمات الله يدركها البصر والموسيقى في كلمات الانسان يدركها السمع . ولا جرم أن من يسمع صوتا موسيقيا من مقن قد أطربه غناؤه وأسكره نغمه يود لو يرى ذلك الغنى ويود لو يتصل به اتصالا (وبعبارة أخرى) ان الرجل اذا سمع الصوت الجليل من امرأة جيلة وبالعكس يعشق كل من الصنفين الآخر الغنى ويود لقاءه والاجتماع به

إن الله ضرب الصوت الجليل والموسيقى في الأرض مثلا لنا لنحبه . فالعلم كلاته وكلاته حينما تتدبرها نراها موزونة كما ارتت الموسيقى (وبعبارة أخرى) ان العوالم العالوية والسفلية جميعها كما هو واضح في هذا التفسير منظمة أى مقطرة بمقادير هي عينها المقادير التي في الموسيقى . والاستلذاذ بنظام هذه العوالم من مقادير الحركات الفلكية في سائر الكواكب ونظامه الموسيقى المشرح شرحا تاما في مواضع من هذا التفسير وفي النبات والحيوان وغيرها المعروف كذلك فيما تقدم . بسبب انه موسيقى للفكرين كما ان الصوت الجليل موسيقى للناس أجمعين . إذن كلمات الله كلها موسيقى أى مستلذة يستلذها العقل بعد العلم كما يستلذ الجاهل بأصوات الموسيقى بلا علم ولا تعليم

﴿ وضوح جهل الانسان في العصور السابقة ﴾

أقول . ان الانسان في هذه الآلاف من السنين بحث عن ربه ليعرفه فكان أشبه بالخنفساء لا ينظر إلا في الظلام . ذلك لأن هذا العالم الأرضي الذي تسكنه عالم صغير متأخر وأى شئ الأرض ومن عليها - قل من يملك من الله شئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا - فالأرض لا وزن لها وأهل الأرض مغرورون بنفوسهم . وإذا كانت أرضنا بالنسبة لشمسنا صغيرة وشمسنا بالنسبة للجوزاء كالعلجوم فاذن ظهر قوله - قل من يملك من الله شئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه - الخ

وأما خص المسيح بالذكر مع أمه لأن المسيح ابن مريم اتخذته الناس ابنا لله مع انه من الكلمات الالهية فعقول هؤلاء الناس في آلاف ومئات الآلاف من السنين الماضية لبس لها قدرة على أن تدرك قائل الكلمات أى خالق العالم وأما الناس أشبه بن سمع مغنيا يغنى بصوت جبل فتلتفت كلاته ولم يفكر في قائله لأن عقله وقف عند القول ونسى القائل

إن الأمم قبلنا كما انضح في سورة (آل عمران) وغديرها وكما جاء فيما نقله صاحبنا (اللورد هيدلي) الانجليزى وكما جاء في آتسورة المائدة نحوه هذا المنحى أى انهم لم يتعدوا الخلق الى الخالق فبدل أن يقولوا نعبد الله رأسا نظروا الى كلمة من كلماته الموسيقية ففتنوا بها فيرون الرجل العظيم قد ولد بينهم بهيمة عجيبة لم يسمعوها وتظهر على يديه خوارق ويسمعون منه غاربا فيقولون إن هذا ابن الله . ولم هذا . لأنهم أدركوا هنا جمالا بهرهم وسحرهم كما يسحر صوت الموسيقى سامعه فيقفون عند هذا ولا يتعدونه ويقولون لا علم إلا ما قاله ولا نور إلا انوره . فترى النصاري فتنوا بهيمى لأنه كلمة موسيقية من كلمات الله وهذه الفتنة والغرام ظاهرة فيما تقدم في سورة الاسراء بن الفتاة التي فكرت في آلام المسيح فظهرت أعراضها عليها يوما في الاسبوع وهذه الحادثة تكررت . فهذه وأمثالها قد حصروا أفكارهم في كلمة من كلمات الله التي كلها جسيمة

واليهود فتوا بعض المصطفين منهم كالعزير فقالوا ابن الله . وأهل الهند قديما فتوا (بوذا) و (خريستا) فقالوا اسكن منها ابن الله . وأهل (بابل) و (اشور) فتوا بن قالوا انه ابن الله . وأهل (المسيك) لما فتحها أهل أوروبا وجدوا عندهم عقيدة ابن الله . وأهل التبت كذلك عندهم ابن الله وكل هذا تقدم في هذا التفسير . ولذلك يقول الله - وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهون قول الذين كفروا من قبل - الخ - ويقول أيضا - كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم - وهذا التشابه لم يكشف إلا في زماننا ولم يعرف الناس أن هناك أبناء لله غير المسيح من قبلنا فالقرآن ذكره والكشف الحديث هو الذي أظهر ذلك معجزة كبرى للقرآن وكل هذا تقدم في مواضعه ومن العجب أن تشابه قلوب الأمم عام فتعجبهم جميعا يقولون بالتثليث والبنوّة وبأنه كلمة الله وبالصلب فالصلب عام والتثليث عام والبنوّة عامّة . هذه جهالة هذا الانسان في ٥٠ ألف سنة أوفى . ٣٠٠ ألف سنة

﴿ الاسلام أخرج الانسانية من الظلمات الى النور ﴾

إن الله قد مهد للاسلام بدین ابراهيم كما تقدم في سورة الأنعام . إن الله علم أن هذا الانسان يقف عند كلمة من كلماته فيفهم بها وينسى التشكك . فأهل (بابل) فتوا بالسكواك فأرسل الله ابراهيم فقال لهم كلا . فالشمس والقمر والنجوم مخلوقات لله وأنا وجهت وجهي اليه . فأما الأصنام التي جعلتموها قائمة مقام السكواك فيها هذه أنا أكسرها لكم . ولما جاء الاسلام أتى ما فعله ابراهيم من تكسير الأصنام وقال أيها الناس توجّهوا لربكم لاتعبدوا شمساً ولا قمرًا ولا نارا ولا صنما . وعهد الى البنوّة والكلمة فقال أيها الناس تعالوا انظروا أي فرق بين القمر والشمس والانسان . كل هؤلاء كلمات الله . فكما لا تقفون عند أنوار السكواك فتعبدونها هكذا لا تقفون عند الأنوار العالمية في عيسى وغيره فتعبدوه . فالأنوار المعنوية في عيسى مثلا وهو كلتي كالأنوار الحسية في الشمس وهي كلتي بجميع كلماتي موسيقية

هنا فتح الله للانسانية بالقرآن فتجا جديدا مريدا ازدياد العلم ونشر الأنوار في الأرض . ان نبي الولد وتعميم الكلمات معناه أن ننظر لسكل حجر ولسكل شجر ولسكل حشرة ونقرأ الجبال الذي فيها ولكننا نقول ان جبال هذه الكلمات جبال خالقها ولا تقف عندها والا وقفنا فيها وقع فيه السابقون . فن الناس من يعبد البقر أو القرد أو الحية أو الثعبان أو الفيل أو الغنم وهكذا توجهت عبادة هذا الانسان كلها لكلمات الله وذلك لضعف هذا الانسان فانه لا يقدر أن يفتح بصيرته للتشكك بل لبعض الكلمات . ان الانسانية السابقة أغلبها كانت محصورة الفكر فقال الله - إنه كان ظلوما جهولا - يريد الله بالقرآن أن يفتح باب العلم وقد فتح على مصراعيه وأخذ الناس يقرؤون علم الفلك فتعدوا حدود ذلك الاله عند القدماء وهي الشمس وقالوا كلا . ثم كلا . الشمس ليست باله بل هي صغيرة جدا ولو ان الشمس ظلت معبودة كما كان الصابئون يقولون لم يمتري نوع الانسان أن يتدنى على إلهه ويقول ان هناك ما هو أعظم منه وهكذا علم الناس أن المسيح وأمثال المسيح لم يكونوا آلهة ولذلك أخذوا يبحثون في الآثار فظاهروهم أن الديانات كلها متشابهة وأن هذه البنوّة خدعة من خدع النمل كما يخدع البصر فيرى الضوء الصغير في ظلام الليل كبيرا . ههنا عرف الناس اليوم حقا أن هذا العالم كلمة قول الله وكلمة كنص القرآن ولو أن عيسى هو الكلمة وحده أو (بوذا) أو غيرهما لوجب علينا أن لا نقرأ إلا كلامهم وأن لا نتعدها وأن نحارب عن هذه العقائد من خلفها . لقد انطلقت عقول الناس اليوم وأخذ الفكر الانساني لا يلبى على أحد . واعلم أن هذا القول لا ينطبق إلا على المفكرين في نوع الانسان اليوم أما بقية الشعوب النصرانية والاسلامية وغيرهم فهم أشبه بالأمم الذين من قبلهم بعض الشيء . فالجهال من المسيحيين لا يزالون كالآباءهم وعامة المسلمين مع إيمانهم بالله ورسوله لا يزالون عاكفين وموقوفة عقولهم على بعض شيوخ الصوفية الجاهلين أو على بعض الآراء لا يبرحونها . وترى الفقيه يرى أن الفقه هو كل شيء في

الاسلام وعلم البلاغة وأعلام القراءات يرى أن هذا أهم ما في الاسلام وذلك لضعف هذا الانسان . وليس معنى هذا القول اننا مشركون . كلا . وانما معناه هو نفس ما تقدم في (آل عمران) عند قوله تعالى - وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون - فقد ذكرت لك هناك أنواع المغرورين حتى عم الغرور أكثر طوائف الاسلام والغرور شي والاشراك شيء آخر . فترى السني والشيعة والزيدى والامامى لا يتعدي بصركل منهم ماسمعه من شيوخه فاطنى والخبلى والمالكي والشافعي وغيرهم كل لا يتعدي الدائرة التي حدها شيوخه ولكن الله يقول ان كلما في لاحد لها . فليرفع هؤلاء أبصارهم الى نفس القرآن وليفهموه والقرآن يرفع الأبصار الى كلمات الله العاتية وهي هذا العالم الذي كله كلمات الله المنظورة الجميلة بخلاف كلمات الانسان فهي ليست بحسمة فلا تعرفوا إلا بأسماعنا وحدها وكلمات الله جعلها يؤدى الى ﴿أمرين﴾ أولاً أن نعيش بها ﴿ثانياً﴾ أن نعلمها . ومن وقف على مذهب ولم يرفع بصره الى الدوائر النبوية ثم الدوائر الاطمية وهو هذا العالم فهو مغرور جاهل طمس الله على بصيرته . فما كانت قصة عيسى ابن مريم عليه السلام وكلمات الله وأمثالها لتنزل في القرآن ليجرد الايمان بأن الله لا ولد له خصب فتحن بذلك مؤمنون فلا يحتاج الى مزيد بل هذا أرضعناه مع ابن آدم من الايمان الموروث ولكن الأمر أعظم . يريد الله أن يعنى القول حتى لا يجرع عليها ولا يقف الملوك والأمراء مكتوفين خائفين وجلين في الأحكام الشرعية مثلاً ولا ينظرون في الزمان والمكان والأحوال ويتكلمون أحكاماً مضارة بالأمة ضرراً محققاً جهلاً بأحوال الشريعة وعكوفاً على آراء الشيوخ . فليعلم المسلم انه كما ان له أبوين يعضهما فله بئنه احترامهما من أن يعلم أن له قرية وأمة يدرسهما كلها ليشارك في نظامها هكذا له مذهب وهذا المذهب لا يبغي أن يحجبه عن القرآن ودراسة أحوال النبوة العاتية . وقد تقدم شرح الأحكام الشرعية في قصة الخضر وموسى عليهما السلام في سورة التكليف ولاعن نظام الله في السموات والأرض . فلندرس أبها النكي ذلك كله في غدوك ورواحك فكل ما تراه دروس لك . هنالك تعلم علما ليس بالظن أن لك اخوانا في دينك وهم المسلمون كما ان لك اخوانا في وطنك وهم معك قاطنون كما أن لك اخوانا في الانسانية عامة في هذه الأرض بينك وبينهم رابطة والله ربك ورجهم وكلهم كلمات الله وهكذا ترتقي طبقة عن طبقة كما قال تعالى - لتركن طبقة عن طبقة - وهذا الركوب الطبقى ركوب بالعلم فتخطى هذه الحدود وتعلم أن الحيوان والنبات وكل ذى نفس أيا كان بينك وبينه نسبة ما وكل هذه النفوس الأرضية لها نسبة الى نفوس كاتية عالية رمز الله لها بالملائكة الذين يدبرون الامور فالهلم بنى آدم وإلهام الخسرات والبهائم يرجع كل ذلك الى عالم يسمى بلسان الشرع ﴿ملائكة﴾ ويرتقى ذلك العالم طبقة عن طبقة - وأن الى ربك المنتهى - فهو المبدأ الأول واليه ترجع النفوس التي استتمت نفسك منها كما قال تعالى - واليه يرجع الأمر كله - وقال - وأن الى ربك المنتهى -

وظاهر هذا في المادة أن القمر منسوب للأرض والأرض منسوبة للشمس كذلك ولعلها أيضا منسوبة الى شمس أكبر منها وهذا واضح في سورة الفاتحة فقرأه هناك . ولاتنس أنك تدرس الكواكب في هذه الدنيا لتتبرن من الآن على الشوق الى عوالم أعلى منا تكون بيننا وبينهم رابطة كالرابطة التي بينك وبين بني الانسان وأهل دينك فاذا وقف عقل المسلم عند مذهبه حرم من الصعود الى الجبال الأعلى هذا ما فتح الله به ليله الخميس ٢١ يونيو سنة ١٩٢٨ والحمد لله رب العالمين

﴿ تفصيل لبعض الاجال ﴾

لما ذكرت ما تقدم حضر صديق العالم الذى اعتاد أن يناقشني في المسائل الهامة فقال . هل قوله تعالى - سبحانه اذا قضى أمرا - الخ يحتاج معناه الى الدخول في علم الموسيقى وما لكلمات الله والموسيقى . الموسيقى علم يرجع الى نظام الأصوات وهذا العالم ليس صوتا بل هو مادة ومعنى . فقلت لوانك أيها الفاضل تذكرت

مأضى فى مواضع من هذا التفسير أقرأت كتابى ﴿ بهجة العالم فى الفلسفة العربية وموازنتها بالعالم
العصرى ﴾ لأيقنت أن الموسيقى عند الحكماء ترجع فى حقيقتها الى نظام هذا العالم وما الموسيقى التى مرجعها
الصوت الافضل من فصولها لتكون سائى للعامة كما كانت الموسيقى العامة بهجة للحكام . قال إذن أريد
أن تضرب هنا مثلاً يعرفنا الفرق بين موسيقى الأصوات والموسيقى العامة . فقلت

﴿ الموسيقى فى الأصوات ﴾

أذكرك بما مضى فى سورة يوسف إذ ذكرت لك هناك أن بحر الطويل مركب من فعولن مفاعيلن أربع
مرات وجعلتها ٤٨ حرفاً منها ٣٨ متحركة وعشرون ساكنة وهناك ترى النسبة واضحة فتجد ٧ منسوبة الى
٥ كنسبة ١٤ الى ١٠ وهكذا وحاصل ضرب الطرفين يساوى حاصل ضرب الوسطين وهذا المقام لاتصح اعادته
هنا فقد تكرر فى مواضع أخرى غير سورة يوسف فلا عدل عنه الى علم الموسيقى فى العصر الحاضر ولأرك
النسبة عند المحدثين من علماء أوروبا الذين جعلوا هذا العلم من العلوم الطبيعية وخالفوا المتقدمين الذين
جعلوها من العلوم الرياضية - ولكل وجهة هو موليها - فعلماء العصر الحاضر رجعوا الى طبيعة الصوت وهو
أمر طبيعى والمتقدمون نظروا الى حساب حركاته فعدوه رياضياً . ولقد ذكرت اجمال تاريخ هذا العلم فى
كتاب ﴿ الفلسفة العربية ﴾ المذكور فقلت مالم يخلصه

﴿ هذا العلم كان قديماً اختياريأ بأخذونه قياساً على نطق الحيوان . ولقد كان أطفاه عندهم فى العصور
الدائرة ما يحاكي به الطير البرى عند الصباح فى الرياض المنتسكة والحدائق البهجة ذوات المياه الجارية ولا سيما
العندليب والهاز الطوقة وكانت طائفة من الناس يستلذون النغمات التى يسمعونها من خرير المياه فيقبسون
نغماتهم على نغمات الحركات المسموعة منها فى المصابح المختلفة والنواخير والدوالي . ومنهم من كانوا يحاكون
الطواء عند دخوله فى المنافذ يصنعونها وكان الصين على هذه الطريقة والهند كانوا يلحنون على طرق الأواني
المجوقة وقساء الروم كانوا يحاكون ألحانهم فى النحاس والخشب وبذلك لحنت الأنابيل فى السكنايس ﴾
هذا بعض ما ذكرته هناك ويقول علماء الموسيقى فى العصر الحاضر أن الآلات الموسيقية على ﴿ قسمين ﴾
آلات تحدث الصوت منها بالقرع على أوتارها وتسمى (ذوات الأوتار) وآلات تحدث منها الصوت بالنفخ على
صفائح رقيقة فيها وتسمى (آلات النفخ) فالأولى مثل (القانون والعود والطنبور) والثانية مثل (الأزغن
والصور) وآلة أخرى تسمى (المسحورة)

أقول ويجمع هذين (الطيب والمزمار) فى بلادنا المصرية . فالطيب من النوع الأول والمزمار من النوع
الثانى . ومن ذوات الأوتار (البيانو) وهى آلة لها أصوات معينة تصوتها أوتار نحاسية خاصة وهذه الأوتار
تهتز بمطابقة تحركاتها عدة (أحبال) مشحونة متصلة بمفاتيح البيانو . وحدث الصوت فى آلات النفخ كالزمار
بسبب اهتزاز عمود الهواء الذى داخلها وتوجه فيكون الهواء هو الجسم الصائت فيها بخلاف ذوات الأوتار التى لا
يكون الهواء، فيها إلا موصلاً للصوت فتى نفخ عليه من ثقب فيها ماجت أمواج الصوت الى الأمام والخلف
داخل آلة النفخ وهزت الهواء حولها كما بهزه الوتر المضروب فى ذوات الأوتار فتكون منزلة عمود الهواء فى
آلات النفخ منزلة الوتر فى ذوات الأوتار ومنزلة النفخ عليه منزلة الضرب على الوتر

فقال صاحبى قد تركنا التفسير وغسنا فى علم خارج عنه . فقلت له . كلا . لاتجهل على فسترى أن هذا
نفس التفسير فما هذا إلا مقدمة لابد منها لشرح صوت الانسان فلقد ذكرت كثيراً قلا عن علماء العصر
الحاضر أن الانسان لا يدرس نفسه إلا بدراسة ماحوله فنحن لاتقدر أن نعلم صوت الانسان ونغماته المطربة
إلا بدراسة الآلات المحيطة به، وهذا الذى ذكرته سترى جهالة الآن ومتى درسنا صوت الانسان ونظام غناؤه عرفنا
حساب الموسيقى فى العلم الحديث ثم نوازنه بنفس خلق الانسان . وهل نغمات الانسان فى حاسبها كهيمته خلق

جسمه في الرحم وحسابهما واحد ثم نذكر مسألة داهر بن حصه الحكيم الهندى وما اقترحه على ملك الهند وهيته الحساب الذى اختاره في أمر البرالى. جعله محسوبا بالتوالي الهندسية على مقتضى بيوت الشطر نج من (١) الى (٩٤) فقال صاحي هذه كلها أمور غريبة فأرجو ايضاحها . فقلت إذن أدركت وصدقت انالام نخرج عن التفسير واننا نريد أن نقف على نظام التكوين الانسانى مثلا حتى نذكر كيف كان أمره في أئمه عجا فعبده الناس لما ظهر على يديه كما كان أمر خلقه عجا . فقال نعم . فقلت فلا بد إذن بالكلام على

﴿ آلات الصوت في الانسان ﴾

اعلم أن كل ذوات الفقرات من الحيوان ومنها الانسان لها آلات صوت تصوت بها مودعة في قسم من جهاز التنفس وكثير منها قادر على تغيير صوته وتكييفه والانسان خاصة يغير صوته بصور شتى ويحصل التكلم ببعضها . وآلات الصوت في الانسان (١) تجويف الصدر (٢) والقصبة (٣) والحنجرة (٤) والبلعوم (٥) والقم (٦) والأنف (٧) وما يتعلق بها . فأما تجويف الصدر فإنه يضيق ويتسع بالتنفس فيضغط الرئة تارة ويتركها تتمدد أخرى فيخرج الهواء منها متى ضغطت ويدخل اليها متى تتمدد فيكون هو والرئة بمنزلة المنفاخ في (الأرغن) وعند خروج الهواء من الرئة يدفع الى القصبة ومنها يضرب وترى الصوت في الحنجرة فيصوتان فتكون القصبة بمنزلة طرف أنبوبة (الأرغن) وتر الحنجرة بمنزلة قمها . فأما البلعوم والقم والمنخران فانها تغير الصوت وتكفيه تارة باتساعها وأخرى بتضييقها ونحو ذلك فتكون بمنزلة رأس الأنبوبة التى تنصل منه اهتزازات عمود الهواء بالهواء الخارجى . وهذا كلام علماء العصر الحاضر وهو عجيب فقد جمع الانسان نوعى الآلات المطربة فله آلات نفخ وآلات وتر معاً . وقد يعيش الانسان ويموت وهو يغنى أو يسمع آلات الطرب وهو لا يعلم تركيب جسمه فلننظر الآن الى صوت هذا الانسان فنقول

تقدم ما أشرنا اليه من حساب المقتمين وأنه على مقتضى النسبة الهندسية . أما حساب المتأخرين فانهم يعتبرون التوالي الهندسية في صوت الانسان فقد قالوا ﴿ أولاً ﴾ ان حدوث الصوت الانسانى ناجم من اهتزازات الوترين الصحيحين في الحنجرة عند ما يضرب عليهما الهواء مدفوعاً من الرئة وهذان الوتران قابلان الشد والرخى كالأوتار في ذوات الأوتار فإذا كان الانسان صامتاً كانا مرتخيين ومنثنيين وفتحة الزمار بينهما واسعة فلا يصوتان بوقوع الهواء عليهما . وإذا أراد أن يصوت شد هما بقدر ما يريد أن يرفع الصوت فتضيق فتحة الزمار بينهما . ومدى الصوت الانسانى القوى (٧٠٠) قدم في الفضاء على درجة الهواء الاعتيادية

﴿ مجال السمع ﴾

قال العلامة (هلمهلتز) أخفض الأصوات الموسيقية ما اهتز ١٦ اهتزازة في الثانية وأعلىها ما اهتز ٣٨٠٠٠ اهتزازة في الثانية . فإذا نقص عددها عما ذكر سمعت طقطقة كل اهتزازة ولم يحدث منها صوت موسيقى . ويقول ان مجال السمع الانسانى يمتد الى ١١ ديوان ولكن مجال الموسيقى الاعتيادى لا يزيد عن سبعة دواوين . فلما سمع صاحي ذلك قال كلام هذا العالم غير واضح . قلت له نعم ولكن سأقل لك ما هو واضح وهو آخر الآراء ولأجله جاء هذا المقال

﴿ ادراك الانسان للأصوات ﴾

ينحصر في عشرة دواوين أى أبعاد كمية موسيقية أى في أصوات تتوابعها بين ١٦ موجة في الثانية (١٦٣٨٤) في الثانية فهى هكذا ١٦ - ٣٢ - ٦٤ - ١٢٨ - ٢٥٦ - ٥١٢ - ١٠٢٤ - ٢٠٤٨ - ٤٠٩٦

١٦٣٨٤ - ٨١٩٢

فهذه عشرة دواوين أو أبعاد . ومعنى هذا أن القوم عندهم آلة لقياس تموجات الصوت فإن بلغت ١٦ موجة في الثانية بهيئة منتظمة كان ذلك صوتاً موسيقياً وبالتضعيف لهذا العدد في الثانية يكون قد تم أول ديوان

٣٣ وضعفه ٩٤ في الثانية يكون ديوانا ثانيا وهكذا الى نهاية العشرة . وبالتأمل في هذه الدواوين نجد أن القاعدة المتقدمة مطردة أى حاصل ضرب الطرفين يساوى حاصل ضرب الوسيط ف ضرب ١٦ في ١٢٨ يساوى حاصل ضرب ٣٣ في ٩٤ وهكذا مثل ما تقدم عند القدماء وإن كان ذلك بطريق آخر . فهذا عرفت عشرة الدواوين ولكن النغمات المستعملة عادة في الموسيقى تنحصر في سبعة دواوين أو أبعاد كاية من (٣٢) الى (٤٠٩٦) فهذا تحقيق المقام في صوت الانسان

واعلم أن الله عز وجل أحكم صوت الانسان على هذا الوضع وجهه ليكون قوله منتظما وجيلا (لأمرين * الأمر الأول) الأفهام (الأمر الثاني) أحداث الأثر في قلوب السامعين بحسن الالتقاء وجمال الاسلوب فلم يخلق الله لنا ذلك المنافع ودينك الوترين إلا للاستعملهما في حسن الالتقاء فنفهم الناس ونؤثر في أذهانهم بجلاوة منطقنا . هذه هي الحكمة الالهية التي أبرزها الله في خلقنا وأكملنا به وجلا - ولكن أكثر الناس لا يعلمون - يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا - كالعلم الموسيقى وسماع النغمات وهم عن بواطن الخلق ومحاسنه وعن أنفسهم غافلون

هذا ما أردت ذكره في نظام موسيقى الصوت الانسانى وحسابه الجليل وموازنة هذا الحساب بحساب تقسام الخلايا في خلق الجنين وحساب بيوت الشطرنج . وقبل أن أنتقل الى هذين المقامين أذكر فوائد في الموسيقى جيلة تناسب ما قدمناه . يقول علماء الموسيقى في عصرنا اذا أدخلت أصبعك في أذنك وقبضت عضلات يدك قبضا شديدا سمعت صوتا عموما كصوت الجرس الكبير يهتز (٣٢) اهتزازة في الثانية

ويقولون ان البعوضة تصفق جناحها وهي طائرة ١٥٠٠٠ خمسة عشرات ألف صفقة في الثانية وأن طول الأوجاج في صوت التسكك من ثمانية أقدام الى اثني عشرة قصما وطول الأوجاج في صوت التسككة من قمتين الى أربع في الثانية . ويقولون اذا أسرع دقات الساعة مثلا حتى صار عددها خمسين أوستين في الثانية صارت صوتا موسيقيا وأحدث وقوعها على الأذن شعورا متصلا في النفس . وإذا جرى دولا ب على (٣٥) حصاة في الثانية يصل صوت طقطقتها عند قرعه على الأذن فندسم النفس صوتا موسيقيا تخينا للدولاب وقد شبهوا وقوع الصوت غير الموسيقى على الأذن بوقوع الضوء المرتجف على العين لأن عصب السمع يتألم منه فتمجه النفس كما تتألم العين من تعاقب الضوء والظلمة على عصب البصر . ويقولون ان الطبيعة مستعدة لاحداث الطرب * قال السلامة (تندل) إن الاحتكاك يعني كما يعني اللفظي فاذا أطلقت رصاصة في الهواء غرقت كتغريد الطير . واذا هزت الرمح الأغصان مالت ولها حنين . هذا ما أردت ذكره ملحقا بصوت الانسان في الموسيقى

﴿ خلق الجنين في بطن أمه جار على ناموس أبعاد الموسيقى المتقدمة ﴾

هذا المقام سيتضح للمشاهدة للصورة الشمسية لنظام خلق الجنين قريبا في سورة (طه) فأنك سيتضح لك هناك أن البيضة تقسم نصفين وكل نصف ينقسم نصفين وهكذا (١-٢-٤-٨-١٦-٣٢-٦٤-١٢٨) وهكذا الى (١٩٣٨٤) وهكذا بالغا ما بلغ وفي أثناء تلك المضاعفة يحصل نظام جيل وهيئات محكمة من خلق الأعضاء والاحشاء والعضلات والأوتار والأعصاب والحواس الظاهرة والحواس الباطنة وهكذا فانجب لنظام حكم موسيقى أرانا الله صورته في نظام أصواتنا فسبحرنا جلاله عند سماعه من ذوى الأصوات الجلية وأرانا أن أصواتنا ليست كلها موسيقية ولكن جميع أعمالها موسيقية منظمة . ولقد برع بعض بنى آدم في العلم والحكمة وتشبهوا بالله في حكمتهم فظن الناس انهم أبناء الله أو وقفت عقولهم عندهم ورأوا العلم خاصا بهم فرجعوا بخي حنين ولكن الله يقول - سبحانه اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون - فجميع مخلوقاتى كئانى فلا يعبد الناس أحدا من خلقى وكلهم كئانى وكئانى لا تحصى عددا

أما مسألة الشرطنج وحساب بيوته فستأتى أيضاً مع حساب نظام الجنين فى سورة (طه) إذ يحسب البر بحيث يكون للبيت الأول حبة وللبيت الثانى (٢) وللثالث (٤) والرابع (٨) والخامس (١٦) وهكذا الى (٦٤) بيتاً وهى عدد بيوت الشرطنج . فغذاها الأمر أنه يكفى فيها ميع معلوم مثل (كيلة) أو (أردب) وسترى أن ذلك الحساب لا يكفيه القمح الذى فوق السكر الأرضية كلها قروناً كثيرة وسيستضع هنالك فاقراًه ههنا يبين أن نظام الغناء أنتج السرور ونظام الجنين أنتج محائب الإنسان . ونظام الحساب فى بيوت الشرطنج أنتج مقادير بحرية لا تحظر بالبال والحساب واحد فى الأحوال الثلاث فهى متوالية هندسية حاصل ضرب كل طرفين فيها يساوى حاصل ضرب الوسطين . ومن نتائج هذا الجمل فى الحساب ظهور أنبياء وعظماء تظهر على أيديهم المحائب والعالم فيظن الناس أنهم أبناء الله أو توقف عقولهم عند آرائهم كالمسيحيين فى الأول وكالجهال من أئمة الاسلام فى الثانى والله يقول هؤلاء كلهم كنانى فلا يحجبكم كلامى عنى ولا تصدّنكم كلمة عن الأخرى فاقروا لكل علم وكل فن وخذوا الحكمة أينما وجدتموها وهذا من أنوار قوله تعالى - سبحانه اذا قضى أمراً فانما يقول له كن فيكون -

﴿ ذكر الكامة فى الديانات القديمة ﴾

لقد ذكرت فى هذا التفسير أى نقلت من كتاب ﴿ العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية ﴾ فى آخر سورة (المائدة) موازنة بين الآيات المذكورة فى دين (خريستا) فى الهند (وبوذا) أيضاً وبين ما جاء فى الأنجيل ونقلنا أيضاً من ذلك الكتاب جلا فى أوائل سورة (البقرة) شارحاً مسألة التثليث . وأريد هنا أن أقول من الكتاب ما يناسب (الكامة) حتى تعلم لماذا ذكر الله الكلمة والكلمات فى القرآن . وقد قلنا فيما تقدم فى (المائدة) أيضاً أن هذا الكتاب منقول من نيف وأربعين كتاباً للغات الافرنجية

(١) مثل (ويليام) الهندية

(٢) ومثل (ويليام الهندية)

(٣) ومثل (فشن بورانا) ترجمه للغة الانكليزية عن السنسكريتية (ويلسون)

(٤) ومثل (موريس) الآثار الهندية القديمة

(٥) و (موريس) تاريخ الهند

(٦) و (مولر) تاريخ آداب اللغة السنسكريتية القديمة

(٧) و (مورى) الخرافات

(٨) الديانات الشرقية

(٩) (برسكوت) تاريخ فتح المكسيك

(١٠) (برتشير) حل الآثار المصرية التاريخية

(١١) (سكوير) رمز الأفعى

وهكذا بقية الكتب التى لا مقتضى لذكرها جميعها هنا فلندكر شذرات فى مسألة الكلمة مما نقله المؤلف منها فنقول . جاء فى هذا الكتاب صفحة (١٨) نقلاً عن (برتشير) من كتابه ﴿ خرافات المصريين الوثنيين ﴾ صفحة (٢٨٥) مانصه

لأخذوا كافة الأبحاث الدينية المأخوذة من مصادر شرقية من ذكر أحد أنواع التثليث أو التولد الثلاثى (الأب والابن والروح القدس)

ونقل عن (موريس) فى كتابه ﴿ الآثار الهندية القديمة ﴾ فى المجلد السادس صفحة ٣٥ مانصه ﴿ كان عندما كثر الأمم بالبدانة الوثنية تعاليم دينية جاء فيها القول باللاهوت التالوثى أى أن الاله ثلاثون ﴾

أفانيم ﴿ ورسم تحته صورة الثالث المقدس عند الهنود وهذا التمثال موجود في معرض الهند . أقول أنا إن صورته أملي وأنا أكتب هذا الموضوع رأس واحدة لها وجوه ثلاثة
ونقل عن كتاب ﴿ سكان أوروبا الاول ﴾ صفحة ١٩٧ ماضه ﴿ كان الوثنيون القدماء يعتقدون بأن الاله واحد ولكنه ذو ثلاثة أفانيم ﴾

ونقل عن (إن) في كتابه ﴿ الهند ﴾ صفحة ٣٨٣ أن البرهمن يقولون في كتبهم الدينية أن أحد الأتقياء واسمه (اتنيس) رأى أنه من الواجب أن تكون العبادة لاله واحد فتوسل بربهم وفشنا وسيفو أن يعرفوه أيهم الاله الحق فظهروا له وقالوا لا فرق بيننا . وأما ما تراه من ثلاثة فها هو إلا بالشبه أو الشكل والكائن الواحد المظاهر بالأفانيم الثلاثة هو واحد بالذات . وهنا صورة أخرى للثالث المقدس عند الهنود أراها أملي الآن . ونقل هنا عن العلامة موريس في كتابه ﴿ آثار الهند القديمة ﴾ المجلد الرابع صفحة ٣٧٣ ماضه ﴿ لقد وجدنا بأنقاض هيكل قديم دكته مرور القرون صمنا له ثلاثة رؤس على جسد واحد ﴾ والمقصود التعبير عن الثالث . ومن العجيب إنك ترى في هذا الكتاب في صفحة (٢٥) صورة تمثل (بوذا) وهو بحالة الذكورة والانوثة معا وعلى الفرج هيئة الصليب وهي منقولة عن العلامة (توما أنجن) في كتابه المسمى ﴿ الوثنيون القدماء ﴾ وهذه الصورة فوق مرتفع . وهنا نقل عنه أن كافة الرموز والاشارات المستعملة عند النصارى كانت للدلالة على عبادة ماهو من هذا القبيل . هذه العبارة لم يصرح فيها بلفظ (الكلمة) التي عقدنا هذا الفصل لها . فأنظر ما يقوله العلامة (دوان) في كتابه صفحة ٤٧٣ ﴿ إن التقيسين في هيكل ممفيس بمصر كانوا يقولون للتلاميذ ان الأول خلق الثاني والثاني مع الأول خلقا الثالث وبذلك تم الثالث المقدس . وهنا ذكر قول الكاهن المصري للإله . الأعظم أولا هو الله ثم الكلمة ومعها روح القدس وهؤلاء لهم طبيعة واحدة وهم واحد بالذات وعنهم صدرت القوة الأبدية . إذن كون الاقنوم الثاني هو الكلمة أصل وثني مصري دخل في غيره من الميانات كالديانة المسيحية . ثم قال (وابولو) المدفون بدلي من بلاد الهند يدعى (الكلمة) وفي علم اللاهوت الاسكندري الذي كان يعلنه (بلاتو) قبل المسيح بسنين عديدة (الكلمة) هي الاله الثاني ويدعى أيضا ابن الله البكر ﴾ انتهى وهذا منقول من كتاب ﴿ الآثار الهندية ﴾

وقال العلامة (هييجس) في كتابه (الانكوسكن) المجلد الثاني صفحة ١٦٣ ﴿ كان الفرس يدعون متروسا (الكلمة) و (الوسيط) و (مخلص الفرس) . انظر كتاب المسيو (دونلاب) في كتاب (ابن الانسان) صفحة ٢٠ وكتاب العلامة (بصون) في كتابه (المسيح للملك) صفحة ٥٧ ﴾

وقال العلامة (بوفوريك) في كتابه ﴿ اعتقاد المصريين ﴾ ماضه ﴿ وأغرب عقيدة عم انتشارها في ديانة المصريين القدماء هي قولهم بلاهوت الكلمة وأن كل شئ صار بواسطتها وانها أي الكلمة منبعثة من الله وانها الله ﴾ وكان (بلاتو) عارفا بهذه العقيدة الوثنية وكذلك (ارستو) وغيرهما وكان ذلك قبل التاريخ المسيحي . قال ﴿ ولم نكن نعلم أن السكلايين والمصريين يقولون هذا القول ويعتقدون هذا الاعتقاد إلا في هذه الأيام ﴾ ثم نقل عنه من صفحة ٤٠٤ ماضه

﴿ وكان للكلمة مقاما ساميا عند المصريين القدماء هكذا يوجد في كتبهم الدينية هذه الجلمة (اني أعلم بسر لاهوت الكلمة وهي كلمة رب كل شئ وهو الصانع لها فالكلمة هي الاقنوم الأول بعد الاله وهي غير مخلوقة) وهي الحاكم المطلق على كافة المخلوقات ﴾

وقال (دوان) في كتابه ﴿ كان الاشوريون يدعون (مردوخ) الكلمة ويدعونه أيضا ابن الله البكر ﴾ وقال أيضا في الكتاب نفسه صفحة ٣٧٤ ماضه

﴿ كان السكلاينيون يقولون للكلمة (عمرار) كما يقول اليونانيون بأنه الصانع للعالم والحاكم عليه وأن

لا شئ أعظم منه إلا الله ﴿

وقال العلامة (فرونتنام) في كتابه مهد المسيح مانصه ﴿ كان (فولر) يدعى الكلمة وكانوا يعظمونه جثا ويصفونه بأنه السكائن قبل كل شئ . ابن الله البكر . الخبز السماوى الأبدى . ينبوع الحكمة اللال على الله . النائب عن الله . صورة الله الكاهن خالق العوالم . الاله الثانى المترجم عن الله الخ ﴾

قال ﴿ ولما عين (برتولوميو) مطرانا سنة ١٤٤٥ أرسل القس (فرنسيس هومنديز) الى المكسيك ليبشر سكانه بالديانة المسيحية وكان هذا القس عارفا بلغة الهندوس أرسل بعد مضى عام على ذهابه كتابا الى المطران المذكور يقول فيه ان هؤلاء يؤمنون باله كائن في السماء وأن هذا مثل الأقانيم وهو الاله الأب والاله الابن والاله روح القدس وهؤلاء الثلاثة إله واحد واسم الأب (بردنا) واسم الابن (ياكب) مولود من عذراء واسم روح القدس (إيكينيا) ويعبدون صنما اسمه (تنكاتنسكا) يقولون عنه انه واحد ذو ثلاثة أقانيم وانه ثلاثة أقانيم إله واحد ويقولون إنه ذو ثلاثة أشخاص بقلب واحد واردة واحدة ﴿ انتهى ما أردت نقله من ذلك الكتاب ليحجب المسلمون كيف ذكرت الكلمة في الديانات القديمة في أمم مختلفة لا يعرف بعضها بعضا كما قال تعالى - تشابهت قلوبهم - فقال الله في القرآن أنهم الناس . كل شئ كلمات الله لا المختارون من عبادى الصالحين وحدهم فكل العالم كلقى - إنما أمره الخ -

هذا ما فتح الله به يوم الخميس ٢١ يونيه سنة ١٩٢٨ وبه انتهى الكلام على قصة مريم وعيسى

(قصة سيدنا ابراهيم عليه السلام)

قال تعالى (واذكر في الكتاب ابراهيم إنه كان صديقا نبيا) كثير الصديق والتصديق فهو ملازم للصدق وكثير العلم بالله الذى هو صدق وهو به مصدق ثم أبدل من ابراهيم قوله (لإذ قال) وما بينهما اعتراض (لأنه آزر) وهو يعبد الأصنام (يا أبت) التاء عوض عن الباء (لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شئ) وصف الأصنام بعدم سماع الأصوات ونظر الأشياء والكبح عن جلب منفعة أو دفع ضررة . يقول الله على لسان ابراهيم كيف تعبد ما فقد الحواس التى من خواص الحيوان بله الانسان . وإذا كان الانسان العاقل السميع البصير يألف أن يعبد نظيره بل إنما يعبد ما فوقه اذا عقل فكيف تنزل أن تعبد ما خرج من الالوهية بفقره وضعفه وحاجته الى من يصنعه وعن الانسانية بفقد العقل وعن الحيوانية بفقد الحواس فقد تنزل عن الالوهية ﴿ ثلاث درجات ﴾ انسانية . حيوانية . جادية . أما كان لك عبرة في حاجته وفقد السمع والبصر (يا أبت) إلى قد جأفنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا) مستقيما . فانظر كيف ذكر أباه بلطف فقال جاءنى علم لم يأتك مع ان معنى هذا انه جاهل ولكن التعبير بغاية اللطف والأدب ثم أخذ يستهين ذلك فقال (يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرجن عصيا) ومن أطاع العاصي كان مشله فتال جزاء عصيانه ولتألك أعقبه بقوله (يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرجن فتكون للشيطان وليا) قرينان قرن معه في العذاب والآراء والأخلاق والعادات . فانظر كيف تجنب مفاجأة بذكر العذاب فلم يقل ان الله يعذبك بل ذكر انه يخاف وقيل العذاب بالتذكير وجعل نتيجة العذاب أن يكون من أولياء الشيطان كما ان رضوان الله أعظم من العقاب وجعل العذاب صادرا من الرحمة كلها من جهته المعبر عنه بالرجن . وإذا كان مصدر الرحات يعذبك فان الجرم يكون عظيما وذلك هو البعد عنه والافتتان بالشيطان (قال) أرزرو بيغنا (أراغب أنت عن آلهنى يا ابراهيم) أى أرغب عن عبادتها فناداه يا ابراهيم ولم يقل يا بنى في مقابل يا أبت (لئن لم تنته) ترجع وتسكت عن عيب آلهتنا وذهما (لأرجنسك) بلسانى شتا أو بالأحجار حتى تبعد عني أو ثموت فاحذرني (واهجرنى مليا) زمانا طويلا (قال سلام عليك) وهذا جواب الحليم للسفيه وتوديع ومتاركة ومقابلة للسبئة

بالحسنة فسكانه يقول أنا لا أؤذيك ولكن (استغفر لك ربى) سائله لك أن يوفقك للتوبة (إليه كان في حفا) مكرما والحفاوة الرافة والرحمة والاكرام (وأدعور ربى) وأعبده وحده (عسى ألا أكون بدعاء ربى شقيا) أى أرجو أن لا أشقى بضائع دعاء ربى وعبادته كاستحقاق أنهم بدعاء الأصنام وعبادتها من غير طائل فى الآية تمر بربض بذلك (فلما اعترضهم وما يعبدون من دونه الله) فلما اعترض السكفار ومعبودهم وهاجروهم (وهنا له اسحق) ولما (وبيعقوب) نافلة فانس وحشته بهما وهذا أن أكرم على الله من أبيه (وكلا جعلنا نبيا) أى أنعمنا عليهما بالنبوة (وهو بهما لم من رجنتا) مالا وولدا وسعة فى الرزق مع نعمة النبوة (وجعلنا لهم لسان صدق عليا) أى أناء حسنا فإن الناس يقتخرون بهم وينشون عليهم اجابة لدعوة ابراهيم عليه السلام - واجعل لى لسان صدق فى الآخرين - والمراد باللسان ما يوجد به يقال لسان العرب أى لغتهم وترى أن الصلاة على ابراهيم وآل ابراهيم فى الصلوات الخمس من اللسان العلى المذكور . وهنا ﴿ لطيفتان ﴾

﴿ اللطيفة الأولى فى قوله تعالى - يا أيتى إني أخاف أن يسبك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا - ﴾ إن فى هذه الآية وحدها من العلم ما لا يحتمله هذا الكتاب . ولكن نذكر بعض ذكرى وعبرة لنسوى العقول السليمة ونزع الباقى لنرى الفطن ومن ألهمهم الله العلم والحكمة ليشرحوه للسامعين بعدنا اذا استعزوا للالقاء . اعلم أن جعل العذاب من الرحمن يبين لنا ما يأتى

(١) ان الجوع الذى نخس به فى أجسامنا لم يرسله الله لتعذيبنا بل أرسله ليكون آلاما تدفعنا الى الغذاء وذلك لأن هذا العالم الذى نحن فيه ناقص فكماله الله بهذه الآلام ولولا ألم الجوع ما أكل عاقل ولا علم ولا نبي ولولم يأكلوا المتأولاء لم يقصد به سوى المنفعة لنا وليس فى هذا العالم سبيل إلا كنا سوى هذا الباعث المؤلم (٢) وان ألم الشبق والشهوة فى الأصلاب وفى النساء لم تكن إلا لبقاتنا ولولاها ولولا آلامها ما تزوجنا ولولا دناء ولا عمرت الدنيا

(٣) وان الأمراض الحادة بنا لولاها لم تفتح مدارس الطب والتشريح وقراءة العقاقير وتفصيل هذه العوالم التى تحيط بنا

(٤) وان الأمم كلما ازدادت مدنيها ازدادت أمراضها وشهواتها وتزيق الأمراض لأجسامها وفتكتها لمرضاها ولأولادها الصغار فيكون ذلك أدعى لارتقاء الطب والعلم عندهم فأصبح المرض نعمة وبيان أنه أن الله لم يخلق الناس فى الأرض إلا لارتقاء نفوسهم . فلما كان أهل البادية جهالا لم يعطهم من الأمراض إلا على مقدار ما يدأبون بحسب مبلغ علمهم . فلما نفاذ الى المدن أكثر الأمراض فيها وألهمها العالوم وفتح لها مدارسها على مقدار حاجتها . فاذا أهملت ضعفت الأجسام فكان عقابا على التقصير فأصبح انتشار المرض مهازرا تساق به الأمم الى أعلى البرجات ونهاية الأمر ارتقاء العلوم والصناعات ونهاية النهاية كمال الروح لتخرج من الأرض بأجنحة أقوى وهمة أعلى

(٥) وان الله جعل الصدق فى البادية بحيث انهم عند أداء الشهادات لا يكذبون وعند المجادلة لا يغشون وفى أوقات سمرهم يصدقون . أما المدن فانها ملكت مكرًا وخبثًا كما ملكت جبنا ولؤمًا ومرضا زمنا . ذلك لأن أهل البادية اذا تولاهم داء السكذب أفناهم وشقت شملهم وأوقعهم فى هاوية الخسار والهلاك لأنهم لا قدرة لقضائهم على احقاق الحق إلا اذا كان القول صريحا واضحا . أما المدن فان القضاة فيها كمل رأوا الفساد منتشرا والسكذب منتشرا والشهود كاذبين والمذبحين مزورين والمذبحى عليهم منكرين زادوا فى العلم بمخا وفى الطبيعة فيما وفى الامور وزنا وللأعمال تدقيقا وللأقوال تحقيقا فازدادت العقول ارتقاء والنفوس بهاء واشراقا وفتحا لمو يصب المشكلات وصعدا بالحق وحكما بالصدق بالقوانين الصادقة والأقوال الشارحة والعوالم الواضحة

(٦) وإن ذرى العقول التي هي مستعدة لقبول العلم يألمون أكثر من غيرهم إذا أحسوا بجعلهم ويتطلعون بشوق عظيم إلى مسرعة مغاب عن غيرهم من عو يس المسكلات فيألمون وينصبون أجسامهم ويتعبون أرواحهم ويهيمون في أودية الأرض لطلب العلم كما يألم الجائع والسبق للطعام والواقع فتكون حياتهم كلها جهادا ليس لجهاذهم نهاية ولانصبهم غاية وهؤلاء هم الذين عبرنا عنهم فيما تقدم في هذه السورة بأنهم أصحاب النفوس العصبية الذين يشبهون الأجسام الموصلة للكهرباء . فهؤلاء سريعو التأثر عصبوني فيقبلون العلم أسرع من غيرهم وهم درجات بعضها فوق بعض كدرجات الأجسام الموصلة للكهرباء في التوصيل وكدرجات الأجسام الموصلة للحرارة في إيصالها إلى ما بعدها . وهم أشبه أيضا بالنبات السريع الانبات السريع الأثمار كأنواع البطيخ والقثاء نبت سريعا ونمو سريعا وتجمر سريعا . فهكذا هؤلاء يتأثرون بالعلم سريعا ويعاملونه لتغيرهم متى امتلأت نفوسهم ويكون تأثيرهم في غيرهم على مقتضى الآثار الواصلة إليهم . فعلى مقدار ما يقبلون ويتأثرون يكون قبول تلاميذهم ومن قرأ كتبهم . وهناك صلة بين الأسانذة والتلاميذ وبين الأنبياء والأمم والمؤلفين وقارئ كتبهم . فكما كان الأستاذ والنبي والمؤلف أكثر عشقا لعلمه كان قراء العلم والدين والتأليف هم تابعين له لأن القلوب النقية تؤثر فيمن يقرأ تأليفها أو يسمع كلامها . تلك قاعدة مطردة لا عوج فيها ولا أمثا

فهنا عذاب من الرحمن وصل إلى الأنبياء بالآلام التي يتحملونها من أمتهم وفي العمل بالوحي الذي يوحى إليهم به وفي شوقهم للحديث إلى الرق والعلوم . كل تلك آلام ولكنها هي عين الرحمة لهم ولغيرهم فافهم هذا وافهم ما قبله وتأمل كيف كانت القصص القرآنية قد جعلت مفتاحا لعقول هذه الطائفة في مبدل أمرها حتى إذا فتحت تلك المغاليق وأزيلت تلك السدود وألهمت تلك النفوس أخذت تطلع على ما يبجله الناس حولهم . فالعلماء في جميع الأمم يرون في المنحلة وفي الغلة وفي الزهرة وفي الشجرة وفي النهر وفي البحر وفي الرياح وفي الأمواج وفي هبوب السحاب وفي حفيف الأشجار وفي طنين الحشرات وأصوات الطيور في الغابات وفي كل حركة وسكون ما يطرئون لها طربا ولا يردون عنها حولا ويرون العالم حولهم موسيقى وهم السامعون والناس من حولهم ناظمون تأملون لا يفقهون . وهؤلاء هم الذين عرفوا وفهموا قوله تعالى - تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شئ إلا يسبح بحمده ولكن لا يفقهون تسبيحهم إنه كان حليبا غفورا -

فهؤلاء هم الذين يفقهون التسبيح وغيرهم لا يفقهون ولا هم يدركون . فهذه الطائفة كان أمتها رجة وأذاها نعمة وذلتها عزا وأمرها عجبا

أفلا تنجيب معي كيف كان قوله تعالى - عذابا من الرحمن - شاملا لهذه المعاني ولغيرها مما ركبت إلى فطنك لتقره في لوح الطبيعة المنشور الذي كتبه الله بيده إلى بريته وتركه لنا وقال خذوه وافهموه وسلط علينا ماسلطا ليوقظنا ويرشدنا . أوليس عذاب المسلمين الآن بالفساد والتخايز والجهل القاسي فيهم وإحاطة الأمم بهم من كل جانب - عذابا من الرحمن - لأنه برحمته عذبنا لأن هذه الرجة التي ظهرت لنا بصفة عذاب فتحت لنا الباب على مصراعيه فأررنا أهل (سويسرا) مثالا قد علمهم أساليبهم في المدارس تعليما دنيا وأديبا واجتماعيا حتى وصلوا إلى درجة أنهم لا يفقهون معنى السرقة ولا يعقلون كيف يكذبون

﴿ حكاية ﴾

سافر أحمد عطاء المصريين من أبناء بلادنا إلى (سويسرا) فنزل في قطار السكة الحديد فلم ير القوم يأخذون تذكرة في أيديهم بل كل واحد منهم يحاسب نفسه بنفسه فيضع النقود بيده في الصندوق وليس عليه رقيب بخلاف عادتنا نحن المصريين . ولما دخل المدينة سأل عن القاضي أين هو لحدائه لأنه هو أيضا من رجال القانون فقالوا له إن القاضي في المكان يصنع الأحذية فتوجه إليه وعجب كيف يكون القاضي صانع

أخذية فقال له القاضي ان بلادنا تفلّ القضايا فيها والأمة تعرف واجبتها وأنا لا أحصل إلا ثلاثة أيام أول الشهر فيأتي المتقاضون يسألوني فيها أشكل عليهم من الامور فأفتهم فيقتضون وليس لي الحق أن أخذ مرتباً في أيام لا عمل لي فيها . فيها أناذا أخذ مرتب ثلاثة أيام وفي بقية الشهر أصنع وأكل من كسب يدي ثم توجه الى فتاة قروية قد نامت في وسط الأعشاب في البرية وحولها عشرات من البقر يتبعنها أينما سارت ويقمن حولها اذا نامت ويسرن وراءها اذا رجعت الى منزلها قال فسألها ألا تخافين من اللصوص قال فقالت لا أفهم معنى لصوص فقال سارقون فقالت هذه أول مرة سمعت أن الانسان يأخذ مالا حق له وليس لنا علم بهذا فتعجب مما سمعه وما رآه . والذي قال هذا هو المرحوم محمد بك فريد رئيس الحزب الوطني المصري

هذه الحكاية وأمثالها كثير تدعشنا نحن المسلمين وتدعو لأسفنا الشديد . اننا خير أمة أخرجت للناس نأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ثم تكون عاقبتنا أننا قوم لا نعرف إلا القضاء والمعاملة . فأما ربة الوجدان وتهذيب النفوس فتحن عنها بمزلة ساكنون صامتون نائمون كأنهم أهل السكف - سنين عددا - ولم نجد ما يوقظنا . أليس ما ذكره الآن آلاما . أوليس الله هو الذي خلق هذه الآلام . أوليس الله هو الذي أودع هذا في القلوب لتشعر ومتى شعرت تحركت للعلم ومتى علمت عملت . أوليست هذه أمراضا اجتماعية بل هي أمراض اجتماعية ودواؤها أن يقلع المسلمون عن طرق التعليم الحالية والافعال الاذلال الواقع من الأمم الغربية - لاسمذ له وماهم من دونه من واق - وهذا الاذلال من دول أوروبا للمسلمين عذاب لا يزول إلا بزوال سببه وهو الجهل بالعلم وبطرق دراسته

﴿ طرق التعليم لرق الاسلام في مستقبل الزمان حتى نستحق أن نكون - خير أمة أخرجت للناس - ﴾
 هي ان يتدنى المسلمون بتعليم الصغار في المدارس والمساجد والزوايا والتكايا ﴿ أمرين ﴾ الأمر الأول
 أمثال هذه القصص القرآنية مع شرح عجائبها وذكر موسى عليه السلام وأنه كان مخلصا وأن الله ناداه من جانب الطور الأيمن وقرّبه نجيا ووهب له آناه هرون نبيا لعلم الله أنه يستحق لاختلاصه وقبوله وهكذا كل مخلص فإن الله يحفظه ويعينه . وذكر اسماعيل وكيف كان صادق الوعد وصدقه للوعد ذكر قبل ذكر النبوة لأنه لا يستعد للرق إلا السكاملون ويشرح صدق الوعد شرحا وافيا بحكايات وضرب أمثال شارحة للصدور بحيث يقتنع التلميذ ولا يكتفى بأنه يعذب في النار بل يفهم عقله أيضا . ويذكر له ادريس عليه السلام وأنه كان صدقا أي كثير الصدق في قوله والتصديق فهو عالم بكل علم مؤمن لذلك رفعه الله وحينئذ يشرح للتلميذ فوائد الصدق ويحجب في وطنه وفي المحافظة على أموال الحكومة ونظامها وسعادتها وأنه يجب أن يصدق الانسان في خدمتها ويكون صدقه بالافتقار انه مفيد له ولنفره . ويفهم التلميذ أيضا عجائب الحيوان من النحل والنمل والعنكبوت والأعنام وعجائب النجوم وهذا هو العلم المسمى بعلم الأنبياء بحيث يكون جيلاً بهيجا حسنا مطبوعا في كتب مشوقة سارة للناظرين فتكون الحجاب الطبيعية مشوقة كأن تشوق الحكايات المنقولة عن الأنبياء وهذا الفرق للتبتدين مقدمة لعلم الطبيعة والكيمياء والحيوان والنبات للسكرافى المدارس العالية فاذا وصاها التلميذ فيها والا فقد نال من كل فن كلمات تقفعه وأصبح رجلا نافعا لأتمته

﴿ علم التوحيد ﴾

واعلم أن علم التوحيد هو نفس ما ذكرت فعل الأشياء ونظام الموجودات وبهجة القمر والنجوم والكواكب لصغار الأطفال مع ذكر قصص الأنبياء ومع ذكر الآيات الملهمة للأخلاق وشرحها شرحا لا ينصفه الاعراب ولا الصرف ولا كثرة الكلام في علم المعاني ولا البيان ولا البدع لأن هذه العلوم كثيرا ما عانت الأطفال عن معرفة الله تعالى بل هذه لها قوم مختصون بها يحافظون عليها كبقية الصناعات والعلوم . أما نحن الآن فأما

تسلكم في العلم الذي هو فرض عين على كل مكلف ثم ليكن المبرس لهم مقتضا بما يقول متأثرا به فيأتي اليهم ثجائب الطبيعة ويصف لهم بدائلها ثم يهرج على خالقها فيصفه بأوصاف الجلال أي الصفات السلبية وأوصاف الجلال وهي أوصاف المعاني فيقول انه عالم وقادر ومتكلم وسميع وبصير مثل مجابهة القرآن ويترك تلك الفلسفة الباردة التي حدثت في الأمة الاسلامية فشوشت الأذهان وأبعدت الناس عن الأخلاق وعن معرفة ربهم فتأخرت الأمم الاسلامية عن سائر الأمم بهذه الطريقة العقيمة . أقول وإن هذا الذي أكتبه الآن سيقروه علماء وفضلاء وأمرء في أمة الاسلام وسيعملون به وسترتقي أمة اسلامية على أيديهم تكون أرق من الأمم الاسلامية المتأخرة بعد أعصر النبوّة الثلاثة التي كانت أنوار النبوّة مشرقة عليهم وسيكون للمسلمين نهضة لم يعرفها الشرق من قبل . سيقرا الناس هذا الكتاب وينظمون التعليم كما ذكرت وسيقوم فيهم المصلحون يزبدون بعقولهم وآرائهم على ما يبتدئون ويعطون السواء على مقدار الداء وسيكون قوم أرق شأنا من حولهم من الأمم ولا ينبغي أن يبتدىء المسلمون بحفظ القرآن . كلا . بل يبتدئون بهذه العبارات الجلية ويأتون بالآيات تطبيقا عليها ثم يحفظها التلميذ حفظا مشوبا بالمعنى وهو مسرور يحفظه قانع بما بقته للعوالم الخارجية والأخلاق النفسية . فأما الحفظ العام لقرآن فذلك له قوم يختصون به فهو أيضا فرض كفاية لا فرض عام على سائر الأمم فأما العلوم فالحسن عندي أن يكون حفظهم للآيات على مقدار ما يحتاجون اليه في الأخلاق أولا وجبال الطبيعة ثانيا مع معرفة الله تعالى وما يجب عليهم من العبادات ثالثا كآيات الصلاة والزكاة وما أشبه ذلك . وهذه الطريقة الجلية أقرب الى عصر الصحابة إذ كان الأمر سهلا والعلم محفوظا بطريق مألوف

(الطريقة الثانية في قوله تعالى - سأستغفر لك ربى -)

فيه طلب المغفرة له وقد مرّ تقرير هذا المقام في قوله تعالى - وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه - الخ والى هنا انتهى الكلام على قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام

(قصة سيدنا موسى عليه السلام)

قال تعالى (واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا) بكسر اللام موحدا أخلص عباده من الشرك والرياء وفتح اللام أى مختارا اختاره الله تعالى واستخلصه واصطفاه (وكان رسولا نبيا) أرسله الله الى الخلق فأنبأهم عنه والرسول هو الذى معه كتاب والنبي هو الذى ينبئ عن الله وليس معه كتاب . فقال الأول موسى ومثال الثاني يوشع فيوشع نبي ولا يسمى رسولا وإنما هو نبئ قوميه وموسى نبئ قومه بكتاب معه أرسل به من الله . فأحدثهما معه رسالة أرسلها الى الناس والثاني ليس معه رسالة بقدّمها لهم وهو الكتاب واسكنه ينبتهم كما في قوله تعالى - ولا ينبئك مثل خبير - وكقوله - وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم - الخ فهذا القول فيه الانباء والرسالة هناك وهذا المعنى الذى شرحته لك الآن يخالف المعنى المشهور للنبي والرسول من جهة وبوافقه من جهة ولكن هذا المعنى هو المناسب في هذه الآية قال تعالى (وناديه من جانب الطور الأيمن) من ناحية اليمن وهي التي تلى عين موسى إشارة الى أنه مبعوث القدوات والروحيات ولاشؤم يلحقه والله معه فلذلك تمثّل له الكلام من تلك الجهة فعرفه (وقرّب بناء نبيا) تقرّب تشريف وعمل وإخلاص فذلك أشبه بمن قرّبه ملك لمناجاة أى وقرّبناه حال كونه مناجيا أو مستقفا . والتجوّفى اللغة الارتفاع والجرم أن الارتفاع في المقام يلزم المناجاة والتقرّب فهما متلازمان وأحدهما يفيد الآخر بالازم ولقد روى أن رفع فوق السموات حتى سمع صرير الأقاليم . ومعنى هذا تجاوز العالم المادى وانغمس في المعنوى والروحى فقرّب من الله وعرف الامور العالية عن أدواق البشر فليس المقام مقام أمكنة وإنما هي نفوس ترتقى حتى تبلغ أقصى مناهي وتستعد للاطلاع على عالم أرقى ثم قال تعالى (وهبنا له من رجتنا) أى من بعض رجتنا (أخاه هارون نبيا)

أى معاهدة أخيه وموازرتة إجابة لدعوته وذلك أن موسى عليه السلام دعا ربه فقال - وأجعل لى وزيرا من أهلى هارون أبنى - فأجاب الله دعاءه وهذا هو سبب جملته هبة وقوله - هارون - عطف بيان لأخاه ونبيا حال منه

(قصة سيدنا اسماعيل عليه السلام)

قال تعالى (واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صادقا الوعد) فكان لا بعد ربه وعدا بفعله إلا وفى به فصار الصديق صفة لازمة له حتى وعد بالصبر على الذبح فوفى وصبر وامتلل حتى جاءه الفداء ولم يكن لينظره وهذه الصفة لم تسمع من غيره بهذه الحال (وكان رسولا نبيا) أى كان رسولا إلى جرهم الذين حاولوا بمكة معه ومع أمه ومعنى رسول هنا غير ما تقدم فإن الرسالة هنا بمعنى النبوة إذ لا كتاب معه إلا كتاب إبراهيم وشريعته فيكون معنى النبوة إذن الإنذار والأخبار أى كان مرسلًا من الله بتبليغ شريعة إبراهيم فنبأ بها قومه وأنذرهم وخوفهم (وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا) أى انه بعد أن كل فى نفسه بصدق الوعد أخذ يكمل عيشته الأقر بين وكذا بقية الأمة لأنهم كلهم أهل فى أمرهم بالصلاة والزكاة ليقبهم النار . ولما كان السكالى فى النفس وتسكيل الغير تخلفا بأخلاق الله تعالى والله يرضى عن تخلق بأخلاقه قال - وكان عند ربه مرضيا -

﴿ لطيفة ﴾

إن صدق الوعد هو الصفة التى فقدت من تجار المسلمين اليوم ومن أكثر المتعلمين فيهم وهذا لالة أكثر الناس بهذه الصفة . فعلى قادة المسلمين وعلى العلماء أن تكون مواعدهم حقة وكلامهم صريحا فيقلدهم الشعب . إن الاسلام اليوم لم يكمل تابعوه لأنه بعيد عن تاملهم وبحيث لأمة هذا شأنها كيف عاشت الى الآن . حرام أن يترك هذا العلم . يجب أن يجعل له الأهمية التى للصلاة والزكاة . لماذا أيها المسلمون وهل ذكر اسماعيل فى القرآن إلا لهذا الغرض ويقول هذا نبي صادق الوعد . هذا هو الذى اتخذ الصديق له شعارا حتى جعل نفسه ذبيحة لأبيه وختم الكلام عليه بأنه رضى عنه . أما الأمم التى لاصدق عندها فلا يرضى عنها الله بل يصبح رجالها يحقر بعضهم بعضا كيهض أم الشرق الآن إذ ترى بعض التجار المصريين والسوريين والعراقيين وغيرهم يتخذون الحلف ذريعة والمساومة مغنا والكذب متجرا وتكون نتيجة ذلك عدم رضا الله تعالى وثمرة ذلك كراهة الناس ونفورهم منهم وترك تجارتهم فينحاز الناس الى تجار الافرنج لأن لهم صدقا بحسب الظاهر . هذا من أسباب عدم الرضا الذى أشارت له الآية بطريق المفهوم لا المنطوق

(قصة سيدنا ادريس عليه السلام)

قال تعالى (واذكر فى الكتاب ادريس) وهو المسمى أخنوخ وهو أيضا أنريس أو اسوريس وكان ادريس تعريبا له وهذا الاسم فى الآثار المصرية وهو الذى ألف له المصريون القدماء رواية خلدت فى بطون تواريتهم وقد حصل بينه وبين أخيه ما يحصل بين المتحاسدين فقطعه أخوه قطعا كثيرة جمعها أمرته بعد ذلك الإقطعة وحفظها وصار إليها بعد أن كان مصلحا عظيما وهذه الحكاية الخرافية جعلت المصريين يعتنون بحضنيت الميت وهذا العمل قد أفاد الصناعة ورقاها وصارت مثلا وعبرة للأخرين . ولقد كان للملك والدين فى عهد هذه الدولة أمرا واحدا والمالك يجمع بين أمر الدين والدنيا فن عصى أمر الملك فقد عصى الله وأسوريس هنا صعد الى السماء وصار فى الحياة العالية وله عرش عظيم فى السماء تمتع بأجل الخيرات وكل من حنط جسمه وزينت أعماله بعد الموت وحكم القضاة وهم ٤٢ بأن حسناته غلبت سيئاته فانه يلحق بأزوريس فى تلك السماء العالية

إن هذا النبي الذى جعلوه إلهاً بعد ذلك هو الذى علم المصريين العلوم والمعارف ويقول علمائنا أنه أول من خط بالقلم وأول من خط الثياب وليس الخيط وأول من اتخذ السلاح وأول من نظرت في علم الحساب . هذا كلام علمائنا في التفسير وهذا كلام يتصل بأقوال قدماء المصريين فالأمة المصرية تنسب عاومها اليه وبالجملة فالأمة المصرية التي برعت في جميع الفنون تنسب اليه ، بدأ تلك البراعة وجميع الأمم دهشت من علم قائمنا المصريين ومن اطلع على مؤلفات المرحوم العلامة الأثرى الكبير أحمد بك كمال أمين متحف القاهرة كمحاضراته بالجامعة المصرية رأى عجبا عجبا . رأى انهم صوّروا السماء من قديم الزمان وبينوا البروج والليل والنهار وساعاتها والكواكب . وفي الأعصر المتأخرة رسموها بهيئة امرأة رافضة يديها ويستترها ثوب طويل وفي رجلها نعلان وعلى رأسها عصابة . وهناك إشارة بلفظهم تشير الى الشمس ذات الأشعة وعلى جانبي المرأة البروج ستة منها جهة الجنين وستة منها جهة الشمال . وهى مرسومة أملحى وأنا أكتب الآن بشكل رائق بديع بالهيئة التي وجدت على صندوق « حتر » بطيبة . وهناك اشارات ورسوم يدل على أكثر مايراد من علم الهيئة قد أوضحها العلامة المذكور حول الشكل وهذا من أعجب ما يراه الانسان . وترى في الصفحة الثالثة عشرة في المحاضرات المذكورة صورة المنطقة التي وجدت في هيكل دنبره وهى عجيبه فيها أربع صور من صور النساء واقفات للدلالة على الجهات الأربع والسماء فوقهن محمولة ويساعدنهن في ذلك ثمان صور من صور (جوريس) جانيات رؤسها كراس الباشق وجسمها كجسم الانسان وهذه المنطقة المحمولة على المعبودات الاثني عشر تنقسم الى (٣٦) قسما وكل قسم عشرة أقسام فهى (٣٦٠) وكل قسم يوم . وهناك علوم أخرى في الصورتين لابسها المقام تقسمت في سورة يونس فاربع اليها إن شئت . وأن ما ذكرته لك الآن كاف لتعلم مقدار علوم القوم وانهم تفننوا في كل شئ . وأذكر كرك بما مضى في سور متفرقة في هذا التفسير عن علوم القوم وبما مر في قبر « نوت عنخ أمون » الذى ذكرناه في سورة البقرة وكشف حديثا وأدهش العالم كله وأعجبه إعجابا شديدا . لعلك عرفت من هذا ما جاء في القرآن هنا فان وصف ادريس بقوله تعالى (إنه كان صديقا نبيا) فجعل وصفه بالصدق هو أهم وأوصافه والصديق كثير الصدق والتصديق وذلك هو العلوم كلها لأن التصديق يرجع الى القضايا المكية العلمية فهو صادق أولا وعالم بها ثانيا ثم قال (ورفعناه مكانا عليا) قد تقدمت الإشارة الى تاريخه وإلى الخرافة الخاصة به . ولما كان القرآن لا يذكر من الكلام إلا ما يجز مغنا ويدع ما ليس له فائدة من تلك الخرافات التي لاتفيد معنى ولاها موجب ذكرانه رفع مكانا عليا في السماء كما قاله قدماء المصريين فسكان القرآن قد جعل هذا حقا . وفائدتنا من قصة ادريس ما يأتى

ان أمته المصرية ارتقت ونفت الأمم وهذا بت الأجيال وقامت بما عليها للنوع البشرى . ولشأن أن رفعة الأنبياء تابعة لأثارهم في الأرض فلا يرفع الله نبيا ولا ينفض جاهلا إلا على مقدار الأعمال ورفع ادريس الى السماء يرجع الى ارتقاء أمته بتعاليمه فالتى بأمته والعالم بالانتفاع بعلمه . وإذا أردت المناظرة بين عالم وملك من الملوك فلتنظر آثارهما في الأمة فمن كان أهدي سبيلا وأقدر على الإصلاح باعتبار آثاره حكمته له بأنه أقوم قبلا وأهدى سبيلا وأرفع شأنًا وهكذا الأنبياء بعضهم مع بعض . لذلك رفع الله ادريس مكانا عليا ولذلك تجد آثار أمته بادية للعيان بعد أن كانت خافية عن الأذهان . انظر الى شرائعهم التي قصوها وأقوالهم التي قالوها مع تخليطهم في الالاهية من تنسيع الى تثليث ثم الى توحيد آخر فانهم لم يخطوا في الشرائع كما خطوا في الالاهية أجيالا واهتدوا أجيالا وكانوا اذا مات الملك عتدوا مناقبه ومثالبه فان كان ضارا بالأمة حرموا دفنه في قبره وهذا عجيب جدا . كانوا يأمرؤن الملك بأن يعمل في كل ساعة عملا خاصا . كانوا يأمرؤن بجنتاب الظلم ويعلمون الصبيان والرجال الصيغة التي يقولونها بعد الموت أمام القضاة « يارب لم أظلم أجيالا ولم أرحم الجيل من ابن أمته معا فيه ولم أقتل ولم أسرق ولم أزن ولم أكتب الخ » وكانوا يمنعون أخذ أموال

الناس بالباطل . هذا هو الذي يبرئنا معنى كونه صديقاً ومعنى كونه رفع مكاناً علياً . ولذلك بقيت هذه الأمة آلاف وآلاف ولما تجرعت العقول وضلت الأفكار نسي الأبناء المقصود من الدين فهلكوا وضلوا وخرفوا فذهبت ربيهم . أما أمة الاسلام فلم يضل لها غير زمن قليل فأمامها أجيال وأجيال وآلاف من السنين فيها تظهر مواهبها فهي الى الآن لم تقم بكل ما عليها للانسانية والله أنزلها ليظهر دينها على الدين كله فتعمل أكثر من كل دين سواها . وإذا كان ادريس عليه السلام رفع الى السماء الرابعة ومدحه الله بذلك ونبيها محمد ﷺ رفع الى ما فوق السموات كلها وارتقى فوق ذلك الى سدرة المنتهى الى مستوى سمع فيه صرير الأقلام . فهذا يراد به أن أمته ترتقى الى أعلى الدرجات وتنفع الناس أكثر من كل دين . وأنت علمت أن ديانة قدماء المصريين ارتقت جداً ولكنها لم تدم . أما دين الاسلام فانه قد انتشر انتشاراً عجيبياً ولم يبق إلا تقويته في العلم والمعارف على الطريقة التي في هذا التفسير وإذا ذلك تكون الأمة الاسلامية قد عممت ما عليها انتشاراً واتحاداً أي انها تجمع أمة كثيرة وتوأم بينهم وتجعلهم اخواناً وشعارهم الاخوة العامة لأن الاسلام معناه الاخوة العامة والاخلاص التام في قوم اتصفوا بهذا الوصف . ولما ذكر الله المرسلين أخذ ينعمهم فقتل أولئك الذين أنعم الله عليهم (أي أولئك الأنبياء في هذه السورة من ذكرها الى ادريس الذين أنعم الله عليهم بنعم دينية وأخرية (من النبيين) بيان للذين (من ذرية آدم) أي ادريس ونوحا - من - للتبعض لأنهم بعض ذريته (ومن جلتنا مع نوح) أي ومن ذرية من جلتنا مع نوح خصوصاً وهم الأنبياء ماعدا ادريس فانه كان قبله واراهاهم من ذرية سام بن نوح (ومن ذرية ابراهيم) وهم اسماعيل واسحق ويعقوب (واسرائيل) أي ومن ذرية اسرائيل وهو يعقوب كموسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى (ومن هدينا) ومن جلة من هدينا على سبيل الحق (واجتنبنا) للنبوة والكرامة (إذا تلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً) جلة مستأفة لبيان خشيتهم من الله بعد أن أبان علوهم في الدين وفي النسب والقرب من الله والبكى جمع بالك كالسجود جمع ساجد

﴿ ذكر الضالين المضلين بعد الصالحين المصلحين ﴾

قال تعالى (خلف من بعدهم خلف) أي من بعد النبيين المذكورين (خلف) قوم سوء وهم اليهود وكل من كان على شاكلتهم في الضلالة من هذه الأمة (أضاعوا الصلاة) تركوا الصلاة المفروضة عليهم وأخروها عن وقتها (واتبعوا الشهوات) فاتروا شهواتهم على طاعة الله وشربوا الخمر ومنهم قوم يظهرون في آخر الزمان تكثراً الفاحشة العلنية بينهم حتى في الأسواق (فسوف يلقون غيا) أي شراً وأجزاء غي * ويقال إنه واد في جهنم تستعينهم أوديتها يلقى فيه العاق وشارب الخمر الخ وقوله (إلا من تاب) من التقصير في الصلوات مثلاً (وأمن) بترك الكفر إذا كان كافراً (وعمل صالحاً) بطاعة الله (فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً) ولا ينقصون شيئاً من جزاء أعمالهم وقوله (جنة عدن) منصوب على المدح (التي وعد الرحمن عباده بالغيب) أي التي وعدها لإياهم وهي غائبة عنهم أوهم غائبون عنها (لأنه كان وعده) الذي هو الجنة (مأثراً) بأنها أهلها الموعود لهم (لا يسمعون فيها لغواً) فضول كلام (إلا سلاماً) لإتساع الملائكة عليهم وأن يسلم بعضهم على بعض فهو استثناء منقطع . واعلم أن مبدأ السعادة والسلام والأمان والطمأنينة وهذه الدنيا لا طمأنينة فيها فلا سعادة لأن الناس جميعاً لا يأمنون عاقبة قط فهم دائماً لا سعادة عندهم فيكون مبدأ النعم في الآخرة أن تكون الاشارات والعبارات والالهامات هي الطمأنينة في القلوب وهي المشار إليها بقوله تعالى - رضى الله عنهم ورضوا عنه - وهي هي التي تقولها نحن المسلمين في صلواتنا صباحاً ومساءً ﴿ السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴾ فتكرار هذه الجلة على اللسان يحدث أثراً في النفس يتراكم على مدى الزمان فيشعر الانسان اذا أدرك المعنى فيها بعد أن الله لم يخلق العالم إلا لغاية

الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَقَدْ * وَتَسُوقُ الْجُورِ مِّنَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرَدًا * لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا
 مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا * وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا * تَسْكَدُ
 السَّمَوَاتُ يَفْقَطْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا *
 وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِنْ كُلُّ مَنَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ
 عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ أِنْتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَدْ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا * فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ
 وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدَا * وَكَم أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَوْمٍ هَلْ نَحِيسُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمِعُ
 لَهُمْ رِكْزًا

﴿ التفسير اللفظي ﴾

قال تعالى (تلك الجنة التي نورث من عبادة من كان تقيا) أى نجعلها ملكا لهم كملك الميراث الذى هو
 أقوى مملوك . ويقال كارد فى غير الصحيحين وذهله المفسرون أن الذى يترتب لما احتبس حين سأله اليهود
 كما تقدم عن أمر الروح وأصحاب الكهف وذى القرنين وقال أخبركم غدا ولم يقل إن شاء الله ودام ذلك الاحتباس
 ١٥ يوما ونزل جبريل قال له عليه السلام أبطأت على حتى ساء ظنى واشتقت إليك فقال له جبريل وانى كنت
 أشوق إليك ولكنى عبد مأمور إذا بعث نزلت وإذا حبست احتبست فأزل الله تعالى (وما ننزل إلا بأمر
 ربك) وهذا حكاية قول جبريل والنزل النزول على مهل لأنه مطاوع نزل أى وما نزل وقتا بعد وقت إلا
 بأمر ربنا - والضحى والليل إذا سجى - الخ ورواية البخارى أن النبى عليه السلام قال يا جبريل ما منعك أن
 تزورنا أكثر مما تزورنا فنزلت ثم أكد اختصاص الله بالأمر بقوله (له ما بين أيدينا) من الأماكن (وما خلفنا
 وما بين ذلك) فالأمكنة بأقسامها الثلاثة الحاضرة ملكه فكيف ننقل من مكان إلى مكان إلا بأذن ماله
 وكذلك الزمان فلا نتقدم ولا تأخر فيه لأنه له إلا بأذنه (وما كان ربك نسيا) أى ما نسيتك ربك وما تركك
 كقولك - ما ودعك ربك وما قلى - ويصح أن يجعل الكلام متصلا بأهل الجنة وهو الأقرب للنظم . يقول
 أهل الجنة - وما ننزل إلا بأمر ربك - أى وما ننزل الجنة إلا بأمره إلى قوله - وما كان ربك نسيا -
 أى ناسيا أنعمالنا فنحن نذكر ويعطى الثواب عليها ثم أشار سبحانه إلى أهم ما يوصل إلى الجنة فذكر العلم
 وبروبيته للسنوات والأرض وما بينهما وأعقبه بالعبادة . فهنا صرح القرآن بالحقيقة فالعلم بهذا العالم والعبادة
 المصنفة للقلب هما تتجلى طامة الأنوار المترقات والبهجات الساطعة المضيئة فى هذه العوالم ويمتلى المؤمن شراقا
 وإذا ذاك يجتهد لئلا العلم بهذا الوجود على ما هو عليه فالعلم المذكور هو باب الجنة بل هو الجنة عند المعارفين
 بل هو أعلى الجنة والعبادة صفال يسفل القلوب فكان الترتيب عجبا فهو جنه ثم سبها وهو العلم فبسبب السبب
 وهى العبادة ولكن العبادة ليس لها نصيب إلا فى العقل والقلب ولكن العلم بالتعليم (فاعبد واصطبر لعبادته)
 وإياك أن يصدك عنها ما يشوق عليك من إبطاء الوشى أو من شوائد الأيام ومكر الناس (هل تعلم له سميا)
 شبيها ومثلا أو هل تعلم أحدا يسمى الله غير الله (ويقول الانسان) أى بعضه (أنذا مامت لسوف أخرج حيا)
 من الأرض وهذا القول على سبيل الاستهزاء والتكذيب بالبعث قال تعالى (ولا يذكر الانسان) أى أولاد يتذكر

منكر البعث (أنا خلقناه من قبل ولم يك شيأ) فان من قدر على خلقه من عناصر متفرقة بنظام تام وحكمة بالغة أقدر على الاعادة لاسيما انه قد تبين أنه قادر على نظم في الخلق لاعداد لها (فوربك لنحضرنهم) أقسم بالرب مضافا للرسول ﷺ نشر يقال لاجتماع المنكرين في المهاد (والشياطين) معهم بحيث يكون كل كافر مع شيطانه في سلسلة كما هو ظاهر في العالم المشاهد ان ذرات الهواء لا تستقر إلا في الجرق وذرات الماء لا تستقر في الهواء وعناصر الارض لن تدنو غالباً في الماء ولا في الهواء وقطعان النعم والوحش والبهائم تميل الى الاجتماع والالتئاس والمجرمين والسرقات تميل بعضهم الى بعض . فما الآخرة إلا جزء من النظام العام فيحشر الظالمون بعضهم مع بعض ويكون ذلك زيادة أذى لهم كما نرى المرء في الدنيا لا يقدر أن يفارق أهله أو أقرابه أو أبنائه وهو عالم انهم مصيبة عظيمة عليه . فالنار واحد في نظامه لأن ربه واحد ولذلك سرت الوحدة في الوجود فالشيطان مع الكافر والأندباء مع الشهداء والصالحين ومن أحبهم معهم وهذا عين مقالته الأرواح . إن المبادى على الجاذبية وفي الحديث ﴿ كل أم ينجبها ولدها ﴾ فما أجل العلم وما أبدع الحكمة وما أقرب الناس الى فهم القرآن الآن عن كل آن . هذا ومعنى حشر الشياطين أحضروا حول جهنم جيشاً أى جاثين على ركبهم لأنهم لما دهمهم من شدة الآلام لا يطيقون القيام على أرجلهم فيجشون على ركبهم جيشوا وهذا قوله تعالى (ثم لنحضرنهم حول جهنم جيشاً) ثم لنزعن من كل شعبة من كل طائفة شاعت أى تبست غاوايا من الغواة (أيمهم أشد على الرحمن عتياً) أى الذين يقال فيهم أيمهم هو أشد على الرحمن عتياً أى تمرداً وجرأة وفجوراً أى يقدم الى النار من هو أعتى فأعتى ممن هو أكبر جرماً وأشد كفراً فنظرهم فيها (ثم لنحن أنل بالذين هم أولى بها صلباً) جمع بينهم في استحقاق دخول النار بعد ما أثبت انتزاع الأعتى فالأعتى وذلك انه لا يقال أولى إلا مع الاشتراك وأولى صلباً أى أعتى بالنار دخولا وبها متعلق بأولى (وان منكم إلا وردها) أى ومامنكم أحد إلا داخل النار والمؤمن يخلصها وهي خامدة اذا لم يكن عليه ذنب (ثم نجي الذين اتقوا) الشرك الأفضل فالأفضل (ونذر الظالمين فيها جثياً) جاثين على الركب وهذا آخر الكلام على جهنم

﴿ لطيفة ﴾

اعلم ان بنى آدم كلهم معذبون في هذه الحياة الدنيا بالمال والولد والغنى والفقر . فكل الحياة آلام ولذات وقد جاء الدين والعلم ليعرفهم قيمة الدنيا وأحوالها حتى اذا ماتوا ارتقوا عن درجات الطبقة المنحطة فمن الناس من تصقل نفسه في الدنيا فيعرف الحقائق فيخفف وقع العذاب الدينى عليه حتى كأنه لم يعذب ومنهم من يعذب في قبره الى أجل محدود من أصحاب العقائد الحققة . ومنهم من تبقى نفوسهم مغالوة معذبة لتصلب الآراء الجاهلية فيهم وقتل أعمالهم عليهم فهؤلاء لا يخرجون من العذاب . ولقد اضطربت أقوال المفسرين في تفسير هذه الآية والخروج من النار ونحو ذلك . ولقد شرحنا هذا المقام في سورة هود وفى سور أخرى ولكننا في هذا المقام نرى أحوالاً يجب البحث فيها فنقول

- (١) فإذا سمعت قول مجاهد ﴿ ورود المؤمن النار هو مس الحى جسده في الدنيا ﴾ مستدلاً بقوله عليه الصلاة والسلام ﴿ الحى حظ كل مؤمن من النار ﴾
- (٢) وإذا سمعت قول بعض الصحابة لآخر ﴿ أيقنت بالورود قال نعم قال وأيقنت بالصدر قال لا قال ففيم الضحك وفيم الشاقل ﴾
- (٣) وإذا سمعت قول خالد بن معدان ﴿ يقول أهل الجنة ألم يعدنا ربنا أن نرد النار فيقال بلى ولكنكم ممرت بها وهي خامدة ﴾

- (٤) وإذا سمعت ماورد في حديث ﴿ تقول النار للمؤمن جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لمي ﴾
- (٥) وإذا سمعت قوله ﷺ كما في البخارى ومسلم ﴿ الحى من فيح جهنم الحى ﴾ ومعنى فيحها

وهيجهما وشدة حرّهما

فاعلم أن النار في هذا المقام والعذاب قد شمل عذاب الدنيا والآخرة والقرآن مصرّح بهذا في مواضع كثيرة يرجع الأمر إلى الحقائق النفسية فمن مات ولا ذنب عليه البتة وهؤلاء قليل فلنار الخلق أن تقول له ﴿ جز يا مؤمن فقد أظفأ نورك لي ﴾ وربما أصاب هذا بعض الأمراض والمصائب في الدنيا كالجلى وقعد الولد والأهل والفقر وما أشبه ذلك خففت جشع النفس وخرجت من الدنيا لطيفة نيرة غير متعلقة بالدنيا . فبالصلاح والتقوى انجذبت إلى عالم أعلى وبالمصائب تخلصت من حب الدنيا . فهذه قد مررت على العذاب وجهن خادمة لأن النفس بالصبر والتسليم وبالحساب والدقة في تجنب الأخطار والتباعد عن الزلات وما أشبه ذلك مع حفظ المروءة وقيام المرء بالأسباب حتى القيام كأنها أخذت نارها فقلّ التأذى بالصبر والشبات ورجاء الثواب والفرح بقرب لقاء الأحباب والخلاص من هذه الدار . فهذا يجمع الأحوال المتقدمة إلا البند الخامس ومن مات وهو مسلم مؤمن عنده تقصير ولم تقم تهذيبه مصائب الحياة ولا الدين . فهذا هو الذى قيل فيه ﴿ اقتنت بالورود ولم توفن بالخروج ﴾ وهى الحال الثانية المروية

﴿ نصيحة ﴾

إياك أيها المسلم أن يصدك بعض الأحاديث الواردة عن الحقيقة في ذاتها فإن الأحاديث ترد سواء كانت ضعيفة أم صحيحة أوحسنه مرفوعة أم مقطوعة ولكل واحد منها محل مخصوص . فإياك أيها المسلم أن تتسكل على بعض الروايات فتضيع دينك ويكون ذلك أشبه بكفر بالكتاب والأحاديث واحد مهما كانت درجته كاف في هدم القرآن كله فالقرآن مجلوه انذارا فتهدمه بحيث إن صح فهو محمول على حال خاصة . وليس من المعقول في دين من أديان أهل الأرض أن أمة تصح وقد رفع عنها العذاب كلها صالحها وطالحها والام لم يكن لقراءة القرآن معنى ولا لدراسة الدين . وأمة هذا شأنها تصبح أقل الأمم أدبا وإخلاصا وأخلاقا وأكثرهم نفاقا فوالله لم يرسل الله الأنبياء ليغروا الناس على الشرور بل ليزيدوهم علما وأخلاقا وأدبا

﴿ طرق التهذيب ﴾

وطرق التهذيب ﴿ اثنتان ﴾ طريق الازهابة كما رأيت وطريق الرغبة وذلك بحب الله تعالى ومن أحب أحدا أحب لقاءه ومن أحب لقاء الله تحاشى كل ما يضرّ باللقاء من الذنوب

﴿ بعض إيضاح لهذا المقام ﴾

ولقد فصلنا هذا المقام في هذا التفسير في غير ما موضع وحديث البخارى ومسلم شارح له إذ جاء فيه اننا نرى ربنا يوم القيامة كما نرى البدر والشمس ليس دونهما سحاب ثم يتبع الناس ما يعبدون كمن يعبد الشمس ومن يعبد القمر وهكذا وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله في غير الصورة التى يعرفونها فيقول أنا ربكم فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله في الصورة التى يعرفونها فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيدعوه فيتبعونه فيضرب الصراط بين ظهرائى جهنم فأول من يجوز نبينا بأئمة عليه السلام وكلام الرسل يومئذ ﴿ اللهم سلم سلم ﴾ وفى جهنم كالليب مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم مقدار عظمها إلا الله تحفظ الناس بأعمالهم فمنهم من يوق بعلمه ومنهم من يجندل ثم ينجو ثم ذكر أن الله بأمر الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله فيخرجونهم وقد امتحشوا أى أحرقوا فيصعب عليهم ماء الحياة فينبئون كما تنبت الحبة في حبل السيل ويكون أنسأ أهل النار دخولا الجنة مقبل بوجهه قبل النار فيتمنى انصراف وجهه عنها فقط ويعطى عهودا ومواثيق أن لا يسأل غير هذا فإذا أقبل بوجهه على الجنة يطلب أن يقتم إلى باب الجنة ويعتذر عن نقض العهد ويعطى مواثيق كالأولى أن لا يسأل فيقرب منها ثم بعد أمد يطلب دخول الجنة ويفعل مثل ما فعل في المرتين السابقتين ثم يدخل الجنة بعد أن يضحك الله منه فيدخلها فيقول بمن فيتمنى

حتى تنقطع الأمانى لحقن الله بهبطه ذلك ومثله أو عشرة أمثاله على اختلاف الرواة . فهذا الحديث هو الموافق للدين والعلم وهو رواية الشيخين فالناس على حسب أعمالهم ويؤخروا في جهنم منهم من كان أكثر ذنوبا ۞

﴿ آثار هذا الحديث في الدنيا وسر من أسرارها ۞ ﴾

اعلم أن هذا الحديث الشريف ضرب مثلا لحال الناس يوم القيامة توضيحا وبيانا . وهالك آثاره في الدنيا اذ كل ما يحصل في الآخرة لا يخرج عن كونه نتيجة لما يحصل في هذه الحياة فيستحيل أن يكون هناك غير ماهو نتائج ما هنا والناس في الدنيا قطعا يعيشون على صراط الأخلاق الممتد على نيران الشهوات تنخطفهم كاللهاية فيقع من يقع منهم في نارها ويصبح في النار ولا يعلم أنه في نار اللذات تنخطفه الكلايل من كل ناحية من أهل وولد وحكام وأعداء وأزواج وعشاق وهموم وأحزان وفراق اخوان وهجر وصدة وغير ذلك فان عرف الحكمة وكان عابدا واستغرق في جلال الله كانت هذه النيران بردا وسلاما ولم تمسه فلم يحزن لما فاتته ولم يفرح بما آتاه ولم ينهمك في طلب المال فصارت النار بردا وسلاما عليه كما كانت على إبراهيم وإن انغمس فيها انغمسا ولم يستطع خلاصا مات غير مأسوف عليه لادنيا أصابها ولا آخرة نالها وهو هناك أعشى كما كان في الدنيا أعشى

إن الصراط المستقيم في الدنيا هو ذلك الجسر في الآخرة والصراط المستقيم هو التوسط في الأخلاق بين الاسراف والتقتير وبين الجبن والتهور وبين الجهل والطغيان بالعلم فيكون المرء كرميا شجاعا حكيما عادلا . فتنى تمت هذه الأخلاق فهو على صراط مستقيم والا وقع في عذاب الافراط والتفريط هنا ووقع في جهنم هناك ومضى وقع في هذا احترق بلوغ الآلام في الدنيا كما ألم هناك بجهنم التي هي أضر من آثار ما هنا

﴿ بعض أسرار مجابهة الحديث أن المسلم يقول (لست ربنا) وغيره يتبع وتنا أوقرا أروشا ۞ ﴾

سبب ذلك أن جيع من على الأرض ينظرون في هذه الدنيا فن اطلع على شيء أعجبه عظمه ومتى عظمه وتوالت القرون صار معبودا . فلذلك ترى (الفيل) و (البقر) معبودين في الهند وبعض الحيات في أفريقيا والنار عند الجوس والشمس والقمر عند بعض الهنود والقرود عند قوم وهكذا مامن شيء ذى شأن إلا وكان له شبيه حظ من الاعظام والاحلال . ومن ذلك التماثيل والآلهة التسعة عند قدماء المصريين ثم صاروا ثلاثة ثم جعلوهما واحدا . فهؤلاء جميعا عبدوا ما توهموا أن النور الالهى قد انحصر فيه . أما المسلم فانه غير ذلك يتوقف في ذلك كله ويقول اعبد الأحد الصمد فيتعالى على جميع ما في العالم ويعبد لإله غير منظور

﴿ العباد والصوفية ۞ ﴾

وهناك طوائف عبدت الله وصفت النفوس فشرقت نفوسهم وهؤلاء أيضا يحصل لهم في أنفسهم ما يحصل لأهل المادّة . فكما سبحت لبعضهم ساحة من جانب القدس ربما انخضع وظن أنه قد وصل وذلك خطأ كخطأ عباد الصنم بل مامن كمال إلا وراءه كمال فاذا وقف العابد عند درجة من درجات السكالات وظن انه قد انتهى فذلك هو الوالد حتى يصل الى الحقيقة العالية . هذا هو المأخوذ من قوله . حتى بأنهم الله بالصفة التي هو عليها . فالمسلمون سواء كانوا من أبواب المحسوسات أو من أبواب الخيالات لا يقفون لاعند مادة ولا عند خيال بل هم يرمون الى العلى الأعلى

﴿ حياة الخارجين من النار ۞ ﴾

وأما انهم ينتون في بحر الحياة كما تنبت الحبة في جيل السيل فذلك انه كما ان البزور البقية يجعله الزبد الذى يكون على السيل تنبت بعد ان لم تكن . كذلك هؤلاء المذنبون في الدنيا اذا وقعوا في الذنوب فالتأبهم التل ثم تابوا واستغفروا وأشرقت قلوبهم ظهر الصلاح على وجوههم وخرجوا من ذنوبهم بالتوبة وصارت لهم حياة علمية . وهذا في الدنيا فان لم يفعلوا ذلك فعل بهم في الآخرة ما ذكره الحديث في نار جهنم في حال

أخرى عبر عنها بهذا التعبير

﴿ تفسير حال آخر أهل النار دخول الجنة ﴾

إن هذه الحال المذكورة في الحديث هي أخلاق الإنسان وأحواله في الآخرة ونعم الله عليه فيها وهي تشير إلى حاله في الدنيا . اعلم أن أحوال الإنسان في الخالدين لها نظام متصل . ذلك أن الفقير والريض والجاهل كل هؤلاء قد يطلبون الصحة والمال والعلم إلى حدٍّ محدود ظناً أن ما حدوده يروى ظمأهم ومتى نالوه زادوا طمعاً في العلم والمال والقوة وفي كل مرة يقول الإنسان ﴿ لا أطلب غير هذا ﴾ ثم قد ينتهي الأمر بأن ينال العالم علوماً لم تكن له في الحسبان وهكذا الفتى ينال ما لا يمكن ليخطر بباله . ومثلهما في ذلك من صحب بعد المرض . فهكذا من خرج من النار وقد أقبل عليها يتخى أن يرى الجنة ولا يزال حتى يدخلها ثم تفقد عليه النعم وهذه الحال لا تنفارق الإنسان في الدنيا ولا في الآخرة . وفي الآية - لتركن طبعاً عن طبق - أى في الآخرة كما ترونه في الدنيا

﴿ فصل في أحوال أهل النار وأهل الجنة وأخلاقهما ﴾

قال تعالى (وإذا تلى عليهم آياتنا بينات) واضحات الإعجاز (قال الذين كفروا الذين آمنوا) أى لأجلهم أومعهم (أى الفريقين) منا ومنكم (خير مقاماً) منزلاً ومسكناً وهو موضع الإقامة (وأحسن ندياً) مجلساً ومجتمعاً فروا من اتباع الدين بعد ما ظهر من المجهزات إلى الفخر بالمجالس والزيارة ونحوها وهذا قول كفار قریش لفرقاء أصحاب النبي ﷺ وكان في عيشهم خشونة وفي ثيابهم رائحة وكان المشركون يرجلون شعورهم ويدهنون رؤسهم ويلبسون آخر ثيابهم فأجابهم الله بالتهديد فقال (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثاً) متاعاً وأموالاً وثياباً ولباساً (ورثياً) منظرًا من الرؤية أورياً بقلب الهمة وادغامها (قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدداً) الأمر هنا بمعنى الخبر أى يمدد ويجهله بطول العمر والتعجب به (حتى إذا رآوا ما يوعدون) هذا القول متصل بقوله - خير مقاماً وأحسن ندياً - أى لا يزالون يقولون بهذا القول إلى أن يشاهدوا الموعود رأى عين (إما العذاب) في الدنيا كما حصل يوم بدر (وإما الساعة) أى يوم القيامة وأما قوله - قل من كان في الضلالة - الخ فهى جملة معترضة وقوله (فسيملأون من هو شر مكاناً) منزلاً فهو جواب إذا (وأضعف جنداً) أى فئة وأنصاراً وهو مقابل لقوله - أحسن ندياً - (وزيد الله الذين اهتدوا هدى) إيماناً وإيقاناً على ما عندهم من اليقين وهو عطف لقوله - فليمدد له الرحمن - لأنه بمعنى الخبر (والباقيات الصالحات) الطاعات التى تبقى عائدتها أبد الآباد مثل ﴿ سبحان الله والحمد لله ﴾ ومثل الصلوات (خير عند ربك ثواباً) عاقبة ومرجعاً * روى البخارى ومسلم أن خباب بن الارت قال كنت رجلاً قيناً في الجاهلية أى حداداً وكان لى على العاص بن وائل السهمى دين فأنبته أنقضاء * وفى رواية فعملت للعاص ابن وائل الدى همى سيفاً جثته أنقضاء فقال لا أعطيك حتى تكفر بمحمد فقلت لا أكفر حتى يمتك الله ثم تبعته قال وائى لميت ثم مبعوث قات بلى قال دعنى حتى أموت وأبعث فسأوتى مالا وولداً فأفضيعك فنزلت (أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأتوين مالا وولداً) فرد الله عليه بقوله (أطلع الغيب) أى النظر فى اللوح المحفوظ أو علم الله حتى يعلم أنه فى الآخرة يؤتى مالا وولداً (أم اتخذ عند الرحمن عهداً) مثل أن يقول لإله إلا الله الخ ويعمل عملاً صالحاً (كلاً) لا يكون له ما يقول (سنكتب ما يقول) سنظهر له أننا كتبنا قوله (ونعده له من العذاب مدداً) مدته يمدد زاده (وزنه ما يقول) من المال والولد يموت (وأيأتينا) يوم القيامة (فرداً) لا مال معه ولا ولد (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً) ليعزوا بهم لأنهم شفعاءهم عند الله (كلاً) رددع وانكار لعزهم بها (سيكفرون بعبادتهم) سيجحد الآلهة عبادتهم (ويكونون أى المعبودون (عليهم) على المشركين (ضداً) خصماً والشد للواحد والجمع وهو لاء المعبودون ينكرون عبادتهم ويطلبون عذابهم

حين ينطقهم الله (ألم ترأنا أرسلنا الشياطين على الكافرين) أى سلطانهم عليهم (تؤذهم أژآ) أى تزجهم
 ازعلجا فيفرون من الطاعة الى المصيبة فهى تنهم وتخرصهم (فلا تبجل عليهم) لا تبجل بطلب حقهم (إنما
 نعد لهم عدا) نعد أنفاسهم وأيامهم وجميع أزمانهم . اذكر لهم (يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا) أى ركبانا
 على نوق رحلهم من الذهب ونجائب سروجها يواقيت ان هموا بها سارت وان هموا بها طارت وهذا كلام
 سيدنا على كرم الله وجهه تمثيل لحالم فى عزة وعظمة واكرام (ونسوق الجرمين) الكافرين (الى جهنم
 وردا) أى مشاة عطاشا قد تقطعت أعناقهم من العطش فهم كالسواب التى ترد الماء (لأن يكون الشفاعة)
 أى لا يملك العباد الشفاعة (إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا) بأن نحلى بما يستعد ويستأهل لها فى الدنيا
 بأن يكون هاديا للناس مصلحا لهم ولا جرم ينال الشفاعة فى الآخرة على مقدار هدايته كما تقدم تقريره فى
 سورة البقرة . فالشفاعة هناك للأنبيا والعلماء والشهداء على مقدار أتباعهم . ولا يظلم بك أحدا . (وقالوا
 اتخذ الرحمن ولدا) أى قال اليهود والنصارى وبعض العرب اتخذ الرحمن ولدا واتخذ الولد يقدس فى الربوبية
 بل من اتخذ الولد تكون عنده رقة القلب والجبن والضعف والجهل لأن الولد محبة مبجلة محبة كفى الحديث
 الشريف . ومتى انصف بهذه الصفات لا يكون إلها لنقصه . ومتى انتفت الالهية تنفطر السموات وتنشق
 الأرض وتهتز الجبال ويشير بهذا قوله (لقد جئتم شيا إذا) منكرا (تكاد السموات يتفطرن منه) يتشققن
 مرة بعد أخرى (وتنشق الأرض) أى تخسف بهم (وتخر الجبال هدا) أى تسقط وتنطبق عليهم (أن دعوا
 للرحمن ولدا) أى من أجل . أن دعوا . الخ ثم نزه نفسه فقال (وما يذنب للرحمن أن يتخذ ولدا) وما يليق
 به اتخاذ الولد لأن ذلك شأن المخلوق . وإعلم أن هذا القول فى هذا المقام يناسبه ما ذكر من العذاب لأنه راجع
 لأصل الربوبية وفى ذلك فساد العالم فليسقط عليهم غضبا كما قالوا قولوا لوصح . لأورث خلا فى النظام وزلا
 وعدما بخلاف ما فى سورة النحل كما تقدم إذ قال هناك . ما ترك على ظهرها من دابة . فقد بينا هناك أن
 المقام كان فى الذكورة والانوثة . فأما هنا فالقوم فى وصف الله بالولادة يقطع النظر عن الذكورة والانوثة
 وهذا الوصف فيه خراب العالم وذلك الوصف ضايع لكل حيوان لو أن العالم كان نظامه حسب أهوائهم وكيف
 يتخذ ولدا فذلك لا يليق له (إن كل من فى السموات والأرض إلا آت الرحمن عبدا) أى إلا أنه يوم
 القيامة عبدا ذليلا خاضعا (لقد أحصاهم وعدهم عدا) عد أنفاسهم وآثارهم وأعمالهم (وكلمهم أنه يوم
 القيامة فردا) وحيدا لا شئ معه مما فى الدنيا (لإن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) أى
 محبة فيصحبهم الله ويجعل الناس يحبونهم * روى البخارى ومسلم عن النبي ﷺ أنه قال ﴿ إذا أحب الله
 سبحانه عبدا دعا جبريل عليه السلام أن الله تعالى يحب فلانا فأجبه فيحبه جبريل فينادى جبريل فى أهل
 السماء أن الله يحب فلانا فأجبهوا فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول فى الأرض ﴾ وفى حديث مسلم تسلمته
 فى البغض على هذا الخط ﴿ فيبغض الله انسانا فيبغضه جبريل ثم أهل السماء ثم أهل الأرض ﴾ (فأما يسرناه
 بلسانك) أى سهلنا القرآن بلسانك (لتبشر به المتقين) أى المؤمنين (وتنذر به قوما لدا) أى أعداء أشداء
 الخصومة . ثم ختم السورة بالإنذار بالهلاك لهم قياسا على ما ذكر من هلاك المكذبين من الأمم السابقة فقال
 (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) تخويف للكفرة وتجسير للرسول على إنذارهم (هل تحسن منهم من أحد)
 أى هل نجد من القرون من أحد (أو تسمع لهم ركزا) صوتا خفيا * قال الحسن رضى الله عنه بادوا جميعا
 فلم يبق منهم عين ولا أثر . انتهى التفسير اللفظي

﴿ لطيفة فى قوله تعالى - إنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أژآ - ﴾

اعلم أن هذا القول اذا سمعه من قرؤا بعض العاوم ولكنهم يجهلون بقبتها أسرعوا بالتكذيب بل الكفر
 ولكن ألم يأثم نبا علم الأرواح وقد تجلى فيه هذا المقام كما أوضحناه فى هذا التفسير . ولما كان نقل مثل

هذا القول وأمثاله عن جعبات أوروبا يحدث في قلوب الطبقة الراقية سرورا ويدهشون إذ يرون ما أنكره المتعلمون في الشرق أثبتته الحكماء والعلماء في جميع بلاد الغرب أى العلماء الذين جدوا في علم الأرواح فسترى في هذا الحديث الذى سأقله لك من كتاب الأرواح الذى نقلت عنه في هذا التفسير كثيرا . أقول سترى فيه عجبا عجبا . وترى أن البقوة المحمدية قد ظهر سرها عيانا في أوروبا فقد جاء في هذا الكتاب صفحة ١٢٤ ما بأتى وهماوذا

﴿ الحديث الثالث عشر من كتاب المذهب الروحاني ﴾

اليك أيها الذكي خلاصة تعليم الأرواح في هذا الموضوع نقلا عن كتاب (الوسطاء) للعلم (الآن كردك)

(س) كيف تميز الروح الصالح من الشرير

(ج) من حديثه فإن الأرواح العالوية تحب الخير ولا تأمر إلا به . أما الناقصة فلا تزال الجهل متسلطا

عليها وحديثها يشف عن قصصها في العلم والفضيلة

(س) هل العلم في الروح دليل ارتفاعه

(ج) كلا . قد يمكن مع علمه أن يكون بعد تحت سلطة الرذيلة والأوهام . إن في عالمكم الأرضي من

هم في منتهى الكبرياء والحسد والتعصب فهل يتجردون من هذه النقااص حال مبارحتهم الحياة . كلا .

إن الرذائل على اختلاف أنواعها تحيط بالروح بعد موته ملتصقة به كالمواء وهؤلاء أشد خطرا من الأرواح

الشريرة إذ فهم اجتمع الكبرياء مع النباهة والمكر مع النكاء فيطغون بعلمهم الأنام السذج ويشربونهم

مباديهم السخيفة الكاذبة وهذا ما يعرف قليلا وثبة الروحانية . فعلى الروحانيين الخبيرين أن لا يألوا جهدا

في كشف خداعهم وتمييز الحق من الباطل

(س) عند ماتحضر روحا علويا عرف على الأرض هل يحضر بنفسه أو يرسل من ينوب عنه

(ج) يحضر بنفسه ان أمكن والا فيرسل من ينوب عنه

(س) هل يكون للنائب كفاءة ليست مسد الروح العلوي

(ج) ان الروح عارف بمن يسلم اليه أمر نيابته . ثم اعلم أن الأرواح العالوية كلما ازدادت ارتقاء اضمحت

الى بعضها في وحدة الفكر حتى لا يعود لمسألة الشخصية حين عندهم ولا من يلتفت اليها وهذا ما يجب أن

تسعوا في البلوغ اليه في عالمكم الأرضي ثم هل تظنون أنه ليس من الأرواح العالوية القادرة على تعليمكم إلا

من عرف من منها على الأرض . ما بالكم تعدون دائما أنفسكم مثال الخليفة وأن لاثني في الدنيا خارج عن

عالمكم الخفير . انكم في هذا تشابهون المتوحشين الذين لم يخرجوا قط من جزرهم فظنوا السكونة لا تمتد

خارجا عنها

(س) هذا صحيح ولكن كيف تسمح الأرواح العالوية لبعض الأرواح الكاذبة بأن تتحلل أسماها

لنشر الضلال والفساد

(ج) ليس بآرادة الأرواح العالوية تفعل ذلك وسوف ينوبها العقاب على عملها ثم لو تكونوا أنتم ناصيين

لما وافاكم إلا أرواح صالحة فإذا مكر أحد بكم فلا تلوموا إلا ذواتكم . ان الله يسمح بذلك حتى تتروضا على

الصبر والثبات وتعلموا أن يميزوا الحق من الباطل فان لم تفعلوا ذلك يكون هذا دليلا على نقصكم واحتياجكم

بعد الى أمثولات الخبرة

(س) هل الأرواح التي تنشر الضلال تفعل ذلك دائما عن عمد

(ج) كلا . قد يمكن لبعض الأرواح الصالحة أن تكون بعد جاهلة ناقصة العلم . فهذه تقرّ بهجتها

وتتكلم على مقتضى درجة علمها

(س) هل تستطيع الأرواح الشريرة بواسطة الرسائل الروحانية أن تلقى الشقاق وتزرع الفتن بين الأصحاب
(ج) نعم فلهذا يقتضى التحرز التام من مقالات موبقة كهذه يكون أكثرها إفسكا وخداعا . فأيكم
والانقياد لرسائل كهذه لا يسطرها إلا روح كل كاذب شرير

(س) اذا كان للأرواح الشريرة سهولة كهذه للتدخل فى المخبرات الروحانية فاستطلاع الحقيقة أصبح
من أسعر الامور

(ج) كلا . ليس هذا يسر مادام فيكم قوة الغييز . اذا قرأتم كتابا تستلنون على صفات كائنه ان كان
علما أوجاهلا أدبيا أوجلفا . فعلى هذه الصورة استوضحوا صدق الروح من رسائله

(س) هل تستطيع الأرواح العلوية أن تنهى شريرة عن الخداع
(ج) لا ريب فى ذلك . ومن الوسطاء من تميل اليهم الأرواح العلوية بنوع خاص فتقهم شر الخداع
ولاندع الأرواح السفلية تسطو عليهم
(س) ما الداعى لهذا الاختصاص

(ج) لا يدعى هذا اختصاصا بل عدلا لأن الأرواح العلوية لا تميل إلا الى من ينقاد لتصحها ويبذل
جهده فى اصلاح نفسه وتروية الروح . فوسيط صالح كهذا يكون محبا اليها فتتخذنه تحت كلاتها وتسعفه فى
كل ظرف وحاجة

(س) لم يسمح الله بنفاق الأرواح الشريرة عند اتحاليها أسماء مجبلة
(ج) سؤالكم أشبه بقول من يسأل . لم يسمح الله بأن يكذب الانسان فلا لأرواح كما للبشر الاختيار
المعتوق فى عمل الخير أو الشر ولكن لا يفوت أحدا منهم عدل الله بل كل امرئ يلقى جزاء أعماله
(س) ألا تستطيع الأرواح الماكرة أن تقلد الفكر
(ج) تقلد الفكر كما أن زخارف المسرح تقلد الطبيعة
(س) من الناس من هم قاصرو الفهم تغوهم زخارف الحديث ولا يفقهون قوة المعانى فكيف يتمكن
هؤلاء من الحكم بمقالات الأرواح

(ج) ان كانوا متواضعين يقرؤا بعجزهم ويركنوا الى من هم أوفر ذكاء وفطنة منهم . وان أعمتهم
الكبرياء وطنشوا بأنفسهم أنهم أشد كفاءة مما هم فليتعلموا تبعه كبريائهم
(س) كثير من الوسطاء يميزون الأرواح الصالحة من الشريرة بالتأثير اللطيف أو المزعج الذى يصيبهم
من مخالفتها . فهل هذا صحيح

(ج) ان الوسيط يشعر بتأثيرات الروح المنتجلى له على أية حالة كان فالروح السعيد يكون هادئا رزينا
والتعس يكون مضطربا متقلقا وتأثيرات هذه الحالة تصيب جهاز الوسيط العصي

(س) هل يمكن للانسان أن محضر الأرواح من دون أن يكون وسيطا
(ج) نعم وهذا يدعى الاحضار الفكرى فيه يناجى الروح باطنا محضره ولئن لم يكن هذا وسيطا ماديا
(س) هل يابى الروح دائما دعوة محضره
(ج) هذا منوط بالظروف التى يكون الروح عليها
(س) أية موانع تصد الروح عن تلبية دعوتنا

(ج) أولا ارادته الحرة ثم أحوال أخرى بعد الموت أو الأعمال التى يكون موكلا بها أو أخيرا عدم اذنانه
فى تلبية محضره إذ كان من الأرواح من لا يستطيع مناجاتكم بتاتا وهى التى فى عوالم أقل من عالمكم الأرضى
لأن الروح لا يستطيع أن يخبر سكان عالم مالم يكن درجة تقدمه موازيا للعالم المدعو اليه والا فيكون غريبا

عن أفكاره ومبادئه وإن كان هو روحا متقدما أرسل الى العالم السفلي تكفيرا عن ذنوبه أولرسالة يقدم بها فلايجز حينئذ عن الحضور لمناجاتكم ان أذن له في ذلك

(س) لماذا ينكر عليه أحيانا الأذن

(ج) قصاصا له أولن يحضره

(س) كيف يمكن للأرواح المتشعبة في الفلا والعوالم القاصية أن تسمع صراخ مستدعيا وتأتي دعوته

(ج) شرح ذلك عسر طالما أنكم تعهلون كيفية تجاذب الأفكار بين الأرواح ولكن أقول ان الروح المحضرة على أي بعد كان تصبى صدمة الفكر كحركة كبر بانية تجتذب انتباهه الى نقطة مصدرها بنوع أنه يسمع الفكر على نوع القول كما تسمعون الصوت على وجه الأرض

(س) هل السيل العام يحمل الفكر كما أن الهواء ينقل الصوت

(ج) نعم إنما الفرق أن الصوت لا يسمع إلا بدائرة محدودة في حين أن الفكر ينتقل الى بعد غير محدود

(س) أبلي الروح الدعوة باختياره أم قسرا عنه

(ج) له الحرية المطلقة في تلبية الدعوة أو إياها إلا أن الروح العاوي يستطيع في بعض الظروف أن يجبر روحا سفليا على الحضور ان كان حضوره مفيدا

(س) هل من ضرر في احضار الأرواح السفلية وهل يخشى على الوسيط شرها

(ج) لا تجسر الأرواح الشريرة على إلحاق الأذى بمن يكون تحت حاية عاوية لا بل تهاب الوسيط الفاضل لما له عليها من السلطة الأدبية إنما خير للوسيط أن يتجنب استحضارها في العزلة

(س) ما هي أخص الشروط لاحتضار الأرواح الصالحة

(ج) التهيؤ واختلاء الباطن وصفاء النية والصلاة الحارة

(س) هل اجتماع الأشخاص في وحدة الفكر والنية يزيد الاحتضار قوة

(ج) نعم ولا شيء يضرب بالاستحضار مثل تباین الأفكار وتضاد النوايا

(س) هل تحسن إقامة الجلسات الروحية في أيام وساعات معينة

(ج) نعم لأن للأرواح أشغالا لا تمكنها من الحضور اليكم متى وكيفما شئتم

(س) هل للأيقونات والطلاسم تأثير في جذب الأرواح أو طردها

(ج) ألا تعلمون أن المادّة لا تأثر لها على الروح وأن الطلاسم لا وجود لقوة بها إلا في تخيلة الأنام السذج

(س) أنسب الأرواح بالاستحضار أم لا

(ج) هذا منوط بطباعها وبدواعي استحضارها فان كانت الغاية جيدة والحضور من أحبائها تتقاطر بهم بسرور ولا آت الحضور أو يحضر كرها عنها وتدل أجوبتها على كدرها وغیظها

(س) هل يمكن استحضار أرواح جهة معا

(ج) نعم بشرط أن يكون لديكم جملة وسطاء والا فروح واحد يجيب عن الجميع على يد الوسيط الحاضر

(س) هل يستطيع الروح أن يحضر عدة مجالس يستدعى إليها في آن واحد

(ج) نعم بشرط أن يكون روحا عاليا

(س) كيف يتم ذلك . هل يتجزأ الروح

(ج) ان الشمس واحدة وتبرع بهذا أما كن عديدة مما . فكما تعالى الروح وتنفق ازدادت أشعة فكره قوة وامتدادا . أما الروح السفلى فلا يستطيع لتغلب المادّة عليه أن يحضر إلا مكانا واحدا ولا أن يكتب إلا وسيطا واحدا

- (س) هل يمكن استحضار الأرواح النقية أى التى بلغت الغاية القصوى
(ج) قد يمكن ذلك وهذا نادر جداً فإن أرواحا كهذه لا تنبجى إلا قلوباً نقية مخلصة لا تشوبها الكبرياء
وحب الذات
- (س) ما مقدار الزمن الذى يكفى لاستحضار الروح بعد موته
(ج) قد يمكن استحضاره حتى وقت الموت ولكن أجوبته تكون ناقصة لاسيلاء الاضطراب بعد عليه
(س) هل استحضار الروح المتجسد ممتنع على الإطلاق
(ج) كلا . فقد يمكن استحضاره بشرط أن حاله الجسدي يسمح له بذلك . وكلما كان العالم أرقى قات
المادة من الجسد وازداد الروح سهولة فى مزايته
(س) هل يمكن استحضار روح الحى
(ج) نعم بشرط أن يكون ناعماً أو تكون روحه وقد نثذ منطقة قليلا من قيود جسدها ومربطة به برابط
سيال به يميز الوسيط الناظر روح الحى من روح الميت
- (س) هل روح الحى المستحضر وقت الرقاد يحجب سائله بسهولة كروح الميت
(ج) كلا . لأن المادة القيد بها تفعل دائماً فيه وتعيق حركته
(س) هل يتذكر الانسان عند البقطة استحضاره وقت الرقاد
(ج) كلا فإن حالته أشبه بالنائم المغناطيسى الذى ينسى عند البقطة كل ما قاله وعمله وقت التنويم
(س) هل يمكن تغيير أفكار الحى عند البقطة باستحضار روحه واقناعه عند الرقاد
(ج) قلما يصح ذلك لأن الانسان ينسى وقت البقطة التأثيرات الأدبية التى أصابت روحه والمقاصد
الصالحة التى اتخذها وقت الرقاد
- (س) هل لروح الحى حزية فى قول وإخفاء ما يشاء
(ج) لا ريب فى ذلك . لا بل يكون أشد تحفظاً منه وقت البقطة وإذا ألحوا عليه فى السؤال ينصرف
(س) ألا يمكن لروح آخر أن يضطر روح الحى الى الحضور والتكلم بما لا يريد
(ج) ليس من سلطة بين الأرواح أحياء كانوا أم أمواتاً إلا السلطة الأدبية فمن له سلطة كهذه فليس
ينبغى أن يستخدمها فى سبيل أغراض ساقطة تنزه عنها
- (س) هل يمكن استحضار روح الجنين وهو بعد فى أحشاء أمه
(ج) كلا لأنه يكون وقتئذ فى حالة اضطراب تام
(س) هل يتأذى ضرر من استحضار روح الحى
(ج) لا يغلو ذلك من بعض الضرر خصوصاً إذا كان الحى مريضاً فإن احضاره يزيد فى أوجاعه . وعليه
لا ينبغى احضار روح الولد الصغير ولا الشيخ الضعيف ولا الانسان العليل فإن الاستحضار مضر بهم
(س) ان كان استحضار روح الحى لا يغلو من بعض الضرر فمن أين نفهم أن الروح التى نطلبه مبتا
ونستحضره لا يكون قد صار بعد الموت فى حال حياة يضره فيها الاستحضار
(ج) ان روحاً كهذا لا يلبى الاستحضار فلها قل لك ان لا يستحضر الوسيط روحاً مالم يسأل قبلاً
الروح مرشده أكان استحضاره ممكناً أم لا
- (س) أليس محتملاً فى الوساطة الخفية أو الاسيلائية أن تكون المقالات صادرة من روح الوسيط ذاته
(ج) قد يمكن لروح الوسيط ان كانت منطقة بعض الانطلاق أن تستخدم كالروح الأجنبي جسدها ذاته
للكتابه وليس هذا ليجب طالعاً الروح الحى يستطيع رغماً من تجسده أن يستخدم جسده وسيطاً للكتابة أو للتكلم

(س) ألا ثبت مبدأ كهذا رأى القائلين بأن المقالات الروحانية انها من شخصية الوسيط التي لم تقبها وليس للأرواح دخل فيها
(ج) قد يصح هذا الرأي في بعض الظروف ولكنه لا يشمل المقالات الروحانية كلها . اذا كان في استطاعة الوسيط أن يستخدم جسده للكتابة أو التكلم لا يدل هذا على امتناع استخدام الروح الأجنبي له في سبيل ذلك

(س) فمن أين نعلم أكان المتكلم أو الكاتب روح الوسيط أم روحاً آخر أجنبياً
(ج) تستطيعون تمييز ذلك من طوى المقالة وطبعة الحديث وظروف أخرى لا تخفى على الناقد البصير فان من الأجوبة ما يتعدّ اعزاًؤها الى روح الوسيط فعلى التحير أن يتبصر ويدرس ولما أتمت هذا المقال من كتاب « المذهب الروحاني » قلت ياشير مجد اعلم أن في هذا الحديث من المعاني الهيئية الدينية ما فيه عبرة لمن اعتبر وذكرى لمن اذكر . ألم تر الى قول الروح « إن الرذائل على اختلاف أنواعها تحيط بالروح بعد موته فتلتصق به » ثم قالت « هؤلاء العلماء الفاسقون أشدّ خطراً من الأرواح الشريرة لأن الكبرياء والنباهة اجتمعت فيهم » أما احاطة الأخلاق بالأرواح أو التصاقها بها فقد تقدّم الكلام عليها . وأما اجتماع الكبرياء مع النباهة في العلماء الفسقة وانهم شرّ من الأرواح الشريرة فذلك ورد في قوله تعالى - واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين * ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الأرض واتبع هواه فنتله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث - . ذلك أن علماً من بني اسرائيل كان محاب الدعوة يسمى (بلعام بن باعوراه) تقدّم اليه قومه واستعانوا بزوجته الجليّة وأهدوا لها حلياً ومالا وسألوه أن يدعوا الله على سيدنا موسى فاندلع لسانه وانقلب الدعاء على قومه وطرد من رحمة الله فأخذ يحتال بحيل دنيوية ويوقع الثقات في جيش النبي موسى صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم

فلماذا قال تعالى واتل بالمجد على قومك نبأ هذا الرجل الذي آتيناه آياتنا الخ ثم قال فاقصص القصص بالمجد على قومك لعلمهم فينكرون فيها صار اليه ذلك الرجل الذي أضله الله على علم . وقومك ضلوا بعد إذ أرسلتك اليهم . فكذلك ههنا في عالم الأرواح يكون العالم منها داعياً لسبيله مضل لمن أطاعه موسوساً بما عنده من العلم فصار من الشياطين بما أوتي من العلم الذي صرفه في سبيل الشرّ ولذلك قال الله تعالى - أفأرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون - وفي مقال العلماء

وعالم بعلمه لئلا يعملوا * معذب من قبل عباد الوثن

أما قول الروح « ثم هل تظنون أنه ليس من الأرواح العالوية القادرة على تعليمكم إلا من عرفتم منها على الأرض الخ » فهذا هو المنطبق تمام الانطباق على ديننا القويم فان كل ما ورد في القرآن من الملائكة والشياطين يشير الى عالم ليس في الأرض فان جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل والروح الأمين وروح القدس والملائكة الكروبيين وملك اليمين وملك الشمال والكرام السكائين وأمثالها مما جاءت به السنة ونطق به القرآن لم يقل أحد انهم كانوا أرواحاً أرضية بل قالوا انهم خالق من خالق الله تعالى خلقهم بلا أجسام . فهكذا يقول الروح هنا « انكم اذا لم تؤمنوا بعوالم روحية غير الأرواح التي خرجت من الأرض فأنتم كالموتوحشين الذين لم يخرجوا قط من جزمهم فظنوا المسكونة لا تمتد خارجاً عنها » قال تعالى - وما يعلم جنود ربك إلا هو وماهى إلا ذكرى للبشر - وقال تعالى - وما أوتيتهم من العلم إلا قليلاً -

وأما قول الروح إن الأرواح السفلية تكذب وتغش وتنشر الضلال وتستعاقب على ذلك جزاء كذبها على

الأرواح العالية ونكسها بلسانها وقد جعلها الله محنة لكم لتبينوا الخبيث من الطيب . فهذا القول جميل
وبديع مصداق لقوله تعالى - لتباين في أموالكم وأنتسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم
ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور - وقوله تعالى - ونبأكم بالشر
والخير فنته والينا ترجعون - وقال تعالى - تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير * الذي خلق
الموت والحياة ليلاكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور -

قد تبين لي بالاختيار أن الحياة على هذه الأرض وغيرها هي إلا فتنه ونظر واختبار وكأنها مسألة حسابية
وعالم رياضية . نعيش ونظرفي العالم ونعاشر الناس ونرى أي الأمور أليق مثلا للمال والصحة والعلم والحكم
بين الناس . فكل من جعل المال لذاته وشهوته يحمده الناس فضله وذم الله سعيه . ومن حرم نفسه وقتر
عليها ثم تجاوز عن ماله وفرقه على الناس لاهم العلماء وذمته الفضلاء إذا أصبح فقيرا معدما يسأل الناس فعليه
أن ينظر بعقله فيما يجب له للناس . وهكذا أمر الصحة والعلم والعقل وسائر المواهب إن عطاها عاقبه الله
وغضب عليه الناس . وإن أسرف حتى أضرت بها كان كذلك . وإن حفظها ونفع بها الناس كان مشكورا
من الله والناس . وهكذا ما يبتي به الإنسان من البلاء وما يصاب به من المحن والازايا وما يحيط به من الأهوال
ونوائب الخدثان فحكمها حكم ما ذكر من النعم فإن عرف ما يرد به وعقل نتائج تلك المصائب ازداد بصيرة
وعلمًا والا كان جهولا . ألا وإن المصائب لأهل الأرض تبصرة وذكرى بل كل ما احتجنا اليه وكفنا أعمالا
فانه لا محالة مرق لعقولنا . ألا ترى إلى الصنائع وبناء السفن وتربية الرجال المربين على الحرب والضررب
ثم هم يرمون جميعا في البحر أيام الحروب . وترى مثلا قدماء المصريين قد أفرغوا وطاهم ونثروا آخر سهم
من كنائهم فبنوا مصانع ظاهرة وهكذا سائر الناس جثوا في التزويج والتزين والبناء منها ماقتما عما يصنع
ويرى في البحر فيغرق . ومنها ما يدفن تحت الأرض ولا بد لهذا كله من مقصد ونتيجة . وما النتيجة
والفائدة لإرتقاء عزائم هذا النوع الانساني ورفقه وإكمال القوى والعزائم والبصائر لتلك الأنفس الراجعة لترجع
إلى العالم الذي ترسل اليه قوية ذات بصيرة . وقس على ذلك سائر مصائبها ونوائبها فانها جاءت تبصرة وذكرى
حتى تقوى قلوبها وتشتد عزائمها وترداد تجاربها . انتهى

﴿ جوهره في قوله تعالى - فاختلف الأحزاب بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم - ﴾

(قد أشرت لطول الكلام عليها)

اعلم أن مسألة الأحزاب النصارى ومسألة التثليث وما أشبه ذلك قد تقدمت بإيضاح في كل مقام بحسبه في
سورة (البقرة) عند قوله تعالى - فلا تجعلوا لله أندادا - وفي سورة (آل عمران) في أولها وفي سورة
(النساء) في أولها وفي سورة (المائدة) في آخرها أيضا وفي سورة (التوبة) عند قوله تعالى - اتخذوا
أحبارهم وهرابهم - الخ وفي هذه السورة . فلذا قرأت ذلك كله وجدته محيط بالموضوع ولكن لا بد لنا هنا
من ذكر نبذة صالحة ربما تقدم بعضها مفردا فنفقول

جاء في كتاب ﴿ المذهب الروحاني ﴾ أن المستشرقين كشفوا قسما كبيرا من تاريخ مصر القديمة بواسطة
الرسم (الهيوغليفيه) المنقوشة على الأحجار وأوراق البردي التي وجدت في داخل اللحد واطلعوا على التعليم
الذي فيه أن هناك ﴿ ثلاثة ﴾ وهم (أموت) أي الأب و (كوتس) أي الابن أو الكلمة ثم (موت) أي
الأم . قال وذلك رمز إلى الروح والقوة والمادة . وهذا التثليث منقول عن أهل الهند أي البراهمة وكانوا
يتناولون المادة بهيئة شيخ هرم والقوة أو الحياة بشاب ماسك صليباً والروح بهيئة (عنخ) أي صقر . ثم قال ومن
ذا بعد هذا يقول إن اخواننا النصارى لم يأخذوا ثلوثهم بصورة ثلوثهم عن الأقدمين . ثم أنى أحبك هنا
على ما تقدم في سورة (إبراهيم) تحت عنوان ﴿ جوهره في آديان القدماء ﴾ وعنوان ﴿ التثنية الثالث . كيف

يدخل الضلال على أرباب الديانات ﴿ فلانبعده هنا فانك تجد تثلثا جعرا وتوحيدا سرا وإيضاحا تاما لذلك وذلك عند المصريين وأمم الهند القدماء . فلتوضح في هذا المقام شرح اختلاف الأحزاب من بينهم لقد كانت كنائس النصارى في القرن الرابع مقسمة الى ﴿ حزبين ﴾ أحدهما ﴿ يقول المسيح إله والآخر ينكر ذلك وفي سنة ٣١٢ م قال (أريوس) ان للأب ولابن جوهرين متميزين والثاني خليفة الأول ومعنى هذا أنه ليس بالله . ويقول علماء عصره انه أى (أريوس) ذو علم واسع وفضيلة وكإل خلق وفصاحة جذابة فاتبعه كثير من علماء النصارى . هنالك انتقدت نار الحقد في قلب اسكندر أسقف الاسكندرية بجمع حوله بعض العلماء وألف منهم مجمعا كفروا فيه (أريوس) بسبب تعاليمه فقام عالم اسمه (أوسابيوس) أسقف (نيقوميديا) وألف مجمعا انتصر فيه الى (أريوس) وكفروا غيره . هنالك انصرم حبل الامن واختل نظام الأمانة وأصبحت في قلق واضطراب شديد وذلك على مسألة ليست من دينهم وانما هي مقتبسة من المصريين ومن الهنود فلم يسع الملك قسطنطين إلا أن يكتب الى اسكندر وإلى (أريوس) بما يأتي ﴿ انما نتصاضمون في أمور لا ندركونها ولا يمكن أن ندركوها ونجعلون الحرب بين الاخوة اكلمات ملغاة لاجعل لها فان كنتم لاتتفق آراؤكم في المسألة الباطلة الجنوبية السببية للخصام ينسكس فعل الأقل احفظوا هذه الامور الضئيلة لكم ولا تفتلقوا بها الشعب ﴾ وأرساها لها على يد (أوزيوس) وهو أسقف وقد أضاف ما يأتي ﴿ ما كادت النصارية تمتع بالسلام حتى أخذتم تغلقونها بنزاع دائم . ليس منكم من يستطيع أن يتحقق أن كان المسيح مخلوقا أم مولودا . فان كان هذه المسألة أهمية ما أغفل المسيح التكلم عنها ﴾ انتهى فلم يقد ذلك كله وبقى القوم في صراعهم وجدالهم . واتهم قوم الملك بأنه ينصر الاريسيين فأمر الملك بجمع فيه أساقفة العالم وذلك في (نيقية) سنة ٣٢٥ م وقال الأسقف (ساينوس) الذي كتب أعمال المجمع النيقاوى ﴿ إن أكثر آباء هذا المجمع كانوا على غاية من السذاجة والخشونة والجهل ﴾

وقال المؤرخان (سقراط) و (موزومينوس) ﴿ إن كثيرا من الآباء تناسوا غاية انتدابهم للمجمع وأخذوا يتشاجرون ويتشاجمون ل مسائل شخصية بحدثة ووقاحة وكل يذكر للآل مساوي أخيه فقال (الاريسيون) ان يسوع أبلغ من العدم ومضى له زمان لم يوجد فيه والآخرين يقولون كلا انه هو الابن الوحيد في طبيعته وهو عقل الأب وقدرته وحكمته ورضاء مجده ﴾ فسلم الاريسيون بهذا التحديد فلما سمعوا ذلك قالوا للأريسيين (إنه مساو للأب) بالجوهري فلم يرضوا به فتفاهم (قسطنطين) ولكن بعد ذلك بقليل عاد (أريوس) وأساقفته من اللزني ودخلوا الاسكندرية فحينئذ انتصر الفريق المنكر لمساواة المسيح لأبيه بل تعدى الأمر هؤلاء الى الذين يقولون بالوهية المسيح ومساواته للأب في المجمع النيقاوى والذين وافقوا في ألوهية المسيح في المجمع النيقاوى كهارجسوا ونادوا ببطلان المساواة في الجوهر فأقام لهم قسطنطين مجمعا في (انطاكي) وهذا المجمع نصر مذهب (أريوس) وأبطل رأى خصومه الذين يسمون ﴿ مستقيمي الرأي . أرتودكس ﴾ . فهو لاء الأورثودكس لعنوا المجمع الانطاكي كما لعن الاريسيون المجمع النيقاوى واشتعلت نار العداوات والبغضاء بين الفريقين ومات (أريوس) فجأة ففرح الأرتودكس زعمهم أن ذلك بسبب دعاء (مكاريس) وهو منهم ثم توفي قسطنطين سنة ٣٣٧ م بعد أن قسم الملك بين بنيه وكان (مارتانيوس) عدو الأريسيين المؤمنين بالوهية المسيح مقبها في المنى فطلب من للمكيين (قسطنس) و (قسطنط) أن يؤلفا مجمعا اترييحيك بين المجمعين النيقاوى والانطاكي فالأساقفة الشرقيون حذفوا لفظ (مساو الجوهري) والغربيون أثبتوا قانون المجمع النيقاوى وحرمو الأريسيين . ولما لم يتم شيء رأى البابا (ليباريوس) باذن الملك أن يجمع مجمعا رابعا في مدينة (ميلان) فأظهر العناد الأساقفة الغربيون ومن جلستهم البابا فتفاهم الملك ثم عقد مجمع خامس وحصل جدال حاد

أربعة أشهر فأمر الملك (قسطنس) العسكر أن لا يدعوا أسقفا يبارح المدينة حتى يعلن إلقاء السراوة بالجوهر
 هناك صارت النصرانية كلها على مذهب (أريوس) طوعا أو كرها على مذهب الأرثوذكس
 ولما مات هذا الملك نشطت الوهية المسيح ثانياً ومساواته لله بالجوهر فأمر الملك (تيودوسيوس) حسمها
 للنزاع أن ينعم النصراني عموماً بمذهب البابا (داماسيوس) وهو يقول بالوهية المسيح لأنه يريد محاربة البرابرة
 ومقتضى هذا حرمان الأرثوذكسين ولكن لكثرتهم تركهم أحراراً في مناصبهم فاحتال القديس (امفيلاوك)
 إذ دخل يوماً على الملك وعنده على العهد (أركاديوس) ابن (تيودوسيوس) الملك فلم يؤدِّ واجب الاحترام لولي
 العهد كالمالك فنبهه لذلك فإلطفه ولكن لم يحترمه كالمالك وقال للملك كفى هذه الملاطفة وأما الاحترام الكلي فهو
 للملك فغضب عليه وطرده فقال وهو منطلق ﴿مولاي أنت لا تطيق إهانة لاحتة بابنك وتغضب على من لا يؤذى
 له الاحترام فكيف لا يمتعت إله السموات والأرض من يكذب على ابنه الوحيد ولا يؤذيه السجود ذاته الواجب
 العزة الإلهية﴾ فاحتفظ الملك وشدت شمل (الأرثوذكسين) ونزع الحقوق المدنية من كل من لم يسلم بالقانون
 النيقاوى . فهذه حيلة (امفيلاوك) أثبتت ما عجزت عنه تلك المجمع فيفضله تأسست عقيدة الوهية المسيح
 وأيدتها السلطات كرهاً

هذه هي عقيدة التثليث عند النصراني التي أخذوها عن قدماء المصريين وعن الهنود . فتثليث الهنود
 (براهما . وفيشنو . وسيفا) وتثليث الفرس (ارمزد . واهرميان . وميطرا) وتثليث المصريين (ازريس
 وإيزيس . وهوروس) ومثل هؤلاء الكلدانيون والصينيون والفيثاغوريون . فهؤلاء كلهم عندهم تثليث
 ولكن تثليثهم يرى لغرض علمي . أما تثليث النصراني فهو تقليد أعشى بلا علم ولا هدى ولا كتاب منير
 يقول النصراني ان الابن موجود من الأب والروح القدس منبثق من كليهما والأب عندهم بصورة شيخ
 هرم حاف لفته الشب عابس الوجه غصوب والابن كشاب وديع يقدم نفسه ضحية لأبيه والروح القدس حامة
 بيضاء مستقرة على كل منهما والزوم الأرثوذكس يخالفون في قضية الانبثاق ويقولون لابد من التسليم الجامع
 فهو ابن لكنه غير منبثق بل هو كالأب تماماً . فهنا عزلوا العقل . وقد يشبهون الثالوث بالشمس ونورها
 وحاراتها . ومن العجب أن النار والحرارة طبعهما غير طبع الشمس . ويشبهونه أيضاً بالثلاث وأضلاع مع
 ان الأضلاع كل منها مستقل بنفسه . وقد يقولون هذه كالنفس البشرية وقوة فكرها وقوة حبها فالنفس تلد
 الفكر وتجه . هكذا يلد الأب الابن ويجه فالنفس صورة الأب والفكر صورة الابن والحب للتبادل بينهما
 صورة روح القدس وينقص هذا أن الحب أول الفكر ليس اقنوماً متغيراً في النفس بل يقال النفس وقواها
 متعددة وهي كثيرة (فكروحب وخيال وتصوّر وإرادة وإحساس) أي أوصاف كثيرة . هذا كله من كتاب
 ﴿المذهب الروحاني﴾ الذي ختم المقام بقوله ﴿لا جرم انه لو تصوّر المسيحي قليلاً بخلاف الغرض في سر التثليث
 لنجبل من تسليمه بضلال مبين كهذا﴾

﴿كيف ضل هذا الانسان وغوى وهل للتثليث أصل﴾

هل لك أيها الذكي أن تفق على سر التثليث الآن ثلاثاً تخرج من هذا المقام بلا علم . فهل كان هذا
 الانسان كله غيباً جاهلاً وهل كانت هذه الأم التي قامت بالعلم والحكمة أغيباً . اللهم لا ثم لا . ان الله
 هو الذي خلقهم وأن الله هو الذي علم الطيور والأنعام والحشرات . فهل يفعل هذا كله ثم يحكم على الانسان
 وحده بالضلال التام . فلنقل أن الحقائق حاصلة عند كل أمة غاية الأمور انها تخلق بأوهام كإن الأغنية التي يأكلها
 الحيوان مشوبة بأشياء غير مغذية فليس كل الحشيش غذاء . فليس الحشيش والكلأ بينهما من المادة الغذائية
 مافي الفول والقمح . كلا . فكما اختلطت مواد الأغذية اختلطت أوهام الحقائق لأن ذلك طبيعة أرضنا .
 أصل هذه المسألة أن الأمم القديمة نظروا في هذا الوجود كله نظرة فقالوا هناك كائن أسمي يدير هذا العالم فهو

كأرواحنا وهذا المدير الأسمى هو الذى اتصف بالقدرة والعلم يتفق ما هو أقرب اليه وهى القوة التى تسمى بلسان الشرع ملائكة فالقوة فى الإنسان تشمل الحس والحركة . هكذا القوة فى العالم هي العقول والنفوس وبهما يكون نظام هذا العالم وتديره بإحكام ولما وجدت هذه القوة بقسميها القوة العاقلة والقوة العاملة نتج منها أمرئثال وهى المادة . فهنا إله وقوة ومادة . وههنا يصح الخلق . فجميع الخلق لا تتم إلا باله وقوة ومادة والقوة المدبرة لهذا العالم قوة إله والعالم حاصل منه تعالى

فانظر فى مثال المصريين . جعل الأب صقرا وهو (عنخ) ولاجرم أن الروح كالطائر فهى حرة وجعل الابن شابا قويا . ولاجرم أن حركة هذا العالم لا تكون إلا بقوة وجعل المادة شيئا هربا وهذا حق . ولاجرم أن الإنسان أيضا من روح وجسم مادى وقوة فى الجسم فتارة يقول هذا إنسان أى لهذه الثلاثة وتارة تنظر للحقيقة فنقول الإنسان هو الروح والبقية تبعها . فالألم السابقة جميعا يقولون بانثاق الثانى من الأول وانبثاق الثالث منهما . إذن الاله الأول لاغير وكون كل من الثلاثة إلهيا هذا أمر مجازى جرى على ألسنتهم باعتبار أن الخلق لا يتم فى هذا العالم المحسوس إلا باجتماع الثلاثة التى ترجع لواحد فى الحقيقة

هذا هو كلام هذه الأمم كلها . ولقد رأيت فى الفتوحات المسكية لابن عربى فى مواضع كثيرة ما يفيد أن الاله له (الطلاقان) اطلاق يشمل ما هو أعم واطلاق للواحد الأحد . فهذا مجمل كلامه . ولله رجه الله أراد أن الاطلاق العام اطلاق الأمم القديمة وبهذا اتضح المقام . فهذا التثليث هو المراد عند تلك الأمم فهو تثليث يراد به معرفة أصل العالم وأصل الخلق مع الاقرار لله بالوحدانية ولكن الأمم غيروا وتقلوه من المعنى الفلسفى الى ما يعرفه العامة فيعبدون (بودا) و (عيسى) وأمثالها فأين الترياء وأين الثرى

فانظر لمسألة علمية اعترافها بالتبديل والتغير وانتقلت من الفلسفة الى آراء العامة الذين لا يعرفون إلا من يعظمون من الناس جاء الاسلام وقضى على هذه العقيدة ونظر الى نفس موجد الخلق فأزال هذه الخرافات ثم إن القوة المذكورة فى اصطلاح علماء زماننا تسمى الأثير فالأثير عالم لا يعرفه إلا بآثاره أو يقال هى قائمة بالأثير . فترى الأثير فيه النور والكهرباء والحرارة والمغناطيس والمادة . كل هذه متبعها عالم الأثير والمادة ما هى إلا حركات فى الأثير ظهرت طواسنا بهيئة خاصة فسميها مادة . وقد قال علماء الفلسفة القديمة قولاً يشبه هذا فقالوا ان وجودها ضعيف أى دليله ضعيف . انتهى تحقيق المقام ليله الثلاثاء الثالث من شهر يوليو سنة ١٩٢٨ م وبه تم تفسير سورة مريم

﴿ سورة طه مكية وهى مائة وأربع وثلاثون آية ﴾

وسأتى في الفصل الثالث من المقصد الثانى مناسبتها لما قبلها من السور وهى ﴿ ثلاثة مقاصد ﴾
 ﴿ المقصد الأول والثانى ﴾ في مقدمة السورة وقصة موسى عليه السلام الى قوله تعالى - إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ
 الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا

﴿ المقصد الثالث ﴾ من قوله - كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق - الى آخر السورة . وفيه
 الحض على الدين الاسلامى وذكر خراب العالم وغير ذلك

﴿ المقصد الأول ﴾ من أول السورة الى قوله - الله لا اله الا هو له الأسماء الحسنى -

﴿ المقصد الثانى ﴾ من قوله تعالى - وهل أتاك حديث موسى - وهو فصول ﴿ الفصل الاول ﴾ في كلام
 الله لموسى لما رأى النار وما تبع ذلك من ظهور المعجزات الى قوله تعالى - اذهب الى فرعون إنه طغى -

﴿ الفصل الثانى ﴾ في تعداد الله نعمه على موسى عليه السلام وفيه ملخص ما كان من تاريخه قبل ذلك
 وأمره هو وهرون أن يدعوا فرعون الى قوله - والسلام على من اتبع الهدى - ﴿ الفصل الثالث ﴾ في دعوة
 فرعون الى قوله - وذلك جزاء من نكز - وفي هذا الفصل محاوره موسى لفرعون بالقول أؤلأثم العمل ثانيا
 باحضار السحرة له وسحرهم كما سيأتى ﴿ الفصل الرابع ﴾ في ارتحال بنى اسرائيل من مصر وغرق فرعون
 واضلال السامرى لقوم موسى بالجهل بالهيب الى آخر هذا القسم

(الْمَقْصِدُ الْأَوَّلُ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طه * مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى * إِلَّا تَذَكُّرَةً لِّمَن يَخْشَى * تَنزِيلًا مِّنْ خَلْقِ
 الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ الْمَلَى * الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أُمْتَوَى * لَهُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ
 وَمَا يَنظُرُهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى * وَإِنْ تَجَهَّزْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا
 هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى *

﴿ التفسير اللفظى ﴾

روى عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال أعطيت السورة التى فيها البقرة من الذكر الأول وأعطيت
 طه والطواسين من ألواح موسى وأعطيت فواتح القرآن وخواتيم سورة البقرة من تحت العرش وأعطيت
 الفصل نافله ومعنى النافله الزيادة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(طه) تقدم الكلام على هذه الحروف فى سورة ﴿ آل عمران ﴾ مطولا جامعا للجانب وأسرار من العلوم
 * ويقال ان - طه - معناه يا انسان بلغه عنك وهى قبيلة من قبائل العرب * يقال ان النبى ﷺ لما نزل
 عليه الوحي بكه كان يجتهد فى العبادة ويتهجد طول الليل فانزل الله هذه الآية ليخفف عن نفسه فقال
 (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) بتأسفك على عدم إيمان قريش وكثرة اجتهدك فى قيام الليل . كلا . فلم
 نزله لذلك بل قم ونم وصم وأفطر وليس عليك هداهم وإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب . فلماذا هذا

التأسف والشقاء بمعنى التوب * وفي المثل العربي ﴿أشقى من راقص المهر﴾ ويقال ﴿سيد القوم أشقاهم﴾ أى أتعيبهم وأضيقهم ثم قال (إلا تذكرة لمن يحشى) أى اسكن أنزلناه عظة لمن في قلبه رقة فينفضه الانذار . نزل (تزيلا عن خلق الأرض والسموات العللى) جمع عليا تأنيث الأعللى (الرجوت على العرش استوى) تقدم الكلام على العرش فى سورة يونس وفى سورة هود مفصلا فإن الله يدبر الأمر فى السموات والأرض وهذا التدبير مبنى على الحقائق الثابتة التى لا مناص منها لحفظ هذا الوجود (له مافى السموات ومافى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى) أى الطبقة الترابية وهذا دال على عظيم قدرته . ثم أتبعه باطلة العلم الذى لا تنفصل الإرادة عنه والازدادة تتبعها القدرة المذكورة فيما تقدم فقال (وان تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى) أى وان تجهر بدعاء الله وذكره فاعلم انه غنى عن جهره لأنه يعلم ما تسره فى نفسك وأخفى منه وهو ما تسره فيها . ان الدعاء والذكر باللسان إنما شرعناهما ليصور الداعى والذاكر المعنى فى نفسه لا لسمعنا صوته ولا لفضل للنطق أو الجهر به إلا لمنع الشواغل الشاغلة لسمك فى دعائك عن حضور المعانى فى عقولكم - فأسرروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم به - المعانى ذات - أى صاحبة - الصدور - (الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى) الحسنى تأنيث الأحسن * حسنت أسماء الله لدلائلها على معان هى أشرف المعانى وأفضلها . انتهى التفسير اللفظي لمقدمة السورة أو أسرارها وأصلها وهو القسم الأول من الأقسام الثلاثة فيها انظر إليها الذكر فى هذا القول وتأمل وتجب فى الترتيب الجليل البديع

(١) ابتداء الله السورة بحروف من الحروف التى تذكر فى أول السور وعددها (١٤) من ثمانية وعشرين حرفا . ولقد أنبأ لك فى سورة (آل عمران) أن هذه الحروف من أسرار القرآن العجيبة وبدائع الغريبة وأن عدد (٢٨) المقسم الى قسمين هو عدد منازل القمر وفقرات الظهور للإنسان وبعض الحيوان ومفاصل الكففين الى غير ذلك . وهل أخبرك الآن بما جاء فى الاخبار الواردة من جمعية الأمم وان هناك اقترحا يقضى أن يجعل للشهور ١٣ بعد ١٢ لاجل صحة الحساب ومصلحة الحساب . فأطلب المهندس المتفرع لذلك أن صحة الحساب أن يجعل كل شهر ٢٨ يوما . لماذا . ليسهل الأمر على الناس فيكون أول الشهر يوم السبت وينتهى بالجمعة وبتكرار ذلك ٤ مرات تصير ٢٨ وهذه صورته

سبت	أحد	اثنين	ثلاثاء	اربعاء	خميس	جمعة
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧
٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤
١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١
٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨

ويكون هذا الجدول ثابتا كل شهر الى الأبد لا تتغير أيامه ولا أعداده . فأوله سبت وآخره جمعة لا تتغير الى الأبد . وبضربنا ١٣ فى ٢٨ يكون العدد ٣٦٤ وذلك بنقص يوما عن السنة فيجعل فى كل سنة يوم واحد لا يسمى باسم من هذه الأسماء المعروفة . وفى رأس كل أربع سنين يترك يوم آخر لأجل السنة الكبيسة لأن السنة (٣٦٥) يوما وربع يوم . هذا هو الحل الذى قدمه المهندس لعصبة الأمم . وقد أطنبت الأمم فى استحسانه لسهولة حسابه ولم يصل لصرف هذا الاقتراح إلا عند كتابة تفسير هذه السورة . يا عجب كيف اتفق أن منازل القمر وفقرات الإنسان ومفاصل الاصابع فى اليدين وأمورا أخرى توافق فى أعدادها الحروف العربية والحروف العربية تجعل قسمين فى أول السور (١٤) ظاهرة و (١٤) خافية . ثم كيف يقترح مقترح (سواء أعمل به أم لم يعمل) قائلا على رؤس الأشهاد فى أمم الشرق والغرب ﴿أما الناس﴾ ان عدد (٢٨)

هو الذى يسهل في حساب السنين)

ثم انظر كيف كان الاسبوع أربع مرّات هو عين عدد الحروف العربية . وإذا كان مرتين فهو حروف أول السور وعدد الاسبوع عدد أولى لا يقبل القسمة وعدد (٢٨) يقال له العدد التام وقد أوضحنا هذا تمام الايضاح في سورة (آل عمران) والعدد التام تادرجاً في الأعداد وليس في أعداد العشرات عدد تام إلا هو ومماثل العدد التام في علم الأعداد إلا كمثل الأنبياء والحكماء في الناس . فانظر كيف ترى عدد ٢٨ نال التمام في نفسه وحسن النظام في نتائجه . ثم انظر كيف كان هذا الاقتراح قد جعل السنة ١٣ شهراً وهذا العدد عينه هو الذى حدّد القمر لأن القمر في السنة كلها يدور (١٣) دورة لأنه في كل شهر يقطع الفلك دورة وجزءاً من دورة وفي تمام الأشهر يكون ١٣ دورة . ثم انظر كيف كان هذا الاقتراح قد جعل في كل أربع سنين يوماً لأجل السنة الكبيسة وعدد المذكور هو عينه الذى يضرب في ٧ كما تقدّم وهو واضح في أوائل السور إذ هي من ٢٨ حرفاً مجزأة ١٤ ١٤ و ١٤ من قسمة ٢٨ على اثنين . فهذه القسمة تذكّرنا بعدد ٤ المضروب في ٧ وعدد ٤ في السنة الكبيسة

وانما ذكرت لك هذا في هذا المقام لترجع الى ما ذكر في أول (آل عمران) وتدرسه . ومن عجب أن تكون أدوار القمر موافقة عددها لعدد الأشهر المذكورة - إن ربي على صراط مستقيم -
تقول . ابتدأ الله السورة بهذين الحرفين تذكّر تلك العالوم الجليّة الجليّة الفلسفية والطبيعية والانسانية يقول الله - طه - أى أذكركم بهذين الحرفين جميع حروف أول السور التي جعلناها رمزاً لعلوم هذه العوالم كلها من ترميز وفلك وحساب الشهور والسنين وغير ذلك . أذكركم بذلك لتكفّنوا - خير أمة أخرجت للناس - وليس يمكن أن تكونوا - خير أمة أخرجت للناس - إلا أن تكونوا أعلم منهم لأنكم - تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله - أى أنكم تجمعون الى قوّة الأدب والاخلاق الفاضلة قوّة العلم والعلم هو ما أبرزته في هذه العوالم العالوية والسفلية وقد رمزت لها بهذه الحروف . وإن أردتم إلا التصريح فاسمعوا ما أنالوه عليكم بعد ذلك

(٢) ذكر خلق السموات والارض وهما عبارة عن أصول العوالم التي نحن فيها ومبادئها
(٣) وأتبعه بذكرانه استوى على عرش ملكه بالتدبير والنظام الحسن في أربعة أشياء التي هي (أ) مافى السموات (ب) مافى الارض كالنبات والحيوانات والنبات والحشرات والانهار (ج) وما بينهما كالهواء والطيور والسحاب (د) وما تحت الثرى وهي الطبقات الأرضية المذكورة في سورة (الأنعام) وفي غيرها
(٤) ثم قال إياكم أن تقنطوا أن هذه جاءت مصادفة . كلا . فاني لا أعلم إلا إذا أردت . ولا أريد إلا على مقتضى العلم فالعلم يتبعه الإرادة والإرادة يتبعها العمل بالقدرة . إن علمي محيط بالعوالم العالوية والسفلية كما هو محيط بسرّكم وجهركم . فأنا أعلم السموات والارض وأعلم الامور الاربع التي فيها وأعلم جهركم وسرّكم وما هو أخفى من سرّكم . وإذا كان الامر كذلك فأنا لا أدع صغيرة ولا كبيرة إلا حسبتها ودققت فيها فلم أدر من صغيرة ولا كبيرة . وهما كما ذكرته في أول سورة (طه) فانها تدعو لتفكيركم في الحروف وسرّها وهذه تدعوكم للنظر في علم الحساب والفلك وفي الترميز وغيرها . فيها أنا ذم أدر شيئاً إلا نظمته . وإذا كانت الحروف التي تجري على ألسنتكم قد اتصل حسابها بحساب الأفلاك والطبيعة والتشريع « وبعبارة أخرى » أن العالم كله كنفس واحدة ونظام واحد فاني أدلّ بالأعلى على الأسفل وبالأعلى على الأسفل .
أبها الذكي . انظر كيف يذكر الجهر بالقول والاسرار به في مقام تعداد مافى السموات ومافى الأرض . يذكره مشيراً الى أن القول فيه مناسبة للعوالم كلها . فنظام حروفه كنظام العوالم ومعاني الكلام تنطبق على العوالم . إن هذا الانسان أمره عجيب . مخلوق صغير ولكن عقله كبير . يختصر العوالم كلها فيضعها في عقله

كانه عالم كبير والحروف التي ينطق بها تكاد تظهر سرّ السنين والحساب - إن ربي لطيف لما يشاء -
 لقد علمت أيها الفطن أن العوالم التي بين السموات والأرض المذكورة أهمها هذه السلسلة الانسانية
 وحيوانية والنباتية والمعدنية وهي المذكورة في سور كثيرة في القرآن وقد ذكرت في سورة الحجر وكذا في
 سورة النحل مرتين كما أوضحناه هناك . وهما هذه تذكر الآن بطريقة مختصرة فذكرها هنا اجالا بقوله
 - وما بينهما - وسيأتى قريباً في هذه السورة في قول فرعون - فإبالي القرون الأولى - قال موسى - علمها
 عند ربى في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى - ثم أخذ يشرح الأرض وانما مهلت وأن فيها سبلا وذكر أنزال
 الماء من السماء وخروج النبات من الأرض وذكر الأنعام ثم أتبعها بذكر أولى العقول وانهم يحسون ويموتون
 ثم يخرجون وهذه القصة هي قصة العالم والتاريخ الطبيعي الذي يدرسه أهل الشرق والغرب الآن في المدارس
 كلها . اللهم إلا في كثير من بلاد الشرق فإن الفرجة يخافون من رقى المسلمين بهذه العلوم فحذفوها من نظام
 المدارس إلا قليلاً في بلادنا المصرية بحيث ترى أن هذه العلوم قد حذفت ولم يبق منها إلا النزر اليسير بعد
 دخول الانجليز بلادنا . وسيكون ان شاء الله للأمة الاسلامية مستقبل زاهر بهذه العلوم وسيزيد هذا المقام
 بياناً قريباً فانظره فينشرح صدره بما تقرأ من نظم به تقرأ نظام هذه الدنيا مختصراً
 ﴿ جوهره في قوله تعالى - طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى - الى قوله - وما تحت الثرى - ﴾
 وفيها ﴿ بهجتان ﴾ البهجة الأولى ﴿ في رضى هذين الحرفين (طاء هاء)
 ﴿ البهجة الثانية ﴾ في قوله تعالى - تنزيلاً من خلق الأرض - الخ
 ﴿ البهجة الأولى في - طه - ﴾

نقدم الكلام على هذه الحروف اجالا في أول سورة (آل عمران) فأما الكلام على الطاء والهاء هنا
 فهما ما فتح الله به على يوم الخميس ٨ ديسمبر سنة ١٩٢٧ ضحى وأنا أقرأ في سورة (طه) . ذلك أن هذه
 السورة جاء ذكرها في قصص موسى عليه السلام وصدرت مقدمة محصلها يرجع إلى أن هذا القرآن نزل تذكراً
 لمن يخشى وأن الذي أنزل هوالذي خلق الأرض والسموات العلى وله جميع السموات وما بينها وبين الأرض
 والأرض وما تحت الأرض وأنه يعلم السر وأخفى من السر . هذه هي المقدمة . فالمقدمة ترمى إلى قراءة دروس
 هذه العوالم وأن القرآن إنما أنزل لذلك فهو منزل للدراسة العوالم التي نراها والتي نعرفها بمعقولنا حتى نعرف
 بعض السر المذكور . اذا علمت هذا فهمت بيت القصيد من قصة موسى المذكورة بعد ذلك . ان القصص
 إنما يذكر لإيضاح المقدمات قبله وللإستشهاد عليها . فانظر الآن الى تلك القصة فانك تجدها قد حوت مسألة
 السحرة وانهم آمنوا بموسى لما عرفوا انه أتى بما لم يأت به السحرة فعرفوا انه من عالم فوق عالم السحرة
 لذلك آمنوا . أما بنو اسرائيل فهم قوم جهلاء فكيف يعقلون أمثال هذا فكان إيمانهم ظاهرياً وقلبياً كما
 سيأتى ايضاحه . ثم ان الحديث مع فرعون يرجع الى معرفة الله بما يشبه ما ذكر في المقدمة المذكورة من كونه
 جل الأرض مهبطاً وأنزل الماء من السماء وأخرج به النبات يأكل منه الانسان والحيوان . وهذه هي العلوم
 العامة في السموات والأرض أى العلوم الرياضية ومنها علم الفلك والعلوم الطبيعية وبهذه العلوم ونحوها عرف
 السحرة مقام موسى عليه السلام إذن المقصود هو هذه العلوم فيها عرف السحرة فآمنوا وأيقنوا وهي التي
 لأجلها أنزل القرآن . ويقول الله لنبيه محمد ﷺ بعد ذلك كله - وقل رب زدنى علماً -

انظر بعد ما قدمته لك فانك تجد هذا كله يرجع الى ﴿ أمرين اثنين ﴾ لاثالث لهما ﴿ الأول ﴾ ان الله
 خصص لكل مخلوق أوصافاً خاصة وأحوالاً ومنافع ﴿ والثاني ﴾ انه هدى الحيوان منه الى ما خلق له وما فيه
 نفعه وهذا قوله تعالى - الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى - وكقوله تعالى - الذى خلق فسوى ﴿ والثى
 قدر فهدى - وهذه فيها الطاء أولاً والهاء ثانياً في أعطى وهدى فكأنه يقال ان القرآن يراد منه دراسة

سائر العلوم وسائر العلوم هي التي جاءت في محاوره فرعون وموسى كما جاءت في مقدمة السورة وبجملتها كلها اعطى وهدي وهذاان بجمعها - طه - . فاذن الطاء والهاء رمز بهما الى دراسة العلوم الرياضية والطبيعية والفلكية وهكذا كل علم في الدنيا لأنها كلها ترجع الى هذه الجملة

﴿ لماذا نزل هذان الخرفان أى - طه - في أول هذه السورة ﴾

اعلم أن الله علم أن المسلمين سينامون نوما مخزيا عميقا فيكتفون من الدين بقشوره ويطنون أن الصلاة والزكاة وما بعدهما كافيات فتأخذهم الأمم وتذهب وتسوهم سوء العذاب فأقرن هذين الحرفين ليجتهد المسلمون في البحث عن السر فيجدون انهما رمز لأن يقرأوا جميع العلوم . وإذا كان النبي ﷺ يقال له إن القرآن لم يقتصر على انك تكثر الصلاة وتشق بالتعب والنصب في العبادة بل هو جاء أيضا ليخرج أئمة من جهلها ويعلمها فتصلي تبعها لك وتقرأ العلوم . كل هذه المعاني تؤخذ من - طه - وهناك أيضا (ها) في قوله تعالى - منها خلقناكم - الخ مكررة ثلاث مرات وفي قوله - كلها - كل ذلك جاء بعد قوله - أعطي -

ومن عجب أن يجمع في أسباب النزول انه ﷺ كان يتعب ويشقى بكثرة الرياضة والمجهود والقيام على ساقه فقيل له ماذا كنه قال كنهه ليست العبادة وحدها هي المقصودة بل هناك للتذكرة وقد فهمتها فيما قدمناه أن المسلمين اليوم اكتفوا بالعبادة اللفظية فليعلم أن يتذكروا بدراسة العلوم كلها انتهى

﴿ تذكرة ﴾

(نور على نور في نظام القرآن)

سيقول قائل كيف تجعل بيت القصيدة هنا قوله تعالى - النى أعطي كل شئ خلقه ثم هدى - . أقول ان النى ظهر لي من القرآن انه يفعل في العقول فعلا خفيا أشبه بما يقصده ﴿ كتاب الأدب ﴾ من جعل النصائح متدرجة في قصصهم اندماجا حتى يسحر السامع سحرا لأن المعنى دخل في غضون القصص والحكايات كأنه غير مقصود ليثبت في العقول ثبوتا لاتزعجه السنون . وأضرب لك مثلا سورة - اذا الشمس كورت - فيها ١٤ فاصلة جاء في وسطها هذان الفاصلتان - وإذا الموءودة سئلت * بأي ذنب قتلت - فلما نزل القرآن وسمعه العرب سمعوا جلا متناسقة يذكر فيها تكوير الشمس وانطفاء نور النجوم وتفتت الجبال وهكذا ولكنه فاجأهم فيها بحكمة وهي مسألة الموءودة فارتاع العرب لذلك وحرم (وأد البنات) الى الآن . فانظر لهذا السحرا الخلال لأجل جملة أدخلت بحكمة في وصف انقضاء العالم . حفظ نصف الانسان من الرأد وذلك لا يكفي فيه دول وأمم وجنود . فبمثل هذا تناسى الأمم . وبمثل هذا يكون التأثير . أسأل الله أن يرزقنا السير على هذا المنوال في الارشاد

يا أمة الاسلام . هذا ما حصل من اصلاح الأخلاق ونظام المجتمع بحسن الالتقاء وسحره ونظام الترتيب ونحن الآن لاند البنات ولكننا أحبين البنات ووأدنا عقولهن وعقول الرجال ففعل الله لنا ما فعله لآبائنا سواء بسواء . إذ جاء بسورة (طه) وذكرة قصة موسى ومحاورته لفرعون وفي أثناء ذلك كله بينا المسلم سار مع القصة اذا به يفاجأ بجملة تحت على العلوم كلها وجعلها من موسى لفرعون لامن محمد ﷺ لأنه لم يقل الله لنا تعالوا العلوم التي تدل على هذه المعاني . كلا بل ألقاها بهيئة بعيدة عن الأمر وعن قصد مخاطبة الأمم الحاضرة . فهل أيها المسلمون تفعل في عقولنا أمثال هذه ما فعلته آية الموءودة . أنا أطعن ذلك وأنبأ به المؤمنين . انتهت

البهجة الأولى

﴿ البهجة الثانية في قوله تعالى - نزيلا عن خلق الأرض - الخ ﴾

هنا ذكر الأرض ﴿ مرتين ﴾ مرة أولا قبل السماء ومرة آخرى بعد السماء . وإعلان الكتب السماوية لا تقدم كلمة ولا تؤخر كلمة إلا لحكمة والمدار على الفهم والفهم في كل زمان بحسبه وهذا زمان انكشاف بعض

الحقائى . فقوله - تنزيلا - يفيد أن هذه العلوم والمعارف قد كانت فى منزلة شريفة وأراد الله أن ينزلها لمنفعة أناس فى منزلة أسفل فلذلك ذكر الأرض . فالتنزيل يناسبه المحل الأسفل وهذه الأرض أول سلم لنا . نخرج منها إلى عالم السموات ولذلك قال - والسموات العلى - جمع عليا والعليا مؤنث الأعلى كما يقال دنيا ودنا وقرى وقرب . فالعلى جمع لمؤنث أفعال التفضيل . فى العلى معنى التفضيل أى الأعلى من غيرها . فأنه نزل العلم من عالم الجبال والكمال على نبيه لهذه الأرض التى وصف الله لأهلها السموات بأنها ذات علو عظيم لبشورتهم إلى الصعود إليها فأنزل إليها العلوم لإلا يفهم من محل سقوطهم إلى أعلى العلى يوما ما فقوله - العلى - كالمقابل لوصف ملحوظ فى الأرض يضاده وهو الاحتفاظ ولم يبق بعد هذا إلا أن يعبر عن تلك العظمة فأبان أنه ذو رجة واسعة فهو وان جمع بين الضدين علو وسفل وسما وأرض فليس معنى هذا أنه حرم أهل الأرض من الرقى . كلا . فلذلك قال إنه رجن أى كثير الرجة وإذا استوى كثير الرجة على عرش الملك كانت أعماله كلها موجهة لسعادة أهل مملكته . وكيف يدوم الملك إلا لمن رجته واسعة . وكل ملك فى الأرض ليس قائما على الرجة سريع الزوال ولذلك وصف الله المؤمنين بقوله - رجاء بينهم - أى ليدوم ملكهم فالرجة موجهة من بعضهم لبعض ورجة الله موجهة للملك كله . ولذلك لما طغى السامون وعكفوا على الشهوات والمال وجهلوا فتح البلدان لشهوات أنفسهم أخذ الله منهم ملكهم وشرد أكثر عمالكهم ولم يبق منها إلا الممالك التى ائصف أهلها بعطف بعضهم على بعض . والدليل على ذلك ما حصل فى أيام حرب المسلمين بالأندلس فى فرنسا فان القوم لما شغلوا باقسام الغنائم فى إحدى الوقائع تألب عليهم القوم فأجلوهم عن البلاد ولهذا نظائر كثيرة تقدمت فى هذا التفسير وسيأتى إيضاح كثير من ذلك فى مواضع إن شاء الله تعالى . فالتعبير بلفظ الرجة فى أمر الاستواء على العرش يفيد معنى بقاء الملك ولذلك تجد ممالك الحيوان والنبات والانسان لا تزال باقية بسبب الرجة التى بها الله فى الذكور والاناث فيتحاب الصنفان كما قال تعالى - ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم وبينهم مودة ورحمة - فالوادة والرحمة هنا جزئية منزلة من الرجة العامة المذكورة فى قوله تعالى هنا - الرجن على العرش استوى - فانه لولا الرجة المنبذة فى قلوب الذكران والاناث من الحيوان تلك الرجة التى تبعث الفرقين على الاقترب ثم الحلى وهكذا الرجة التى تجعل فى قلوب الأمهات لتربيتها من بيض يحضنه الطير وفرخ يقدم له ما يناسبه وفلو أو عجل أو جرو أو طفل يرضع كل من أمه بما بينهما من المودة والرحمة كما فى الحديث ﴿ ان ٩٩ من الرجة باقية للأخرة وفى الأرض رجة واحدة عمت الناس والبهائم بحيث ترفع الفرس حافرها عن ولدها خيفة أن تصيبه ﴾ والحديث تقدم بلفظه فى موضع آخر أقول لولا هذه الرجة لم يبق على الأرض حيوان ببقاء هذه الممالك ببقاء الرجة ومن مقتضيات الرجة بين الزوجين دوايم المعاشرة وعلى مقدار قصر المودة بينهما يكون النقص فى أمر النظام المنزل كما يقصص ملك المودة أويذهب من الوجود بذهاب المودة العامة فى الشعب . هذا ما يشير له قوله تعالى هنا - الرجن على العرش استوى - ومن هذه القاعدة أنه ﷺ - بالمؤمنين رؤف رحيم - ولذلك دام ملك المسلمين حين داموا على شريعته فلما انحرفوا ضاع مجدهم وزوال الرجة من قلوب الأمراء وحاول الشهوات محلها كما قال تعالى - تخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا -

ولما ذكر العرش والاستواء عليه أخذ يشرح العوالم التى استولى عليها فبدأ بأهمها وهى السموات بخلاف انزال القرآت فانه من عالم أعلى إلى عالم أدنى كما تقدم ثم نثى بالأرض لأنها أدنى منزلة فقام تعدد الممالك غير بيان المسكن الذى أنزل القرآن لأهله وقوله - وما بينهما - دخل فى ذلك عوالم السحاب والكهرباء وجميع العلم المسمى ﴿ الآتار العالوية ﴾ وهو من علوم الطبيعة قديما وحديثا وقوله - وما تحت الثرى - يشير لعالمين لم يعرف إلا فى زماننا وهما علم طبقات الأرض المتقدم مرارا فى هذا التفسير وعلم الآتار المتقدم بعضه فى سورة

(يونس) والآتي بعضه في سورة (سبا) وأن قوله هناك - يعلم مايلج في الأرض ومايخرج منها - يشير إلى ماظهر في بلاد الحبث التي تشتمل على (سبا) فلقد ظهرت هناك نقوش ومدائن لم تسكن معروفة من قبل . وظهر (سد العرم) وسيأتي رسمه . كل ذلك والمسلمون لاعلم لهم بذلك مع انه في بلادهم وعلى مقربة منهم . فأنه هنا يقول - وماحت الترى - ليحرض المسلمين على دراسة علوم المصريين التي تظهر الآن تحت الترى المذكورين في هذه السورة وأن سحرتهم شهدوا بصدق النبوة الموسومة لأنهم وجدوا علما فوق علمهم وهو علم النبوة . فجدير بعلم هؤلاء أن تدرس وتعلم . لهذا كله قال - وما تحت الترى - واعلم أن الأمم الاوروية اليوم يقرؤن علما يسمى ﴿ علم الآثار المصرية ﴾ فهو فن خاص وقد انتشرت الآثار هناك في زماننا ويسمى (العلم الاجتلاحي)

﴿ لمحة نورية علوية في ليلة الجمعة ٢٩ يونيو سنة ١٩٢٨ ﴾

استيقظت قبل الفجر فنظرت النجوم في الظلام تنللاً وحصر في خيالي مامراً بك في هذا التفسير من الجبال الرائع والمجد التاسع والعلم الواسع والشموس التي لاحد لوصفها ولاغاية لعدّها وليس نظر الانسان يحيط إلا بثلاثة آلاف منها . ومن هذه النجوم شمسا وهي بالنسبة للجوز اكبرها من ٢٥ ألفاً جزء كما تقدم في آخر سورة (الكهف) ثم وازنت بين المجد العالي وبين هذه الأرض التي تعد بالنسبة لتلك العوالم كالعالم المحض فيهائي الأمر وخطري أن نقصان بنى آدم وعداراتهم وأنواع المصائب والشقاء المحيطة بهم تبلغ في كثيرتها مبلغ عظمة النجوم وسعتها ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ أن الكوكب كلما كان أصغر كان عن الكمال أبعد وكلما كان أكبر كان أهله إلى الكمال أقرب وعلى ذلك يقاس نقصنا نحن بعظمة هذه العوالم . نحن الآن لسنا أهلاً لاستيعاب ادراكها فيكون نقصنا على مقدار كمالها ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ يكون الشقاء في الأرض والحرب والضرب بينهم على مقدار قصور انهمج المناسب لحقارة كوكبهم عن فهم هذه العوالم . ثم فكرت في هذه المعاني فوجدتها خيالا في خيالي لاستندلها ولادليل عليها ثم تذكرت أن ذلك قد تقدم في سورة (آل عمران) في كلام روح الفيلسوف (غاليلي) حين استخضروها فأنها أفادت أن العوالم العلوية فيها سكان عندهم نظام وحياة لا يعقلها أهل الأرض وأن النفوس الانسانية تنسئ هذه الأرض حين تخترق السموات العلى وتركب طبقاً عن طبق . وأبان أن تلك العوالم فيها من النظام مايبهر العقول . وأشار إلى حقارة الأرض وأنها ليست شيئاً مذكورا . كل ذلك في سورة (آل عمران) وهي طويلة فارجع اليها ان شئت . فمن هنا تبين لنا أن ذلك الخيال صادق من حيث سعادة أهل تلك الكواكب ولكن هذا البيان لم يكن إلا من علم الأرواح وهو وإن احتاج إلى مايقويه كاف في مثل هذا المقام ويشيرطه السعادة لسكان السماء قوله هنا ... السموات العلى - وسيأتي في هذه السورة - ومن يأت ربه مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى - فذكر العلى في السموات والدرجات العلى في الجنات إشارة إلى ما ذكرناه من أن الجنة في السماء وأنها محل السعادة وقد تقدم تحقيق هذا المقام في سورة (آل عمران) وبيان أنه هل هذه هي الجنة الحسية أو ما يشبه الجنة الحسية وأن الجنة الروحية أرقى من هذه . وما يناسب هذا المقام ما تقدم عن النور (أوليفر لودج) في خطبته المذكورة في سورة (آل عمران) إذ يقول فيها أنه موقن أن حولنا عوالم من الأرواح نسبتهم إلينا كسببتنا إلى الجن وهنهم يهتمون بأمرنا . فهذه الأقوال كلها تفيد معنى - وما أوتيت من العلم إلا قليلا - وأن شقاء أهل الأرض محقق بسبب جهلهم وغرورهم . لذلك كله ترى الله أبان الطريق لنا هنا ﴿ بأمرين ﴾ أولاً أن ندرس العوالم الأرضية من نبات وحيوان الخ ثم العوالم العلوية من فلك ونفس وعقل ثم ندرس علم معرفة الله ثم نعلم الناس ماتعلمناه فأشار لأول بقوله ... ننزيلا من خلق الأرض - وإلى الثاني بذكر السموات وإلى الثالث بالاستواء على العرش وإلى الرابع بذكر الأرض وما بعدها وهذا الترتيب هو كترتيب ﴿ الاسفار ﴾ لشيخنا لاشجرازي فأنظره

تبين بهذا كله حقارة الأرض ومعظم أهلها وعظمة السموات وسكانها وسعادتهم . لذلك قال النبي آخر السورة - وقل رب زدني علما - يأمرنا أن نزيد في العلم بالسموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى وإذا ذكرت سعادة أهل السموات والجنان وشقاء أهل الأرض وكان هذا القول أجلا حسن أن أفضله بعض التفصيل بأمثله حتى يستبين ما فكرت فيه وهو أن كثرة الشقاوة لأهل الأرض على مقدار اتساع نطاق الجبال والسعادة والعظمة للسما والسكان فأقول

أهل الأرض ﴿ قسبان ﴾ متمدينون ومتوحشون ولكل شقاوة تخصه . أما المتمدينون فأمرهم معلوم لأن قارئ هذا التفسير مطلع عليهم فلنذكر إذن بعض المتوحشين منهم لنعرف سكان الكرة التي نحن عليها هل هم مستعدون كالهم أن يكونوا أمة واحدة سعيدة أم هناك عقبات طبيعية تمنع ذلك . جاء في كتاب ﴿ علم الدين ﴾ لاستاذنا المرحوم على باشا مبارك في الجزء الثاني منه ما ملخصه

﴿ ان أهل السودان بأفريقيا يقولون ان الشياطين والملائكة يظهران بين الناس في صورة الآدميين والبهائم وغير ذلك ولهذا تراهم على جهلهم يعظمون بعض البرق والأنهار والجبال والصخور والغابات والأشجار وبيوت الخمل وبعض الأشجار المنفردة عن غيرها وما أشبه ذلك ويحترمونها احتراماً عظيماً كاحترام غيرهم من الأمم لقمات الأولياء والصالحين . ثم ان مشايخهم يعملون لهم تماثيل وتعديدات على أشكال هذه الصور بقصد الخطف من الأمراض والمآفات ويأخذون منهم في مقابلتها جهلاً عظيماً . وفي تلك النواحي بلاد لا يظهر أهلها للشمس مطلقاً ولا يمشون إلا بالليل . ومنهم من يعيش طول عمره في البلدة التي ولد بها ولا يفارقها . وأهل تلك الأرض لا يفرقون بين دين وآخر وكل الأديان عندهم على حد سواء وللشيوخ عندهم احترام عظيم ومجالات معتقدتهم معظمة فيما بينهم لا يدخلها غيرهم ولهم طرق لا يسلكها إلا أولياؤهم عيزونها بأوتاد يدقونها وبعض آنية يضعونها على جانبي الطريق فإذا رأوا ذلك تحاموا المرو منه وسلكوا طريقاً بعيداً عنه

﴿ ومن الغريب انهم اذا ماتت المرأة وهي حامل لا تدفن بل يرمى بها للطير والوحوش بخلاف التي تموت حين الولادة أو بعدها فانها تدفن . ومن عاداتهم انهم اذا مات الزوج دفنوا معه زوجته كما أخبر بذلك أحد السامعين قال في أثناء عبارة له إن تعدد الزوجات بهذه الجهة غير ممتنع بل الممار عندهم على اتفاقهم على المهران كانت المخطوبة حرة أو أليفة ان كانت أمة فبقي اتفاقوا على ذلك أخذ الزوج زوجته وذهب بها الى نسائها فتختلط بهن وتشرب الخمر معهن ويقمن جميعاً بهيئة الوليمة وبعد الدخول بها أول ليلة تكون مع سائر نسائها في خدمة المنزل ﴿ ومن عاداتهم أن من تلد من الزوجات أولاً تكون هي المحترمة والمقدمة عليهن والمتسككة في المنزل إلا أن هذا التقدم لا يثمر لها إلا التندم لانها هي التي تدفن مع زوجها لومات في حياتها . قال بعض السامعين الذي شاهد موت أحد هؤلاء المتوحشين ﴿ لما ارتفع الصوت بالتعيب والبكاء من جميع النساء بين فقهيهم موضع التربة فاحفروها واسعة على قدر اثنين ثم أتى بعز فذبجها وسلخها وقطعها بيده ثم أعطاهم أمعاهها وأطرافها فطبخوها وأكل كل منها مع بعض من حضروا وأعطى الحظية شيئاً منها . وأما ما بقي من اللحم فقطعه قطعاً صغيرة وقرق منه بيده على جميع الحاضرين وأبقى منه بقية والصباح في كل ذلك مرتفع البكاء لا ينقطع فلما أكلوا قام ذلك الفقيه الى تلك الحظية وقبض على يدها وسلاها الى اثنين من العبيد فأوثقوا يديها وجعلوها خلفها وطرحوها على الأرض على ظهرها ووضعوا على قلبها خشبة وقعدوا فوقها وصار كل منهم ينكس على الآخر حتى تهشمت عظامها ثم رموا بها في القبر ووضعوا زوجها فوقها ثم أموا له بما بقي من اللحم فوضعوه بجانبها ثم أمالوا التراب عليهما وعند ذلك انقطع البكاء والتعيب وتوجه كل منهم الى منزله على العادة كأن لم يحصل شيء

وإذا مات ميت يقومون ويأخذون من عبيده بقدر ما يناسب مقامه فيطعمونه من أحسن ما عندهم

ويوصونهم بالقيام بخدمة سيدهم ثم يذبحونهم ويدفنونهم معه في قبر واحد ويدفنون معهم ما كان لهم في الدنيا من الفرش والأواني والثياب وجميع ما كانوا يستعملونه في حياتهم ثم يضعون عليهم حصيرا ويردون التراب عليها وبعد ذلك يصنعون على القبر عشة يدقون في إحدى زواياها قطعة من الحديد يعلقون بها بعض سلاح الميت أو كان ذكرا فإن كان أنثى وضعوا معها ثيابها وما كانت تحبه في حياتها وبعد دفن الميت يأتون بطعام وشراب فيضعونه على قبره فلما منهم أن ذلك تنفذ به روح الميت ويكررون ذلك حيناً بعد حين إلى تمام ستة أشهر من دفنه

وجاء في هذا الكتاب أيضاً أن مملكة اشانتي الواقعة في سواحل بلاد الذهب لها أرض واسعة وهي قبيلة مقيمة في أرض واسعة بعيدة الحدود يحدها طولاً من المغرب إلى المشرق أربع درجات وهو من (عامان) إلى (ولتا) وعرضها نحو ذلك وهو من حصن رأس (كورس) إلى ولاية (غرفان) وملك (اشانتي) هو الحاكم على جميع هذه الأرض ومن فيها من غير معارض لأمره ولا منازع له في حكمه . وعندهم طوائف ملحقة بالمقدسين فلا يدخولون في أمور الدنيا ولا يختلطون بالناس بل يعتزلونهم ويقبضون في محال بعيدة عن البلد والعمران ويقولون انهم يخاطبون المقدسين ويسألونهم عن كل شئ أرادوا عمله فإذا أراد أحد أن يعلم حال من مات من آثار به ذهب إلى أحدهم فيحضر له روح قريبه فيستكلم معها ويسألها عما يريد . وطوائف أخرى أقل منهم يعيشون معهم ويسألونهم عن كل مانسح لهم كالذين يفتحون الكتاب أو يضررون الودع أو يقدسون الأثر ولهم براعة في التقاط أخبار الناس وتنبع أحوالهم ويعرفون جيلاً كثيرة يعملون بها كيف أخذت السرقة ومن سرقها وفي أي موضع هي ويعملون لبعض النساء تنائم لحب أزواجهن وعدم اطلاعهم على أحوالهن وأفعالهن ونحو ذلك ووظائف الطائفة الأولى ورائية يدخولون فيها بطريق الأرض عن أسلافهم كما كان عليه كهنة المصريين في الأزمان القديمة

ولهم عيد يسمى «اينام» تكون فيه أمور غريبة منها ان الملك يأمر بالجر فتملأها حياض متفرقة في البلد ويباح الشرب منها لكل أحد فلا يبقى في البلد أحد من كبير أو صغير ذكر أو أنثى حر أو عبد غني أو فقير إلا شرب منها حتى سكر . وقد تحصل عليها مناجات عظيمة ومشاجرات كثيرة ترتفع فيها الأصوات فتختلط بدوى الطبول والبنايق فيكون مجزع ذلك أمرا هائلا وخطبا مزججا لانكاد تبلغه العبارة ولا ترى في أزقة البلدة وشوارعها في هذا اليوم غير سكران على الأرض مطروح ومزقل بقاذورات يترغ فيها الحايوان المذبح ومن عف عليه الذباب ومن تشتممه أو تلحسه الكلاب ومن يمشی فيقع على الأرض أو على غيره من أمثاله وهو مجنب بأمره راض بحاله ويستمرّون على ذلك إلى آخر النهار

وفي هذا اليوم يذبح كل من الأمراء والاعيان بعض عبيده على أول خط من خطوط حرق زراعة النبات الموسم باسمه هذا الموسم وهو الذي يقال له بلغتهم «اينام» كما تقدم ومن كان فقيراً يأخذ رأساً من رؤس المذبحين ويضعها في أول خط من حرق أرضه

ولهم أربعة أعياد في السنة وعاداتهم في كل عيد من تلك الأعياد الأربعة أن يعملوا به قبله بيوم فيأخذون الزاير ويعلقون ججاج القتلى وعظامها على طبل عندهم كبير ثم يأتون بذلك إلى باب سراية الملك ويضرّبون بها اعلاماً بذلك اليوم فشكل من سمعه سواء كان من عائلة الملك أو غيرها صاح بأعلى صوته فتقوم البلدة على ساقيها وتهرع السوق من أسواقها فيضرّبون الدفوف والبارود ولا يزالون كذلك إلى صباح يوم العيد فيركب الملك ويذهب إلى المعبد

وقد وصف (هوتشيزون) السائح في رحلته كيفية تقريّب القرايين من الآدميين في موسم اداي المذكور عند أهل الجهة المذكورة فقال كنت بتلك الجهة فحضرت عيداً هناك يسمى (اداي) وكان في شهر يناير

الافرنجى فتوجهت الى الملك قرأت بعض الضباط الملائمين له يدخلون عليه ويخرجون من عنده وبأيديهم
سكاكين وأسلحة فأرسل أحدهم الى أحد الأمراء ليخبره أن يحضر عند قبر أمه ثم ركب الملك وتوجه الى
القبر بعد أن أمرى بالخروج من باب غير الذى دخلت منه ولم أعلم سر ذلك فلما وصل الى القبر أمر بأخراج
عظم أمه وأخوته من قبورهم فأخرجوها وغسلها بالماء ثم شفقوها بمناشف من حرير وغسوها في (الروم)
وهو نوع من المسكر ثم شفقوها ثانيا كل ذلك بغاية الاحترام والتوقير ثم قلبوها فوق تراب من ذهب وأحاطوا
بها سبائك منه وقلائد من الحجارة والمعادن الثمينة ووضعوها على حافة القبر . وبعد ذلك أتوا بجميع المذنبين
والمتهمين بعدم الرضى عن الملك فكان كل من أتى منهم ذبحوه على تلك العظام حتى سالت الدماء الى القبر
وفي هذه الليلة دارت سياة الملك حول المدينة فشكل من وقع بصيرهم عليه أحضروه الى الملك فيذبح وكان
السبب في هذا القتل والقربان على زعمهم هو أن الملك وقتئذ كان مستعدا لقتال بعض القبائل المحاربة له
وكان الملك على حسب عادتهم في ذلك يرى من الواجب قبل الخروج الى القتال أن يخرج عظام أمه وبعض
أقاربه من قبورهم ويفعل بها ما ذكر لا عقاده أنه اذا فعل ذلك بهم كانوا راضين عنه وكانت أرواح مقدسيهم
مساعدته على أعدائه لكن لشهرة هذا اليوم وهذا الأمر قد يتخلص منه أناس كثيرون ممن يرغب الملك
في قتله وكان من عادتهم في ذلك العيد كباقي الأعياد أن يحضر فيه الى تلك المدينة خلق كثير ولكنهم لعلمهم
بهذه الحادثة لم يحضر أحد فكانت المدينة يومئذ خالية ليس بها إلا الملك وعائلته وأصحاب سره . فلما مضى
جزء من الليل أمر الملك بوضع عظام والده وأهله في مقابرهم ورجع في موكة ومعه رؤسائه وأمراؤه وأتباعهم
وعليهم ملابس الحرب وآلاته وأمام كل واحد منهم شعلة من نار فكانت البنائى وجميع آلات الزينة والرسوم
الموكبية مشنونة الأعلام وقد تقدمهم جماعة قدامهم أيديهم وعليهم الحرس وحولهم رجال تغنى بأغنام حساسية
وفي عصر ثاني يوم أعدوا ذلك الموكب بعينه فوقف الملك في الميدان الكبير وحوله الطبول وأرباب الموسيقى
فأمر بقتل أولئك المغاولين فصاروا يقتلونهم واحدا بعد واحد والآلات تضرب بأغنام عجيبة كأنها تقول ﴿ القتل
القتل ﴾ وكان أمامه إناء من خشب ملأوا نبيذوا وكأقطع رأس رقص له ثم في آخر هذا اليوم دخل الملك سرايته
إن أهل هذه المملكة يعيشون وحولهم الانجليز والفرنسيون وسائر الافرنج وهم لا يعتزّون لاعتقاداتهم
ولا بماعونهم في اجراء رسومهم وعاداتهم فان ذلك يجزّ عليهم من عدواة الأهليين وغيظهم مالا يكون لهم معه
راحة فلذلك ترى المقيمين في تلك الجهات من الأمم الاوروية لا يعينهم تغيير شيء من ذلك إذ المقصود لهم من
الاقامة في تلك الجهات إنما هو اكتسب بالتجارة فيما يستخرج من أرضها من المعادن وسائر مواد التجارة
وارسال ذلك الى الممالك الاوروية واستبداله بما يرد منها الى البلاد فلا يشتغلون إلا بتوسيع دائرة هذه التجارة
لاتغيير العادات والمعتقدات إذ هذا مما لا يتيسر لهم هناك فان هذه البلاد بسبب اتساعها وبسبب صعوبة
المرور والعبور بها فيها من الموانع كالعابيات والمخارجان ثم كثرة حرها وقبر هواثها وكثرة ما يعرض للأغراب
من الافرنج فيها بسبب ذلك من العلل الخطرة والأمراض المهلكة لايتأتى للدول الاوروية أن تبث لهذه البلاد
بكتير من الناس والأجناد لمنع ذلك بالقوة القهرية والسطوة العسكرية لما اعتراه فيها من الأمراض الكثيرة
فكان في كل سنة يموت قدر النصف ممن يرسل اليها من العسكر وغيرهم واتخذ الانكليز بها طرقا كثيرة
وتدابير متوعدة لانتشار الزراعة بها وتحسين أحوالها فلم ينجح إلا القليل منها في بعض الجهات دون بعض
وكذلك جتدوا بها مدارس ومكاتب للذكور والاناث جمعوا فيها كثيرا من أهل البلاد فلم يترتب على ذلك
للبلاد كبير فائدة لأن من تربى منهم ولم يمت في عهد قريب أثر الاقامة بين من تربى عندهم على الاقامة
بين أهل في بلده لكرهاتهم له وبترسهم منه ولعلمه أنه اذا أتى اليهم مقتوه واحتقروه وان تكلم بما يخالف
عقيدتهم قتلوه . وكما فعلت دولة الانكليز معهم كذلك فعل الفرنسيين والفاينك وغيرهم وقد غبرت كل

من هذه الأم مواضعها وانتقلوا من موضع رأوا فيه كثرة الأمراض الى موضع ظنوا فيه جودة الهواء فخاب أمل الجميع وتحققوا عدم النجاح . انتهى

هذا ملخصه من كتاب « علم الدين » من عادات هؤلاء السودانيين وهذه أخلاق طائفة من بني آدم الذين هم أشرف سكان أرضنا التي ذكرت مع السموات العلى وأن الله نزل القرآن لأهلها يقول الله - والعصر * إن الانسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا - الخ - ويقول - لهبطوا منها جميعا بعضهم لبعض عدو - ويقول - لقد خلقنا الانسان في كبد - ويقول - إنه كان ظلوما جهولا -

فانظر جهالة هذا الانسان وسخافة أهل هذه الأرض كيف عظموا الأحجار والأنهار والقديسين في نظرهم ثم تقربوا الى الله بذبح الانسان حتى ان أم الملك اذا دفنت يتربح أحد عبده شريفا يدخل معهم فيقتله ليكون دمه مطهرا لها . وكيف يجعل الملك يوما من أيام الصيد خاصا باهلاك كل من ظهر حتى من الأمراء والوزراء . إن الله أودع هذه الغبوة في صدورهم ليفنى بعضهم بعضا بطريق ديني أو غير ديني ليساعدوا الطاعون على تقليل عددهم لأنهم قوم اذا كثروا لا يقدرون على استئثار أرضهم لقلة الصناعات والعلوم فألههم الله أن يتقربوا أو يفتخروا بالاهلاك كما ساءل الله البرد على الحشرات كل سنة فتبيد ثلثا تهاك الحرث والنسل

ولما كانت الأم قديما لاعلم عندها كان الله يرسل لها الطاعون فيبيد جموعا كثيرة ولو بقيت لم يكفها القوت التي عندها ولكن لما تعامت الأم كاهل بلادنا المصرية وأمكتهم الانتفاع بموارد الأرض أكثر لهم من الأطباء ليقالوا من انتشار الأمراض فكثرت النسل فوجدوا قوتا حصل لهم بالعلوم والصناعات وهذا من انتشار العلم الذي نقاه عن أوروبا التي عرفت ذلك قبلنا فكثرت نسلها مع زيادة خصبها ونشاط أطبائها

وهنا سؤال وهو هل هؤلاء القوم وأمثالهم في أرضنا يقولون الرقى حتى يكون الناس في الأرض أمة واحدة في المستقبل كما شرحت في كتابي « أين الانسان » . أقول لما عثرت على هذا استبعدت ذلك لأن المانع الطبيعى منع الام المتعلمة من تعليم هؤلاء لانهم يموتون في بلادهم كما تقدم . ويظهر انه لا سبيل الى رقى أمثال هؤلاء إلا بارتقاء جيرانهم بطريق دين الاسلام مثلا وجيرانهم يعلمونهم بالتدريج

هذه صفحة من أخلاق أهل هذه الأرض ذكرت لما نظرت السموات وجالها وواظت بين جاهلها وسعادتها وأنوارها الظاهرة لأعيننا وبين تعاسة أهل الأرض وشقاوتهم تبينا لوصف السموات العلى ووصف القرآن بأنه منزل . كل ذلك للدلالة على شقوة أهل الأرض ولا مخلص لهم إلا بالعلم . ويظهر لى أن الله أعد في كل عالم من العوالم المنحطة شقاء لأهله على مقدار نقص كوكبهم فيكون ذلك الشقاء والمثلة باعنا على أنهم يودون أن يتخلصوا من ذلك الكوكب ويشوقون الى عوالم أخرى كما نشوق نحن الآن والله هو الولي الحيد

(المقصد الثاني من السورة والكلام على الفصل الأول والثاني من فصوله الأربعة)

وهل أتاك حديث موسى * إذ رآنا نارا فقال لاهله امكثوا إني آنست نارا لملى آتيكم منها بقبس أو أجمل على النار هدى * فلما أتاهم نوذى يا موسى * إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى * وأنا اخترتك فاستمع لما يؤخى * إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري * إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى * فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى * وما

تِلْكَ يَبِيعُكَ يَا مُوسَى * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَنْوَكُوا عَلَيْهَا وَأَهْشُوا بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَكْرِبٌ
 أُخْرَى * قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى * فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى * قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ
 سَمِعْتُهَا سِيرَ بِهَا الْأُولَى * وَأَصْنَمُ يَذْكُ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ يَبِيعُكَ مِنْ غَيْرِ سُوءِ آيَةٍ
 أُخْرَى * لِتَعْرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى * أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * قَالَ رَبِّ اسْرْخْ
 لِي صَدْرِي * وَتَبَرَّرْ لِي أَمْرِي * وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَلْ لِي
 وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَهْبَى * أَسْتَدُّ بِهِ أَرْزِي * وَأَشْرِكُ فِي أَمْرِي * كَتَبْتُ نَسْبَةَكَ
 كَثِيرًا * وَنَذَرْتُكَ كَثِيرًا * إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا * قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى *
 وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى * إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى * أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ
 فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ * وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ حَبَّةً مَنًى
 وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي * إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ
 كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ * وَوَقَّلتُ نَفْسًا فَجَعَلْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ * وَفَتَّكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي
 أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى * وَأَصْلَحْنَاهُ لِنَفْسِي * أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ
 بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي * أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْسَ لَكَ
 يَنْدَكُرُ أَوْ يَنْجِي * قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى * قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي
 مَعَكُمَا أَتَمُّ وَآرَى * فَأَتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَحْذَرْنَهُمْ
 قَدْ جَاءَكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى * إِنَّا قَدْ أَوْحَى إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ
 عَلَى مَن كَذَبَ وَتَوَلَّى * قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى * قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ
 ثُمَّ هَدَى * قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى * قَالَ عَلِمْنَا مِنْ دُونِ رَبِّ فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا
 يَنْسَى * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَوَسَّطَ لَكُمُ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
 فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى * كُلُّوْا وَارْزُقُوا أَنْعَامُكُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٌ لِأُولِي
 النُّعَى * مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا آيَاتِنَا
 كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى * قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى * فَلَنَأْتِيَنَّكَ

بِسِحْرِ مِثْلِهِ فَأَجَلٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا تُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سَوًى * قَالَ مَوْعِدُكُمْ
يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشِّرَ النَّاسَ فُضًى * فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ جَمْعَ كَيْدِهِ ثُمَّ أَتَى * قَالَ لَهُمْ مُوسَى
وَبَلَّكُمْ لَا تَقَرُّوْا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى * فَتَنَّا زُورًا
أَمْزَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرَوْا النَّجْوَى * قَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ
أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى * فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتَتْهُمَا صَفَاً وَقَدْ أَفْلَحَ
الْيَوْمَ مِنَ اسْتَسْلَى * قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَنْكُوْنُ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى * قَالَ بَلْ
أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى * فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ
خِيفَةُ مُوسَى * قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى * وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَاصْتَعَا إِنَّمَا
صَصَّعُوا كَيْدَ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى * فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ
هَارُونَ وَمُوسَى * قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ
فَلَا فُطْنٌ لِيُذَيِّبَكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا صُلْبٌ لَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّجْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ آيَاتُنَا
أَشَدَّ عَذَابًا وَأَبْقَى * قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْيَتَنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ
قَاضٍ إِنَّمَا تَنْفَضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِنَغْفِرَ لَنَا خَطَايَاَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ
مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَبِيرٌ أَبْقَى * إِنَّهُ مِنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا
يَحْيَى * وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى * جَنَّاتُ عَدْنٍ
تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى * وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَى مُوسَى
أَنْ أَسْرِ بِعِيَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَحْشَى * فَأَتْبَعَهُمْ
فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَفَشَشَهُمْ مِنْ أَلَيْمٍ مَا غَشِيَهُمْ * وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى * يَا بَنِي
إِسْرَآئِيلَ قَدْ أَجْبَيْنَاكُمْ مِنْ عَذَابِكُمْ * وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَزَرَّلْنَا عَلَيْكُمْ
الْمَنَ وَالسَّلَوى * كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ
يَحِلِّمْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى * وَإِنِّي لَمَفْقَارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى *
وَمَا أَجْعَلُكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَى أَثَرِي وَجَعَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِزِمِّي *

قَالَ قَائِلًا قَدْ فَنَيْتَا قَوْمَكَ مِنْ بَيْدِكَ وَأَصْلَهُمُ السَّامِرِيُّ * فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ
 أَسِفًا * قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَتُكْفِرُونَ أَنِّي أَخْلُقَ
 عَلَيْكُمْ غَضَبَ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلُقْكُمْ مَوْعِدِي * قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا
 مُخْلِئُونَ أَوْزَارًا مِنْ رَبِّنَا الْقَوْمَ فَقَدَفْنَا هَا * فَكَذَلِكَ أَتَى السَّامِرِيُّ * فَأَخْرَجَ لَهُمْ جِلْبَاءَ
 جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ * أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ
 قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا * وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ
 بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي * قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْكَ عَاكِفِينَ حَتَّى
 يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى * قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا * أَلَا تَتَّبِعُنِ أَقْصَيْتَ
 أَمْرِي * قَالَ يَتَّبِعُونَ لِي لَا تَأْخُذْ بِلِحَيَّتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي
 إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْتُبْ لَوْلي * قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ * قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ
 فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي * قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ
 فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ
 عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا * إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ
 كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

اعلم أن هذه السورة من أوائل السور التي نزلت ولذلك أنزل عليه قصة موسى ليأتم به في تحمل أعباء
 الرسالة ومشاقها فقال تعالى (وهل أتاك حديث موسى إذ) ظرف لحديث (رأى نارا) ذلك أنه استأذن شعبيا
 عليهما الصلاة والسلام في الخروج إلى أمه وخرج بأهله من مدين إلى مصر فأذن له فخرج بأهله وماله وكانت أيام
 الشتاء فأخذ على غير الطريق مخافة مالوك الشام وامرأته حامل في شهرها لا يدري أليلا تضع أم نهارا فسار في
 البرية فأخذت امرأته في الطلق فأخذ زنده فجعل يقده فلا يورى فأبصر نارا من بعيد عن يسار الطريق من
 جانب الطور (فقال لأهله امكثوا) أقيموا (إني آنست نارا) أي أبصرت نارا (لعلى آتاكم منها بقبس)
 أي شعلة من النار أوجرة (أو أجد على النار هدى) هاديا يهدي على الطريق أو يهدي على الله تعالى وتوجيه
 المعنى الثاني أن الأبرار مقطوعون على التوجه لمعرفة الله تعالى فهم يندشونها في كل زمان ومكان لأدنى مناسبة
 وقاويلهم أقرب لنكر الله إذا رأوا نورا مشرقا فهم يذكرونه عند الغروب والشروق فكان طلب موسى لمن
 يهديه لربه حين نظر النور أمرا أوجبه فطرته فقال - أو أجد - فوق المكان القريب من النار هاديا للمستعلى
 هو الهادي المتربق والمستعلى عليه المكان القريب من النار (فلما أتاها) أي النار وجسد نارا بيضاء تقعد

كأضواء ما يكون فالضوء النار فيختره الشجرة ولاخضرة الشجرة تغير ضوء النار وكانت شجرة علق
 * قبل أن موسى عليه الصلاة والسلام كان كلما نأت عنه الشجرة وإذا نأى دنت منه فوقه متخبرا وسمعه
 تسبح الملائكة وألقيت عليه السكينة فهناك (نودي ياموسى) قال من المتكلم قال (إنى أنا ربك) فوسوس
 إليه الشيطان لملاك سمع كلام الشيطان فقال أنا عرفت انه كلام الله بأننى أسمعه من جميع الجهات وبجميع
 الأعضاء . وهذا معناه أن المعانى ألقيت على روحه ثم أشرب بها قلبه اشربا حتى فاضت على الحس المشترك
 والحس المشترك هو القوة المودعة فى الدماغ التى هى قابلة لما يرد من الحواس من العالم فتوصله للعقل وهنا
 عكس الأمر جاء العلم من داخل النفس وانتعش فيه . فلهذا رمز بأنه من جميع الجهات أى انه ليس من
 جهة خاصة بل من النفس والنفس لاجهة لها بل هى أمر فوق الجهات كلها كما ان الله ليس فى مكان بل كل
 مكان تحت أمره . ثم أمره أن يخضع لعليه احتراماً للبقعة المقدسة فقال (فاخلع نعليك) وعلم ذلك بقوله
 (لأنك بالواد المقدس) المظهر (طوى) عطف بيان للوادى وفيه تنبيه أن قابلية العلم لا تكون إلا مع (أمرين)
 طهارة النفس من الخبائث كما خلع موسى نعليه اللذين هما من جلد حار ميت غير مدبوغ كما روى مرفوعاً
 وخلع النفس من التعلق بمتاع الدنيا الذى هو العائق عن تحصيل العلم ولذلك أُرْدفه بقوله (وأنا اخترتك)
 اصطفتك للنبوّة (فاستمع لما يوحى) لئلا يوحى اليك (لأننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى) ولا تعبد غيرى
 (وأقم الصلاة لذكرى) أى لتشغل قلبك ولسانك بذكرى بعد ما فرغتهما من علائق الدنيا وأنت فى مكان
 طاهر كما يشير إليه خلع الثياب فى الوادى المقدس (إن الساعة آتية) كائنسة للاحالة (أكاد أخفيها) أقرب
 أن أخفيها فلا أقول أنها آتية وإنما أخبرتها بالأقوال الأعذار * وفى قراءة أخرى بفتح الهزلة أى أظهرها
 ومآل المعنى واحد لأنه إذا قرب من أخفائها أو قرب من إظهارها كان المعنى أنها لم تظهر ولم تخف أى هى
 مهمة على الناس حتى يكونوا على حذر . يقال خفاه وأظهره وأخفاه ضده . ثم قال (لتجزي كل نفس بما تسعى)
 متعلق بآية (فلا يصرفك عنها) فلا يصرفك عن التصديق بمجيئها (من لا يؤمن بها واتبع هواه) ميل نفسه
 الى لذاته المحسوسة فقصر نظره عليه ولم يطلع على خيلة النفوس والعقول والأمور المجببة (فتزدى) فتلك
 (وماتلك يجينك ياموسى) تلك خبر ما أى شئ هذه حال كونها كائنه بينك ياموسى وذلك للانسان ورفع
 الهيبة للأكالة وللتنبية أن المجيزة تقع بعد الثبوت (قال هى عصاى أنوكأ عليها) أعتمد عليها اذا عييت
 أو وقفت على رأس القطيع (وأهش بها على غنمى) وأخط الورق بها على رؤس غنمى * وقرئ: - وأهس -
 من الحس وهو زجر الغنم أى أنحى عليها زاجراً لها (ولى فيها ما رب أخرى) حاجات أسر فاذا سار ألقاها على
 عاتقه فعلى بها أدواته وإذا قصر الرشاء وصله بها وكان يقتل بها الحيات ويحارب بها السباع ويستظل بها . وقد
 ذكر المفسرون عن قصص بنى اسرائيل أن شعبها بالليل كانت تستعملان كشمعة وتصيران عند الاستقاء كالملو
 وإذا ركعها نبع الماء يركعها ونضب بنزعها وهى تورق وتقر اذا اشتوى ثمرة . وكل تلك الروايات لانقيد فى
 الآية والاعلام ولكنها تمثل سواء أمتحت أم لم تصح عجائب الطبيعة لأنها هكذا خلقت فهى تكون غصنا ثم
 شجما يصير شجما ثم دلوا اذا كانت جلد حيوات . فهذه الجوانب حاصلة فى الدنيا سواء أ جاءت على يد موسى
 أم لا . إن الناس يحبون لعصا تنقلب حية نارة وشجرة أخرى وشعما آونة وهكذا وهم فى الحقيقة يشاهدون
 هذا وهم لا يفقهون وينظرون ولكن لا يعقلون . ان المادة تكون تراباً وماء ثم تصير شجراً وزهراً كما قيل فى
 عصا موسى ثم تصير حيواتاً ذاشحم وحلم وجلد فيصير بالدم من جلده والشمع من شحمه . هذه أمور معروفة
 ولكن الناس لا يدركهم إلا ما ليس له قانون ولا نظام ولكن الله أبدع الطبيعة ابتداءً أبجلاً وأبهى من ابتداء
 عصا موسى لأنه يخلق الحيات من المواد القفرة والشجر من الأرض وهكذا . ولكن ليس من الحكمة أن
 يكون العالم سهلاً بل لا نظام ولا ترتيب ولأن الحق "اتبع أهواء الناس فأصبح الشجر ينقلب حيات والحيات تنقلب

عصا والعصى تنقلب شجرا لارتاع العالم الذى نسكره ولضلل الناس سواء السبيل ولجفل الحيوان وخاف
ولضاعت الثقة بنظام هذا العالم . فهذه هى المجزة . ولعمري ان مجزة الله هى هذا العالم ومجزة الأنبياء
أقل من مجزته بما لا يحصى . فلما أجاب موسى بذلك (قال الله له (ألقها يا موسى) انبذها وأطرحها (فألقها)
فطرحها (فاذا هى حية) صفراء من أعظم ما يكون من الحيات (تسمى) تمشى بسرعة على بطنها . وفى آية
أخرى - كأنها جان - أى حية صغيرة الجسم خفيفة الحركة . وفى آية أخرى أيضا - أنها ثعبان - وهو أكبر
ما يكون من الحيات . فاذن هى فى الضخامة كالثعبان وفى الحركة والخفة كالجان
فلما رآها حية كبيرة وشعباتها شدقاها ومحجنها عنقها وعينها تتقدان كالنار تمر بالصخرة العظيمة فتلتقهما
وتقصف الشجرة العظيمة كما قيل . فلما عين ذلك موسى ولى مدبرا وهو شديد الخوف (قال خذها ولا تخف
سنعيدا سيرتها الأولى) أى الى هيئتها ففرداها عصا كما كانت فاطمأنت نفسه فأدخل يده فيها فوجد أنها فى
شعبتها فى الموضع الذى كان يضعها اذ أتوكا . وانما أظهر الله ذلك لئلا يفزع اذا ألقاها عند فرعون (واضم
يدك الى جناحك) الى (جنيك تحت العضد . يقال لسكل ناحيتين جناحان كجناحي العسكر وذلك استعارة
من جناحي الطائر (تخرج بيضاء) مشرقة نيرة (من غير سوء) من غير قبح كنى به عن البرص كما يكنى
بالسوء عن العورة (آية أخرى) أى مجزة ثانية حال من فاعل - تخرج - وانما فعلنا ذلك (لترى
من أياتنا الكبرى) وكانت يد موسى أكبر آية كما قاله ابن عباس (اذهب الى فرعون إنه طغى) جاوز الحد فى
العتيان والتعرد (قال رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى) أى وسع صدرى ليتعمل الوحي والمشاق
وردىء الأخلاق من فرعون وجنسه ويسر الأمر برفع الموانع واحداث الأسباب (واحل عقدة من لساني
يقفها قولى) وكان فى لسانه رته من جرة أدخلها فاه . وذلك أن فرعون حمله يوما فأمسك لحيته واتفها
فغضب وأمر بقتله فقالت آسية إنه صبي لا يفرق بين الجرة والياقوت فأحضرا بين يديه فأخذ الجرة ووضعها فى
فيه ثم لما دعاه قال الى أى رب تدعونى قال الى الذى أبرأ يدى وقد عجزت عنه ثم قال (واجعل لى وزيرا من
أهلى هرون أخى) يعينى على ما كافتى به من المشاق وهو من الموازنة أى المعاونة أى واجعل معينا كائنا لى
وهرون عطف بيان وأخى بدل أو عطف بيان آخر ومن أهلى متعلق بوزر (أشدد به أزرى) أى قوّ به ظهري
* وقيل الأزر القوة (وأشركه فى أمرى) اجعله شريكى فى النبوة والرسالة (كى نسبحك كثيرا ونذكرك
كثيرا) لأن التعاون يهيج الرغبات (إنك كنت بنا بصيرا) علما بأحوالنا وأن التعاون يصلحنا وهرون نعم
المعين (قال قد أوتيت سؤلِكَ يا موسى) أى مسؤولك وهو كَأكل بمعنى ما كَوَل * ويقال ان عقدة لسانه لم
تحل وأن موسى لم يسأل حلها لأن هذا لا يهمهم هرون مع عقدة الأفهام والاعلام فيكون لكلامه
صفة الفهم . فاما تلك الرثة فهى غير هامة . ولذلك قال فى آية أخرى - ولا يكاد يبين - ثم قال تعالى
مذكر له بنعمه (ولقد منّا عليك مرة أخرى) أى أنعمنا عليك فى وقت آخر (إذ أوجينا الى أمك) بالالهام
أو بالنام (ما يوحى) ما يلهم (أن أقذفه فى التابوت فأقذفه فى اليم) أى بأن أقذفه الى اليم والبحر (فألقه
الى البحر) بالجانب والمعنى على الاخبار بأن اليم سيلقه بالساحل (بأخذه عدلى واعدله) أى فرعون
والضاهر كلها راجعة لموسى * يقال انها جمعت فى التابوت قطنا محجوبا فوضعت فيه ثم ألقته فى اليم وكان شرع
منه الى بستان فرعون نهر فيبنا هو جالس على رأس بركة مع آسية اذ بالتابوت فأمر به فأخرج ففتح فاذا
بصبي أصبح الناس وجهها فأحبه فرعون حبا شديدا فلذلك قال (وألقيت عليك محبة منى) ومعنى متعلق بالقيت
ومن أحبه الله أحبته القلوب فآراء أحد إلا أحبه . فهذه المحبة ألقيتها عليك ليتعطف عليك (ولتضع على
عينى) أى ولترى ويحسن اليك وأنا مرأيتك ومرأيتك كما يرى الرجل الشئ بعينه اذا اعتنى به ونظر اليه
* وقرئ - ولتضع - ففتح التاء أى وليكون عمالك على مرأى منى لئلا تخالف به أمرى (إذ تمشى أختك)

إذ ظرف لألقت (فتقول هل أدلك على من يكفله) * روى أن أخته مريم جاءت متعرة فخره فصادفهم يطلبون له مضرعة يقبل ثديها وكان لا يقبل لدى امرأة فقالت هل أدلك على من يضمه الى نفسه فيريه وأرادت بذلك أمه فقالوا نعم جاءت بالأُم فقبل ثديها وذلك قوله (فرجعناك) فرددناك (الى أمك) كما وعدناها بقولنا - إنا رآدته اليك - (كي تقرأ عينها) بلقائك (ولا تحزن) هي بفرأقها أو أنت بفرأقها وقد اشفاقها (وقلت نفساً) نفس القبطي الذي استعانك عليه الاسرائيلي (فجيناك من الغم) غم قتله خوفاً من عقاب الله واقتصاص فرعون بأن غفرنا لك وأمناك بالمهجرة الى مدين (وفتناك فتونا) اختبرناك اختباراً أي ابتليناك ابتلاء الفتون مصدر كالقعود أوجع فتنة أي فتناك ضروباً من الفتن والفتنة المحنة وكل ما يبتلى الله به عباده فتنة . يقول الله خلصناك مرة بعد أخرى . يذكره بإجل ماناله في سفره من المهجرة عن الوطن ومفارقة الآلاف والمشى راجلاً على حذر وقد الزاد وأنه جعل نفسه أجيراً وغير ذلك مما سبق وبما يأتي من قوله (فلبث سنين في أهل مدين) لبث فيهم عشرين سنين قضاء لأوفى الأجلين . ومدين على ثمان مراحل من مصر وهي شرق البحر الأحمر (ثم جئت على قدر ياموسى) قدرته لأن آكلك فيه وأستبئك أو مقدار للرسالة وهو أربعون سنة (واصلعتك لنفسى) أى اخترتك لأمرى وجعلتك القائم بحجتي والمخاطب بيني وبين خلقى كأتى آتت الحجة عليهم وخاطبتهم (إذهب أنت وأخوك بائى) بدلائلى (ولانثيا) تفترا من الوعى وهو التور والتقصير (في ذكرى) أى لاتنسيانى حيثما تقبلتما واتخذنا ذكرى جناحنا تطيران به . ومن ذكره تعالى تبليغ الرسالة فالذكر يشمل سائر العبادات وهو أعظمها مقاماً (اذهبا الى فرعون إنه طغى) أمر موسى أولاً ثم أمره هو وأخاه هنا . وطفغان فرعون ادعاه الرابوية (فقولا له قولاً لنا) ألقاه في القول لما له من حق تربية موسى مثل أن نقولا له هل لك أن تزكى وأهديك الى ربك فتخشى - (له) يتذكر أو يخشى) راجع لقوله - فقولا له - أى بأشرا الأمر وأتينا طامعان أن عملكما سيثمر وأنكما ستهديانه لأن من ارتجى شيئاً طلبه ومن أيسر انقطع عمله . والقصد من ذلك إلزامه الحجة وقطع المعصرة وإن لم يفد هديته (قالا ربنا إنا نخاف أن يفرط علينا) أى أن يجعل علينا بالعقوبة ولا يصبر الى أن تم دعوتنا . يقال فرط إذا تقدم ومنه الفارط وفرس فرط يسبق الخيل (أوان يطغى) أى يزداد طغياناً فيقول فيك ما لا ينبغي (قال لا تخافا إني معكما) بالحفظ والنصر (أسمع وأرى) ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل فأحدث في كل حال ما يصرف شره عنكما (فأباه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بنى اسرائيل) أطلقهم (ولا تعذبهم) بالكاليف والأعمال الشاقة (قد جئناك باية من ربك) بحجة على صدق ما ادعينا هذه الجلة كاليان الجلة - إنا رسولا ربك - قال فرعون وماهى فأخرج يده لها شعاع كالشمس (والسلام على من اتبع الهدى) وسلام الملائكة وخزنة الجنة على المهتدين أو الأمان في الدارين لهم من العذاب انتهى . وههنا ﴿ ثلاث طائفت ﴾

﴿ الطائفة الأولى ﴾ في قوله تعالى - وهل أتاك حديث موسى إذ رأى ناراً -

﴿ الطائفة الثانية ﴾ في قوله تعالى - فألقاها فإذا هي حية تسعى -

﴿ الطائفة الثالثة ﴾ في قوله تعالى - والسلام على من اتبع الهدى -

﴿ الطائفة الأولى في قوله تعالى - وهل أتاك حديث موسى إذ رأى ناراً - ﴾

اعلم أن بعض العقلاء المستبصرين يقولون مالنا ولقصص موسى وأى قائدة لنا في النار المشتعلة في العوسج أوفى العليق أوفى غيرها . وهل هي إلا مهجزة جاءت لموسى وموسى أرسل لليهود واليهود الآن أمة نفرقت في أقطار الأرض وتوراثها معها وهم جند السلم وجند الحرب وجند المال بل هم الذين أقاموا أوروبا وبسبب فلاسفتهم قامت الحرب الكبرى التي استعرت بين الشرق والغرب بل هم أمهات البلشفية فيم اليوم أمهات الحول والطول في اصطدام الأمم كلها بمألمة نارية وبفلسفتهم أخرى . وهم الذين حركوا ألمانيا للحرب بقوة

فلسفتهم ومنهم (شوبنهور) الذي أثار نائرة القوة الخريسة وقال لأحياء للضعيف والضعيف يجب أن يموت وليس يبقى في الأرض إلا الأقوياء الذين طم الحق في البقاء ومن عداهم يجب أن يذبحوا أكراماً للأقوياء والأقوياء هم الباقون والضعفاء هم الميتون . هؤلاء هم اليهود الذين أرسل لهم موسى وهذه القصة حديثة فيل تعاليمهم هي التي ذكرها القرآن هنا أم هذه تعاليمنا . وإذا كانت تعاليمنا وأنا ورثناها عن موسى عليه السلام لأن الله أمر نبينا أن يقتدي به وبالأنباء وجب أن نعرف المقصود منها وماذا نبغنا . أقول اعلم أن هذه القصص نزلت في القرآن لتعليمنا نحن . فأما اليهود فانهم أخذوا ما يهيمهم من التوراة واستعملوا عقولهم حرة في أحوال المدينة والعمران . فها أنا ذا أقول . ماذا يراد بهذا هنا . اعلم أن النار التي رآها موسى تنقد في الشجرة وهكذا العصا التي قلبت حية ما هي إلا بذور ألقاها الله في الأرض لتثمر في العقول والناس في استعمال الحب والبذر على ﴿ قسمين ﴾ قسم فقير يأخذها للغذاء . وقسم آخر يأخذها لفرض الزرع . فأما الذي يأخذ الحب لأكله فهو من لزرع له . وأما من يأخذها للزرع فانه يريد نمو ماله سنة فسنة الى ماشاء الله . فأبى الرجلين أغرز ثروة . لاشك أنه هو الثاني . هكذا في هذه القصص فالعامة يتخذونها غرضاً لعولهم ومقصداً وهي تكفيهم . ويرى العاقل أن انتقاد النار في الشجر الأخضر وانتقال العصا على يد موسى فيهما كل الحكمة وكل القدرة والعلم والحكم الالهية . وأما الخاصة فانهم يقولون ان ناراً تنقد في شجرة لم يرها إلا هو وأخبرنا بها نبينا محمد ﷺ لم نردنا إيماناً لأن إيماننا أصله نبينا ﷺ فإيماننا بها تبع لإيماننا بنبينا ﷺ فلان يزيد إيماننا بهذا النبي وإنما يزيد إيماننا بالمباحث العلمية . وكلما كانت الحجة مشاهدة ومعروفة أكثر كانت أمكن وأتم وهذه الحجة لم نشاهدها ولم نرها . لهذا وجب أن نعرف الحكمة فيها . وجواب هؤلاء أن يقال ان المقصود من أمثال هذه أمور وراءها وهذه أشبه بضرب أمثال لأحوال النفوس البشرية . انها من باب السكناية وهي لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز ارادة للعين الأصلية . فهذا المعنى الأصلي لأغبار عليه ولكن المهم ما يرمن اليه فلنذكر الرموز اليه فنقول

﴿ أنوار القلوب ﴾

ان موسى عليه السلام لما أشرقت النار في الشجرة كان ذلك مقياساً لما سبى به في قلبه إذ عمل بقوله تعالى - ولاتنبا في ذكرى - وبقوله - وأقم الصلاة لذكرى - فهاتان آيتان هما سر هذه النار . سر هذه النار في الصلاة وفي الذكر . الله طلب من موسى وهرون أن يذكرار بهما ويصليا لتتقد نار المحبة في قلوبهما أي لتزيد المحبة . فانه أحب موسى وموسى أحب الله والحب يوجب انتقاد النار في القلوب والصلاة والذكر يوجبان ازدياد الحب والحب تصعب نار الأشواق لاكتناها صفات المحبوب . فنار الشجرة المشرقة مثال لتلك النار القلبية العشقية الغرامية الشوقية التي تنقد في قلب موسى عليه السلام

﴿ هذا موسى عليه السلام فما شأننا نحن ﴾

أقول . اذا قلت هذا أجيبك انك اذا أردت أن تقتدي بموسى فاعلم أن الباب مفتوح على مصراعيه . أقول لك ذلك عن علم وفهم وياقطن بما أقول ولكن لا أود أن أشرح لك ما عرفه ولا ما جرت به ولكني أقول لك اجلس كل يوم ساعة واذكر ربك حاضر القلب غير مفكر إلا في المذكور ثم لتكن في صلاتك الخس حاضر القلب فعلا بمعنى انك تخطب ربك في الصلاة كأنه حاضر بك وكأنه أمامك . هذان هما الشرطان اللذان أطلبهما منك وأنا أقول لك ان أنوار شجرة موسى تنتقل فعلاً في قلبك وتلحظ فيها نوراً فعلياً يسرك استحضاره واشراقه في قلبك وهذا النور والاشراق بديع وجيل وليس هذا إلا مبدأ للفتوح وتلك الأنوار تتوج بألوان وصور بديعة جبلية غريبة . وأما ما وراء ذلك فالناس درجات ويفتح على كل بما يناسبه . واعلم أن الأمم الاسلامية لما أشرقت الأنوار على بعض الذاكرين والصالحين منهم لم يرفعوا رؤسهم الى أعلى إلا قليلاً منهم

فأخذتهم الفرنجة . فأنا أقول لك إنه لا فتوح حقيقية في الأمة الإسلامية إلا إن توجهوا بهمهمهم إلى رقي الأمة الإسلامية متى كان فيهم استعداد فأحب أمة الإسلام كلها ووجد في أرقائها أرقى أرقاء من حولك من أخوانك فان هذه اللمة متى علمها الله منك بالإخلاص ساعدك لأنه يحب من يساعد عباده - والذين جاهدوا فينا لنهذبهم سبلا وأن الله مع المحسنين - هذا هو المقصود من نور الشجرة الموسوية . وكما نادى الله موسى لما رأى نار الشجرة كذلك هنا تشرق أنوار العلم عليك بعد إشراق بصيرتك بتلك الأنوار التي هي أبهج من النار والأنوار الظاهرية . هذا هو تفسير نور الشجرة

﴿ النار والنور ﴾

اعلم أن ابن عباس قال ﴿ إن هذه النار لم تسكن نارا بل كانت نورا ﴾ ذكر بلفظ النار لأن موسى عليه السلام حسبه نارا . وقيل هي النار بعينها وهي لإحدى حب الرب تبارك وتعالى بدل عليه ماروى عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال لأصحابه ﴿ النار لو كشفتها لأهلك سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ﴾ أخرجه مسلم . ولما كان هذا الحديث واردا في صحيح مسلم وجب أن نبعث في أمره ونقول

﴿ هذا الحديث مبجزة في هذا الزمان أظهرها العلم الحديث ﴾

اعلم أن الكواكب أجمعها كرة نارية وأرضا نار وأصل الشمس وسيارتها وتوابعها كلها نيران طائفة دائرة فعلمنا الذي نعيش فيه ماهو إلا نيران . وإنما الجزء الذي نعيش فيه من الأرض هو الذي يرد وباقيها متقد والعالم كله نيران مشتعلة وعالم الأنبر هو الذي نعوم فيه عوالم الضوء والحرارة والكهرباء وفيه تتولد المادة التي تسكن في أول أمرها نارا طائفة في الجو كما هو معلوم . هذا هو عالم الخلق الذي هو إما نارا ومادة مشقة من نار أو عالم اشتقت منه النار وهو عالم الأثر لأن النور والنار والكهرباء متكوّنة فيه فهو إذن أصل النار وعلى ذلك أصبح عالم الخلق كله نارا حقيقة أو حكما . ألا ترى إلى أقرب شيء إلينا وهي حرارة الشمس فانه لو لاهما لم يكن حيوان في الأرض ولانبات فالحرارة هي أصل كل حياة على الأرض . وإذا كان هذا شأن النار فهي حجاب يحجب الله عنا لأنه اذا ظهر الخلق بطن الخالق عند أكثر النفوس وإذا اخفى الخلق تجلى الخالق . فهذه الخلوقات إذن حجاب الله تعالى وثبت أن النار حجابها وانه اذا زال هذا الحجاب تجلى الله لأنه لا يبقى إلا عالم الأرواح وهناك تجلى لهم لايحجبون عنه إلا بما فيهم من الكثافة المادية ففى زالت المادة ورجعت العقول لصفاتها فهناك تجلى الله تجليا تاما لتلك النفوس العالوية . إن هذا الحديث مبجزة لأن العلم أثبت هذا اليوم . ويقول في الحديث ﴿ لو كشف النار ﴾ أى لو كشف هذه المادة ولم يبق لها وجود ﴿ لأهلك سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ﴾ يقول لو أزيلت المادة وتوابعها وأصولها لم يبق إلا عالم الأرواح فأما عالم الأشباح فانه يخفى وينعدم إذ لا وجود له إلا بالمادة فاذا عدمت المادة فأين عالم الخلق وإنما الذي يبقى إنما هو عالم الأمر . انتهت الطبقة الأولى

﴿ اللطيفة الثانية في قوله تعالى - فألقاها فاذا هي حية تسمى - ﴾

اعلم أن هذه الآية سمة للمتقدمة فهناك يقول صفوا قلوبكم وتقوها بالإخلاص والأخلاق والصفاء والذكر والصلاة وهنا يقول سبحانه تأملوا في عصا موسى وإنها قلبت حية تارة وشجرة ثمرة أخرى وشجرة مشرقة آونة وهكذا . وقد علمتم أيها الأذكاء أن هذا ليس مطمح نظر العقلاء ولا مرعى غرض الكبراء وكيف يكون ذلك مرعى الاطفال ومقصد الأخباء ولو أن هذا كان من سيرتنا فيكم لفنبتم أنجبين لأنكم لاتفتنون بنبات أو حيوان أمامكم فربما انقلب النبات حيات أو الحيات حيتانا وهكذا من التقلبات التي لاتعطيك أمانا في حياتكم غاية الامر أن هذه التقلبات السريعة يفرح بها العامة الذين يدهشهم مثل هذا . ولماذا هذا . لأنهم لا يعجزهم من الله إلا القدرة والمجائب . وأما الحكمة فهم عنها غافلون . أما عقلاؤكم فانهم يعلمون أن انقلاب العصا

حية وشجرة وشمة وغير ذلك حاصلة فعلا وهم فرحون بذلك مقتبطون مسرورون طمعون بالشاء على الله إذ أراهم تلك العجايب واسعة فائضة . ففي المادّة من أنواع القلب ما بهرهم بما لا يحصره العدد لكن مع الحكمة والنظام والترتيب ، فالقلب العفن يصير غذاء للحشرات وهي غذاء للحيات وهكذا إلى الأجل لذلك ذكره هنا وإنما تقدّم في سورة (آل عمران) . فإذا ذكرت التافيا تقدّم فهي للحث على صفاء القلوب وطهارتها . وإذا ذكرت العسا هنا فلاحت على مقصودها وهو الرجوع للحقائق العلمية ليعرف الناس العلوم الطبيعية والعلمية وهذا بيت القصيد . ان الانقلاب الحاصل في الكرة الأرضية الآن مرجعه هذه الأعاجيب والدلائل . نوه الله بقلب العسا حية على المآلهاية له من العلوم ولاحد له من الحكمة فقد برع أهل القرب في قلب المادّة وظهر ما خباؤه الله فيها من آثار صنعته وبديع حكمته فقلّبوا الأفتدة والأبصار بنفائس العلوم وغرائب الحكم وأبدعوا ماشاؤا أن يبدعوا وأحدنوا من الكهر باء ومن الفحم ومن البترول ومن الحديد منافع لا يمكن عدّها الآث واستخرجوا من الموادّ أبخرة هوائية طيارة يقذفونها على الأعداء فتعصمهم وتحمهم نارة وتحرقهم نارة أخرى يرشدنا الله بهذه القصة الى عجائب المادّة ويتلّهي العاقبة بعسا موسى وعسا موسى رمز لما ذكرناه فاذا صفت قلوب الصالحين بالذكى والعبادة فليوجهوا الأفتدة النقية الى هذه المادّة فليقرؤا جميع العلوم وليبرعوا فيها كما برع القرنجة ان كننا حقاً نحب الله

﴿ نداء للأذكىاء ﴾

فيا أيها الذكى الذى اطلع على هذا التفسير أنت مسؤول بين يدي الله عما أكتبته وعما وصلك من العلم . انشر هذا بين المسلمين على قدر ما تصل اليه استطاعتك وأرهم أن في الشجر وفي الحجر وفي النجم وفي البحر عجائب الله وأنواره وأرهم أن القرآن يعلمنا أن نخضع رداء الكسل وتجلب بجلايب العمل وأن نكفد في طلب للمالى وقرائة الطبيعة وعلومها . فن أوع بالعسا وحيتها ووقف عند حدّها فذلك من الجهلاء ولكن المسؤول هو المفكر . فليدرس المسلمون علوم المعادن والنبات والحيوان والانسان وعلم الفلك . هذه هي العلوم التى تشير لها عسا موسى . كيف لا والعنصن لا يزهر إلا بإشراق الشمس عليه . فتقلب المادّة وتنوعها يلزمه حرارة الكواكب . فاذن لابد من دراسة هذه المادّة . فويل للمسلمين اذا قصرُوا وويل ثم ويل لهم اذا هم ناموا عن العمل وصموا أذانهم عن سماع هذا القول أو قال قارئ هذا الكلام وأمثاله مالى والمسلمين إن اعلان هذا العلم واجب على كل من قرأ هذا التفسير وأمثاله وإنما خصصت هذا التفسير لأني أوضحت بعض هذه الحقائق فيه إيضاحا يوجب اطاعة اللثام والمسلمون قد ناموا نوما عميقا وتركوا القرآن وفهمه وتركوا حقيقيا - وقال الرسول يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا - هجروه وظنوا أن علم الفقه خلاصته والباقي لا يعمل إلا التبرك به فتركت قصصه ومواعظه وآدابه وأخلاقه ونام المسلمون نوما حقيقيا وسيستيقظون من رقنهم ويقومون من نومتهم ويعلمون ويعملون . أقول هذا وأنا واثق من الله ولولا وثوقي ما كتبت هذا التفسير . فليعلم قارئ هذا التفسير ما عرفه من حوله من الناس بالقول وبالكتابة وبالتأليف وبالنشر بل لشكن أنت الداعى لهذا العمل في أمتك أوقر ينك . فرق من المسلمين من تشاء واعلم أن هذا التفسير سيتناول قوم كثيرين وسيكون كل منهم كأنه علم بهتدى به ويقوم هو بالدعوة منفردا ويستضاف للدعاة في كل مكان . واعلم أن الله لم ينزل ولم يخلق ديننا في الأرض قد اتفق له ما اتفق لدين الاسلام وأنه موافق للعلوم الحديثة وهذه الدعوة التى أدعوك اليها اذا توجهت بها الى أصحابك قبلت ونصرت ووجدت لك أنصارا يحبونك لأني أقول لك إن هذا الدين فيه خاصية العلوم الطبيعية وهذه العلوم سيقوم بها المسلمون باعتبار انها دينهم وانها علم التوحيد وانها معرفة الله وانها تزيد في حب الله فيتعرض هذا العمل ويغري أقرب زمن ويكون المسلمون - خير أمة أخرجت للناس -

إن هذه العقيدة سهلة الزرع في قلوب المسلمين ونتائجها عظيمة جداً . نتائجها الفنى والثروة فى الدنيا للمسلمين وظهورهم كمالك كانت خافية ميتة وابتهاج الأرض بزيئة العلماء وعالومهم وانتعاش المدينة انتعاشاً لم يحلم به من قبل والله ولى المتقين بحسب المحسنين . انتهت الطائفة الثانية

﴿ الطائفة الثالثة فى قوله تعالى - والسلام على من أتبع الهدى - ﴾

اعلم أن هذا السلام المذكور هنا جاء ذكره فى يحيى وفى عيسى . وهكذا جاء فى صلواتنا نحن المسلمين ﴿ السلام عليك أيها النبي ﴾ ويسلم المصلى على نفسه أيضاً وعلى الصالحين . فهنا يقول - والسلام على من أتبع الهدى - . اعلم أن هذه الحياة لاسلام ولا أمان فيها فهى متقلبة متبسة فالأمان فيها معلوم ولكن الله يقول انى أنزل الأمان والاطمئنان على المهتدين والهادية هنا ترجع الى الحكمة والعلم . فكلما زاد الانسان بحثاً فى العوالم زاد اطمئنانه فان الاطمئنان والأمان على ﴿ قسمين * القسم الأول ﴾ أن يكون الانسان جاهلاً ولكنه قد سلم أمره لله فلا يبالى بما يحصل له وهذا يصبح أشبه بالمتوهم تنويعاً مغناطيسياً يقبل ما يأتى به من الله وهذا فى الحقيقة قد آمن وسلم لأن المرض والفقر والموت عنده وان كانت مكروهات مؤلمات فان ما فى نفسه من الراحة والاطمئنان تسليه وتزينة وراحة من ذلك لاسيما أوقات الاستغراق وهى قليلة . أما القسم الثانى ﴿ فان بحثه فى الحقائق المودعة فى هذه السورة والعمل بها يعطيه صورة هذا الوجود وليس يمكن ذلك إلا بدراسة جمع العلوم ومتى درس العلوم أدرك أن هذا الوجود مبنى على النظام والترتيب وأن ترتيبه يقضى أن يكون هناك حياة وموت وأن الأحياء لوداموا لتعطل الوجود ولما توا أشنع موته وهلكوا عن آخرهم وأن هناك حياة روحية وانها أرق من الحياة الجسمية وألطف منها وأن حياتنا سلم لها . فهذا مبدأ الأمان والسلامة ويزيد هذا الأمان بالموت إذ تزيد الحقائق له انكشافاً وكلما ازداد كشفها ازداد بالحقائق اعتراها ففرح بها وبكل ما يأتى به من ربه علماً منه أنه لا ينفصل إلا لمصلحته . فاذا قال المصلى ﴿ السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴾ فن هذا الباب دخل . إذن الصلاة فى دين الاسلام شرعت لأجل ازدياد العلم لأن الأمان وازدياده بالعلم والعلم بالبحث

﴿ أين الأمان فى قصة موسى عليه السلام ﴾

اعلم أن السلام المذكور يجب أن يكون لموسى أولاً حتى يناله غيره . وإذا لم يكن للأنبيا سلام وأمان فكيف يكون للأمم أمان . فاعلم أن قصة موسى تعطيك نموذجاً لنفسك ولأمانك وهذه فائدتها لنا . انظر كيف ذكره بما كان

(١) من إلقاء الحب عليه فلا يراه أحد إلا أحبه

(٢) وأنه يصنع على عينه

(٣) تلتطف أخته فى أن أمه ترضعه

(٤) رجوعه لأتمه

(٥) اقرار عينها

(٦) نجاته من التمس بقتل القبطى

(٧) تخليصه من الفتن

(٨) رجوعه من مدين

(٩) اختيار الله له

(١٠) قوله - إني معكما أسمع وأرى -

إذا سمعت هذا فى موسى فاعلم أن الله لم يذكرها إلا لأجلنا . يقول سبحانه أنا أعلم أنه ليس أحد فى

الأرض إلا وقد غمرته بغم عامة ونعم خاصة . أمالتم العائمة فالناس عادة لا يبالون بها فإذا جعلت الهواء والماء والشمس والقمر والنجوم والأرض والأنهار كلها عائمة للناس فلم يشكر منهم على النعم العائمة إلا المخلصون ولكن شكر أكثر الناس إنما يتوجه إلى ما اختصهم به . وإذا كان موسى من المخلصين لى فانه يشكرنى على النعم العائمة والخاصة ولكنى ذكرته بالنعم الخاصة به تذكرة للأعم وللأهم الاسلامية خاصة قائلا لهم يا أمة الاسلام ما من امرئ منكم إلا وله نعم خاصة به فلقد شاهد من صنعى فى أدوار حياته ما يشرح صدره ويرى من ذلك انى لم أتركه فى كثير من أوقاته ففعلت معه مثل ما فعلت مع موسى مع مراعاة أحواله الخاصة لأن ما يصلح لموسى لا يصلح لك بل لك أمور تفرحك قد فعلتها لك . ولكل أحد من الأشرار والأبرار أسرار لا يطلع عليها سواه فيفرحون برهم بما اختصهم به من النعم . فإذا كان هذا عجبى معك أيها المسلم فى سابق أيامك فلتعلم انى معك فى لاحقتها ومرضك وفقرك وموتك . كل هذا لمصالحك كما رأيت المخافطة عليك فى الأحوال السرية الخاصة بك المتقدمة . فعلى كل مسلم أن يتذكر نعم ربه الخاصة التى لا يعرفها سواه ولا تناسب إلا نفسه وليذكرها ولبشكر الله عليها وليقيم بخدمة اخوانه وحب الناس حتى يكون آمنا مهتديا وهنا (جوهرة النور) (جوهرة الاولى فى قوله تعالى - لعل آيتكم منها يقبس أوأجد على النار هدى -)

(إن فى النار وفى النور هدى)

(١) لقد مضى فى هذا التفسير فى سورة الرعد أن الحرارة والضوء والجاذبية والصوت كلها على نسق واحد تقل كلما تباعدت أقطارها على عكس مربع المسافة وانظر ضرب المثل هناك إذ تكون القناديل الاربعة التى بيننا وبينها ثمانية أذرع مساوية كلها فى الضوء للتقديس الذى بيننا وبينه أربعة أذرع فقط والواحد منها مساو لربع ضوء هذا التقديس القريب فالنار والنور قد عرفنا منهما أن هذا العالم له نواويس منتظمة متوافقة (٢) رأينا فى أضواء العناصر الأرضية خطوطا سودا تقاطع الأشعة السبعة التى أضعتها الأجر وأقواها بنفسجي وحمراء وهذه الخطوط تكون فى كل عنصر بحسبه فهى مختلفات فى العناصر اختلاف أصناف البياض فى أشخاص الناس . فكما ان لكل أبيض بياضا يخصه مع اتفاقه مع الجنس الأبيض هكذا لكل عنصر فى ضوئه نوعا من الخطوط السوداء يختلف نظيره فى غيره . وهذه الكثيفة أمكن العلماء فى عصرنا أن يعلموا ما فى الشمس والكواكب الثابتة من العناصر وأن يحكموا بما فى الأرض على ما فى تلك العوالم من العناصر ما يرون فى أضوائها من تلك الخطوط فيعرفون العناصر عنصرا عنصرا هناك . وبهذا عرف المسلم قوله تعالى - ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور - الخ فهى وافق العالم السفلى العالم العلوى وعرفنا الثانى بالأول وأدركنا أن البانى لهما واحد لأن العمل واحد والنظام متحد وأن الأضواء كلها مركبات من الألوان السبعة . هذه هى الهداية لنظام الطبيعة . وسأأتى ذلك موضعا فى سورة (تبارك) بالتصوير الشمسى عند قوله تعالى - ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت -

(٣) ويتلوهذا أنك ترى النار فى الاشجار وفى الاشجار وتجب من أن الحياة لاتتم إلا بالحرارة وأن البرودة تخمد فيها الحياة ولا توجد . إن الحرارة يكون فيها التحليل والتكيب والبرودة تبقى فيها الاجسام ثابتة . ناهيك أن الجسم المظلمور فى الثلج لا يقر به السلى بل هو باق على حاله . ذلك لان طبع الحرارة التحليل يتلوه التركيب والبرودة طبعها إيقاف الأعمال واعدام الحياة

(٤) رأى موسى عليه السلام النار فى شجرة العليق ويقول الله فى سورة (يس) - الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون - استدل بها على البعث هناك . فى النار هدى لمعرفة الحكمة والقدرة الالهية . وتبين أن هذه الاجسام التى نُسكنها الآن ستندم وتكون الروح أشبه بالنار والاجسام أشبه بالاشجار والنار ترتفع الى العلى - وأن الى ربك المنتهى -

(٥) وهذه هي مغزى قصة (حى بن يقظان) التى ألفها (ابن الطفيل) ذلك انه ذكر أن فتاة خافت من أهلها فأثقت طفلها المسمى بهذا الاسم فأرضعته غزالة فلما ماتت الغزالة هاله الأمر وعظم عليه الكرب ونظر فى حاله وهو وحيد بين الوحوش الضارية والفلوات القاصية فأخذ يبحث عن حبيبه الغزالة أين هى فان كانت هذا الجسم فيها هوذا يستريحه البلى وأصبح جيفة وإن كانت فى جزء من أجزائه فما هو أنى العين أم فى الأذن أم فى السكبد أم فى الطحال أم فى المعدة ثم اهتدى أخيرا إلى أن الحبيب كان يسكن فى هذا القلب والقلب كانت فيه حرارة الدم والحرارة بها بخار والبخار كان يحمل الروح والروح لا تعيش إلا فى وسط مثل هذا وهو يشبه نظام الأفلاك وحرارته تكرارها . إذن هناك فى السموات عوالم تشبه تلك الروح أى روح الغزالة وأذن هناك واحد فوق الجميع ذهب إليه تلك الأم التى كانت تحببى لأنها لطيفة وكان مجلسها فى الجسم ذلك البخار اللطيف وهى تتصرف فيه وتفسر وتروح . هنالك أخذ يفكر فى السكواب والملائكة ومعرفة الله تعالى إلى آخر الرواية وقد تقدم فى سورة (البقرة) نحو هذا

هذه قصة (حى بن يقظان) التى ألفها (ابن الطفيل) ورجع السر الذى فيها إلى الحرارة التى لازمت الروح ومنها فكر فى حرارة الشمس والكواكب وأن هناك أرواحا عالية وفوقها مدبر الأرواح . إذن قوله تعالى - أوأجد على النار هدى - يشير إلى أن النار مذكورة بالروح وبالماء وبالله كما خطر لابن الطفيل . إذن النار فى كلام موسى هى من أهم أسرار الوجود . فبالحرارة الحياة وكل ما لاحتارة فيه لاحتارة فيه والحياة تقال ما قلت الحرارة وتمتع بتنا إذا لم يكن للحرارة من أثر وضوء النار يعطينا القوانين الهندسية ويفتح لنا أبواب الحياة الأخروية ويشير إلى عالم الأرواح ويهديننا إلى النظر فى العالم الأعلى

هذا بعض ما يشير له قول موسى عليه السلام - أوأجد على النار هدى - . إن هذا القرآن ليس بقرؤه موسى الآن ولأحد من السابقين فهو انما يتلى لنا وأما نحن فلندرس الوجود كما يشير إليه القرآن والحمد لله رب العالمين (٦) جاء فى تفسير قوله تعالى - أوأجد على النار هدى - (هاديا يدين على الطريق أو يهدين أبواب الدين) والأول دينوى والثانى أخروى وأخروى أخذها العلماء من أن أفكار الأبرار مائلة إليه والذى جاء فى كلام (ابن الطفيل) فى البند الخامس منه . إذن موسى عليه السلام يطلب الدنيا ويطلب الدين معا فلفهم نحن فى القرآن على قدر عقولنا فلسنا نحن أنبياء والأنبياء لهم مرام فوق متناول عقولنا والقرآن الآن يقرأ لنا فهم عند ربهم ونحن هنا فى الأرض والأنبياء نذكروا بالنار الدين والدنيا والمفسرون قدموا مسألة الطريق على أبواب الدين فى هذه الآية . إذن لنسرى فى طريقنا ونفسر لقومنا بحسب ما يوصل إليه العلم فى أيامنا ونذكر قوله تعالى - وأنبياء أخرجوه فى الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الصالحين - وقوله فى سورة الزمر - قل يا عبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم الذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب - وأكثر العذاب فى القرآن إنما هو عذاب الدنيا . فتجد عادا وثمود وأصحاب الرس ومدى وقوم لوط وقوم فرعون . كل هؤلاء عذبوا فى الدنيا . إذن القرآن متجه إلى نظام هذه الدنيا مع معرفة الله . الله أكبر لقد اجتمع كل هذا فى نار موسى التى رجا أن يجد عندها هاديا يهده إلى الطريق أو يهده إلى أبواب الدين ولكنه وجد الهدى بندا ره الذى تلقاه تلقيا روحيا ثم تمثل ليدنه فانتقل إلى الحسن المشترك فانتش به من غير اختصاص ببعض وجهه . وسبب هذا كله ضوء النار . إن النار والنور والكهرباء والحركة يرجع بعضها إلى بعض فإذا درسناها فأننا ندرس ما يدل على الله وما يدل على أبواب الرزق فى الدنيا . إن النار والنور وما بينهما بهما نظام الحياة وبهما معرفة الله الذى أنزل فى القرآن هذه الآية ليقف المسلم عندها ليسرها . الله أكبر . ولم يكن فى القرآن سواها لكفت . ولأن أقواما نزلت عليهم هذه الآية وعرفوها وحدها لكفتهم أمور الدين والدنيا . جل الله وجل العلم . اه

- (١) الحرارة إما منيرة كحرارة حديدية أحييت حتى ابيضت . واما مظلمة كحديدية أحييت قليلا
- (٢) البرد لفظه اضافية ترجع الى قلة الحرارة
- (٣) البخار يتحول الى غيم بانحطاط حرارته قليلا وغاز الهواء لا يتحول إلا بانحطاط عظيم جدا في الحرارة
- فإن الله الذي جعل الهواء لا يتأثر بالبرودة وقلة الحرارة والا لأصبحنا غرقى في سائله ولم نعش يوما واحدا .
- فالهواء مركب السحاب فالوحدات لا تسكن حياة لنا على الأرض
- (٤) ماهي الحرارة . أجمع العلماء على أن هناك مادة لطيفة جدا تتخلل كل جسم جامد وغيره وهي (الأثير) والأجسام كلها متحركة ذراتها دائما فيه كما تتحرك السيارات حول الشمس . إذن ذرات الأجسام والأثير كلها متحركة . وأكثرهم يقولون إن الحرارة تحرك هذا الأثير وهذه الذرات كما يتحرك الهواء فتتحرك الأغصان بحركته . فذرات الجسم كالأغصان وذرات الأثير كالهواء والحرارة كالرياح . وأقلهم يقولون . كلا . بل الحرارة سائل لطيف يتخلل دقائق الأجسام كما يتخلل الماء الحصى . فاذا طرق الجسم خرجت الحرارة منه كما يخرج للماء من الخرقه اذا عصرت . إذن أجعوا أن هناك مادة سواء أكانت هي الأثير المائي لهذه الدنيا أو هي شيء آخر فالقولان بينهما تقارب ما . وقد تقدم الكلام في سورة (الزهد) على مصادر الحرارة الثلاثة اجالا
- (٥) نعم أقول هنا انظر الى عجب عجاب . قد وجد (جنول) الانكليزي تجارب متعددة أنه اذا وقع جسم ثقله قطار مثلا من علو (٧٧٢) قدما تولدت من حركة وقوعه حرارة ترفع حرارة قطار واحد من الماء درجة واحدة وبالعكس أى ان الحرارة الواجبة لرفع حرارة قطار واحد من الماء درجة واحدة ترفع جسما ثقله قطار واحد علو (٧٧٢) قدما وهذا يسمى (ناموس عدل الحرارة الميكانيكي) ومعنى هذا أن الحداد الذي يطرُق على السندان طرفة لا تذهب قوته سوى بل تتحول الى حرارة والحرارة تتحول الى حركة ومعنى هذا كله أن الله عدل - ولا ينظر ربك أحدا - . فما مثل أعمالنا إلا أكمل الطرق على السندان ومماثل الحرارة الناتجة إلا أكمل الثواب والله يقول - فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى - الخ ويقول - ولا تحزبون إلا ما كنتم تعملون - فالحرارة هي نفس الحرارة إذ تحولت اليها كما تحول الماء الى البخار أو الثلج الى ماء والثلج هو نفس الماء والبخار هو نفس الماء وهذا هو الحديث الشريف (إنما هي أعمالكم تعرض عليكم الخ) إذن أعمالنا هي نفسها التي تكون لنا بعد الموت نسكن فيها وننظر بصور أخرى وهذا حق وصدق . وإذا كان الله لم يضع حركاتنا في الأرض بل جعلها حرارة ونحن نجعلها ولا نراها . فكيف يضيع أعمالنا . اللهم إن هذه النفوس الانسانية ترزع في أنفسها أعمالا وعمراتها تظهر في نفس الدنيا وفي الآخرة
- (٦) ضع ماء على كفتك فانه حالا يسخن بحرارته ويتحول الى بخار فيشعر الانسان ببرودة الماء لأن حرارة كفه انتقلت اليه واخفت في بخاره . وإذا تسكف البخار على كف انسان شعر يسخنه . لماذا . لأن البخار المتسكف كانت الحرارة قد اخفت فيه أى ان البخار لا يزيد حرارته ألبتة وإنما هو يحفظها عنده فاذا رجع ماء سبل الأمانة الى أهلها فيحس الانسان بالحرارة التي سلمها أولا الى البخار . ويقال مثل ذلك في تحول الثلج الى سائل . وعلى هذه القاعدة قالوا إن جود الماء تسخين وذوبان الثلج تبريد . الله حفظ الحرارة في البخار والبخار سلمها الى الكف لانتقص فيها وهذا معنى قوله تعالى - إن الله لا يظلم مثقال ذرة - أصبح القرآن يؤيد العلم المحسوس - فغن يعمل مثقال ذرة خيرا يره -
- (٧) وللحرارة جعل الناس ميزانا سموه (الترمو متر) وهو يكون بالزئبق
- (٨) وبالحرارة كانت الآلات البخارية التي حدثت بسبب آثارها في الماء فيتمدد فيحصل الضغط فيكون

العسل الحبيب فنسقي زرعنا ونطعم حنبا ونسافر الى أعمالنا في أرض الله ونصنع كل شئ . كل ذلك بسبب الحرارة

(٩) وبالحرارة كان السحاب والمطر والبخار الناشئ من البحار ونحوها والريح
(١٠) والكهربائية والضوء ونحوها لها أعمال مشهورة عجيبية من حرم منها حرم السعادة وذل في هذه الدنيا . هذا بعض تفسير قوله تعالى - وأوجد على النار هدى - أى من يهديني لديني أوطرني والحمد لله رب العالمين

﴿ الجوهرة الثانية في الآيتين الكبيرين في سورة طه وفي سورة النجم وفي قوله تعالى

- تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى - ﴾

هاتان آيتان كبيران ﴿أحدهما﴾ رآها موسى ﴿والثانية﴾ رآها نبينا ﷺ فالتى رآها موسى هي اليد التي أدخلها في جيبه فخرجت بيضاء وكذا العصا التي قلبت حية والآية التي رآها نبينا محمد ﷺ هي ماورد في الأحاديث مثل قوله ﴿ثم رفعت الى سدرة المنتهى فاذا بنقها مثل قلال هجر واذا ورقها مثل أذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى﴾ وفي رواية ﴿ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى﴾ الى أن قال ﴿فلماغشها من أمرالله ماغشى تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها﴾ ثم ذكر بعد ذلك أنه فرض عليه الصلوات وعلى أمته

هذه هي الآيات الكبرى فهي عند موسى أمثال عصاه المتقلبة حية وعند نبينا ﷺ مثل سدرة المنتهى العظيمة الغرالكبيرة الأوراق ومثل انها غشيتها من أمر الله ماغشها فتغيرت فأصبحت ذات حسن لا يستطيع أحد وصفه . آية موسى في الهجاب الأرضية وآية محمد ﷺ في الهجاب السجاية . آية موسى تغير في العصا التي اقلبت حية وفي يده إذ صارت بيضاء بعد أن لم تكن كذلك . هذه هي آيات الله الكبرى

هاتان الآيتان المحمدية والموسوية نزلتا في ديننا لفتح باب العلوم والعلوم التي تضمنتها الآيتان الكبيرتان علوم سماوية وعلوم أرضية . كبر الآيات لأحد أمرين إما لأنها عظيمة الحجم هائلة وانها فيها جبال يفوق الوصف واما لأن فيها حسنا يدها غريبا وليس لها أسباب معروفة . فالأول في وصف آيات نبينا محمد ﷺ والثاني في وصف آية موسى . ومن جهة أخرى لاتعدو الآيات الكبرى أحدا أمرين إماعظم الحجم والمقدار واما الإبداع في تغير الأوصاف بحال غريبة ومن الأول كون الورق كأذان الفيلة ومن الثاني انقلاب العصا حية وبياض اليد . هذه أمور وقعت للأنبيا والأنبياء قسوة لأهمهم ولم تنقطع آيات الله بعد الأنبياء وكيف تنقطع وقد علمنا أن الله كما كان يرى الناس على يد موسى العصا ويقول إنه آية هكذا هو ربنا نحن آيات كشيرة فهو يقول - سير بكم آياته - فأتى آيات الله تنكرون ويقول - سير بهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - ويقول - ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر - وهكذا في سورة (الروم) أن من آياته خلق السموات والأرض واختلاف الأنسنة والألوان والنوم بالليل والنهار وطب الرزق والبرق وأنزال الماء وأخرج النبات وكون العالم كله قائما بأمره . تبين من هذا أن الآيات كما أراها لنبينا محمد ﷺ ولوسى وقومه هو الآن يريها لنا لم تنقطع ولكنه وصف ما حصل للأنبيا بأنها آيات كبرى . فيا ليت شعري ما هذا السر . نحن أولاء نرى الآيات في كل شئ فكما كتب آيات - وفي الأرض آيات للموقنين - الخ الآيات عن إيماننا وعن شاكلتنا وفوقنا وتحتنا بنص القرآن . الله وعدنا أنه سيرها لنا وليست خاصة بسدرة المنتهى ولا بعصا موسى مثلا

أقول . إن الآيات كبرها وصغرها على مقدار تأثيرها في نفس من يراها . فسدرة المنتهى لما غشيتها ماغشها امتازت بتأثيرها الشديد وفعلها القوى على مقتضى استعداد ﷺ وهكذا عصا موسى ويده . فالآية في الأولى والآية في الأخرى فتحنا لنا أبواب العلم في الآيات التي عندنا . الله أكبر قد انفتح باب الجواب

وظهر السرّ المسكون في هذه الآيات . نزل القرآن لرقينا نحن . وليس للجاهل من سماع آية سدره المنتهى
ولامن سماع عصا موسى أثر لرقبه . تتكرر هاتان الآيتان الكبيرتان على أسماع الناس في الأمم الاسلامية
فيمراً أكثرهم عليها وهم عنها معرضون . وماعلموا أنها فتح لباب العلم بما في الأرض والسما
غشى سدره المنتهى من أمر الله ماغشينا فسكانت آية كبرى لحسن المنظر وعظم الهيبة والإبداع السريع
قلنا إن كبرالآية على مقدار تأثيرها . فتأثيرها تين الآيتين كبير فلذلك كانتا كبيرتين . إذن لا تكون
آيات السموات والأرض التي وعد الله أنه سيربها لنا فنعرفها نافعة إلا اذا تركت في نفوسنا أثر كما أثرت تانك
الآيتان الكبيرتان . ولن يكون الأثر في نفوس الأتباع كالأثر في نفوس المتبوعين بل الأثر هناك أعظم
وبالاختصار لا تفيدنا آيات السموات والأرض إلا بالبحث والعلم بحيث نصل الى درجة يتحدث عندها في
نفوسنا آثار تلك الآيات . ومماثل الآيات عند الغافل إلا اكتمل الجبال عند العميان وحسن الصوت عند
صم الآذان . وليس للثائم من علم بما يجري في العالم من خزن وفرح وعزّ وذلّ فهو والميت في هذا سواء
لاعلم لنا بآيات الله إلا بدراسة العلوم التي أحاطت بالأمم الاسلامية . ولقد جاء التصريح بذلك في قوله
تعالى - وقال الحمد لله سربكم يكآته فتعرفونها - . حقا ان هذا زمانه . أرانا الله الآيات العلمية في أوروبا
وبلاد اليابان وتبعها الصين فلعينا معرفتها . فهاهوذا أرانا الآيات فقرأناها في كتبهم . ففسدا ليس يكفينا بل
لايد من أن نعرفها . فهنا ﴿أمران﴾ لإراءة من الله وقد حصلت فعلا بأمثال هذا التفسير والمدافع والطيارات
فهذا التفسير لإراءة من الله للمسلمين هو وأمثاله قولية والمدافع والطيارات والغازات الخائفة التي يرسلها أهل
العرب على بعض بلاد الاسلام آيات فعلية ﴿وبعبارة أخرى﴾ آيات السيف وآيات القلم
فعل الله الآن مع المسلمين ما فعله المعزّ لدين الله الفاطمي إذ فرق الذهب على عطاء الأمة المصرية في المجلس
وقال هذا حسبي ثم جرد سيفه وقال هذا نسي . وهذا هو نظام الله كنه . جنة نار وقلم وسيف وهو غفور
رحيم وهوشديد العقاب وهو عزيز جبار متكبر كما انه ودود رحيم لطيف وهاب رزاق فتاح الخ
فهذان الوصفان اليوم قد ظهرا لأمة الاسلام . أحاطت بهم الأمم من كل جانب وهم جاهلون ناشمون
فرفع السيف عليهم والطيارات والغازات الخائفة وألمهم رجال العلم في الاسلام فأروهم اليوم أن العلوم لايد منها
حتى يمكن أن نعيش مع الناس . وماالعلوم إلا آيات الله وآيات الله هي كل ماحولنا ونراه أو نلمسه وهذه لا تؤثر
في نفوسنا وتسكون جبهة الحيا بهجة إلا بالدرس والدرس هو الذي يجلي هذه العوالم لنا باسمه التفرجية الحيا
حسنة الشكل بهجة تسرّ الناظرين كما كانت سدره المنتهى وكما كانت عصا موسى . فسدره المنتهى تشير
لعلم الفلك وعصا موسى وبده تشيران لعلم الطبيعة والكيمياء . نحن لانقل جبال السماء فتكون عندنا آية
من آيات الله إلا بعلم الفلك ولانقل عجائب الأرض إلا بدراسة علم الطبيعة والكيمياء . الكيمياء سحر حلال
هي إبداع الله في الأرض . هي بهجة الدنيا . بها تنقلب الأجسام من حال الى حال وتبهج العقول وتخبر
الأفكار . واذن تكون هذه من آيات الله التي أراها لنا فعرفناها . فأما اذا لم نقرأ هذه العلوم فانه يكون
أراها لنا ولم نعرفها وهذا هو الخزي العظيم . الله ربنا ونحن لا نريد أن نرى ولا نتدبى بأنبيائه إذ أراهم
الله فقرأوا . نعم هم رأوا بالهداية الالهية والوحي ولكن نحن مأمورون بالعمل والفكر حتى نفهم الآيات فلسنا
أنبياء بل نحن مكفون بالاقتداء . ان المسلمين اذا لم يفكروا في مثل هذا فقد أساءوا الظن بكتب الله
إن هذه الآيات انما نزلت لمثل هذا المقام . بل أقول نزلت لترينا في هذا الزمان مايجب علينا من قراءة
العلوم . هذا التفسير وأمثال هذا التفسير من نوع إراءة الله للمسلمين . فعلى المسلمين بعد اليوم أن يعرفوا كل
علم على حسب ماقرآناه في أواخر سورة (البقرة) عند قوله تعالى - لا يكلف الله نفسا إلا وسعها - وفي
مواضع أخرى

هذه العلوم هي التي تربنا الجبال في هذه الدنيا والهيبة وكنت أود أن أورد مسائل من علوم السموات والأرض ولكن قد مر في هذا التفسير والجد لله عجائب ومجائب تشرح صدر اليبس وهي كثيرة في كل سورة تقدمت مثل ان مادة الفحم هي بعينها الألباس . فهذا العنصر نفسه هو نفس الفحم وهكذا الفحم يستخرج منه العلامات مثل الألوان للصباغة وغير ذلك . وقد تقدم الكلام عليه بأسباب في أول سورة (الأنعام) وهكذا أعظم السكاك تراه في كل السور السابقة تقريبا مثل ماسر في أول سورة (يونس) وغيرها . كل ذلك عجب بل من أعجب العجائب ولكن الذي منع التعجب انما هو العادة . فالتناس لايتأدهم النظر الى ما حولهم غشى على عقولهم . وليس يحصل التعجب إلا اذا حصل أحد ﴿أمرين﴾ إما أن يكون الأمر خارقا للعادة كما اذا رأى الانسان نباتا غريبا أو حيوانا غريبا فانه يدهش ويعجب ويسبح ربه مع أن هذا الحيوان عند القوم الذين يعيش بين ظهرائهم لا يلتفتون اليه . واما أن يتعلم الانسان سر الأشياء بالعلوم المشهورة فكل ما كان غريبا على النفس يثير فيها الإعجاب وكل ما كان معتادا لا يثير منها ساكنا . بل ان العسا قلب حية على طول الزمان . فالعسا قد تنفتت ويعتبرها البلى وتصعب من مواد الأرض بالتركيب ثم تصير طعاما لبعض الحشرات وتلك الحشرات تأكلها الحيات فتقلب اليها . إن العالم الذي نعيش فيه في قلب مستمر فكل ينقلب الى كل على طول الزمان ولكن هذا لاعتياد الناس عليه لا يؤثر فيهم . فعلى قادة الأمم الاسلامية أن يثيروا الإعجاب في نفوس الطلاب بما ينشرون في مؤلفاتهم للأطفال وغيرهم صور العجائب التي تهيجهم ليزر ما يمكن في نفوسهم من الوجدان وحب العلم كما فعلت الفرنجة إذ يسمون لأنفسهم في كتبهم صور العجائب البديعة

﴿الورق والحري من الخشب﴾

(١) وأذكر لك اليوم ما قرأته عن أم الألمان إذ جاء من أخبارهم الزراعية ان لديهم ثلاثين ألف ألف فدان من مائة ألف ألف فدان صالحة للزراعة لأننا في لهم بغذاء الانسان والحيوان وانما هي غابات تعطيهم مواد البناء والأدوات والرياش . وهكذا فيها المواد الأولية لصناعة الورق والحري الاصطناعي لأنهم يستخرجون منها (رب الورق) و (السليوس) وهو المادة الأولية لصنع الحري الصناعي الذي انتشرت صناعته وأخذت في الازدياد بالنسبة الى ذبوع استعماله لاسيما بعد اتقان صنعه وجعله متينا وذلك فضلا عن اتخاذ خشب هذه الأشجار ومتخلفات أشجارها للتدفئة . هذا هو الذي قرأته اليوم (١١ نوفمبر سنة ١٩٣٧) عن أم الألمان أثناء كتابة هذا الموضوع . فمثل أن الحري يتخذ من الخشب وكذلك الورق أمرها عجب عندنا لغرابته فكيف تكون الاشجار التي نوقد منها ولصنع أدواتنا نلبس منها أعلى الملابس وأجلها وأبهجها . ففسر أمثال هذا في بلادنا بشير الإعجاب أولا وحسب العلم ﴿وثانيا﴾ يبعث في النفوس حب استخراج المنافع من الارض وماعليها ﴿وثالثا﴾ يبعث فريقا من الناس على حب صانع هذا العالم الجميل

(٢) الحري ينبت في الصخر وهو يسمى (الحري الصخري) وهل أتاك نبأ (الحري الصخري) ذلك الذي يكون على بعض الصخور وقد يلبسه رجال المطافي لأن من خواصه أنه اذا وضع على النار لا يحترق . ولقد وضعت أنا بنفسى على النار لطلبة (دارالعلوم) إذ كان مدرس هذا العلم غائبا وأنا بنى عنه فصار الطلبة يتعجبون . ولما وضعته على النار مدة وطلبوا بقاءه مدة أخرى لم يتأثر وانما النار تحرق الجرائم المتعلقة به فتنتظفه فهي بالنسبة له تقوم مقام الماء

(٣) وهل أتاك نبأ (شجرة الخبز) التي تنبت في بعض بلاد (آسيا) وقد ذكرت في كتاب ﴿جبال العالم﴾ أو ﴿جواهر العالم﴾ وكيف يأكل القوم هناك منها خبزا كالخبز الذي نتعاطاه نحن في بلادنا

(٤) وهكذا شجرة (القشدة) التي يتخذ منها القوم لبننا خالصا ساغعا للشاربين وهي مذكورة هناك

﴿ بهجة العلم ﴾

فتصور أيها الذكي بيتا تسكنه من الخشب وكراسيه وأدواته منه والملابس التي تلبسها أنت وأهلك إما من حرير الخشب الذي يتخذة الألمان وإما من الحرير الصخري وكلاهما حلال في ديننا لأنه ليس حرير البردة ثم جيع الغرش والمساند من ذلك الحرير . ثم إنك اتخذت أنت وأهل بيتك مواقد وأدوات للزركلها من الخشب وقد غلفت وغطيت بأغطية من الحرير الصخري المذكور وأخذتم تأكلون الخبز واللبن والزبدة من الشجر . فماذا بقي بعد الآن . أثبت الله لنا منازل وملابس وما كل ومشارب كلها من الأرض بلا فعل حيوان ولا إنسان . هذه من آيات الله عند الحكماء ولا عبرة بها عند الجهلاء . نذكرنا بهذا آية - لقد رأى من آيات ربه الكبرى - وآية السيد والعصا . اللهم إني أنذرت وحذرت ونصحت على مقدار جهدي وأنت يا الله مدبر الخلق عظم التدبير مبدع المجربات والقرائب . فكما أبدعت من الشجر لنا خبزاً ومن الصخر حريراً فاجعل اللهم بعد جهل المسلمين علماً واشتق من نومهم نغلة ومن ضعفهم قوة ومن ذلهم عزة إنك على ما تشاء قدير . انتهى صباح يوم السبت ١٢ نوفمبر سنة ١٩٢٧

﴿ الفصل الثالث من قوله - إنا قد أوحى إلينا أن العذاب على من كذب وتولى - إلى قوله - وذلك جزاء من تركي - ﴾

قال تعالى (إنا قد أوحى إلينا أن العذاب على من كذب وتولى) أي إنما يعذب الله من كذب بما جشابه (قال) فرعون (فرن ربك يا موسى) أي فن إلهكما (قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) أي أعطى كل شيء من الأنواع صورته وشكله الذي يطابق كماله الممكن له ثم عرفه كيف يرتفع بما أعطى له وكيف يتوصل إلى بقائه . فالإنسان والحيوان والنبات في ذلك سواء كل أعطى صورته الخاصة به وأهم وتعلم كيف يستفيع به وذلك ظاهر في الأولين . وأما النبات ففيه نوع حركة وحس ضعيف كما تقدم (قال فما بال القرون الأولى) أي فما حال القرون الماضية والأمم الحالية (قال علمها عند ربّي) أي أنه غيب ليعلمه إلا الله فأنا عبد مثلك لا أعلم إلا ما علمني ربّي (في كتاب) أي كأنه في كتاب وهذا تمثيل لرسوخ العلم عند الله لا يضيع كما قال (لا يضل ربّي ولا ينسى) ضلّ الرجل أخطأ الشيء ولم يهتد إليه ونسى إذا ذهب عنه الشيء بحيث لا يخطر بباله وهذا محالان على الله تعالى . ثم وصف الربّ بأنه (الذي جعل لكم الأرض مهداً) وقرئ - مهاداً - فالمهد مصدر سمي به أي جعلها لكم كالهد تهمدها والمهاد اسم لما يفرش أوجع مهد فحصل المعنى أن الأرض تنقلب فيها كما يتقلب الصبي في مهد الذي مهد له وارتاح فيه وأطمأن إليه وسكن له (وسلك لكم فيها سبلاً) وجعل لكم فيها سبلاً بين الجبال والأودية والبراري تسلكونها من قطار إلى قطر ومن أمة إلى أمة (وأزل من السماء ماءً) مطراً (فأخرجنا به) بذلك الماء (أزواجاً) أصنافاً من وصفها وبينها فقال (من نبات شتى) وشتى صفة نبات وهو جمع شتيت كريض ومرضى أي متفرقات في الصور والأغراض والألوان والطعوم والمناقع الخ . يقول الله فأخرجنا بذلك الماء أزواجاً الخ حال كوننا قائلين (كلوا وارعوا أنعامكم) أي أذن فيهم (لأن في ذلك لآيات لأولي النهي) أي لئلا يتردى العقول جمع نهي (منها خلقناكم) فالبادئة الأرضية منها خلق آدم وخلقنا لأنها تكون نباتاً وحيواناً وهما يصبحان أغذية لنا تصير دماً فلحمهما ففظالما . فنحن من التراب لا آدم وحده (وفيها نعيذكم) للدفن فنفسك ماركناه من أجزاء أبدانكم (ومننا نخرجكم تارة أخرى) يوم القيامة للبعث والحساب فنؤلف أجزاءكم ونردّها أرواحكم (ولقد أربنا أناتنا كمالها) بصرفه وعرفناه صحتها سواء أكانت خارقة للعادة أكانت تبصرة وذكرى في الكائنات المذكورة (فكذبوا) والايحسان والطاعة لعنوه وقوله (من أرضنا) أرض مدر (بسحرك يا موسى) هذه حيرة منه فإن الساحر لا يطرد ملكاً من ملكه وإنما يطرده الذي فسكأنه شعر بصدقه (بسحر مثله) مثل سحر ك (فاجعل بيننا وبينك

موعدا لا تخلفه أى مكان موعد أى وعد لا تخلف الموعد (نحن ولا أنت) ثم أبدل من المكان المقتر قوله (مكانا) ووصفه بأنه (سوى) يضم السين وكسرهما وهو من الاستواء أى منصفاً بيننا وبينك أى يستوى مسافته الينا واليك بحيث لا يجاوز أحداً ما حدث له من المكان . فهذا أفاد أن الوعد لا يخلف وأن المكان يكون مناصفة بينهما وحيث أجاب و (قال موعدكم يوم الزينة) قد كان الطلب للمكان وهذا الجواب للزمان فيقال ان يوم الزينة الذى هو يوم ﴿التيروز﴾ عند الأمة المصرية كان له مكان معين فهذا عرف الزمان والمكان (وأن يحشر الناس ضحى) أى يجمع الناس وقت الضحوة نهارة جهاراً ليكون أبعد من الريبة (فتولى فرعون) أذير عن موسى معرضاً (لجمع كيد) مكره وسحرته ولا معنى لعنهم (ثم أتى) للوعد (قال لهم موسى) أى للسحرة (وبلستم تأتقروا على الله كذباً) لاندعوا آياته ومجزاته سحراً (فبستحكم) فبستاصلكم وبهلككم (بغضب عظيم) (وقد غاب من افترى) من كذب على الله (فتنازعوا أمرهم بينهم وأسرؤا التدجوى) أى المناجاة أى اختلفوا فيما يعارضون به موسى وتشاوروا في السر وأدلى كل فريق بحجته وأسرؤا فيما بينهم وهم يتناجون ﴿إنه ان غلبنا اتبعناه لأنه إذن يكون نبياً﴾ ثم أعلنوا ما بأنى (قالوا) بالعانية (ان هذان لساحران) أى انه أى الحال والشان هذان لساحران فالمبتدأ والخبر جملة خبر ان المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة (يريدان أن يخرجاك من أرضك) مصر (بسحرهما وبذهبا بطريقتكم) بدينكم وشريعتكم (المثل) الفضلى تأثيث الأمل وهو الأفضل (فأجمعوا) فاحكموا أى اجعلوه مجماً عليه (كيدكم) هو ما ياكب به (ثم اتوا صفاً) أى حال كونكم مصطفين لأنه أهيب في صدور الرائيين (وقد أفلح اليوم من استعلى) وقد فاز من غلب والجملة اعتراضية (قالوا) أى السحرة (باموسى إيماناً ثاقى) عصاك أولاً (واما أن نكون أول من أفلح) أى اختر أحد الأمرين وان وما بعدها في الموضوعين مصدر منصوب بالفعل المضمر الذى ذكرناه وذلك للأدب (قال بل ألقوا) مقابلة أدب بأدب وإشارة الى أنه لا يلبى بسحرهم فألقوا حبالهم وعصيهم الى لطحوها بالزنبق الذى من عادته أن يتأثر سريعاً بحرارة الشمس فها أسرع أن تحرك تلك الحبال والعصى (فأذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها نسي) أى فألقوا ففاجأ موسى وقت تخيل سعى حبالهم وعصيهم من سحرهم فإذا هى للفتاة (فأوجس في نفسه خيفة موسى) فأضربها خوفاً من مفاجأته بذلك على مقتضى الطباع البشرية (قلنا لا تخف) ماتوهت وعلل ذلك بقوله (لأنك أنت الأعلى) * وألقى ماني يمينك باموسى (تلقف ماصنعوا) أى تلتمم وتبذل (إنما صنعوا كيد ساحر) أى حيلة ساحر (ولا يفلح الساحر) أى جنبه (حيث أتى) حيث كان وأين أقبل (فألقى السحرة سجداً قالوا آمنا برّب هرون وموسى) فهم أولاً ألقوا حبالهم وثانياً ألقوا رؤسهم للسجود (قال) فرعون (أمنت له قبل أن أذن لكم) فى الإيمان له (لأنه لكبيركم) عظيمكم فى فنكم (الذى علمكم السحر) وأنتم تواطئتم على ما فعلتم (فلا تظننّ أيديكم وأرجلكم من خلاف) اليد اليمنى والرجل اليسرى أى لأقطعها مختلفات (ولأصليكنم فى جذوع النخل) لما تمكن المصابون من المصابول عليه جعل كأنه فيه وقد أطال فى ذلك علماء البيان فلا نضجع وقتنا فى العلوم الصناعية (ولتعلمنّ أينما) أنا وأرب موسى (أشدّ عذاباً وأبقى) أدوم (قالوا لن نؤثر) لن نشارك (على ما جاءنا من البينات) القاطعة الدالة على صدق موسى (والذى فطرنى عطف على - ما جاءنا - فافض ما أنت قاض) أى ما أنت قاضيه أى صانعه أوحاكم به (إنما تقضى هذه الحياة الدنيا) أى إنما تحكم علينا فى الدنيا وليس لك علينا سلطان فى الآخرة فقوله - هذه الحياة الدنيا - منصوب على الظرف (إنما آمنّا برّبنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر) ما أكرهتنا معطوف على خطايانا * يقال ان السحرة عرفوا بعلامات عندهم أن موسى عليه السلام ليس ساحراً فأبى فرعون عليهم وأكرههم على معارضته (والله خير) منك ثواباً (وأبقى) عقاباً (لأنه) أى الحال والشان (من بات ربه مجرماً) كافراً (فان له)

للمجرم (جهنم لا يموت فيها) فيستريح (ولا يحيا) حياة ينتفع بها (ومن يات به مؤمنا) مات على الإيمان (قد عمل الصالحات) بعد الإيمان (فأولئك لهم الدرجات العلى) جمع العليا ثم أبدل منها (جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها) دائماً فيها (وذلك جزء من نركي) تظهر من الشك بقوله لإله إلا الله وهذه الآيات الثلاث من كلام الله . انتهى التفسير اللفظي للفضل الثالث . وهنا ﴿ أربع لطائف ﴾

(١) في قوله - قال ربنا الذي أعطى كل شئ خلقه ثم هدى -

(٢) وفي قوله - قال فما بال القرون الأولى - الخ

(٣) وفي قوله - ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى -

(٤) وفي قوله - فألقى السحرة سحجدا -

﴿ اللطيفة الأولى - قال ربنا الذي أعطى كل شئ خلقه ثم هدى - وفي اتصال هذه السورة بالسور قبلها ﴾

هنا بيت القصيد من رسالة الأنبياء فانه لما سئل عن ربه لم يجب إلا بأنه هو الذي صور الصور وهدى كل نوع من الأنواع مستقرّة ومستودعه وأحواله الخاصة به . ثم اعلم أن هذه السورة متصلة بالسور قبلها كأنها هي سلسلة واحدة . ألا ترى أن سورة الحجر قد جاء فيها ذكر أنواع المواليد الثلاثة مرتبة من أدناها إلى أعلاها ثم في سورة النحل من أعلاها إلى أدناها ثم ذكر بينها الإنسان تارة أخرى هناك ثم جاءت سورة الاسراء وهنا ظهر عالم الأرواح في الاسراء وفي مسألة الروح وتجلي موسى في السماء السادسة وقابل نبينا محمدا ﷺ وراجع ﷺ ربه بإشاراته في الصلوات الخمس وما زاد عليها فهذه المحاورة بينهما والمحاورة في العمل أشارت إلى ما بين الآيتين من علاقات العلم . لهذا جاء في سورة الاسراء قلب أمة اليهود في النعيم والشقاء المتتابعين عليها في الملك . ثم تبع ذلك قصص الخضر في سورة الكهف وكيف كان أمره مع موسى وتلاذد الاشارة إلى مناجاة موسى في سورة مريم واتمام ذلك كله هنا في سورة طه . فالاسراء والمائدة فيها يناسبها أن تكون دروس الأمة الاسلامية مشقة من قصص موسى . فتارة يذكر نظام دولهم وتارة يبين طريق تعليمهم وأن علم الله فوق علم العالم وتارة يصف الدعوة وكيف كان موسى يدعو فرعون . فهذه السورة متصلة بما قبلها أي أن هذه القصة هنا اتمام لما جاء في سورة مريم من النبذة الخاصة بموسى وتكميلا للتعليم . فاذا ظهر في سورة (الاسراء) نظام الدول وفي الكهف اشراق العلم . ففي مريم وفي طه تبين الجبال الأصلية وازدهر العلم فيهما ازدهارا . ألا ترى كيف جعل العصار من نظام الطبيعة وابعثنا قويا على فهم تقلباتها كما قررناه كأنه يقول أيها الناس من هنا فليكن البحث . فاذا رأيت العصار واتقلبا حية فاعلموا أنكم في مادة كلها صور منقلبة منتظمة فادرسوها

﴿ تمثيل القصص القرآني بالنظام الطبيعي ﴾

واعلم أن قول الله وعمله متناسبان . ألا ترى أنه يقول - ماترى في خلق الرحمن من تفاوت - فقلوه وفعله متناسبان تناسبا حقيقيا . أفلا ننظر معي إلى الذكور والاناث من نوع الانسان . أفلا ترى أن الله سبط على كل من الذكر والأنثى الشبق والشهوة بحيث لا يخطر ببال الشاب ولا الشابة وقت الخطبة إلا الاقتراب لقضاء الشهوات . فاما ذكر الولد ونظام الأسرة وما أشبه ذلك فاتها هو أمر ثانوي . فترى الشاب والشابة كل منهما يرى أن كل أماله أن يحظى بهذه الشهوة التي استوى فيها هو وسائر الحيوان والنبات حتى اذا ما اقترنا واقتربا واختلطا وجلت وولدت . فاذا ترى . ترى أن بعض الحب والغرام والعطف انتقل إلى هذا المولود . ترى هذا الشاب الذي كان ملأوا شبقا وغراما وعشقا وشوقا لزوجه قد اقتطع من هذا كله جزء وجعل بصفة أخرى وهي صفة الرحمة فانقلب بعض الشهوة رجة ثم لا تزال الشهوة تضاهل والرحمة تتكامل ويعقب ذلك كله حب للزوجة ينمو على وجهه أعلى وهو حب المنفعة ونظام الأسرة فينتقل الحب من الشهوة إلى حب المنفعة ونظام

الأسرة وحب الأخلاق والمائل لاجترار الشهوات حتى إذا كبرا انقلب جميع تلك الطباع فأصبحت رجة وتربية وعطفًا وأخلاصًا قلبيا لاشهوة معه وبالاختصار انقلب الشهوة رجة وكانت النتيجة الراد . فأزله شهوة وآخره نسل فالشهوة إذن مبدأ العمران ونظام المدن . هذا ماجرى في الطبيعة

انظر في هذه القصص . يذكر في القرآن عصا موسى ونار العليق المتقدمة ثم ننظر فغري أن العامة يفرحون بها وتشرح صدورهم بل الله سبحانه ألهم العلماء في كل أمة فألفوا قصصا سارا جامعا لنوع اللذة الحاصلة من الغرابة والفسكة مع الإشارة الى بعض الفضائل . فمثل ما في القرآن أشبه بالجال الطبيعي ومثل ما في ﴿كلمة ودمنة﴾ من حكاية الثور والأسد والذئب وابن آوى والغر والعلب والحمامة المطوقة وما أشبه ذلك كمثل الحلى المصنوع بأيدى البشر . وكذا أن الجبال الحقيقية في الفوائى والتكافى المصنوع بأيدى البشر من الحلى قد أنتجا البنين والبنات بالاقتران هكذا الجبال الحقيقية في قصص القرآن من العواصم والحياة وحكاية موسى وهرون والجبال الصناعتى الذى صاغته أيدي البشر في الروايات التى تخيلوها قدام نتجت أدبا جبا وعلمنا وحكمة . ناهيك ما تولى في هذه السورة . لم يكشف الله سبحانه بما ذكره في أول السورة من السموات والأرض بل رجع الى ذلك ثانيا فذكر أنه - أعطى كل شئ خلقه - الخ ثم أبان أنه أنزل من السماء ماء وذكر النبات وأنواعه والبهائم ونوع الانسان إذ يولد ويموت ويبعث . هذه هى دائرة الوجود وسلسلة المواليد الثلاثة بعد ذكر السموات والأرض . فيها هوذا أعادها هنا كما ذكرها في النحل والحجرات . هذه الجباب قد أشار لها بعصا موسى وتقلبها ثم أرضعها في خطاب فرعون وصرح بالمطلوب من ذلك فقال - إن في ذلك آيات لأولى النهى - كأنه يقول إن عجائب هذه الدنيا هى الآيات التى يفهمها أصحاب العقول التى تهى عن الشر والجهل . فكأنه يربى الشاب والشابة قد تدجرا في حياتهما من الشهوات الجاذبات للاقتران الى تربية التربة وإصلاح الحياة . هكذا يتدرج الجهال والأطفال عند سماع القصص الشريف والمعنى اللطيف والأدب الجم في القرآن والأدب الصناعتى في غيره الى الحكمة والعلم وفهم الحقائق الكونية . وكما نرى أن الشاب والشابة يصيران في آخر أمرهما مشتركين في التربة وقد صارا شيخين كبيرين لاهما لهما إلا نظام الأبناء وتربيتهم وزواجهن وتربيتهم . هكذا حكاه هذه الأمة وعقلائها ينظرون في أمثال قصص موسى وهرون شيئا مستلذ به فرحين ويتدرجون منه الى العاوم الطبيعية المحيطة بنا مستأنسين أولا بالنار والعليق وبالعصا والحية وتقلبهما ثم بعد ذلك يتعلقون بنفس الحقائق مباشرة كما ترى في قوله تعالى - قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى - وفى قوله - الذى جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا - الى آخر هذه السلسلة النباتية والحيوانية والانسانية الى نهاية البعث

فإن عجا لامة الاسلام . يكون هذا الدين على هذا المنوال يتدرج بهم من العلم الأدنى في القصص الى العلم الطبى ويتخذ لذلك الأساليب والطرق البحيية تارة بذكر الأعاجيب والمجربات وتلقن الطبيعة وتشكلها على أيدي الأنبياء وتارة بالاذعاء والاشراق النارى في الأشجار الخضراء مع خطاب الله لهم وتارة يصرح بأن الله هو الذى نوع الأنواع وشكل الأشكال وألهم كل نوع ما أصل حياته وأسعده ثم هم مع ذلك ناعون في أخريات الأمم وقد سبقتهم أوروبا وهم لا يعلمون وشيوخهم لا يريدون إيقافهم بل كثير منهم ناعون عن هذه العلوم بل بعضهم لجهله يكفر من بها يؤمنون وما الكفر إلا بترك العلوم القرآنية والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم ﴿الطيفة الثانية في قوله تعالى - قال فما بال القرون الأولى - وقوله - ولقد أريناه آياتنا كلها -

وقوله - فألقى السحرة سجدا - الخ﴾

تبين لك في الطيفة السابقة كيف تلطف القرآن بالخرج من قصص الأنبياء الى العلوم الطبيعية . أفلا تظن الى محاوره فرعون لما سمع موسى يقول - ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى - ماذا عمل وقصد .

فقد أن يرجع إلى سنة الماعدين وطريق المسكرين ويعمد إلى التجهيز والتحويل والنهوض والخروج عن الحقائق إلى الخيالات كما هي سنة المعارضة والمجادلة وفعل مافعله القوم إذ طلبوا من النبي ﷺ أن يوسع عليهم أرض مكة بأن يزيد جبالها ونحو ذلك . أو بأن يقص عليهم قصص فتية الكهف . أو علم الروح . أو تاريخ ذي القرنين مما ذكر فيما تقدم إذ طلبوه نعتنا لاطلبا للحقائق وقد أجيبوا البعض بما فيه فائدة ولم يجابوا لما ليس فيه فائدة وقد حذرنا من هذا فيما تقدم وأفهم الناس أن الأنبياء جاؤا للارشاد وانما هم بشر فلا يقولون من العلم إلا ما علمهم الله وماعدا ذلك لا فائدة منه . فالأنبياء لا يعطون من العلم إلا ما نفع في رسالتهم وماعداه ضياع لأوقاتهم ولأوقات أممهم . هذا كله يؤخذ مما تقدم في السور السابقة . هكذا هنا يقول فرعون حين سمع الحجة العقلية المبينة على النظر في الطبيعة قال لموسى هل تقص لي قصص الأولين من المصريين مثلا والاشوريين والبابليين . ولعله ذكر أمته من تلك الأمم أو حادثة يرجع تاريخها إلى قدماء المصريين مثلا فقال موسى ومالنا ولهذا هذا علمه عند ربى فارجع إلى ما نحن بصدده أنا رسول من عند ربك هو أرسلنى . أرسلك بمآذا . أرسلنى بالحق وقد أرينك العصا واليد وهما أنذا نقلتك إلى ما هو صنعتك تعالى وفعله وقت لك انظر صور هذه المخلوقات وإلهاماتها وغرائرها وأقرأ علوم الطبيعة فأنت يا فرعون تحاورنى لتخرجنى عما رسم لى من العلم . تدرجت اليك من خوارق الطبيعة إلى نفس علم الطبيعة وأنت تخرجنى إلى علوم التاريخ والأدب لالا . إن علمنا عند ربى في كتاب أرجع إلى ما كنا فيه وأقرأ العلم في طرق الأرض ومسالكها وإنزال الماء من السماء وخروج النبات واختلافه والأنعام ورعيها له . وأن الناس خلقوا على الأرض وانتقموا بهذا كله ثم يموتون ويمشرون ويمحسون . هنالك أن أن يقول الله - ولقد أريناه آياتنا كلها - أى الآيات التى هي خوارق للعادات تنفع العائمة والآيات الطبيعية التى هي للخاصة . فالآيات قسمها خارقة وغير خارقة قد أريناها لفرعون وهذا تقرير قوله - ولقد أريناه آياتنا كلها - فالتعبير بالكل لأجل ما قرئناه ﴿ موازنة لإيمان السحرة بكفر بنى اسرائيل إذ عبدوا الجبل وكل منهما قد شاهد العصا واليد ﴾

لما استبان أن هذه الآيات المنقسمة إلى قسمين قد اضمحت لفرعون قص الله علينا ﴿ أمرين اثنين ﴾ أمر السحرة وإيمانهم كما رأيت وسأيت لك قصص بنى اسرائيل وكفرهم لما آمنوا بجبل السامرى إذ صنع لهم عجلا جسدا لاروح فيه فلما سمعوا خواره آمنوا به . فهنا كفر من الجاهل وهم بنو اسرائيل وإيمان من العلماء وهم السحرة . إن السحرة شاهدوا العصا وشاهدوا اليد وشاهدوا أن العصا قد ابتلت حبالهم وعصهم وبنو اسرائيل شاهدوا ذلك ولكن فرق بين الأمرين فالجاهل لا يفقهون هذا ولكن هؤلاء السحرة العلماء أدركوا أن الطبيعة التى قرؤوها والعلوم التى زاوولوها اتقوى على أن عصا تبتلع هذا كله . فأمّا بنو اسرائيل فيهم جاهلون لا يفقهون بين هذا وذاك انما هم يتبعون كل ما أمامهم فاهم إلا كأطفال تعطيم الحلاء فى كائونها وثانى لهم بلحاوه أخرى فى كائنها فهم تبع حواسهم لادراسة عندهم . جاء لهم موسى بالعصا فآمنوا ثم جاء السامرى بالجبل فقاتوا إن الجبل الذى نطق وصار ثورا عظيما أحق بالعبادة من رب موسى . وأى شأن للعصا فى جانب هذا الجبل النهي . هذا برهان من الله . إن الإيمان المبني على مثل قلب العصا حية لا تثبت له وإنه لم يتبع بالبراهين العقلية فانه ذاهب أدراج الرياح وعرضة للقلب والضياع وأن المدارأنا هو على العلوم ونظام الطبيعة ودراسة ما خلقه الله على قرطاس السكون من بهجة العلوم ورويق المعارف وماعدا ذلك فهو مقتدات . انتهى

﴿ القرآن الكريم والفيلسوف سبنسر ﴾

لعلك تقول مالنا والفيلسوف (سبنسر) وأى فائدة من ذكره ومالنا له . أقول لك أذكره لأقررك حقيقة عجيبة . أنا هنا بينت لك أن القرآن في هذه السورة أقادنا أن علوم الطبيعة أفضل وأرقى من علوم الأوائل ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ أفضل من علم التاريخ فإن موسى لما سمع فرعون يرجع على علوم الأوائل قال

تمتد بها ملك وأن تأخذ بيدها فاننا ذاهبون الى الله قبلكم وتركنا هذا القول وديعة عنكم فأسألك بالله أن لا تضع الأمانة وأسألك بالله أن ترشد الأمة أمة سيدنا محمد ﷺ وأن تهديهم وأن تقوم خطيباً في كل جمع وناد ومجلس وأن تدرس لهم مقاصد الله وتشرحه وتبين لهم مآثره ونفعه وتفكر في الطرق التي تجذب هذه الأمة الى معرفة مآثر الله في الأرض والسموات وأن تحمل الأغنياء على بذل المال في تعلم هذه العلوم الطبيعية واداعيتها بين المسلمين فليس يعلم أكثر المسلمين الآن أن أمثال (اسبسرس) الانجليزى يحرض على اريداد العلوم التي رسمها القرآن وليس يعلم المسلمون أن ديننا يطلب العلوم التي يجهل بها هذا الفيلسوف وآلاف مثله وأن الطبيعة فوق شعر الشعراء وجبالها فوق كل جبال . ان جبالها من الله وجمال الشعر والتاريخ من صنع البشر وأى نسبة بين الجالين . ثم قال (اسبسرس) وما أكثر صور الطبيعة وما أقرب عمر فيها للذاكرة فاذا كانت اللغات كثيرة المناحي واسعة الكلمات والمقاصد فالطبيعة أوسع وأغزر . ناهيك ما ترى من عدد النجوم في المجرة التي في السماء وهي البياض الذي يراه الناس في الليالي الصافية يظنونهم سحباً وما هو بسحاب وانما هو نجوم تباعدت عن الأنظار حتى اختلطت على الأبصار تمتد بالآلاف آلاف الآلاف وهكذا المواد التي ترتبت منها تلك النجوم وقد أظهر تلك المواد علماء الكيمياء بنظرهم في طيف تلك الكواكب بشرح يعول وهكذا اذا نظر الناس لعلوم الضوء والحارة والكهربائية والتشريح البشرى والبيطرى . وقد أحصى علماء النبات ما ميزوه من أجناس النبات فكان (٣٠٠٠٠٠) ألف جنس وعلماء الحيوان وجدوا أن عدد أجناسه (مليونان) أى (٢٠٠٠٠٠٠) جنس من الحيوان فلا ترى علماً واحداً قد أنقضا كلها وانما يتقن فرعاً واحداً (٣) يقول (اسبسرس) إن التضلع من العلوم الطبيعية كما انه أفضل للذاكرة من حيث كثرة علومه . هكذا هو أفضل لها لصلته القائمة بين أجزاء الطبيعة بحيث لا يوجد مثلها في الكلمات . إن العلاقة بين الكلمات وبين المعاني علاقة غير طبيعية . انها علاقة عرضية وأين العرض من الجوهر . ألا ترى انك اذا تبعت اشتقاق الكلمة ودققت تدقيقاً فانك وان سرت سيرا طبيعياً في الاهتمام الى أصولها كل راجع ضارب الى ضرب وكذا مضروب وضارب لا يمتدك الوصول في آخر الأمر الى السبب في اختصاص الضاد والراء والباء بالعمل المخصوص ولا لاقاف واليم والراء هذا الجرم المنير بالليل . ولماذا أوجب أن يكون قر لهذا الجرم . ولماذا لم يكن (حبر) كل ذلك مجهول عند الناس . ان العلاقة ليست طبيعية بين الألفاظ وبين المعاني وان كان الاشتقاق فيه العلاقة طبيعية . أما في الطبيعة فان العلاقة معقولة مقبولة يرسمها الطالب ويتبعها

(٤) وأيضا ان العلم الطبيعى يقوى ملكة الحكم . قال وقد أحسن الاستاذ (فاراداي) في خطبة له عن التربية العقلية إذ يقول ﴿ إن أشيع العيوب العقلية هو ضعف ملكة الحكم ﴾ وقال ذاك الاستاذ أيضا ﴿ لم يقتصر المجتمع الانسانى على جهله من حيث تربية ملكة الحكم حتى أضاف الى ذلك الجهل بأنه جاهل بذلك ﴾ قال (اسبسرس) والاستاذ المذكور ينسب هذا النقص الى فقد التربية العلمية . قال وقد أصاب فاننا مهما كان مبلغنا من اللغات ومعرفةنا لا نفضل الى محبة الاستنتاج . وانما يكون لنا ذلك بصحة الاستنتاج فما يتعلق بالأسباب والنتائج ولا نستفاد ملكة الحكم الصحيح إلا من التعود على استنتاج النتائج من المقدمات ثم تحقيق هذه النتائج بالملاحظة والتجربة

(٥) ويقول أيضا ﴿ انه يهذب أخلاقنا فاننا بدل أن نخضع لآراء من سبقونا وخفطناها عن ظهر قلب ونقلها قضية مساهمة ترى العلم الطبيعى يعودنا أن نعرف بأنفسنا ونرى الصار والنافع بأنفسنا فيكون ذلك أمثناً في انبعاثنا واقتناعنا بصحته . ولا ريب أن العلم الطبيعى يعلم الاستقلال لأنه مبنى على ملاحظات يقينية والاستقلال في الرأى أهم وأنفس عناصر الأخلاق

(٦) وهو يعلمنا خلق المثابرة فان المجتد في الأعمال الطبيعية العلمية يكسب قوة المثابرة على العمل وهي

أضمن طريقاً للنجاح

(٧) ثم إن دراسة هذا العلم تعلمنا كيف نطلب الأشياء باخلاص فإن جلال الطبيعة يبهج الطالب بها وهذا الجلال واللذة يجعلانه مخلصاً في الطلب فبراستها تعلمنا الاخلاص

(٨) ومن أفضل الخصال التي ينالها المغموم بالعالم الطبيعة نبذ الآراء المدخولة الفانية التي لا تعتمد بالحق وإن قبلها الجمهور فدارس علم الطبيعة ينبذ ما ليس معقولاً وإن صدق به الجمهور ولا يبالى بما يقال مما ليس له قبول . فهذه ثمانية خصال ينالها دارس علم الطبيعة نقلتها لك عن (اسبنسر) ولكن مثل أمثلة تنطبق على عوائدنا وعقولنا ويسكن المعاني كلها من كلامه . نقلتها لك لتطلع على أعم الغرب وتوازن بينها وبين أمة الاسلام التي غفلت عن آيات هذه السورة وكيف كانت هذه الامور الثمانية قد تضمنها قوله تعالى - قال فما بال القرون الأولى * قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى * الذي جعل لكم الأرض مهدياً - الخ . ألتست ترى أن هذه الآية هي عين ما قاله (اسبنسر) الفيلسوف وأن فرعون يقول لموسى أسمعننى علم التاريخ فيقول موسى كفى كفى لهم بنا تقرأ تاريخ الطبيعة . لهم بنا تقرأ ما كتبه الله في الطبيعة وما خطه في قراطيس السماء وأواج الأرض وهى العلوم الحقة التي تعطى قوة الاستبصار والاستنتاج والذاكرة والجلال والاخلاص والحب وهكذا . هذا هو كلام الله وهذا هو مقصد القرآن ولهذا أنزل الله فان لم يعرفه من قبلنا من الأجيال المتأخرة بعد عصر الصحابة فسيعرفه الأجيال العابرون والأعم المتأخرون . وكتم ترك الأول للآخر . وكتم الله على خلقه من فضل وجود والحمد لله رب العالمين

﴿ بهجة العلوم الطبيعية ﴾

فإذا كان هذا شأن العلوم الطبيعية ونحن الآن في دراسة القرآن . فهل لك أن أسمعك ما نظمته سابقاً لتلاميذ المدرسة الخديوية وإن كانت مدارسنا لتسلط الأجانب عليها غير مفرمة بتلك العلوم . فهناك أسمعكها لتسكون ذكرى لكل ذى عقل مستبصر وقلب مفكر - ولكل نبأ مستقر - وسنشر هذه العلوم - ولتعلن نبأه بعد حين -

هذا النظم من كتاب جمعه التلاميذ من نظم ونثر ألقيته عليهم بالمدرسة الخديوية أسمه ﴿ جوهرة الشعر والتعريب ﴾ وهاهنا النظم . في ليلة الثلاثاء ٥ شوال سنة ١٣٣٥ الساعة الرابعة بعد نصف الليل كتبت ما يأتي

﴿ نظمت هذا في جبال الطبيعة ﴾

قال تعالى - أفم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج * والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج * تبصرة وذكرى لكل عبد منيب - قرأت كتاب الله في كل سورة * وآنت نور الفهم في كل صورة خذوا عني العلم الذي قد درسته * وهذبته حتى أضاء بهجة فاقومنا هذى الجباب صوّرت * وأبدعها الرحمن في كل ذرة وأتقنها حتى تجلج بديعه * مزينة في رقصها خبير زينة فأنشأ أفلاكاً وأبدى غرائباً * وشيدها حتى استقامت بحكمة وروصع فيها المشرقات ثواقباً * نجوما تراها في ليلالي اللججنة تحل بها جيد الزمان فيألفها * عقود حسان زانها حسن صنعة

﴿ فصل في عدد النجوم (١) ﴾

(١) إن النجوم المنظورة بالعين ستة آلاف فيكون فوق الأفق دائماً ثلاثة آلاف وتحت ثلاثة آلاف والنجوم التي ترى بالمنظار العظيم بالمصور الشمسى أكثر من مائة ألف ألف وهناك ما يشبه السحاب في الليالي

وقد عدها الأقوام رأى عيونهم * بستة آلاف لتقريب حسنة
ولكنهم لما رأوها بمنظر * وتصوير آلات برسم الأشعة
بدت لهم آلاف ألف تدهتها * مئات بلا حصر لصادق فطرة
ألم تر أبواب السماء التي ترى * بأعيننا موسومة بالجمرة
عدت كل طور في الحساب لأنها * الى اليوم لم يكشف لها سر حرة
فلما تراءت صورت لعيوننا * كذوب جان أو كسائل فضة
بدائع آيات مجالى مناظر * لطائف عرفان تجلى لفطنة
(أشكال النجوم المجمعة)

فنها نجوم رصعت في نظامها * كسنية صفت بحبات حنطة
وأونة تاتى دوائر نظمت * لتعقلها نفس الحكيم بنظرة
ومنها التي قد صورت في جالها * مثلة الأشكال في حسن بهجة
فهذا جال ليس يعقله النى * ينم عن التيان في كل ليلة
حياتكم لا تتركوها سهلا * أسركو حى كيت بحفرة
ومالى اذا ما قلت نوبوا لرشدكم * نأيم وقتم نخسى كأس خرة
وبعضهم فى الجهل مثل نعامة * تصاد فأخفت رأسها تحت صخرة
ففاجأها الصياد مقتنصا لها * كذلك الجهال ماؤا بحسرة
حياتى حياة العلم فاعجب لحسنها * سكرت بالآخر فباحسن سكرتى
(عجائب الأرض)

وفى الأرض آيات وفيها عجائب * من الماس والياقوت في نحرمية
وفىها نحاس للتعاد وعسجد * لتقويم ما ينبتاه ولزينة
وفىها حديد لم يدر من صناعة * على الأرض لإقام فيها بالة
به قطر تجرى على الأرض دائبا * وآلة محراث وصنعة إبرة
وفىها نبات قائم فوق ساقه * يقبىه دلالة فى جبال ونضرة
وأخر لا ساق له ككائنات * فهذا لانسان وذا لهيمة
تخار عقول العالمين لما ترى * عجائب ألوان واحكام صنعة
(فصل ١١ فى الجبال والسحاب)

ألا يارجال العلم دونكم اسمعوا * مقالى ولا تنأرا بجنب لغفلة
ألا فانظروا هذى الجبال شامخا * عظام كانت منذ قرون قديمة
ماونة جرا وبضا لواوعا * وصفرا وسودا كالسحاب الرفة
مخازن ماء للبرايا تسوقه * لها السحب أمطارا على كل بقعة

الصفية فى وسط السماء وهى الجرة وأكثر نجومها لم يمكن رصده لبعده جدا وهى شمس لانهاية لعددها قد
تباعدت حتى صغرت فى العين وتضاءت كأنها لبن فى النظر . وهذه المجرة تسمى فى الشرع (أبواب السماء)
وعند الانجلىز (الطريق اللبنى) وعند الفلاحين المصريين (طريق التبانة)

(١) السحاب وألوانها وألوان الجبال وانها مخازن للماء يجرى من أعلاها أيام المطر ومن ذائب الثلج إذ
يتنزل بحرارة الشمس بالتدرج ومن العيون التى تجرى من باطنها وتمت الانهار

فمن ذلك النيل السعيد وضوءه * فرات جرى حتى تلاقى بدجلة
وكنفو وزنيرا وليس يعدها * سوى علم تخطيط ورسم خريطة
﴿ فصل (١) في عجائب الماء في الجبال ﴾

ومن عجب ماسوف أذكره لكم * ألا فانظروا هذا النظام بقطنة
تحصل ماء في الجبال فما الذي * يزيجه لما أن جرى للخلقة
فهذا سؤال ليس يدرى جوابه * سوى عالم حبر بعلم الطبيعة
فيعلم أن الماء من طبعه الذي * به اختص ما بين الطبايع الحية
إذا صار ثلجا زاد حجما مكبرا * عن الماء في تلك الجبال الصليبة
فيضعفها ضغطا فينفذ صاعدا * ويجري يتابع بسلسال فضة
عجيب نظام لم يكن عن جهالة * ولارمية من غير رام بغفلة
﴿ نظام السحاب (٢) ﴾

فها كم نظام السحب فاستمعوا له * خذوه بعقل وافهموه بقطنة
خذوا مثالا بالقدر والماء غالبا * عليها بإقادر اللظى فوق خمة
وقد صعد التبخير والماء مسخن * فيرجع ماء ثانيا عند قبة
فان يك صبور لتلك حاصلا * ترى الماء يجري قطرة بعد قطرة
ترى الشمس في التمثيل ناروا ناعلا * جبال وأرض كالقدور الزسية
فأما غطاء القدر فهو ممثل * لما فوق هذا الجوّ وصف برودة
ومثل ماء القدر بحرا مبخرأ * بشمس الضحى في لمح بعد لمح
وذلك كالجام أيضا ومثله * ترى مثل الانبيق أيسر لفحة
فهذي عالم السحب والقطر والندى * عروس تبت في ثياب رقيقة
تزف اليكم والجبال يشوقكم * إليها ومأمهر سوى صدق نظرة
﴿ علم المعادن والفلزات ﴾

ألا نغفوا علم الفلزات انهم * قد استخرجوها في الجبال العسية
ففي جبل تلقى الرصاص بجوفه * وآخر تلقاه مشوبا بفضة
وفيها نحاس والرصاص وعسجد * كذلك بلاتين الجبال البعيدة
فذلك للناس أشرف نعمة * بها أصبحوا والله في حال غبطة
فان ركبا كانت لهم خير مركب * وان يقبأوها فهي أغفر زينة
وان خاطبوا بعضا فذلك مسرة (٣) * وبرق جرى وسط السالك الدقيقة
وان يحرقوا أو يطحنوا فهي عونهم * وان شيدوا قصرا أغاثت بسرعة

(١) الماء في الجبال يبرد حتى يصير ثلجا ومن خواصه انه يكبر حجمه فيشقى الصخر فتفتجر العيون
وهذه الخاصية ليست لسائل سوى الماء اذا جد

(٢) نظام السحاب وتشبيهه بالقدر تحتها النار فقلت وصار لها بخار فاجتمع عند الغطاء والجام كالانبيق
فالشمس كالنار وماء البحر كماء القدر وبخار السحب كبخار القدر والجام والانبيق وأن نزول المطر كتقطير
الانبيق وقطرات الجام نحو ذلك

(٣) تليفون

وان هم شروا يوما تكن خيرا كما * ليعرف منها قدر تقويم سلعة
وان حاربوا كانت حرايا وأدرا * مدافها اغتالت نفوس البرية
ليهلك من عاشوا بغير روية * ويحيا أولو التوفيق أهل الروية
ومن لم يشم حسن العوالم عقله * فذلك والله حقيق بحجة
من الناس من عاشوا ولا علم عندهم * كأنهم فيها سراب ببيعة
(الماس من غم والعسل من نحل والحري من دود والجوهر من صدف)

ومن خفة سوداء جاؤا بجوهر * بهيج فذاك الماس في صدقينة
وخير لباس الناس من نسج دودة * وخير طعام الناس من قم نخلة
وأعجب آيات الجبال جواهر * من الصدف الخلاق في قاع لجة
فهذا على أرض وذلك في هوا * وآخر في لج البحار العميقة
(أعمار المعادن ^(١))

وفي المعدن الخلاق في الأرض حكمة * تدق على أهل العقول السليمة
تري الشب والزاجات والملح أنضجت * كما نضج الكبريت قبل سنيهة ^(٢)
لقد خلقت في التراب والطين كلها * ومنها الذي يبلى بأرض خبيثة
ومنها التي في الماء أنشئ خلقها * كسر ومرجان بديع بحلة
على سنة زادا أو اكتملا بها * بتدبير رب العالمين وحكمة
ومنها الذي يبق سنين طويلة * ببطون جبال أورمال دقيقة
كتل حديد والرصاص وفضة * كذلك باقي معادن سبعة
وأطول من هذا العقيق ومثله * الزبرجد والياقوت في طول مدة
(عجائب النبات ^(٣))

ومن عجب أمر النبات كمعدن * من الدمن الخضرا الضعاف الضئيلة
يجي بها طل الندى فإذا بدت * لها الشمس زالت عند آخر ضحوة
فهذا نبات معدني مخلق * بفصل ربيع مثل انبات كماء

(١) تختلف المعادن أعمارا في بطن الأرض فالملح والشب والكبريت التكوينات في الطين والأرض
السبعة تتم قبل ستة والدر والمرجان يتكوينان في سنة أو فوقها والحديد والنحاس والذهب وأمثالها في مئات
السنين والياقوت والعقيق والزبرجد في دهور طويلة والعلم الحديث اعتبر المعادن كالذهب والحديد عناصر
بسيطة وجعل المرجان حيوانا

(٢) تصغير ستة

(٣) أقرب النبات الى المدن خضراء الدمن والكاه * فالأول ينبت بطل الندى ثم يزول ضحوة حرارة
الشمس والثاني جمع كماء فالأول نبات معدني والثاني نباتي لأن الأول أقرب الى النبات والثاني أقرب
الى المعدن وأقرب النبات الى الحيوان النخل والكشوفى والأخير يعيش على غيره كالود فهو في ظاهره أقرب
الى النبات ولكن فعله فعل الحيوان . وهكذا كل نبات يتغذى بالمواد النامية مما كشفه العلماء حديثا
مثل الشجر الذي يمتص الحشرات التي تحوم حوله ومثل شجرة في (مداغشقر) ذكرت المجلات الاوروبية
انها متى شرب منها انسان ماءها الحاصل فوقها سكر ثم ضمت عليه أوراقها وشوكها فامتصته وصار غذا لها
والنخل تميز ذكره من أنثاه وإن قطع رأسه مات فأشبه الحيوان بعض الشبه

ترى الكم مثل الثب وهي معادن * على الضد مما قبلها عند نسبة
وأعلى مقامات النبات الذي له * صفات يضاهي مبدأ الحيوة
كنت الكشوفى انه غير ثابت * على الأرض بل يجيأ على ذات شوكه
وفوق غصون أو زروع وانه * لبشبه نفس السود في بدء فطرة
كذلك حياة النخل تبدى عجائبا * فذكر انها عن كل أثنى استقلت
وان يشا الزحف أهد اليكم * عجائب في أجسامنا والقريرة
فأعجب هذا الخلق أمر ابن آدم * جسوما وعقلا باحثا عن حقيقة

﴿ ثلاث جواهر ﴾

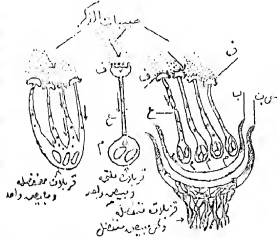
﴿ الجوهرة الأولى في قوله تعالى - قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى - ﴾
إلى لما كتبت هذا العنوان حضر صديقي العالم الذي اعتاد أن يجاورني في مسائل من هذا التفسير فقال
ماذا تريد بعد ما كتبت في هذا الموضوع . فقلت لقد رأيت اليوم عجبا هو أنسب لهذه الآية . لقد أصبح العلم
اليوم يكشف لنا الغطاء عن آيات القرآن . ان في القرآن قصصا ومن هذا القصص ما قصه الله عن موسى
في سور (طه) هنا . ولقد جعل الله القصص في البيانات كالأشجار والزروع في الأرض . ان الكلام مشابه
للغذاء . فكما ان من الغذاء ما لا يناله الناس والحيوان إلا مندجحا في أوراق النبات وحشائشه حتى يدخل
الجسم بلطف فلا يهيج أجزأه التي يدخل اليها ولا يمزقها بقوته وان دفاعه اليها فيكون الانسان والحيوان
مشاركين في حياتهما ويقبل مرضهما وطول عمرهما على مقدار حالهما بخلاف ما اذا كان الغذاء لحما أو يضا
أولبنا من كل مادة غزر غسناؤها فانها تعطى قوة هائلة ويقهرها ردة فهل فيكون مرض فوت بقتة كبعض
الناس بعد حين وعلى حسب ضعف الاستعداد الذي لا يعلمه إلا مبدعه . كل هذا في الطب الحديث الذي
يفضل أغذية النبات . هكذا جعل الله في كل دين وفي علوم الأمم التي يكتبها جهابذة المؤلفين أن يلقى العلم
بطريق القصص والحكايات والكلام الجليل البديع المؤثر في النفوس فلا جرم يحدث له أثر في النفس لأنه
يدخل اليها بلا استدنان . هذه قصة موسى تراها كاشجار وأزهار وأوراق . وهذه يفهمها العامة كما يفهمها
الخاصة ولكن الحكيم يعرف أين الثمرة فيلقطها . ومن ثمرات هذه القصة هنا قوله تعالى - قال ربنا الذي
أعطى كل شيء خلقه ثم هدى - فقله - أعطى كل شيء خلقه - أصبح اليوم يرى بالبنظر المعظم وأصبحت
علوم الطبيعة كلها تطبيقا عليه . فيدنا القارئ يسمع قصصا ومحاورات بين موسى وفرعون إذ يراه في غاية أصبح
لعلوم الطبيعة دارسا . فقال صاحبي أين علوم الطبيعة هنا . فقلت ألم تسمع الله سبحانه يقول - قال ربنا الذي
أعطى كل شيء خلقه ثم هدى - فأعطاء الخلق يرجع للتصوير والاحياء والانعاء على وجه مخصوص وذلك في
النبات والحيوان والانسان والمعادن وكل شيء والهداية خاصة بالحيوان والانسان . فقال ان هذا التفسير عملاء
من هذه العجائب . فما الذي زاد هنا . قلت ستعلم في هذا المقام علم اليقين معنى قوله تعالى - وما كنا
عن الخلق غافلين - ومعنى - أعطى كل شيء خلقه - أى بلا زيادة ولا نقص . وترى الحساب البديع في خلق
الأجنة في الأرحام وتعلم أن حكاية صصة بن داهر الحكيم الهندي (الذي اخترع الشطرنج وجعل حب القمح الذي
في العالم كله بالحساب لا يكفي ليوفي بيوت الشطرنج) قد ظهر اليوم نظير مغزاها في خلق الجنين في بطن أمه
فانك ستري انه يجري على مقتضى التوالية الهندسية . فقال قد تقدم هذا في سورة الفاتحة عند تفسير رب
العالمين . فقلت إن ما هنالك قد جاء قولاً بالرسم . وأما ما هنا فانك ستراه مرسوما . وضحا أمالك . ألم
تسمع قول الله تعالى - وقول رب زدني علما - وقوله تعالى - وقال الحمد لله سير يك آياته فتعترفونها - الله
وعدنا أنه ربنا آياته وهماؤذا يفي بعهده لنا شيئا فشيئا . ألم تسمع قوله - ومن أوفى بعهده من الله - . الله

وعندنا انه يرينا الآيات وهاهوذا يمرضها علينا فوجب علينا أن نسارع لأخذها . إن الأم حولنا درست نظام حياة الأجنة في النبات والحيوان ووازنوا بين الأجنة في الانسان و بين أجنة الحيوان وأجنة النبات فوجدوا اتحادا واختلافا . اللهم ان العلم اليوم قد فسر القرآن تفسيرا واضحا والقرآن قد نزل ليعرف حق المعرفة في زماننا و بعد زماننا . جلَّ الله وجلَّ العلم . سترى أيها العزيز أن الله لا يعطي إلا على قدر الحاجة ولا معنى للعدل غير هذا . العدل وضع الامور مواضعها . فلذا رأيت العدل في نظام الأم والدول (كما تقدم في سورة النحل عند آية - إن الله يأمر بالعدل والاحسان وابتاء ذى القربى و ينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى -) يرجع الى تكافؤ القوى في النبوة بحيث يأتمر الجند لحراس النبوة من الحكام ويخضع العامة من الصناع والزراع للطائفتين فوقهما ولا عبرة بالأراء الخاصة ولا الشهوات . هكذا العدل في نظام الأجنة في بطون أمهاتها . سترى عينك أيها الذكر في صور أجنة السمك وأجنة الانسان وأجنة الدجاج أن صغار السمك ما دامت ضعيفة قد أعطيت كيسا فيه قوتها ومتى قويت على الكسب فرغ هذا الكيس فهذا شاهده عينك في الرسم الآتى قريبا . أفليس هذا هو نفس الآية إذ يقول - أعطى كل شئ خلقه ثم هدى - بخلق لصغار السمك كيسا تعيش منه مادامت ضعيفة ثم بفرغ هذا الكيس وقد قويت . هذا يفسر قوله تعالى - وان من شئ إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم -

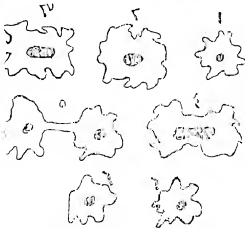
وتراه في جنين الانسان فصل غير ذلك فانه أكرم الأم بأن تمتد في بطنها بدمها يجرى في دورته الدموية وفي خارج بطنها بلبنها حتى يقدر على تعاطي الطعام . فهنا لما جعل له أمًا وأبًا جعل قوته من أمه وهناك لما لم يكن للسمك أم ولا أب أعطاه كيسا يعيش منه لأن السمك يبض أيضا كثيرا . وهذا البيض هو الذى نسميه ﴿ بطارخ السمك ﴾ ونأكله لذينا وما هو إلا بيض كبيض الدجاج ببيضه السمكة في مكان ملائم قرب الشاطئ فيجذب الذكر فيلبى حيوانات صغيرة جدا على بيض الأنثى فيحصل الانقياض إذ تدخل النترات الصغيرة الحاصلة من الذكر في بيض الأنثى كما ستره . ويرى هذا البيض الملقح في نفس الماء فلا أم ولا أب يعرفان أولادها . لهذا كله أعطى السمك الصغير ذلك الكيس المقتدر تقديرا محكما ولم يعط ذلك طفل الانسان والدجاج يشبه بعض الشبه للسمك وبعض الآخر لنوات الأربع فهو وان حصل لاقاح بيضه داخل جسمه كما يفعل الانسان والحيوان قد جعل بيضه خارجا والجو لا يلائمه فألهمت الدجاجة أن ترقد على بيضها لتعطيه الحرارة اللازمة لتمشيد الجنين داخل البيضة حتى ينمو ويخرج من البيضة والفرخ حين يخرج من البيضة لا يحتاج الى كيس كما احتاجت صغار السمك اليه لأن فراخ الدجاج تخرج قوية على الكسب مزودة بالريش مهيأة للاقلاع خطوب الدهر وكوارث الجوع وتحمل أعباء الحياة فتأكل الحب ويساعدها أمهاتها التى رقدت على بيضها أو القوم الذين يرقدون على البيض ويستفرخونه كما يفعله أهل هذه الصناعة في بلادنا المصرية إذ يقومون بتدفئة البيض بدل السجاجة وحضنها . فاذا خرج الفراخ استقبلوها بالغذاء وبالبراء وبالحفاضة عليها في مساكن خاصة فذكران السمك واثانه لا يحصل بينهما اجتماع كاجتماع الانسان والحيوان بل التماسل بتقابل بيض الأنثى مع المواد المفروزة من الذكر خارج جسم الأنثى ولا احتياج لمغازلة ولا مهر ولا منزل يسكنانه والماء قام بترية الأجنة بتدبير العناية الالهية - فتبارك الله أحسن الخالقين -

فلما سمع صاحبي ذلك . قال لقد شوقتنى الى هذه الجانبات التى بها نفهم قوله تعالى - وما كنا عن الخلق غافلين - . فقلت ماذا تطلب أولا . قال ان العلم يجب أن يكون متدرجا من الأدنى الى الأعلى فأريد أولا أن أعرف نظام الزهرة وكيفية إلقاحها ثم السمك ثم الضفادع ثم السجاجة ثم الانسان . فقلت أما النبات فقد تقدم الكلام عليه في سورة الأنعام عند قوله تعالى - انظروا الى ثمره اذا أنمر ونبعه - وهناك ترى رسم الزهرة وكأسها وتويجها وأسديتها ومدقاتها والمبيض والسمة وما يسمى بالتلم فارجع اليه إن شئت وانما أريدك

الآن بيا . ذلك أن المبيض الذي هو عادة يكون في أسفل الزهرة الموضح هناك قد يكون هو واحدا وقد يكون متعددا . فإذا كان واحدا فقد يكون متصلا به عدة أقلام متصلة والمراد بالأقلام الأعمدة التي سميت في الرسم الآتي (قر بات) وقد يكون متصلا به أقلام منفصلة . وإذا كان المبيض متعددا كان لكل واحد قلم واحد (انظر الرسم الآتي . شكل ١)



« ثلاث زهورات مختلفة التماسك ، التماسك الآتي »
(شكل ١ رسم ثلاث زهورات مختلفة الأعضاء التناسلية الأني)

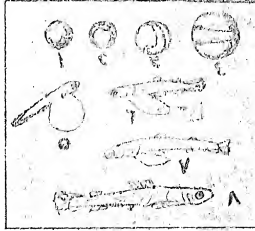


وطريقة تناسله أن يكبر مركز التئق أولا كما في (نمرة ٢) من هذا الشكل ثم يعظم الجزء الخارجى (نمرة ٣) من هذا الشكل ثم يصير مركز التئق أشبه بشكل (نمرة ٤) لهذا الشكل ثم ترى الحيوان الأصلي انقسم الى قسمين وهما متصلان (نمرة ٥) ثم ينفصلان (نمرة ٦) إذن الحيوان الأصلي قد ذهب وخلف حيوانين وكل واحد يفعل فعل الأول وهكذا بالانقسام . ها أنت ذا عرفت تناسل أدنى حيوان فقد تكاثر بالانقسام . وهنا حار العلماء في أمر هذا المخلوق الصغير . هل الأول الذى انقسم الى اثنين قدمات وهذان الاثنان ابناه وهذا رأى خطأ لأننا لم نرهما إلا حياء . فهنا واحد حتى ثم رأينا نصفه كل نصف منهما صار واحدا . فهل الواحد هما الاثنان وهذا لا يعقل أم هما ابناه . وإذا كانا ابنيه فأين هو وأين جته . إن جته هي جتهما . وكيف يكون الأب عين الابن . وكيف كان الواحد اثنين . هذه المشكلة أشعب الكلام عليها اللورد (اقبرى) وقال ان هذا الحيوان خالد إذ لاموت فهي حياة متكاثرة لاموت فيها فر بما عاش هذا الحيوان آلاف الآلاف . وإذا انتهت المقدمة فلا بدأ بالكلام على السمك فأقول (شكل ٣)



(شكل ٣ - رسم المبيض في السمك)

انظر الى حرف (م) في (شكل ٣) فهو نفس المبيض المسمى بالبطارخ وانظر الى (شكل ٤)



(شكل ٤ - الحياة التناسلية في السمك)

وفي هذا الشكل (نمرة ١) صورة بيضة السمك مملوكة . وفي (نمرة ٢) صورة البيضة بعد يومين . وفي (نمرة ٣) شكلها بعد أسبوعين . وفي (شكل ٤) صورتها بعد ٣٧ يوما وفي شكل ٥ يبدأ فقس البيضة وفي شكل ٦ يكون عمر الجنين ١٢ يوما ترى الكيس الذي ذكرته لك آنفا معلقا بهذه السمكة الصغيرة التي لأم لها ولا أب إلا رجة الله التي وسعت كل شيء والكيس حرف (ك) وشكل (٧) هو هذا الخواوق بعد ٢٤ يوما من الفقس وشكل ٨ فيه السمكة أصبحت قادرة مستقلة انتهى أمر الكيس

﴿ الكلام على الضفادع ﴾



(شكل ٥ - الحياة التناسلية في الضفادع)

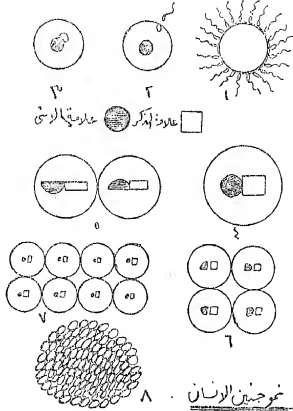
نمرة (١) بويضات الضفدع نمرة (٢) و (٣) و (٤) التطورات لهذا البيض قبل الفقس نمرة (٥) و (٦) بعد الفقس (نمرة ٧) ظهرت فيه زوائد خارجة تسمى (الخيشوم) وهو بالانجليزية (جل) . (نمرة ٨) ظهر فيها الفم (نمرة ٩) للنظر الجانبي (نمرة ١٠) ظهرت فيه الأعضاء الخلفية (نمرة ١١) حاله قبل تغير شكله (نمرة ١٢) طوره الثاني قبل التغير ثم يتم شكل الضفدع . انتهى

﴿ السراج ﴾

قد تقدم شرحه اجمالاً

﴿ الانسان ﴾

وهنا بيت التصيد . اعلم أن الانسان في تناسله أمره عجيب . وهالك رسم صورة النمر في الرحم (شكل ٦)



نمو جنين الإنسان

(شكل ٦ - رسم صورة نمو الجنين في الرحم من كتاب ﴿ التناسل في النبات والحيوان والانسان ﴾ وهكذا الشكلات قبله في هذا المقام)

اذا تأملت الزهرة المرسومة في سورة (الأنعام) وجدت هناك الاسدييات التي في الزهرة منتهية بكرة صغيرة تسمى (الانثير) والانثير هناك هو الحامل للطلع ليفيض على عضو التأنث الخ ما تقدم . فهكذا هنا هذا الانثير يقوم مقامه (الخصية) في الانسان والمبيض في عضو التأنث الذي في أسفل الزهر يقوم مقامه في الانسان مبيضان للراة والرحم . فشكل مبيض من المبيضين في المرأة يفرز البويضة كما تقدم في السمك والطير والنبات وهذه البويضة تمر في قناة وتصل الى الرحم فتبقى فيه فاذا وصلت الحيوانات التي في منى الرجل الى ذلك الرحم فانها تقابل البويضة هناك وهذه الحيوانات تحتهد جميعها أن تصل الى تلك البويضة وأخيرا يهجم عليها واحد منها ويدخل فيها . وهذا هو الاقلاح . وهذه البويضة هي مبدأ الجنين الانساني كما في بذرة النبات وحين السمك وبويضة السجاجة . وترى في (نمرة ٢) صورة حيوان من تلك الحيوانات المنوية اخترق البويضة وصورة (نمرة ٣) تمثل تمام الاقلاح وصورة (نمرة ٤) تمثل البويضة بعد التلقيح قد كبرت وابتدأت البويضة في الانقسام وصورة (٥) تمثلها ذات « علامتين » احدهما « مربعة للعنصر المذكورة التي تدخل في تكوين الجنين » والثانية « مستديرة وهي عناصر الأثنى والجنين يكون منهما معا (٦) انقسمت فيه البويضة أربعة أقسام (٧) انقسمت فيه ثمانية أقسام ولا يزال الانقسام والتكاثر الذي يصحبه ظهور الأطراف والأعضاء الخارجية والداخلية حتى يتم الخلق . فلما سمع صاحي ذلك قال هذه مناظر يظفر انها من أصول الحكمة . ان هذا الوضع واختلاف أساليب التناسل يعطي علما جما . فهل تفيض في ذلك بعض الافاضة . فقلت نعم سأبحث ههنا

(١) في هذه الجنبان وإن خلقت أولاً وبالذات، ولمن خلقت بالتمم أى من الذى يراد أن يفهمها ومن هم الذين دون الفاهمين

(٢) وفي أن كتاب هذه الجنبان كتاب كتبه الله بيده صريح لا يحتاج الى تأويل

(٣) وفي الموازنة بين جنين المرأة والسجاجة من جهة وبين جنين السمك والصفاد من جهة أخرى ثم بين جنين المرأة وجنين السجاجة ولم يكثر بيضة الثانية وصغرت بيضة الأولى

(٤) وفي تسارع الحيوانية المتوية من الرجل الى اقتحام بيضة الأنثى وسبق واحد منها إليها وأن أشرف نوع الانسان بالحكمة هم الأقولون

(٥) وفي عملية الانقسام في جنين المرأة والابداع في نظامها والكلام على ما ابتدعه الحكيم الهندى صصة بن داهر (٦) وفي الوحدة العالمة في التناسل

(٧) وفي المقصود من هذا الوجود أهو الشهوة أم هو الأعلى منها

(٨) وفي أن مرتبة علماء الطب والتشريح والنبات في هذا المقام كمرتبة علماء النحو والصرف بالنسبة لعلماء البلاغة (٩) وأن الأقوى الأكل وإن كان قليلا أشرف من الأكثر إذا كان ضعيفا

(١٠) وأن الانسان في هذه الأرض أشبه بالسجونيين المعذبين

(١١) وذكر آيات من القرآن على هذه الجنبان

فهذه إحدى عشرة مسألة أفصلها لك تفصيلا إن شاء الله فأقول

(١) ﴿ الفصل الأول . لمن خلق الله هذه الجنبان ﴾

إن الناس والحيوان والنبات قد فصلت أجسامهم ونظمت أعضاؤهم وهم جميعا يتمتعون بمرات هذا النظام إن أكثر الناس لا يمتازون عن الحيوان في فهم هذا الوجود فليس بهم أكثر أهل الأرض من الذرية إلا أن يتشرف بهم ويكونوا عوناً له في حياته وذكر له بعد مماته . هذا ما يدور بخلد جواهر نوع الانسان . أما ان نظام الأجنة عند السمك يغير نظامها عند المرأة والسجاجة وأن هنا عجائب ومجائب . فهذه مما لا يحصل له ولا فائدة لمعتد بهم بل المفكر في هذا لا يحتاج الى ولد له خاصة وزوجة بل ذلك علم عام في تشريح الأجسام عامة ونظامها . وإذا كنا نسمع (طباوس) في كلامه مع (سقراط) في المحاورة المسماة (طباوس) التي ألفها (أفلاطون) في الطبيعيات على هيئة محاورة بين (سقراط) و (طباوس) الذي هو من حكاة (الفيثاغورسيين) أقول اذا رأينا (طباوس) يقول في خلق البصر ﴿ ان البصر نار جعله الله في داخل العين فن تلقاه بالنار التي في الخارج يتولد الابصار ﴾ وبسط القول في مدح البصر وبيان منافعه فقال ﴿ إن فائدة البصر على ما أرى انه لو لم تكن لنا القدرة على ادراك الشمس والكواكب لم تمكن من الكلام عن السماء والعالم إذ من مراقبة اليوم واليلة وتحول الأشهر والأعوام حصل لنا العلم بالأعداد والشعور بالزمان وحدث فينا الشوق الى معرفة الطبيعة والعالم فنه نشأت الفلسفة وهي أنفس ما أنعم الله به على الناس ﴾

أقول . اذا كانت هذا رأى (طباوس) الذي ألقاه الى (سقراط) في خلق العين وحكمته . أفلا يحق لنا أن نقول في حكمة خلق الأجنة في الأرحام وفي البيض وفي الماء مختلفات أن ذلك الاختلاف يقصد به تعويدنا على النظر والفكر لتجهد في استخلاص الحكمة من هذه المناظر الحسية الجذبية التي هي أشبه بالحدائق الناضرة كما أوضحه هنا فانك ترى أن (طباوس) في بيان المنافع المادية الشخصية في العين ولم يهتم إلا بجمال الحكمة والعلم في سير الشمس والقمر والنجوم . فالقصد بهذه الجنبان التي سأينها لك إنما هم طائفة المفكرين في نوع الانسان وهم قليل جداً ومن عداهم فليس لهم وزن ولم يقصدوا بل هم متممون لنظام الوجود وليس يعطى الله هذه البروس ويبدع هذا النظام إلا لأفئدة تهتّط طرباً لما ستمعه الآن . فن فرح

بما سأقول في ذلك فهو من المقصودين بهذا المجال ومن لم يحركه العود وأوتاره والربيع وأزهاره فهو فاسد المزاج يحتاج إلى العلاج . انتهى

(٢) الفصل الثاني

أما ان هذه الحجاب كتاب كتبه الله بيده فهذا يفهم بما سأذكره في الفصل الثالث وما بعده

(٣) الفصل الثالث في الموازنة بين جنين المرأة والدجاجة من وجه وبين جنين السمك والضفادع

من جهة أخرى ثم بين جنين السجاجة والمرأة

علم الله ضعف الانسانية وعلم أن زماننا ستكون المادّة غالبية عليه فأبرز هذه الأعاجيب في زماننا لندرسها ونشرحها فنفستفيد جلالا في عقولنا كما استفدنا قوى في أجسامنا وحياة في مدننا . أيدع الله أمر الأجنة ونوعها وقال لنا هذا كيتاى فاقروه وتمينوا أمره . هذا بيض السمك والضفادع قد جعلت رحمها الماء فما على السمك إلا أن يبيض وهكذا الضفادع وعلى أنا أن أحفظ الأجنة في ذلك الماء البارد . فأننا لا يئبني عن عملي حر ولا برد لأني مقتدر . فإذا طعن الناس أن الحرارة شرط لازم لنمو الأجنة كما في جنين النساء ويبيض السجاجة . فهأنأذا جعلت الماء البارد رجاء برحتي للسمك والضفادع . ولئن طعن الناس أن اللقاء الأثني والذكر أمر حتم لربة الأجنة . فهأنأذا قد علمت السمك طريقا آخر فالتقى البيضان ولم يلتق الزوجان . ولئن طعن طائفة أن تربية الجنين الذى يحتاج إلى الحرارة لابد له من البقاء في الرحم . فهأنأذا أصرت السجاجة والحمامة وسائر الطيور فألقت بيضها وحضنته - إن ربى لطيف لما يشاء - وكأن الله يقول أنا أنما أريد النسل واست أسالك له سبيلا واحدا بل أسالك طرقا مختلفة . هكذا فلتفتلوا فلتكن لعقولكم مذاهب في أعمالكم وأياكم والتقليد فإذا قدتم في العمل وطمعتم أنفسكم بطريق خاص فأتمم كعباد الأصنام . أنا أنما أبنت لكم ذلك لتعلموا أن فوق كل ذى علم عليم . فمن لم ير إلا السمك والضفادع فرضا طعن أن طريقهما لا سبيل إلى تغييره . ومن لم ير إلا السجاجة فرضا أو النساء وقف عقله عندهما . فقال صاحبي . لماذا رأينا بيضة السجاجة كبيرة وبيضة المرأة لا تكاد ترى والقياس يقتضى العكس وكان مقتضى القياس أن تكبر بيضة جنين المرأة فتكون كالبطيخة أو تصغر بيضة السجاجة حتى تكون كذرة لا ترى ولا تحس . فقلت ان المرأة قد تكفلت بتغذية ولدها فالجنين حين يبدأ في نموه يتصل بسطح الرحم الداخلى فيصله الغذاء بواسطة الشرايين الرحية وهي تحمل له الدم . وبالجملة ان للجنين دورة دموية تبدأ من شرايين الحائط الرحي وتصل بشرايين الجنين وتنتهى بأوردة الجنين التى تصب في أوردة حائط الرحم . وحتى تم نمو الجنين وولد الطفل صارغنيا عن التغذية بدم أمه فيجب إذن قطع العلاقة الدموية بينهما والعلاقة بينهما هو حبل طويل (الحبل السرى) وهو حبل يبدأ من سرة الجنين وينتهى بقرص متصل بحائط الرحم الداخلى وهو (المشيمة) فبعد الولادة يقطع ذلك الحبل بجوار سرة الطفل . فهذه التغذية هى التى منعت أن تكبر بيضة الجنين الانسانى . أما السجاجة فليس من شأنها أن يتصل دمها بجنينها بل هو منفصل عنها في البيضة فاقضت حكمه الحكيم أن يجعل ماقى البيضة من الغذاء كافيا للفرخ في البيضة بحيث يكون مقدرا بمقدار قوته ونموه حتى يقدر على ترقشرة البيضة فيخرج بنفسه كما ان الأم المتهورة لا تعطى الاستقلال إلا اذا قدرت على طرد أعدائها من بلادها بقوتها وكسر السور الحديدى المضروب عليها من أعدائها . ذلك قوله تعالى - وكل شئ عنده بمقدار - وقوله - وما كنا عن الخلق غافلين - وقوله - وأحصى كل شئ عددا - وآيات الوزن والميزان وهكذا نذكره من الآيات في أمثال هذا

ونظير هذا شجر الجوز وشجر البطيخ فهما الجوز صغير مع ضخامة الشجر ونمر البطيخ كبير مع ضعف الشجرة فانظر للجب . صغرت ثمرة الجوز لأنها مرتفعة ولو كانت كبيرة فسقطت لأضرت بأجسام الناس وتلفت هى

لذلك خلقت صغيرة . وشجرة البطيخ ضعيفة وساقها عماء ماء فهو لا يقدر على حمل البطيخة فختمتها الأرض بدل الشجرة فلم يضر كبرها . الله أكبر . جل الله وجل العلم . هاهوذا كتاب الله الذي كتبه بيده قبل أن ينزل السحاب السجاية . خلقنا الله وقال لنا ادرسوه . فها أنا ذا أدرس مع الدارسين . فبإله أنت أفهمتنا هذا الصنع وعرفنا لماذا كبرت بيضة الدجاجة وصغرت فلم تربيضة جنين المرأة وفيهما اختلاف النجار كبرا وصغرا مع أن القياس كان يقتضي غير ذلك . فلما فهمنا الحكمة تليجت صدورنا . ولكن الذي علمناه قليل جدا . فأما ما لا تعلمه فهو جميع أحوال هذه الدنيا . هذا غنى وهذا فقر وقصير وطويل وجبل وقبيح وعالم وجاهل وذكي وبليد وهكذا من المتناقضات التي لم ندرك حلها . ولكنك لما أفهمتنا هذا القليل أدركنا حسن نظامك وإتبعنا به وعرفنا أنك أنت خبأت الحكمة عنا في هذه الامور الجزئية وبإلهي فهمناه نعرف معنى الرضى ونقرأ - يا أيها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية - والنفس لا ترضى إلا اذا أدركت أمثال هذه المعاني التي يرمن لها قصة الخضر وموسى عليهما السلام وخرق الخضر للسفينة وقتل الغلام وقامة الحائط . إن الذين يفرحون بهذا النظام الذي ذكرناه هم أكابر الأمم والحكام وهم هم الذين لهم زينت هذه البدائع والحاسن وأجوا مبسدها واشتاقوا اليه وفهموا الحديث ﴿ من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ﴾ وكيف يحب لقاءه إلا اذا عرف أنه حكيم حكيمه ثابته . وكيف تعرف الحكمة إلا بأمثال هذا والعاقبة تكفيهم قصة الخضر وموسى المتقدمة . ولا يكون المرء سعيدا عند موته مشتاقا للقاء ربه إلا اذا اقم قلبه بهذه الحكمة . وأذكر مثلاً نبيا عظيما وفيلسوفاً قديما لتدرك أيها الأخ أن الخواص من هذا النوع الانساني هم الذين يحجون لقاء ربهم . فهناك (سقراط) كان يتبسم وهو يشرب السم ومات وهو مستبشر وهذا نبينا محمد ﷺ قال عند النزاع ﴿ اللهم الرفيق الأعلى ﴾ وقال ﴿ إني لموت لسكرات ﴾ وسكرات الانبياء والأولياء والتابعين لهم سكرات الفرح والطرب بلقاء ذلك الحكيم الذي أنقذ الحكمة والعلم على قلوبهم أما الفلاسفة الاليون فذلك شيء جاء عندهم بالعقل لا بالوحي والحمد لله رب العالمين

﴿ الفصل الرابع في مسارعة الحيوانات المنوية المفروزة من الرجل الى اقتحام بيضة الأنثى وسبق واحد منها اليها وإن أشرف نوع الانسان هم الأقولن ﴾

سارعت الحيوانات المفروزة من عضو الرجل وكلها تريد اقتحام البيضة فلم يفر إلا واحد كما شاهدته في الشكل المتقدم . يظهر لي أن هذا الوجود على هذا النوال كاه حيوانات عندها كثير طلبت الغاية وهي أن تلقح البيضة لتسير إنسانا فأفلح واحد ورجع الباقي . هذا رمز لما في علنا . فكما ان رئيس الجمهورية أو الملك في الأمة واحد . وكما ان أنبغ المحامين والصناع آحاد يقدون على الأصابع . هكذا أولئك الأفراد الذين زين لهم نظام هذا الوجود هم قليل بمر الأجيال تلو الأجيال والناس يغدون ويروحون وهم جميعا أشبه بالحيوان لا يدرون من هذا الوجود إلا أنهم يشبهون الحيوان في حياته وهم لا يدركون . ولا يعقل أمثال ما نذكره الآن إلا أفراد نسبهم الى هذا المجموع الجاهل كنسبة ذلك الحيوان الممرى الذي تلقح البويضة في رحم الأنثى الى جوع المتسابقين معه الى دخولها في الرحم كما رأيت وهذه الطاقة هي التي قال الله فيها - إلا من رحم ربك - وهم خلاصة خلقه وسواهم هيج

ما الناس سوى قوم عرفوا * وسواهم هيج الهيج
﴿ الفصل الخامس في عملية الانقسام في الجنين في الرحم والابداع في نظامه والكلام على ما ابتدعه الحكيم الهندي صصة ابن داهر ﴾

فقال صاحبي وما للجنين في بطن أمه ولقضية صصة ابن داهر وما المناسبة بينهما . فقلت المناسبة تامة فاسمع القصص ثم انظر المشابهة فتجد نظام الحساب البديع في حساب بيوت الشطرنج هو نفس الحساب الذي روي في خلق الجنين وفي خلق الحيوانات الدنيئة التي تتكاثر بطريق الانقسام . قال فما قصة هذا الحكيم

لوفاء بقدر صيرة مساحتها تسعة أميال انكليزية طولاً وعرضاً وارتفاعاً ﴿ وقال غيرهما ﴾ ﴿ إن هذا القمح لا ينتج إلا لزرع أرض مساحتها (٧٤ و ٨١ و ٨٨ ر ٣٤ و ٣٦٨) هكتاراً . وليست مساحة يابس السكر الأرضية إلا جزءاً من ثمانية وعشرين من هذا القدر المذكور أي (٣٠٠٠٠٠٠٠ ر ١٣٠٠٠٠٠) هكتاراً (الهكتار من مقاييس المساحة قدر عشرة آلاف متر مربع) وعليه يلزم للوفاء بمطالب الحكيم أن يزرع هذا المقدار ثمانية وعشرين عاماً . هذا إذا فرضنا أن جميع اليابس صالح للزرع . أما أن اعتبرنا الحقيقة وهي أن أكثره غير صالح (ومعلوم أن البحار ٧ من ١٠ من سطح الأرض وهي لا تزرع قمحاً فضلاً عن أودية وجبال ورمال كثيرة) ثبت لدينا أننا محتاجون إلى قرون كثيرة لوفائه ﴿ اهـ

هذا ما نقلته ملخصاً في كتاب ﴿ بهجة العلوم ﴾ المذكور محرراً . فاعجب أيها الذكي كل العجب من مسألة المتوالية الهندسية التي دخلت في نظام الموسيقى كما تقسم في سورة (مريم) بحيث كانت دواوين الفناء ١٦-٣٢ وهكذا إلى تمام العشرة وكانت نتائجها سرور الناس والتشامهم وتعليمهم بقول وانشراح وكيف كانت خلقه الجنين على هذه القاعدة بل خالق كل نبات وحيوان وكيف كان أمر القمح مع بيوت الشطننج انتهى إلى مقادير تهجز أرضنا عن إنتاجها في قرون كثيرة . إذن هذا العدد سرّ الوجود واذن نفهم غرام (سقراط) بعلم الرياضة وقوله ﴿ إن التوغل فيها يبرن النفس على الحقائق ويقرّبها من عالم الملائكة ومن الله وقد أمر بها الحكام وضباط الجيوش وحضّ حكام المدينة على الإزداد من علوم الرياضة أكثر مما حضّ الجنود ﴾ وهكذا نفهم قول فيثاغورس ﴿ إن أصل هذا العالم العدد ﴾ وهذا هو بعض السرّ في أن الله أقسم بالشفع والوتر إذ قال - والفجر * وليال عشر * والشفع والوتر - فالعجور واليالي العشر شفع وهما مثالان للشفع والوتر العالم ومسألة المتوالية الهندسية التي نحن بصدها كلها شفع ولكن مبدؤها الوتر فكل شفع رجع إلى الوتر كما أن العالم راجع لله . ولا جرم أن في ذكر الفجر رمزاً للواحد وفي ذكر العدد الزوجي بعده وهي اليالي العشر رمزاً للعدد زوجي وهو هنا (٢) وماتضاعف منها . انتهى

﴿ حكاية مسامرة ﴾

يحكي أن عبد الملك بن مروان أرسل إلى ملك الروم وفداً فيهم الشعبي فلما دخل عليه قال له ملك الروم ﴿ لماذا أيها الاستاذ يقول علماء الدين إن الله واحد ليس قبله شيء ومنه جميع هذا الوجود فهل تضرب لنا مثلاً لذلك بما نعرفه في الدنيا . فقال نعم الله كالواحد في الأعداد ومنه كان هذا العالم كله وليس قبل الواحد شيء فقال أحسنت ﴿ ثم قال الملك ﴾ يقول علماء الدين إن نعيم الجنة لا ينقص مهما أخذ منه الناس فهل لذلك نظير قال نعم السراج توفد منها آلاف السرج ولا ينقص نوره ﴿ ثم قال له أيضاً ﴾ كيف تقولون إن أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يملئون ولا يمتلئون فهل لهذا نظير فقال نعم الجنين في بطن أمه لو بال أوتقوطة في رجها لماتت . فقال له عجبت للسامعين كيف جهلوا أمرك فم يجعلوك ملكاً عليهم ﴿

فلما رجع الوفد إلى عبد الملك ودخل عليه الشعبي قال له عبد الملك أيها الاستاذ يقول لك ملك الروم عجبت كيف جهل قدرك الماسمون فم يجعلوك ملكاً عليهم فقال نعم قال لي ذلك لأنه لم يرك ولكن لورأك لحقني فقال له أتدري يا شعبي لم قالها فقال الملك أعلم فقال إنه حسدني عليك فأراد أن أفتلك فلما بلغ هذا القول ملك الروم قال والله ما عدا قوله ما في نفسي لقد تفتن لها وعجب من ذلك العجب . انتهى والحمد لله رب العالمين .

ولنرجع إلى موضوعنا ونقول . انظر الآن في نظام الجنين والعجب لجبال وحساب بيضة قسمت ٢ ثم ٤ ثم ٨ ثم ١٦ وهكذا . فكيف بها إذا وصلت ٦٤ كقمح ذلك الحكيم . هذا الاقسام مستمر فيظن من يراه أنه ليس وراء الاقسام وحسابها شيء إذا هناك عظام مفصلات ورأس وخج وقلب وكبد وأحشاء مختلفة كما سترى

بين الفكر والأثر . وإنما أرانا الله هذه الصورة في الوجود ليضرب نظمانا الحالى كلها ضربة فاصلة . يقول لنا أيها الناس أنتم تعلمون أن الزواج والولادة على هذا النسق قد شغلكم عن النظام العام والحكمة . ولقد أنزلت لكم شرائع تعلمكم عقد الزواج والمعاشرة والنفقة والمحبة بين الزوجين وأمرتكم بالودعة وأقيمت المحبة في قلوبكم فر بيتك البنين والبنات وحكوماتكم تساعدكم على هذا ونظام أسراتكم كله مبنى على هذه القاعدة فلا أسرة إلا على هذه الروابط ولادولة ولا حكومة إلا على هذا البناء . فإلولا هذا البناء لاختل نظام حياتكم كلها . هذا ما علمتموه في نظامى الذى وضعته لكم . ولكنى أقول لكم هذا النظام ليس كل شئ بل هو نظام اقتضاه مزاجكم في أجسامكم ولكن الحياة في غير بنى آدم لا تتوقف على هذا . فهاهوذا السمك تناسل وألقح بيضه وملأ البحر بالسمك ولا علم للزوجين بما تناسل منهما . إذن هذه التى عندكم صورة من صور الحياة ودور من أدوارها والحياة مداها واسع وطرقها لانهاية لها كأتى لانهاية لى فأنا للبسيع الحكيم والدليل على ذلك انى يوم القيامة أحل هذه الروابط وأضع نسبكم وأرفع نسي - لن تنفككم أرحمكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم - وإنما أفضل بينكم لأجعل الأشكال منضمة الى أشكلها فقد يكون الابن والزوجة على خلاف أخلاق الزوج فيبعدان عنه . وهاهوذا السمك يشهد بذلك . فإياكم أن تظنوا أن الأمر قاصر على ماترون واذكروا امرأة نوح وامرأة لوط في القرآن في سورة (التعريم) . إذن ليس المقصود من هذا الوجود هو الشهوات وما الشهوات إلا وسائل يجى بها للتوصل بها الى التناسل والحياة ومتى جاء الغرض منها لم يبق لها فائدة ولا فائدة فيه نزعنا منها ما يضربهما وأيقنناهما الى حين . واعتبروا أيها الناس بأمر الأيوين فهما يجتعلان للشهوة أولا حتى اذا جاء الولد اجتمعا عليه ولا يزالا حتى يبعد عن جسميهما الى عاطفتيهما نحو الولد حتى تضمر الشهوة البهيمة وتحل محلها الشفقة والرحمة والمشاركة في تربية الترية . هناك تجلت العواطف الشريفة والأنوار النقية وأدرك العقلاء أن تلك الشهوة إنما كانت وسيلة وأخذت تضعف وحل محلها حب أرقى وأشرف وهو حب جيل يرجع الى المشاركة المنزلية والعواطف الأبوية وهذا هو الذى خلق له الناس . خلقوا للعطف والمشاركة والمحبة العامة التى تظهر جلية في الترية وتعتدأها الى جميع نوع الانسان ويكونون بعد الأئمة كأنهم جسم واحد وأرواح واحدة بالاتفاق في الصفات والأخلاق . ولأنهم ذلك إلا بأن ينزع مافى صدورهم من غل . كل هذا نفهمه من مسألة التناسل التى نحن بصد الكلام عليها

(الفصل الثامن في أن مرتبة علماء الطب والتشريح والنبات في هذا المقام كمرتبة علماء

النحو والصرف بالنسبة لعلماء البلاغة)

اعلم أن هذه الجلة تقسم نظيرها في أوائل سورة (آل عمران) ذلك أن عالم التشريح وعالم الطب ينظران الى هذه الأعضاء نظرا ماديا فهما لا يعينهما ما تقول في أمثال هذا المقام لأن هذا ليس محط نظرهما ولأن الطبيب ذكر ما أقوله الآن لم يكن ذلك بصفته طبيبا . كلا . وإنما بصفة انه من علماء الفلسفة العامة والفلسفة علم والطب علم آخر وان كان بينهما علاقة ولكن علاقة الطب بالفلسفة علاقة الفرع بالأصل بل علاقة الفرع الصغير بفرع كبير من الشجرة فان الطب يتعلق بجسم الانسان من حيث يصح ويمرض والفلسفة تبحث عن كل موجود من انسان وغير انسان فالأطباء والمشرحون وعلماء النبات يقرؤون هذه العلوم لما هم بصدده كما يقرأ علماء النحو وقواعده ولكن نظام العالم كاه هو الذى يظهر فيه الجمال مثل ما ذكرنا في نظام التناسل كما يظهر ذلك في الشعر والنظم في اللغات . فالعالم شعر جيل والقول مقال جيل والبث في النحو وفى التشريح والنبات غير الانشاء وغير النظام العام في العالم

اذا علمت ذلك فهمت كيف رأينا في زماننا كثيرا من دراسى هذه العلوم لمعدين فهذا سره فليس ذلك

لنقص علمهم بالطب والزراعة بل ذلك لجهلهم الفلسفة وعلم الحكمة فاما انهم ليسوا أهلا لها واما انهم لم يجدوا من يعلمهم واما لأن الشهوات أطاحت بهم فأصبحوا جاهلين وهؤلاء لابد منهم لنظام الأمة وهكذا سائر الصانع والزراع ورجال الحكومات والملوك وهؤلاء جميعا ليسوا هم المقصودين من هذا النظام وانما المقصود هم الحكماء الذين يفرحون بهذا النظام ويعملونه والذين يكونون - عند ملك مقدر -

﴿ الفصل التاسع في أن الأقوى الأكمل وإن كان قليلا أشرف من الأكثر إذا كان ضعيفا ﴾

ذلك ما شاهدناه في السمك والضفادع والناموس والذباب والحشرات تلد مالا يحصره وكلما ارتقى الحيوان قل نسله والانسان والآساد أقل نسلا من بقية ذوات الأربع وهي أقل من سائر الحشرات إذن هنا قاعدة وهي أن كثرة النسل لا تدل على الكمال وأيضا نسل الانسان وإن كان قليلا أفضل من الآلاف المولدة من نسل غيره والجيش القليل المنظم أفضل من الكثير الذي لا نظام له قال تعالى - كم مرة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله - الخ

﴿ الفصل العاشر ﴾

إن الحشرات والحيوانات الذرية الفاتكة بالانسان ملأت السهل والجبل والعلوم التي ارتقت بها الأمم عجزت عن إبادة هذه الذرية الفاتكة بنا المحدثه لأضرنا فما مثل هذا الانسان إلا كمثل المسجونين المحكوم عليهم بالاعدام في بلاد ايطاليا فالفاتكون في ايطاليا لا يحكم عليهم بالاعدام كلا بل يوضعون في سجون مغلقة يصب فيها ماء ومع المجرم دلو مملؤها منه لينزع الماء حتى لا يفرقه ولا يزال هكذا ساعات في النهار متوالية محافظة على حياته فاذا طغى الماء عليه وأغرقه هلك . وانما عمدوا الى هذا لأنهم رأوا أن الموت راحة فأرادوا أن يموت معتبا . هذا عمل أهل ايطاليا بالمجرمين

أقول - إن هذا الانسان لما خلقه الله في الأرض رأى بعينه وحكمته أن يعامل هذه المعاملة فاننا رأينا تناسل الحيوان الضار والحيوانات الذرية قد غلب على الانسان وعلومه وأضررت الحشرات بقلتنا في مصر وبقطن أمريكا والعلوم لم تساعدنا على إبادةها . وهناك أمراض تحدث كل يوم للحيوانات الذرية ونحن نجد في قطع دابرها وهي تتكاثر علينا كذلك المجرم الطلياني . فانظر لجمال محيط بنا من كل جانب في السموات والأرض وعذاب واصب دائم وأجسام تذوب منا كل سبع سنين مرة وتتجدد للعذاب بعد أن نضجت خال جسم الانسان في الأرض أشبه بمن نضجت جلودهم في جهنم فيبدلون جلودا غيرها وكان الأرض جهنم الصغرى . والملك تسمع الامام الغزالي يقول ﴿ إن جسم الانسان مثل جهنم وله أبواب سبعة كأبوابها ﴾ ويقول الله تعالى - ولا تحبكم أموالهم وأولادهم انما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا -

إذن نحن الآن في حال تشبه حال جهنم من بعض الوجوه . فباليت شعري لم هذا العذاب . فهل كنا في عالم غير هذا وأذننا هكذا نرغم فريق من القنماء من المبتدعة . أما ابن سينا فقد نفى هذا في الاشارات وقال هذا تناسخ ومنع التناسخ عقلا كما منعه الدين نقلا فاذا كان ديننا وفيلسوفنا لا يقولان بالتناسخ فافترضه وانرجع الى ما كان الحكماء قديما يتكلمونه نظامنا الحالي من الحكم وليس ذلك لنعقد كلامهم . كلا فنحن كما قلنا أيضا بأن الله حكيم ويرى أن هذا اسعاد لنا كما ان صغر البيضة النورية في الأتني من بني آدم وكبرها في البجاجة يدل على حقارة الانسان وعظمة البجاجة . فالنظام العدل هو القائم في هذا العالم وقد علمنا منه الكليات وجهلنا الجزئيات فقسناها عليها فهاك مذكره (أفلاطون) في رسالة (طهاوس) المتقدمة من تركيب السموات وقد تخيل أن الله خاطبها هي والكواكب والملائكة الملوكة بها قائلا انكم لا تفسد بلحمتكم وأسخلق مخلوقات فيها شعاع من نوري فاجعلوا الجزء الميت مع الجزء الذي هو من نوري أي المادي مع الجزء الإلهي وهي الروح ثم ركب الأجسام البشرية على هذا النحو ثم قال بعد ذلك ﴿ خلق الله الأرواح البشرية من

العناصر التي ركب منها نفس العالم السكينة لإلا أنها دونها في الصفاء والكمال ثم جعل الأرواح في السكواك فيها ما جعله في الأرض ومنها ما جعله في القمر ومنها ما جعله في السكواك الأخرى فأوقفها على نظام العالم وعلى الترتيب الذي اقتضته حكمته و بين لها أن جميعها أصلا واحدا لا فرق بين روح وروح لكي لا تنقلب من عدم المساواة بينها ثم شح لها أنها عند اقترانها بالأبدان إنما يلحقها التأثير من الحواس وما يتبعه من الشهوة والغضب والخوف فين قهرها بعيش مستقيم ومن يذعن لها يكون مفقود العدالة ومن انتفع بمجانة لإصلاح ضميره إنما يرجع كوكبه المختص به فيبقى فيه سعيدا ومن قصر في ذلك فقد بصير أثنى في حياة ثانية فإذا دام على الشر فيصير حيوانا على شكل ما اعتاده في حياته من أنواع الخطأ فلا يزال يموت و ينتقل من بدن إلى بدن إلى أن يرجع إلى الإصلاح ويسخر مافيه من العناصر ويجعلها منقادة لرئاسة عقله ﴿

هذا كلام طهارس لسقراط الذي ألّفه (أفلاطون) وإياك أن تظن أن هذا الرأي كان مبرهنا عليه عندهم كلا . فكما تقول نحن في ديننا إنه لا تناسخ وهم يقولون أيضا إن هذا فرض فرضوه لأغبر . والدليل على ذلك ما قاله في نفس هذه الرسالة قبل ذلك . قال طهارس اني بأسقراط غير قادر أن أشرح لك فعل الملائكة باذن الله ومنشأ الوجود شرحا شافيا متصلا في جميع أجزائه والأولى أن تقنع بكلامي اذا كان مشبها وأن لا تنسى أن كلا منا المتكلم والسامع من أبناء البشر فلا بد لنا أن تقنع في هذا الموضوع بما هو أشبه ولا نطلب ما فوق ذلك اه فعلى هذا يكون هذا القول الذي ذكره وما ضاهيه من أقوال البراهمة في الهندس كانه أمر فرضي . فأما ديننا الاسلامي فتجب من أمره . فهذا المقال فيه ﴿ أمران ﴾ الأول ﴿ انهم فرضوا أن الله خاطب أرواحنا قبل حلولها في أبداننا وهذا أمر عجيب فان هذا الفرض هو الذي جاء بتحقيقه الوحي فكأن العقول البشرية استشفت من وراء حجاب علمها محجوبة عنها وهذه معجزة عظيمة تفسر قوله تعالى ... بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم . فهذه آيات في صدور علماء الأمم قبل مجيء الاسلام ويكون ذلك حقيقة حصلت لا محازا وهذا جاء به الوحي . إذن ظواهر الآيات من خطاب الله لأرواحنا الذي جاء به الوحي قد جاءت به الفلسفة هذا هو الأمر الأول ﴿ الأمر الثاني ﴾ وهو التناسخ . ماهو إلا فرض افترضوه كما عرفته من كلامهم وإنما أوردت لك هذا القول لأرى لك أن الأمم قديما بحثوا هذا الموضوع وفكروا في أصل خلقنا ولماذا خلقنا - ولسلك درجات مما عملوا - وأصل المقام في أن الانسان في الدنيا كالمعاقبين على ذنوب والله يقول لنا - الذي خاف الموت والحياة ايبالوكم أيكم أحسن عملا - وهذا كاف وافي

وأما مسألة السكواك وسكنائها فأمرها مجهول وقد تقدم الكلام على ذلك في سورة (آل عمران) في مسألة الجنة والنار وأن الجنة في السموات والنار ليست في السموات فأرجع اليه ان شئت وهلهي مسكونة إن العقل لا يمنع سكنى السكواك بل هو يؤيدها ولكن لا دليل عليه . وإذا نظرنا الى بيض السمك وبيض السجاق والمرأة في التناسل نستنتج أن الحياة لا تتوقف على حال خاصة . فكما أن بيض السمك يفرخ في الماء وهو بارد وبيض الأنثى والبجاجة لا يفرخ إلا وهو مستدفئ أي ان الحياة تحصل في الضدين . هكذا القول ان السكواك التي يخالف جوها وأحوالها جو أرضنا وأحوالها لا مانع يمنع من وجود حياة فيها مخالفة لحياتنا هنا لاختلف البيئة والوسط وتعطيل السكواك بخلاف الحكمة فهذا يرجع سكنى السكواك ولكن من يسكنها وكيف يسكنونها . كل هذا مجهول قديما وحديثا

فلما سمع صاحبي ذلك قال ان حصل ما ذكرت في هذا الفصل يرجع الى القياس معرفة الحقائق في مسألة الخير والشر للانسان وأن فريقا يقول ان ذلك لذنوب سبقت من أرواحنا في عالم قبل هذا وقد منعه ديننا وفلاسفتنا وأن (طهارس) يقول اننا خالفنا أوامر الله التي أمر أرواحنا بها واتبعنا اضلال الحواس والشهوات وان كنا في أصل فطر أرواحنا متجهدين منسوبة للنور الإلهي وان كنا أقل من أرواح العوالم العالية .

ويقول (طباوس) إن عذابنا على ضلالتنا يكون بالرجوع إلى أجسام منحطة وانك تسلم بمخاطبة الله لأرواحنا لوروده في الدين ولا تسلم بهذا التناسخ الذي جماعه هم فرضا لادليل عليه . هذا محصل ما قلته فهل تنذكر قولاً للقديس غير هذا . فقلت نعم سيأتي في سورة (الأنبياء) عند قوله تعالى - وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون - أن دين قدماء الفرس تقدمته ﴿ كتاب الارستاويزد ﴾ ومعنى هذا (المثل والشرح) ويسميه الافرنج (الزندافستا) وهو كتاب مظلوم يقال أنه كان فيه ألف ألف بيت من نظم (زردشت) وفقد أكثره في أيام الاسكندر ثم جمع ذلك الأكثر بعد ذلك . هذا الكتاب ألفه (زردشت) المذكور بالرى بالقرب من طهران قبل المسيح بنحوساته ستة وقيل قبل المسيح باثني عشر قرناً أي قبل أن وصل قدماء الفرس إلى (إيران) وهذا كلام محقق الافرنج . فهذه الديانة كما ستره هناك كانت تقول في أصل الدين كما يقول الاسلام فالاسلام يقول - ونبأكم بالشر والخير فنته - فالشر والخير مقيما في الاسلام فان لنا خيراً شكرياً وإن أصابنا شرٌ صبرنا فالخير لا يقدر على فعل الخير والشر لعلينا خلق الصبر وقوة النفس . هذا ملخص ما في الاسلام . هكذا دين قدماء الفرس يقولون إن الله واحد وبعثون عبادة الأصنام ويقولون إن الله عنده ﴿ مبدآن ﴾ مبدأ الخير ومبدأ الشر وكل واحد منهما ملازم للآخر وهذا معنى المحي المبيت كالنور والظلمة وهكذا . فبدأ الخير اسمه (أهورامزدا) أي الروح الحكيم أو الجواد ثم قيل (هرمزدا) والثاني (انفروماينيوس) أي العقل المظلم ثم صار (اهرمان) فهذه تعاليم (زردشت) قبل أن يرتحلوا إلى بلاد (إيران) ويحتلوا بالمجوس الذين أدخلوا الفساد في دينهم . فهذان المبدآن بعد أن كانا فعليين من فعل الله الواحد في دين (زردشت) صارا إلهين مختلفين إله الخير وإله الشر فصار الفرس من الثنوية بعد أن كانوا موحدين وهما إلهان دأبهما الخصام فهذا يعطى المطر والخصب وهذا يرسل القحط والهوام والحشرات والشوك . ثم قلت إذن مسألة كثرة النسل قد جرت إلى نسل الحشرات والحيوانات السرية وهذه جرت إلى مسألة الخير والشر ويرجع شر (طباوس) إلى حواسنا وشهواتنا ودين قديس الفرس (قبل انتقامهم إلى إيران) إلى أنه تقدير الله المحي المبيت والمحدثون من الفرس المخاطبون للمجوس يقولون ﴿ إن للخير لها ولاشر لها ﴾ انتهى الفصل العاشر

﴿ الفصل الحادي عشر ﴾

في ذكر آيات من القرآن تناسب هذا المقال وقد تقدم ذكر آيات كثيرة في فصول متفرقة فلانعيدها انتهى يوم الجمعة ١٧ نوفمبر سنة ١٩٢٨

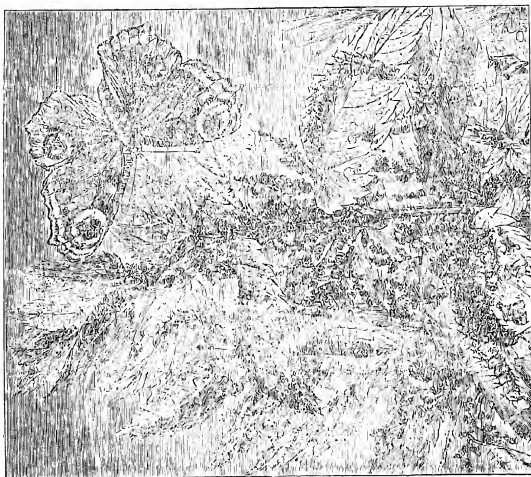
﴿ الجوهرة الثانية في نظام نمو الحشرات ﴾

وقبل أن أعاد هذا المقام اللذيذ والعلم الجليل والحكمة الباهرة في نظام النمو في أجنة النبات والسمك والائنات من نوع الإنسان لاسمعي إلا أن أريك أيها الذكي أجل حكمة وأبهج علم في نمو الحشرات تلك العوالم التي عدّها العلماء بمئات الآلاف ولا يزالون يكشفون منها أنواعاً جديدة . تلك العوالم البديعة التي جعلها الله محيطاً بنا لندرسها فيها ماهو مؤد لنا كالدباب والناموس والبق وهكذا ومنها ماهو نافع كالنحل ودود القز وهذا صورته (شكل ٧)



(شكل ٧ - صورة دودة الحرير وفيلجتها (كرة الحرير) والحشرة الناقمة التي خرجت من الفيلجة)
 أيها الذكر . أنا لست الآن في مقام دراسة هذه الحشرة كأن أقول مثلا إن هذه البودة التي أمامك منها في هذه الصورة اثنتان تأكلان ورق التوت أصلها من بيض صغير جدا مستدير يحوِّف الوسط وله قشر صلب وهو ساوي اللون كثير العدد فإن حشرة الحرير التي ترى أمامك في الصورة منها اثنتان أيضا تبيض من ٤٠٠ الى ٥٠٠ بيضة وتجعلها في صفوف منتظمة قبل أن تموت . هذا أمر ربما أنت كنت قرأته في المدارس فلا يملك به علما وأنت تعرف أن هذا البيض لا يفرخ إلا عند اشتداد الحرارة في آخر شهر مارس أو أول إبريل فبعد أيام قليلة ترى دودة الحرير تحاول الخروج من البيضة فيقضم لها ورق التوت الذي أمامك فتراه وتعلم أن لونها أولا يكون أسود ثم يصير سجاويا ثم يصير كالقشدة وتبلغ في الطول خمسة سنتيمترات وإذا ذاك تصير نيمة على الأكل ومتى تم نموها يظهر عليها انها تعبت من الأكل فتأخذ ترحف ببطء ويكون خلق جسمها (١٣) مقطعا وجلد ناعم وفي جانبها بقع سود ولها أرجل زوجية كثيرة العدد وأكبر أقسام جلدها قرب الرأس وهو منتفخ وجلدها يسطة بأربع حركات ويلتف ومتى سقط المرة الأخيرة تبدى الدودة في غزلها وسالها إن ذاك الخالف حالها حين خرجت من البيضة والحرير عبارة عن مادة سائلة تخرج من رأسها ومتى لامست الهواء صلبت وتدمر على هذا النسج من ثلاثة أيام الى خمسة وهناك يتم الفيلج وشكله البيض الذي ترى أمامك في الصورة اثنتين منه وترى في داخل كل فيلجة ما يسمى (العذراء) أو يسمى (الدودة الجراء) ومتى نامت تلك البودة في الفيلجة أسبوعين تخرج فراشة قشدية اللون ذات أربعة أجنحة كما تشاهدها في الصورة أمامك وقرنين شعريين وجسم غليظ عند الأثنى وهو دقيق عند الذكر ونمكت قليلا حتى تعلق الأثنى ثم

تموت . هذا هو تاريخ حشرة (دودة الحرير) فأولا تكون بيضة ثم دودة ثم تنام في كرة من الحرير وهي الضابجة ثم تكون حشرة ناعمة تبيض ثم تموت ثم يعيد البيض ما فعله آباءه مدي الدهر . أنا أقول لك أيها الدكي اني لست في مقام أن أكتب هذا وإن كنت كتبت واضحا لأن كثيرا من الناس قرؤوا هذا في مدارسهم وترى التلاميذ يشاهدون هذا في صفرهم ويربون تلك الحشرة . هذا معنى قولي اني لست في مقام هذا التاريخ وإنما الذي سقت له هذا القول أن أولئك ما بين نمو الحشرات ونمو الاجنة في تعاون الاناث من بني آدم ونمو أجنة السمك الذي تقدم ذكره . هذه بيضة المرأة أمامك قد عرفتها وفهمت شرحها . هكذا اطلمت على نظام أجنة السمك . فانظر للجيب العجيب . بيض السمك أفرخ ولم يتلاق الذكر والإناث عند اللقاح كما علمت بخلاف بيض المرأة والحشرة . بيض السمك بعد الافراخ نجده ترك كيسا من الغذاء لهذا الجنين يتغذى منه حتى يستقل وذلك بقدر ولكن بيضة المرأة لا تحتاج لذلك ويقوم دم الأم بالتغذية وبيض الحشرة المتقدمة أعطي ورق التوت الذي يحضره الانسان طمعا في الحرير . فأما حشرة أبي دقيق فإن الانسان ليفسده لها لا يحضر ورقا بل الورق حاضر مما عندها بلا عمل الانسان وفيلجتها ليست ذات قيمة حريرية بل هي ضيقة جدا وهكذا فيالج بقية الحشرات لذلك أغناها الله بالورق من أى شجر . أما دودة الحرير بفعل لها ورقا خاصا وأكثر لها من الحرير ليعتي بها الانسان (شكل ٨)



(شكل ٨ - صور القملات لحشرة أبي دقيق من خروجها من البيضة الى أن تكون حشرة ناعمة)
 فلها الحالات الأربع السابقة بيضة فدودة ففيلجة حشرة ناعمة وهكذا كل الحشرات . وهنا نذكر ما يقوله العسامة (أندرو ويلسون) في كتاب (علم للجميع) يقول بينما نرى دودة الحرير تأكل الورق بشراهة عظيمة نرى الحشرة الناعمة قد خرجت مخالفة لثلاث الخفاة الناعمة . فأننا نرى لها جناحين مستقيان وهي نشطة تريد أن

تذوق لذة الحياة الجديدة ونسيت الأولى نسياناً تاماً . وهكذا اذا نظرنا للصورتين تقابلت فيها حشرة أبي دقيق فانتا ترى انها وهي دودة قد أكتبت على الأكل بشراسة ولما سمئت نامت ثم نسجت فيلجة ثم خرجت ذات جناحين وفم غير الفم الأول . الفم الأول كان يمزق الورق تمزيقاً ولفم الثاني خلقاً مناسباً لكل المناسبة لاستخراج ذلك الكنز الخمين والخزن المسكنون في الزهرات وهو العسل الذي تمتصه فهي تطير من زهرة الى زهرة لتتجنى العسل الرحيق ولما كانت دودة كانت تزحف على الشجر والورق وكان جسمها مساعداً لذلك مناسباً له . اه
هذا مقال العلامة الافرنجى في ذلك الكتاب . وهأنذا قد جاء دورى في القول ولكن بطريق غير مذكورة أولاً فأقول . ألاحيا الله العلم وأتار يوعه . هذه حشرة أبي دقيق وحشرة الحرير . فانظر كيف كانت حشرة أبي دقيق مثلاً على الأرض دودة . هذه الدودة تزحف على الشجر والورق . أأست تراها كالانسان الآن . أأست ترى أن الانسان جهول وجهول . انظر ماسبق في آخر سورة (الكهف) من أن الانسان الخالي ينتظر ارتقاؤه آلاف الآلاف أضعاف ارتقاؤه الآن . الانسان الآن كدودة حشرة أبي دقيق ثم انظر . أأست تراهم على الأرض شرهين يحارب بعضهم بعضاً . هذا هو الشره الذي غنله حشرة أبي دقيق أأست ترى انه ربما يحس له يوم وربما كان قريباً تسكن شرهته كما سكنت شرهتها وهي نائمة في الفيلجة ثم يرى الانسان ارتقاء عالياً كما خرجت الحشرة من الفيلجة فصارت خلقاً آخر . أقول ربما كان ذلك وان هذا الانسان تتغير أطواره ويصبح الناس اخواناً في حق الحرية والجمال في هذه الدار . ربما كان ذلك ويكون هذا الزمان المسمى زمان نزول المسيح . وهنا ﴿ نظرة أخرى ﴾ الانسان في الحياة جماع مناع وذنوبه تبنى عليه حجماً كثيفاً كما قال تعالى - كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون - وهذا الحجاب كالفيلجة فمن الناس من يخرجون مما حسنت فيه عقولهم ومنهم من لا يخرجون فيخرجون في عوالم جهنم ويمثل لهذا موت الفراشة في الفيلجة . وأيضاً هذه السروس ترى أن الانسان حري به ألا يقف على حال إلا طلب أعلى منها وأن الأمم الأرضية ليس مقضياً عليها بحال واحدة فربما يعقب ذلك عز والاستعباد حرية كما ترى في حشرة أبي دقيق وترى أن تربية التربة تكون في كل شئ بحسبه ومن النجس أن يدخل الغزل والنسيج في تربية الحشرات ولا يدخل في نمو الانسان والسماك وغيرها . إن الانسان عليه الجب كما جئت دودة أبي دقيق إن الانسان اليوم في خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات . فالعمل بعد العلم الذي مبدؤ به مجرد الإيمان هو الذي يخرج الانسان من دور الطفولة الى دور الرجال وتواصلوا بالحق في عملهم والصبر عليه . فالصبر هو الذي يرفع الانسان الى أعلى الدرجات كما رفعت الحشرات الى درجة الطيران في الهواء

﴿ فائدة ﴾

يقال ان ما يندسجه دود القز على نفسه من الخيط يبلغ (٣٠٠) متراً . وقد ألفز بعض الشعراء في دودة (القز) فقال ما يأتي من الأبيات

و بيضة تحضن في يومين * حتى اذا دب على رجلين
واستبدلت بلونها لونين * حاكت لها خبأً بلا يبرين
بلا سماء وبلا بايين * تنقبه من بعد ليلتين
خفجت مكجولة العينين * قد صفت بالنقش حاجبين
قصيرة ضئيلة الجبين * كأنها قد قطعت نصفين
لها جناح سايق البردين * مانبتا إلا القرب الحسين
* إن الردى كل لكل عين *

انتهى من ﴿ علم الدين ﴾

﴿ الجوهرة الثالثة في صناعات الحيوان وحكوماته وجهورياته وتقليد الانسان له في ذلك كله ﴾
اعلم أن الحيوان خلق قبيل الانسان والانسان مقلد له في سائر ضروب الأعمال الصناعية والسياسية
وهالك البيان

- (١) عاشت (الجردان) تحت الأرض فقلدها الانسان الأول فعاش في الكهوف
- (٢) ثم رأى الظباء والمها (١) تعيش في الأدواح والأجام فقلدها
- (٣) ثم رأى النمل تغذ البيوت فاتخذها
- (٤) ثم رأى الحيوان المسمى (الكستور) وهو المسمى (الجندبادستر) أيضا وهو الذي يبنى بيته بالقرب من شاطئ نهر أو بركة ويتخذ له من أغصان الأشجار جسرا متينا على هيئة سد يمنع عنه قوة السيل بأن يضد تلك الأغصان بعضها فوق بعض ويلصق أحدها بالآخر إلصاقا محكما لا ينقصه شيء مما يحتاج اليه من هندسة البناء . فهذا الحيوان رآه الانسان انه كما يبنى بيوته بهذه الهندسة يبنى جسورا وقناطر فضع مثله
- (٥) ثم رأى الدب الذي في المنطقة الشمالية من الكرة الأرضية يسافر في البحر على قطع من الثلج الى حيث يقصد (١) وهكذا رأى (السنجاب) قوى الهمزة يركب خشبة بهيمة مركب ويرفع ذنبه للريح قائما مقام قلع المركب ومقام (السكان) الذي يسميه العامة (الدقة) ويقطع بذلك مجاري الماء (ب) وهكذا رأى الطوآف وهو ضرب من ذوات الأصداف يسافر في البحار فيركب صدفته ويرفع مرساته وينشر أغشيتة للريح شرعا ويسافر من مكان الى مكان ثم اذا فرغ من السفر ألقى مرساته وطوى شرعا واستقر في مكانه كأنه سمع قول الشاعر

فأثقت عصاه واستقر بها النوى * كما قرّ عينا بالإياب المسافر

فما رأى الانسان ذلك تعلم فن (الملاحه) من تلك الحيوانات . ويعتبر مثل هذا الحيوان سكة صغيرة تعرف (بالديمورا) فانها تتخذ لها أقوى السمك وأصعبه وأعظمه مركبا لها وتسير به حيث شاءت . ذلك أن لسلك نوع من السمك عوامة تمتلئ هواء وهذه العوامة بها يسير حيث شاء فهو يضغطها وينفخها كما يشاء فيجري حيث شاء ولكن (الديمورا) لم يعطها الله هذه العوامة ولكنه أعطاها ما يقوم مقامها وأكثر كما أعطى الانسان عقلا يقوم مقام جلود البهائم وقوتها الخ فلها في جاني رأسها صمامات مستديرات في صورة شكل البيض ففي أرادت الانتقال الى جهة تريدتها عمدت الى حيوان كبير من حيوان البحار أي كان فلتصق به بواسطة صماماتها المذكورة فلا يمكنه أن يتخلص منها بحال ولا يقدر أحد على فصلها بالقوة ونسافر به الى حيث مانشاء وهي تفضل كاب البحر فتسافر عليه وكب البحر المذكور طوله عشرة أمتار وفعه عظيم جدا يبلغ طول فمحه نحو الثلث من طوله ومحيطه ثلاثة أمتار وقطره متر واحد وجلده غليظ لا يؤثر فيه الرصاص ويقطع محيط الكرة الأرضية في ثلاثين أسبوعا وجميع السمك يخشى بأسه وهو يتبع السفن ليلتقط جثث الموتى . وقد اصطاد أهل (مرسيليا) كلبا منه فرأوا في جوفه سمكا كثيرا ورجلا بشابه . وهنا نقول لماذا اختصت (الديمورا) بأنها تذلل كلب البحر وغيره فيجربى بها . (الديمورا) كالانسان بالنسبة للحيوان من بعض الوجوه ولقد منعت وأعطيت . منعت العوامة وأعطيت سلطة بها تذلل غيرها ليجربى بها . وهنا نقول يظهر أن هذا العالم مبني على علم وعدل غير ما تعارفه الناس . الناس تعارفوا أن الانسان لا يعمل لغيره إلا بأجر وأجر الأجر لكاب البحر لما ذلله (الديمورا) . وفوق ذلك نرى كلب البحر يأكل غيره . إن نوع الانسان الى الآن لم يقف على جلية الحق . إن الطبيعة المنظمة حولنا فيها قضايا غير التي يعرفها العدل في الأرض . يظهر أن الحقيقة غير ذلك . ألم تر أن السمك وحيوان البر والبحر تغذى كلها بأطواره وبالماء وبالخشائش بلا مقابل . إذن هو لا يعمل له وجميع حياته وتوابعه منحة من صانع هذا العالم المحي . فاذا ذلل لغيره كان له ذلك

لأن الهواء والماء والحشائش والأرض كلها له . فاذا أمر (الديورا) أن تتركب كلب البحر فهذا حق .
ويظهر لي أن هذه العوالم تؤلف عيكلا واحدا ونظاما واحدا وحيوانا واحدا . فكل حيوان أو نبات عضو
منه فليكن بعضه بعض فدا ، وهذا درس للإنسان . يقول الله له بلسان (الديورا) وكاب البحر ﴿ أنت
مخلوق للجميع لاندفسك فان عرفت هذه الحقيقة فيها والافلاحيخضعك الله لغيرك كرها كما أخضع كلب البحر لغيره ﴾
- إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا -

(٦) ورأى الثعلب البرى والبحرى والكلب والذئب وابن آوى وسائر السباع حرفنها الصيد ولا تعيش إلا
به . وهكذا رأى الثعلب الأسود والسكركى يعيشان من صيد السمك فمن ذلك تعلم الإنسان حرفة الصيد
(٧) ورأى (العنكبوت) يصطاد بشبكة كما ستراه في سورة (العنكبوت) فتعلم الصيد بالشباك
(٨) ورأى بعض السمك له (منشار) و (بلة) أى سلاح حاد يشبه الفأس من بعض الوجوه فقلده
الإنسان فيها

(٩) ورأى للسرطان درعا يقي جسمه العوارض والمهاك فتعلم صناعة السروع . وهكذا منه أيضا تعلم
صناعة (اللاقيط) و (الكباشات)
(١٠) وأخذ صناعة (احقاق النقوش) عن (الاستريديا) وعن (أم الخلول) كما في كتاب (علم الدين)
لستانزا المرحوم على باشا مبارك

(١١) ورأى الخنزير يمتدحطومه فيشق الأرض فتعلم منه الإنسان حراثة الأرض بالمحراث بل ربما كان
استخراج الذهب والفضة من الأرض بسبب تقليد الخنزير
(١٢) ورأى (الهرمة) تنوق الروائح الكريهة للمساعدة من الفهم فقلدها
(١٣) ورأى الكلب يعاطي مسهلا عند انحراف مزاجه فأخذ الطب عنه
(١٤) ولما رأى الفمل يتجند الجنود وتجهز الجيوش فقلدها
(١٥) ولما رأى (اللقاقن) يعمل بالمشاورة في الأمور تعلم علم الدواوين وجعل له مجالس للشورى للنواب
والشيخ كما هو مشاهد في هذا الزمان

(١٦) ولما رأى الغراب كثير الحذر فقلده
(١٧) ولما رأى الناس والكلاب تصاحب الناس اتخذ ماوكهم جلساء لهم وكذا الأمراء والعظماء
(١٨) ولما رأى الناس السباع ذات جزأة وظلم جأروا وظلموا
(١٩) ورأى الخيلاء والكبر في (الهمر) فقلده
(٢٠) ورأى النحل مهندسا يبنى بيته مستسا الأركان بنظام لاخطأ فيه بحيث يبنى مساكن كثيرة في
فسحة صغيرة بسبب حسن الهندسة والاتقان كما أتقن الله أدمغة الناس وأجسامهم وحسن أشكال أجسامهم
فقلد الحيوان في ذلك

(٢١) ورأى الخلد أعلم العلماء في معرفة أحوال الطقس فتعلم منه ذلك كبار فلاسفة الأرض (والميتورولوجيون)
(٢٢) ورأى (السمك الرعاد) قديرا على اظهار مقدار عظيم من الكهر باء فاذا لمس الانسان ارتعد
جسمه واهتز اهتزازا عنيفا فقلده

(٢٣) ورأى الأطيار تغنى بغناء مطرب وصوت رخيم عجيب التلحين يشجى القلوب بتغريده ويطرد
الأحزان فقلدها

(٢٤) ورأى (فأرجل الجبل) يبنى بناء متقنا فيجعل بيته على أقيية ويحفر له أقيية ليحجرى الماء فيها فقلده
حتى قال فرعون - أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون - فيقال له لقد سبقك

بذلك (فأرجل الجبل) . وهكذا رأى الضبّ بنى بيته في أجود الأماكن وألطفها هواء فقلدها * قال الشاعر

سقى الله أرضاً يصلح الضبّ أنما * بعيد عن الآفات طيبة البقل

بنى بيته فيها على رأس صكّدية * وكل امرئ في سرفة العيش ذوق

(٢٥) ورأى كلب الماء ماهراً في النجارة والبناءة كثير القوة عظيم الهمة والاقدام فيقطع الأشجار وينشرها ويحملها ألواحاً ثم يبنى بها مدنه على جوانب الماء ويسكنها كأهل مصر وباريس وجميع الأمم المتمدنية الذين تعلموا منه الهمة والنشاط في ذلك

(٢٦) ورأى من (الزناير) صناعاً تصنع الورق فقلدها

(٢٧) ورأى (دود القز) يغزل فتعلم الغزل

(٢٨) ورأى (دود الربيع) نساكاً ينسج خيامه فتعلم منه النسج

(٢٩) وبعض الطيور دقيقت الصنعة في الحياكة فقلدها في ذلك

(٣٠) وبعض الطيور خياط يخط الأغصان والأوراق ويسكن فيها فقلدها في ذلك

(٣١) ورأى (النمل) تسكد وتسكدح ليلاً ونهاراً مع الحكمة فتعلم منها ذلك . ولما كان أمر النمل عجيباً أردت أن أذكر هنا نبذة صالحة عجيبية تاركاً ما هو أعجب لما سيأتى في سورة (النمل)

(النمل في قريته . هندسة عجيبية)

النمل والنحل كلاهما مثل للفرزة الصادقة التي لا تخطئ فكل منهما يعمل أعمالاً غاية في الدقة والتعقيد فيعبد عمله كأنه يعقل وإن لم يكن للعقل أثر في جميع ما يعمل وإنما هو مسوق بغير رية يؤدى عمله أداء ميكانيكياً لا يتردد فيه ولا يفكر . وقريّة النمل التي يعيش فيها مقسمة طبقات منها ما هو خاص بالذخائر الأقوات التي يخرجها أحياناً إلى سطح الأرض لكي يحفّ إذا رآها قد رطبت وأوشكت أن تعفن . ومنها ما هو خاص بالملكة . وليس لهذه الملكة شيء من سمات الملوكة فأنها مثل ملكة النحل مقصور عملها ومهمها على البيض فهي تبيض مدى عمرها . وتباغ عناية النمل بقريته أنه يدفن ما يموت حتى لا يتلّس جسمه ويورث القريّة والنمل في القرية منقسم طبقات فنه الجنود التي تختص بالقتال والدفاع عن القرية ومنه الإناث العاملات اللواتي يخرجن لجمع الأقوات وينظرن في مصالح القرية من رعاية الصغار وإخراجهنّ إلى الحلاء لتنفس الهواء الذي ثم العودة بهنّ إلى العناية بالقرية والملكة . ويعتبر النمل من عجائب الطبيعة فأنها تخص نوعاً من الصراصير باختزان العسل فتجبر هذا البعض على أن يعب العمل عاباً حتى يتورم جسمه ولا يستطيع الحركة ويتركه زمناً الشتاء فإن أراد أن يشرب ذهب إليه وامتنص منه قطرة كما يحلب الناس البقر وهو يعتنى ببقره ويهيئه له علفه . ويقول الأستاذ (انفرث) وهو من أساتذة جامعة (موننيخ) وقد اختص في درس طبائع النمل أن النمل أحياناً ينغمس في تناول هذا الشراب حتى يسكر وليس للنمل أجنحة ماعداً الملكة والذكور فأنها مجنحة . ويقال إن في العالم نحو ألف نوع من النمل تعيش في كل مكان عدا الأصقاع الباردة

ومما يحكى عن غريزة النمل مجربهم مع أحد أفرادها فانه أخذ نملة من قريّة وألقاها بحوضه عنده عتة أشهر ثم ردها إلى القرية مع نملة أخرى غريبة فقتلت النملة الغريبة في المسكان وأذن للنملة الأصلية أن تدخل وذلك مع عدم وجود أى فرق بين الغريبة والأصلية من حيث النوع . وللنمل ما يشبه النكاح والتفاهم فإذا وجدت نملة مقداراً من الغذاء ووجدت أخرى مقداراً كبيراً ذهبت كل منهما إلى القرية وبعدها تعود الأولى بعدد من النمل وتعود الثانية بعدد أكبر من النمل لحل الغذاء . والنمل غزوات يقصدها الاسترقاق فانه يغبر على القرى المجاورة ويخطف صغار النمل ويربّه فينشأ رفاقاً القرية يخدم أسياده الذين يستعبدونه وقد ذكرنا الصراصير التي يختزن النمل في أجسامها العسل . وهناك النمل أيضاً الذي يعيش أحياناً على أوراق

القطن والذي يسمى القلاحون إصابة أقطانهم به (الندوة المسلية) فإن النمل يخطف بيضه ويذهب به الى قريته فيتركه حتى يتفق البيض فيقتسم البعض اصغاره حين يكبر ويشرى ما يفرزه من العسل. ووقت التلاقح تطير ملكات النمل فاذا تم التلاقح عادت الى القرية وتقع جناحها فلا تخرج بل تبقى تبيض حتى تموت . (انظر شكل ٩ في الصفحة التالية)

﴿ قرية النمل وطبقاتها ﴾

(١) باب القرية (٢) غلة تدخل القرية (٣) الحرس لمنع دخول الغريب (٤) أول طبقة لراحة العمال في الصيف (٥) الطبقة الثانية لراحة العمال في الصيف أيضا (٦) مكان تناول الغذاء (٧) مخزن تدخر فيه الأقوات (٨) سكنة جنود النمل (٩) الغرف الملوكية حيث تبيض ملكة النمل (١٠) اسطبل لبقرة النمل مع علفه (١١) اسطبل آخر لحلب البقر (١٢) مكان لتفقو البيض عن الصغار (١٣) صغار النمل ويضعه (١٤) صغار النمل (١٥) مشتى للنمل وفي العجين جبانة لدفن من يموت (١٦) مشتى الملكة . انتهى (٣٢) والنسئاس يفعل أفعالا مضحكة فقلده الانسان بما يسمى (الهوان) وهو الذي يجري أويرقص فوق الحبل وما أشبه ذلك

(٣٣) ورأى الفرد يلعب ويمرح حتى يضحك العبوس ويزيل الحزن فقلده وبنى دورا للألعاب والامور المضحكة وهي (دور التمثيل) المسماة (التياترات)

(٣٤) ورأى في النمل الأبيض بنائين ومولوكا وجنودا جتمع الانسان ذلك كله وزاد عليه كثيرا (٣٥) ورأى كلاب الماء قد عاشت عيشة المساواة والحرية فقلدها الانسان بحكومة (الجمهورية) كفرنسا وألمانيا وتركيا الحديثة وغيرها

(٣٦) ورأى للنمل وللأرضة كما تقدم في سورة (النحل) حكومات فقلدها الانسان كما ترى في مصر والترك والابجيز والأنسان وما أشبه ذلك

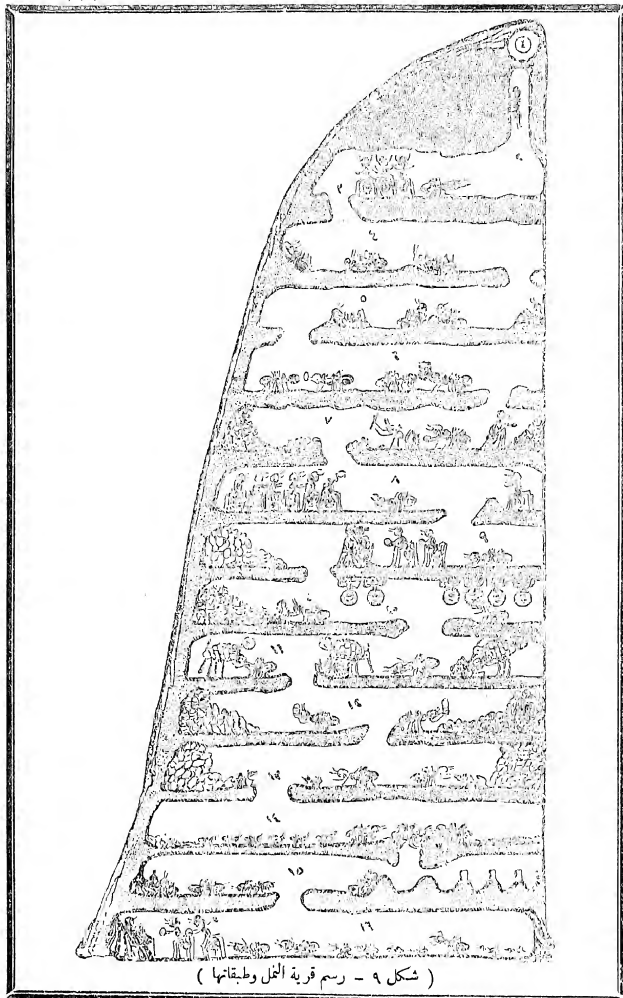
(٣٧) ورأى (الأبائل) الهندية تعيش بهيمة مجلس من الشيوخ يحكمها حكومة بنى اسرائيل قبل أيام سيدنا سليمان عليه السلام فقلدها

(٣٨) ورأى الأفيال تنقاد للأشراف منها فقلدها الانسان فكانت حكومات الأشراف كما في جمهورية (أفلاطون) المتقدمة في سورة (النحل)

(٣٩) ورأى الخيول البرية تنتخب لنفسها قوادا منها ففسر أمامها وتهديها في سيرها وتسلط عليها فتعلم انتخاب الأعضاء في المجالس النيابية

(٤٠) ورأى الغنم البرية تقيم عليها كبشا منها يقاتل عنها ويسير في مقدمتها ويحميها فقلدها في ضباط جيوشه وفي رؤساء العاملين في سائر الأعمال . انتهى

فانظر لهذا الجبال في هذا العالم البهيج الجميل - فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم - وانظر كيف وزع الله القوى والقدر والأخلاق والصناعات والعلوم على أنواع الحيوان وجعلها في هذا الانسان وانما جعلها فيه ليدرسها وليفهم قوله تعالى - قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى - فهذا هو الخلق وهذه هي الهداية . فيأيت شعري من أين يعرف المسلمون معنى أمثال هذه الآية لإبداء هذه العلوم . اللهم إنك أنت المحمد على نعمة العلم ونعمة الحكمة . اللهم إنك أنت الملهم للمعلم والى أشكرك على ما أنعمت به على ووقتني أن أجمع هذه الأربع خصلة من صناعات وعلوم وسياسات وحكومات مفرقات في الحيوان مجتمعات في الانسان من كتب قيمة حديثة العهد في هذا الزمان الذي انتشرت فيه بعض أنوارك وظهرت فيه بعض علومك ومجانب صنعك وبعض أسرار كتابك وأن ما كتبه الآن قطرة من بحر من بحور العلم المكنونة



(شكل ٩ - رسم قرية الخلل وطبقاتها)

في غرائز الحيوان ونبتة من العلوم الخفية تحت كلماتك المقدسة في كتابك . وعلى مقدار ارتقاء العقول في العلوم
يزدادون ارتقاء في فهم كتابك . والحمد لله رب العالمين . انتهى ليلة الأربعاء ٩ مايو سنة ١٩٢٨

﴿ تذكرة ﴾

تقدم في سورة يوسف وفي سورة المائدة ذكر منافع الطيور وأنت الحكومة المصرية منعت صيد طائفة
منها وتراها مرسومة في سورة يوسف وذلك داخل في قوله تعالى - أعطي كل شيء خلقه ثم هدى - فقد
هداها الله لأكل الحشرات المنفعة للزروع وهدى الناس لمعرفة ما فيها . ولقد أصدرت الحكومة المصرية أمراً أثناء
طبع هذه الآية بمنع طيور أضعاف ما منعت في المرة السابقة لأنها اتسعت معلومات رجالها في ذلك وهما هذه

(الطيور النافعة للزراعة)

صدر قرار من وزير الزراعة المصرية بحسبان الطيور المدينة بعدانفعة للزراعة وتحريم صيدها ومنع اتلاف
بيضها وأعشاشها وهي : القنبرة وعصفور النين وأبو فصاده والقلناق والشعقوت والجابل والسكروان والسنونو
والزرزور والسخة والزرقة والحسيني والسمك والوروار والبشون وأبو قردان وعصفور الجنة والمهدد
والبلبل والصغير والحطاف وأبو بلقة وأبو اليسر والزقزاق مطوق والزقزاق البلدي والغراب الزيتوني وأبو صر
(أبو الحناء) والجيرة والصعور والهازر والقميصة وأبو الحوى وزقزاق شامى ﴿ انتهى

﴿ مسامرة في حديث السحرة مع فرعون إذ قالوا له - إنه من يأتي ربه مجرمًا فإن له جهنم

لا يموت فيها ولا يحيى - الى قوله - وذلك جزاء من تركى - ﴾

لما وصلت الى هذا المقام حضر صديقي العالم الذي اعتاد أن يناقشني في أمثال هذا اقام وطاع على
ما تقدم وقال لقد أحسنت صنعاً في الكلام على قوله تعالى - قال ربنا الذي أعطي كل شيء خلقه ثم هدى -
إذ أتت أن القرآن يدخل العلوم والحكم في غضون القصص ويكون تلك هي المقصودة ولكن كيف أتت
تلك المعجزة الموسومة وتبين محاور السحرة مع فرعون . فالمحاضرة الأولى قد استبان بها نظام هذه الدنيا
فهل من سبيل الى أن تستبين الثانية بطريق مشوق جيل حتى نرى نظام الآخرة بهيئة تسر القلب وتشرح
الصدر كما انشرفت صدرنا ببيان المحاضرة الأولى وجبال نظام العالم الذي نعيش فيه . فقلت له ان ذلك يتم
بذكر أيام الشباب . فقل ان ذكرى أيام شبابك قد تقدمت مراراً في هذا التفسير وذكرتها في كتابك
﴿ التاج المصحح ﴾ وانك كنت تدرس الشجر والخمر والزروع والشمس والقمر وأنت لاعلم عندك وأى علاقة
بين هذا وبين أجرام الانسان وجهنم وعمل الصالحات والمراجعات العلى في الجنات . لى أخال ذكرى شبابك
هنا لا يكون إلا تكراراً . فقلت لا تكرار فيه فاني سأحدثك حديثاً عسى أن يكون شيقاً ساراً يلذنى
ذكره وبنى كان القائل بمنهجاً بالقول بالنبع به السامع . فأما المتكلمون في أقوالهم وان حسن أسلوبهم
بلا نقاب حاضر ولا شوق بإمرافان القلوب تنفض من حولهم ولا تنتفع الناس بأقوالهم . فأما اليوم فسأعرض
تلك ما كنت أجده أيام الشباب في الحقول وأنا لاعلم لى ولا هدى ولا كتاب منير إذ كان درسى هذه
الدنيا الجيلة وشمسها وقرها وزرعها وثمرها وكاؤها وأنها راها فلا تسبـك ما يروك سمعه . بل ذلك وقته
ويكون ذكرى لذاكرين . تلك أيام الخيانة . فقال ماعنى أيام الخيانة . فقلت الخيانة اسم لأرض
كان يملك أبى فيها بضعة أفدنة (جمع فدان) وكنت أعمل معه فيها قبل سن البلوغ . ولما دخلت الجامع
الأزهر كنت أعمل في تلك الأرض أيام العطلة الصيفية وزرع الترة والقطن ونحوهما في تلك الأيام كنت
أرى والى قد اعتراه نوع من الضعف . فهناك اهتمت النفس ﴿ بأمرين ﴾ أمر الأسرة والاشراف عليها
حفظ كيانها وأمر شـىء غلى بنفسى وجهلها مع النظر العام في دين الاسلام مع ضعف صحفى وملازمى للقيام في
بعض الأيام وللمتجد ليلاً . وههنا بيت القصيد . فلا بين الآن ﴿ مقصدين ﴾ المقصد الأول ﴿ فوائد الجـم

من الأعمال في الحقول تدينا لعمل الصالحات في الآية ﴿ المقصد الثاني ﴾ كيف ضعف جسمي في باب البحث في أمر الروح ودرجاتها وأما تكون في طبقات من الأثير بعد مفارقة هذه الأبدان تدينا لقوله تعالى - فأولئك لهم الدرجات العلى -

﴿ المقصد الأول ﴾

لقد كنت أعمل في الحقل وأحسن بعد الفراغ من العمل براحة ولذة وسرور وانسراح صدر وكنت إذ ذاك لاعلم لي إلا بكتب النحو وكتب الفقه على مذهب الإمام الشافعي فقد تعلمت كتاب ابن عقيل على الألفية وكتاب التحري في الفقه على مذهب الإمام الشافعي وقليلاً من علم التوحيد . وهذا كل العلم الذي تعلمته إذ ذاك من الأزهر . فإذا أتت عمل الحقل وجلست تحت شجرة أخذت كتب تفسير الجلالين وأقرأ التفسير واجتهد أن أستحضر كل مآثراته فسكنت أجد لي فيها لم أعده في ذلك الهواء الطلق ونارة كنت في أثناء إدارة آلة استخراج الماء من النهر أجد نفسي أخذت تفكر في تفسير ربع من أرباع القرآن فرمما قضيت زمناً ليس بالقليل وأنا أستخرج الماء بتلك الآلة ولا أحسن بتعب من العمل . وبعد الفراغ من العمل أعرض ماجال بفكرى على ماجا في التفسير فأجد المطابقة تامة غالباً فكان ذلك يفرحني ويشرح صدرى وأذكر اننى كنت أغدو وأروح من الحقل الى المنزل ونفسي لا تنفأ تذكر هذا العالم وكيف خلقى وكنت أقول هما ﴿ أمران ﴾ إما أن يكون هذا العالم لا أول له من نفسه . وإما أن يكون الذى لا أول له هو الذى خلقه . إذنت لابد من واحد منهما يكون قديماً . فالقدم لابد منه إما للعالم وإما لصاحبه . فالقدم إذن من ضروريات هذا الوجود حقاً فلا غربة إذن اذا قلنا ان الله لا أول له لأننا اذا لم نصف الله بهذا الوصف وجب أن نصف العالم به اذا قلنا انه لا خلق له . وهكذا من الخواطر التى كانت ترد على النفس صباحاً ومساءً وطالما كنت أرى في نوحى انى حائر فى أمر الشمس وكيف تكون في القطبين أيامها ستة أشهر وكذا لياليها وأنا لا أعمل لهذا معنى لأنى كنت أسمع ذلك من بعض قراء الفلك بالطريقة القديسة . هذه كانت رياضة جسمي في الحقول ويصحبها الفكر الذى لا أقدر على التخلص منه صباحاً ومساءً ليلاً ونهاراً . والذى أقصده الآن في المقصد الأول أن أبين صحة جسمي وانسراح صدرى وتوقد قريحتي في العمل في الحقل . وما كنت أعمل هذا العمل في الحقل لأجل الرياضة . كلا . إذ لاعلم لي بأن هناك رياضة مطلوبة . كلا . فلا علم عندنا بذلك بل كانت عادة أهل بلادى انهم يحرقون العمل ويرون أن الانسان كلما علا مقامه كان أبعد عن العمل فلذلك تجد الأغنياء في قطرنا يرون العمل حطة قدر فيترفعون عنه ويجلسون فالأغنياء من الرجال والنساء كثيراً ما يصابون بأمراض مزمنة وتعتريهم الأوصاب غالباً ذلك لما وقر في نفوسهم من أن الكرامة في عدم العمل وقد كان العاتية من أهل بلادى يحبون كيف أكون أعلم خلق الله في نظره ولا نظير لي في الاجتهاد في العلم ثم أنعماني الفلاحة وأمسك القاس وأقطع الحشيش وأسقى الزرع . كل ذلك عار ويقولون مثل هذا يجب أن يكون بجانب العمود في الأزهر وأنطلع له جرابية ولا يكون في الحقل . فانظر ماذا جرى . جرى بعد ذلك اننى لما رجعت الأزهر ثانياً ودخلت (دارالعلوم) وعلمت في المدارس وقرأت بعض أخبار الأمم علمت ما بأتى أن أهل الولايات المتحدة يأمرون تلاميذ المدارس انهم أيام العطلة يتوجهون الى القرى فيتعاطون الفلاحة مع الفلاحين . ولما رجع أولئك التلاميذ الى المدارس وازنوا بينهم وبين التلاميذ الذين لم يسموا زمن البطالة فوجدوا أن أولئك العاملين في زمن البطالة في الفلاحة أصبح أجساماً وأحسن أخلاقاً وأرقى درجات في العلوم من أولئك الذين لم يكافؤوا بتلك الأعمال ﴿

ثم رأيت أن كبار العلماء يقولون ﴿ ان أعلى الرياضة أن يعمل الانسان في الحقول والبساتين وأوسطها أن يمشى كل يوم أميالاً وأدناها أن يحرك أعضاء الحركات القريبة المسماة الجيز ﴾ هنالك أخذت أقص على

فلا يذرى هذه الأحوال كلها وأنصحهم آخر السنة أن يفعلوا ما كان اتفق لي وأنا مجاور بالجامع الأزهر إذ كنت أعمل في الحقل وأحسن بقوة عقلية وأخرى جسمية وأذكرهم بأنهم غالباً من أبناء الأغنياء الذين يحبون العمل وكنت أقول هكذا إن هذا العمل يعطى (١) قوة الجسم (٢) قوة العقل (٣) الشرح الصدر (٤) النظر في أنواع النبات (٥) الذكاء والفتنة بالمخاطرة أثناء العمل على أنواع النبات (٦) والبعث عن الضار له ثم اتلافه . فذلك كله يجعل للانسان رياضة جسمية وأخرى عقلية (٧) الفتح بالهواء الطاق (٨) التمتع بوضو الشمس وهما الغذاء آن اللذان يجعلهما أكثر الناس وإن أكثر الناس لا يعملون

هذا مبدأ عمل الصالحات . فالرجل الضعيف الجسم الجالس في حجرة فاسدة الذى أغمض عينيه عن جمال هذه الأشجار والحشائش والأنهار الساهي للالهى كيف يعمل الصالحات . الله أكبر . أول عمل الصالحات العناية بأجسامنا وعقولنا . فإذا قال السحرة لفرعون - ومن يأتيه مؤمناً قد عمل الصالحات - فهذا مبدأ عمل الصالحات . وإذا سمعت الفقيه الاسلامي يقول لك عمل الصالحات الصلاة والزكاة والصيام والحج فلا صلاة لمن لا يحسن له والزكاة والطح لمن عنده مال والصحة تساعد على هذا كله وكثير من المرضى لا صوم عليهم . وأيضاً كل هذه الصالحات والعبادات أقل ثواباً من النظر في هذا الوجود واتباع العلم والاناسة بين العلم والعمل ولا علم لمن لا يحسن له ولا عقل . إذن ما ذكرته في هذا المقام هو المبدأ العام لعمل الصالحات الذى ذكره سحرة فرعون . وإن تكون هذه القصة قد جاء في أوّلها النظر في العالم في محاوره موسى مع فرعون وهنا جاء فيها النظر في العمل وفي الآخرة فكأنها أدخل فيها كل علم الدين . فقال صاحبي لم يذكرها إلا مبدأ العمل الصالح وهو حجة الجسم والعقل فأين الآخرة إذن . قلت في المقصد الثانى كما قدمت لك

﴿ المقصد الثانى . كيف كان ضعف جسمي سبباً لفتح باب البحث في أمر الروح ودرجاتها وإنها تكون في طبقات من التأثير بعد مفارقة هذه الأبدان تبياناً لقوله تعالى - فأولئك لهم الدرجات العلى - ﴾ لقد تقدم في سورة (الاسراء) تحت عنوان ﴿ كيف كان مبدأ تفكيرى في أمر الروح ﴾ وذلك في أوائل تفسير السورة أن قلت انى اعتراني دوار فغشى على وأنا أعمل في الحقل وذلك لضعف جسمي فأورثني هذا الدوار شكاً في حياة الروح بعد الموت وقلت ﴿ إذا كان العوارى رأسى أو الانحسار قد فقد حسى فكيف بالموت . إذن لاحياة بعد الموت ﴾ وبعد ذلك بأمد توجهت الى الأزهر بعد ترك الدروس ورأيت في المنام قائلاً يقول لى انظر فظنرت فإذا شكل أبيض وسط الزرقة الجوّية فوق المقابر ثم قال هذه هي الروح واتفق أن ذلك ليلة الخميس . ولما طلع النهار وقع في يدى كتاب (ابن مسكويه) وفي أوله أدلة الروح فبجيت من علم أدرسه مدة حياتى موافقاً لما رأيت . كل هذا تقدم هناك في التفسير والآن أريد أن أبين الحقيقة ناصحة وأذكر ما عرفت فوق ذلك ولكن قبل ذلك أذكر بهجة الحكمة وحسن البشرى التى نلتها في حياتى وبجانب الأنوار الالهية . ذلك اننى أثناء انقطاعى عن العلم وحيرتى وشكى في أمر الروح وغيرها كنت أجد شوقاً عظيماً الى أن أجد دور العلم مرة أخرى . وكلما هبت النسمات ونمايل الأغصان تذكرت العلوم والبراسة . ففى ذات يوم وقت الفجر صليت الصبح ووقفت بجانب شجرة والنسمات تهب واشراق الصباح معترض في أفق المشرق والجوّ لا يزال حالماً مكفهاً والنجوم لا تزال تتلألأ في آفاق السماء إذ رفعت طرفى الى السماء وقلت يا الله ما هذه الأشواق للمنبتات الى طلب العلم . اللهم إني قرأت كتب العشاق فلم أجد عاشقاً نال جميع مراده فإذا أسعدتني بطلب العلم مرة أخرى فأنا أسعد العاشقين . اللهم إن كنت قد تريت أنى لأرجع الى التعلم فاطنى النار المتأججة في صدرى وارجنى . ولما كان اليوم الثانى في نفس الوقت ووقفت بجانب الشجرة وقلت يا الله هذه هي الأشواق لا تزال بل ازدادت فأين قضاء حاجتى . إذن أنت تريد ارجاعى الى الأزهر لطلب العلم فيها أنادى منتظر . ولقد تم ذلك بعد زمن قليل بعد اليأس الشديد

وإذ فرغت من بهجة العلم بهذه المسامرة أرجع لتباني حالي بعد تلك الرقيا وقراءة كتاب (ابن مسكويه) أقول ألفت كتباً كثيرة قبل تأليف هذا التفسير مثل (جواهر الصلوات) و (ميزان الجواهر) و (النظام والاسلام) و (نظام العالم والأمم) و (أين الانسان) و (جمال العالم) و (نهضة الأمة وحياتها) و (جوهر التنوير)

(رؤيا منامية)

وبينا أنا جالس مرة في منزلة من منازلات القاهرة إذ أخذتني سنة من النوم وقائل يقول اسمع (إن الانسان ينتقل من عالم الى عالم وكل عالم ينتقل اليه تكون أعماله السابقة التي تكافها ونصب فيها أصبحت له غريزة وطبيعة فيتعلم أعمالاً أخرى وهذه تصبح له غريزة فيما بعد ذلك وهكذا طبقة عن طبقة . أفهمت . هل تشك في كلامي) فاستيقظت وأنا متعجب من علم لم اسمع به ولا أدري ما السبب فيه وبعد ذلك طلعت على علم الأرواح الحديث . فإذا رأيت . رأيت أن علماء الأرواح يقولون ما يأتي

(إن روح الانسان في هذه الحياة لها فضائل كالحب والقناعة والعلم وذائل كالخسد والطمع والجهل وهذه أشبه بسوائل تنبع من الجسم الأثيري الذي ينطبق على هذا الجسم المادى حاضرا معه الآن وهذا الجسم الأثيري لطيف أظف من الأنوار وهذه الأشعة المنبعثة من هذا الجسم تؤثر فيمن حوله حبا وبغضا وقبضا وبسطا ومحنة ومرضا . ومماثل تلك السوائل الأثيرية إلا كمثل الروائح السكرية والطيبة . ولا جرم أن آثار الهواء القاسد يخالف آثار الهواء الصالح . ولذلك يحسن الانسان في الجمع للملئم بانشرح وفي الجمع المختلف باقتباس لأن نفوس الجالسين سوائل معنوية تؤثر في الجالسين . مهم ألسنة المنافرة أو سرورا لاتحاد الأصدقاء . وتتوارث الشعاع الضار على النفس الأخرى يحدث فيها مرضا تارة وآراء ضارة أخرى سواء أ كانت الروح الضارة مجسدة أم مطلقة ولا يمنع ضررها عنا إلا أن تنطلق أنفسنا بالفضائل . هنالك لا تؤثر فيها تلك الأرواح كما يقع الذباب إلا على العين القدرة . ويتفرع على ذلك مسألة العين وأن الرجل العائن يخرج منه سائل كرهية ينفذ في جسم من يقصد ضرره فيؤثر فيه وهكذا التأثير بالسحر . كل ذلك راجع لتوجه النفس . هكذا أولئك الذين يشنون من المرض بنظراتهم أو بوضع أيديهم عليه فيحصل الشفاء إما حالا وهو نادر الوقوع إما بعد التكرار وهو كثير . كل ذلك بسبب السوائل الجيدة الناشئة من قلوب طيبة محبة للناس ومنفعتهم)

إن أرضنا التي خلقنا عليها موفرة في ذلك الأثير الذي هو أظف من النور المحسوس ولكن هذا بالنسبة لما يحيط بالكواكب الأخرى خشن وهكذا كوكب وراء كوكب . فكلما كان الكوكب أرقى كان الأثير المحيط به أظف وألطف . والروح بعد الموت لا تقهر أن تصعد الى عالم أرقى في هذا الحق القبيح إلا اذا استعظت له فانها قد ترى أنوارا بهجة لا تقدر على ووجهها وعظاء أعلى فلا يمكنها أن تعيش معهم . إذن هناك في البرزخ درجات فقلت لعل هذه الحقيقة فيه . ولقد عجت كل العجب إذ رأيت هذه المعاني في ذلك العلم وأن القوم يقولون إن الانسان جسمه الروحي الأثيري (الكوكبي) متصف بالصفات التي ذكرتها لك هنا ويقولون

- (١) إن الروح لا يصعد الى طبقة إلا اذا استحققتها بجهد
 - (٢) وأن تلك السوائل النابعة منه تكون مائة له من الاجتماع بمن ليس على شاكلته
 - (٣) وأنه يفرح بأمثاله ويعتم بمن ليس على شاكلته
 - (٤) وإن هذا الجسم الأثيري تنطبع فيه كل الآراء والعلوم والمعارف والمعاصي والأموال والشهوات فهذه كلها ترسم فيه وما هو إلا صورة المصور الشمسي وما أعمالنا وأميالنا وعواطفنا إلا كالصور المرسومة في اللوحة
- إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا — ووجدوا ما عاينوا حاضرا —

(٥) ان هناك شمسوا أوسع من شمسنا كالجوزاء وما المجموعة الشمسية كلها إلا مثل كوكب واحد من الكواكب العظيمة وأهل تلك حياة أرقى بل علماء الأرواح تقاوا عن الأرواح أن الحياة هناك لأحد للسعادة فيها وأن النفوس اليها ترتقي كما تقدم في (آل عمران) عن روح (غالبى) الفيلسوف . إذن هذا قوله تعالى - لتكن طبقا عن طبق - وقوله تعالى - وسارعوا الى مفرة موت ربكم وجنة عرضها السموات والأرض - فهنا نحن أولاء قد علمنا كواكب عرض الكوكب منها كعرض المجموعة الشمسية التى تشتمل على سمواتنا وعلى أرضنا . إذن الأمر واضح ففة مخاوفات علمناها لها هذا الوصف وعرضها عرض السموات والأرض فعلا وربما كانت طبقة من طبقات الجنات وربما كانت تشبهها فى السعة وعلى كل فعلنا بها جعلنا تنصورا الجنات العلى وأن أمثالها فى القدر موجود فعلا . ولست الآن فى مقام الأدعاء اننا علمنا هذه الحقائق فان الرؤى لانكون دليلا ولا كلام علماء الأرواح وإنما ذلك يفتح بابا للبحث والتنقيب فى هذه المسائل وشرحها بالعلم والحكمة . وإذا كان الصالحون أمثال الخواص والشعراني والشيخ الباغ يقولون ان أرواح الأموات فى هذه الطبقات العلوية فى الجوك كما يقول علماء الأرواح وذلك تقدم فى هذا التفسير نقلا عنهم . فهذا كله لا يعطينا اليقين بل يجعل المقام معدا للبحث . فالوجدان والرؤى وعلم الأرواح كل هذه لاتعد برهاننا قاطعا وإنما تعطى دليلا يعطى بعض النفوس بعض الاقتناع لتطمئن للبحث والجد عسى أن تصل الى المعرفة واليقين . إن هذين النوعين وهما العمل الصالح والبرجات العلى فى هذا المقال كان مبدءا أولها الى رياضة البدنية فى الحقول التى هى أرقى الرياضات ومبدا ثانياهما فى أمر الأرواح وتركها أنقال الأوزار من العلائق الأرضية باصلاح النفس وتهذيب الخلق وارتقاء المجموع الروحي فى عالمنا الأرضى حتى يستعد للاجتماع بعالم أعلى فى كواكب أخرى مسكونة . ولا يزال هذا النوع الانسانى الأرضى يرقى فى السكالك وبارتقائه يستأهل للاتحاد بطوائف أخرى وهكذا طبقا عن طبق حتى يكون أهل الأرض متحدين بعوالم لاندرى عددها وعلى قدر الارتقاء وازدياد المتحدين تزداد السعادة والارتقاء الى أن يصل الانسان الى مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فى عوالم مجهولة لنا كل الجهل . ثم ان ماقلناه فى السعادة والشقاوة فى طبقات الأثير انما هو عذاب ونعيم البرزخ لعذاب ونعيم الآخرة فذلك له شأن آخر - وأن الى ربك المنتهى -

وفى ارتقاء الانسان فى هذه الطبقات يشاهد (كما يقول علماء الأرواح) الساحات الواسعة التى لأحد لها وفيها تلك الملايين من الشمس البدئية الزمرادية والياقوتية والزبرجدية وسرعة سيرها وتجاذبا وبدهش لأهوال الجديدة التى تبرز فى الوجود ويبقى مستعيا بهذا الجمال البديع وهومثل بهجة تلك المحاسن ومجانبها وهذه هى الحال البرزخية ثم تنتقل الروح الى كوكب أرقى فى أجساد لا كالأجساد الأرضية بل تسكون ذات خفة ولطافة فتوجع على سطح الكوكب أوفى أرض الجنة موجا بلا كلفة ولا مشقة وتلتئم أرواح أهل أرضنا الذين ارتقوا مع أرواح أراضين آخرين وينشؤون من طبقات الأثير روائع المصنوعات الفاخرة بمجرد ارادتهم لابعثات كاهل الأرض الآن وهم بما أوتوا من علم وحكمة يرجون الأثير رجاء فتحصل فيه تملجات موسيقية تسمى العقول وتسكن الأرواح ثم انهم يقيمون أفراحا عامة وأعيادا زاهية زاهرة باجتماع الأرواح العامة من الأقطار المتباينة فيفرحون بانتصارهم جميعا على ما قاسوا من شدائد ومصائب فى الأرضين المختلفة اللاتى تعدت بالملايين كما يجتمع فى أرضنا المسكونة أهل كل دين من الأديان الأرضية فرحين باكمال العناء فى صومهم أياما معدودات وانتصارهم على شهواتهم المانعة لهم من الخروج من هذا العالم المادى القاسى العظيم المشقات وإذا تفردوا اجتمع كل جملة منهم حول روح عظيم يتلقون تعاليمه ويعسد ذلك يتوجه كل منهم الى عمله الجديد الذى يزيده ارتقاء فان لسلك روح عملا لا يمهدها على مقدار قوته وكفاءته ولا دخل للاختصاص أو التميز . كلا . بل الكفاءة هى الميزان . فأرقى هذه الأرواح من يكونون بقيادة الشعوب وحراسة الأفراد وترقى الصناعات

هذا ملخص ما جاء في كتاب ﴿ المذهب الروحاني ﴾ ملخصا له مؤلفه من المؤلفات الحديثة في العلوم الروحية بأوروبا . فنحن إذن على الأرض ملزمون أن نقلع عن النقائص وأن نحب الله ونحب الخير لعباده ونحاذر كل الخنرم من الخطأ ونستعين بالله ونحس سنرتقي طبقا عن طبق وأرواحنا مستعدة يوما ما أن تتقابل مع أرواح أرقى وأرقى بشرط أن تستأهل لهذه المرتبة بالجد والاجتهاد . ثم إن أرواحنا قد يوكل إليها إدارة العوالم علما بعد عالم وتكون أجسامنا روحية لامادية ولا تزال تلتطف طبقا عن طبق حتى تصل الى الله . ويقولون ان هذه الأرواح كلما ارتقت ازدادت اتحادا فتكون أشبه بأرواح تلاميذ الشيخ صادق قد أصبحوا كأنهم روح واحدة أو كالعاشقين الصادقين الذين اتحدت نفساهما فصارتا نفسا واحدة بحيث يصبح كل ماني ذهن أحدهما يخطر لذهن الآخر مع الحب والرضا والبهجة . وهذا الذي قالوه لا يمنعه علماء الاسلام فقد نقلت لك عن العلامة الفخر الرازي انه يقول ﴿ إن أرواحنا مستعدة لإدارة العوالم ﴾ أخذها من قوله تعالى - فالدرات أمرا - في سورة والنارعات . فهذا القول هو نفس قول علماء الأرواح ويقول الله - لتكن طبقا عن طبق - وتقدم عن بعض الصالحين في هذا التفسير أن نفوسنا في عالم البرزخ تكون في طبقات هذا الجرف في عوالم السموات المعالمة للناس فأما عالم الآخرة ويوم القيامة فشيء آخر . هذا معنى ما جاء في ﴿ الفاتحة والتشهد والقنوت في الصبح ﴾

أفلا ترى أن قول المسلم - الحمد لله رب العالمين - يشمره قول موسى لفرعون - قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى - كأنه يقال لمحمد الله فيقال لأنه أعطى كل شيء خلقه ثم هدى لأن هذا هو معنى تربية العالمين وقوله - اهدنا الصراط المستقيم - هو عين قول السحرة لفرعون - ومن يأتهم مؤثما قد عمل الصالحات - وقوله - صراط الذين أنعمت عليهم - لم يخفهم بأهل أرضنا المسكين بل جعله عاما يشمل أرواح جميع ملايين الكواكب التي عرفناها والتي لم نعرفها . فقول المسلم الذي سيأتي بعدنا - صراط الذين أنعمت عليهم - يحضر في نفسه عوالم وعوالم ويتصور أرواحا عالية تصور أجاليا فيشتاق اليهم حتى إذا ارتقى بعد الموت فرح بهم . وكيف يفرح بما لم يشوق اليه فاذا اجتمع بهم صاروا اخوانا على سرر متقابلين ويتصور المسلم بعدنا النعمة المذكورة بأنها درجات بعضها فوق بعض بحيث يرتقي علما بعد عالم الى مالانهاية له وذلك على سبيل التصور الاجالي . هذه آراء من بعدنا في الفاتحة . برونها منطبق في ترتيبها على ترتيب المحاورتين هنا بين موسى وفرعون ثم بين السحرة وفرعون

هكذا يرون معنى التشهد . فأوله ﴿ التحيات لله ﴾ والتحيات لله انما تكون على نعم واصلة من الله والنعيم هي قوله - الذي أعطى كل شيء خلقه - الخ وبعد ذلك يسلم المسلم على نبيه وعلى نفسه وعلى عباد الله الصالحين أي سواء أكانوا في أرضنا أم في غيرها وهذا السلام والأمان والسعادة نتيجة هدايتهم الى الصراط المستقيم صراط النعم عليهم وهو صراط واحد وهو خلاصهم من أدران هذه العوالم المادية ورجوعهم الى ربهم واتحاد أرواحهم باتحاد صراطهم واسلام إلا بالاتحاد الروحي بخلاف أهل الأرض الذين نعيش معهم فهم قوم جهلاء ونحن شاركناهم في جهلهم لأن الانسان الواحد لا يستقل بالسعادة فلا بد من المشاركة لغيره ومن أراد السعادة وحده فهو جاهل مغرور . فأر باب الخلووة والمنقطعون عن الناس الذين يحبون ربهم ويترون عباده قوم لا يعملون فلا سلام لهم بل المسلم يطلب السلام لنفسه ولكل صالح ويسير على صراط المنعم عليهم من كل عالم خلقه الله في أرضنا وغيرها وهذا قول المسلم أيضا ﴿ اهدني فيمن هديت الخ ﴾ في قنوت الصبح ثم إن السلام على عباد الله الصالحين يرجع الى اجتماعهم في الدرجات العلى في الآية هنا . فترتيب الفاتحة هو ترتيب التشهد هو عين ترتيب المحاورتين هنا محاور موسى مع فرعون ومحاور السحرة معه أيضا

﴿ حمد المؤلف ربه ﴾

أفلا يجب على الآن أن أجد الله الذي وفقى وهدي لما أكتبه الآن فالأوضاع على راجع الى أمر عادي

ذلك هو عمل في الحقل بالأنس فأغنى دلياً لضمف جسمي . فالعسل نفسه في الحقل انتهى الأمر فيه الى علم الرياضة البدنية في الولايات المتحدة وان ما اتفق لي من العمل في حقلنا بلاعلم هو نهاية ماقرره علماء عصرنا في رقي الأخلاق والعلم . وأما الاغشاء فقد فتح لي باب الشك في بقاء أرواحنا فنادا ثم بعد ذلك . أريت في النوم بياضاً في جو السماء الأزرق قبيل لي هذا روح ثم قرأت أدلة الروح في الفلسفة ثم قرأت آراء علماء الأرواح المطابقة لآراء علماء الاسلام ثم انتهى الأمر باجتماع عظيم لأرواح من كواكب لاصهرها فصارت أمة واحدة تحب ربها وكل له مقام معاً فعمل جسمي انتهى بالرياضة العامة والاغشاء دلياً في الحقل انتقلت النفس منه الى عوالم تتحد بالاحصر - وأن الى ربك المنتهى -

إن نتائج هذه العوالم الروحية التي ظهرت حديثاً لاحت لها في الاسلام . فالقرآن ذكرت فيه الملائكة وأمرنا نحن بالإيمان بها وبهذه العوالم عرفنا أن هذه الملائكة لا يحصرها عدد وانها قائمات بنظام عوالمنا محصيات لأعمالنا وبهذا تتجلى كل مشكاة في الدين والقرآن فلا سوسة ولا إلهام إلا بما استعدت له نفوس المتحدين في الأرض يقبونها آراء أشكالها من الأرواح الخبيثة والطيبة وهذا قوله تعالى - وإن عليكم لحافظين * كراما كاتبين * يعلمون ما تفعلون - وقوله - إن كل نفس لما عليها حافظ - وهنا لاحت لثرات هذا العلم في الاسلام والمسلم بعدنا الذي ستفتح له أبواب وأبواب من العلم يصبح من عالم أرقى من عالمنا الاسلامي الحالي الذي لم تفتح لأكثره العلوم فالجد لله رب العالمين

﴿ بهجة العلم . نور على نور ﴾

لما اطعم حل ما تقدم صديق لي صالح قال . اذا كان عملك في الحقل وضعف سمحتك إذ أغنى عليك قد اتسلسل أولها بأحسن الرياضات لطلاب الجامعات بأمریکا . وثانيها بتقابل الأرواح من سائر اتجاه السموات السموية . فهذا معناه أن الصاعب الجسمية والخيرة العقلية تفتق الأذهان لمعرفة الحقائق . فقلت نعم

﴿ الخيرة والشك وحوادث الدهر موقفات للحكمة والرقى في أعمال الحياة ﴾

ان ما اعتري هذا النوع الانساني من حوادث الدهر وتقلب الأيام هو الذي رفعه الى الرقى . فهذه ذه أممتنا المصرية لما قامت الحوادث العربية ودخلت الأمة الإنجليزية البلاد حرك ذلك من النفوس وجدانها فاستيقظت للسياسة والتعليم للشباب بعض العوالم فلولوا الحوادث العقلية ما قامت لنا في هذين قائمة فلقد كانت التعليم قبل ذلك يرجع للحكومة وحدها والشعب نائم . أما الآن فالشعب هو الذي اندفع من نفسه لحوز العلم وهكذا الأمة الهندية التي كانت تحت حكم ملوك للغول المسلمين فلما ورثها الانجليز وحاولوا بساحتها ثم كانت ثورة سنة ١٨٥٧ الشهيرة هنالك استيقظ المسلمون وقام السيد أحمد خان وأسس كلية (عليكوه) وأصدر صحيفته (تهذيب الأخلاق) باللغة الأردية وظهر فيهم شعراء أمثال الشاعر المشهور (اقبال) الذي ذكر القوم بمجد أسلافهم في شعره المسمى ﴿ مد الاسلام وجزره ﴾ ومؤرخون أمثال (السيد شبلي) الذي وضع في التاريخ كتباً كثيرة منها كتابه ﴿ الفاروق ﴾ ومنها كتابه ﴿ شعر العجم ﴾ في تاريخ الأدب الفارسي

وهكذا الأمة التركية لما حاربها اليونان والفرنسيون والانجليز وساعدتهم الخليفة قامت على بكرة أبيها ونهضت نهضة الآساد وأجلت هذه الدول عن بلادها وأخذت ترتقي سراعاً . هكذا أمة الأفغان إذ جاهدت فأبعدت عنها الانجليز وأخذت ترتقي . ومثل هؤلاء الإيرانيون الذين ذاقوا أسوأ الدال من ملوكهم ومن أوروبا هاهم الآن أحرار . هذه نبذة من حوادث الدهر للموقفات للحكمة والرقى في الأعمال . فأما الخيرة والشك فإن أثرهما في رقي الأمم لا يقل عن آثار حوادث الدهر وصائب الأيام . ولقد رأيت فنيا تقدم أن عقيدة التثليث عند الأمم القديمة كانت رمزاً للدراسة العوالم المحيطة بنا لانها عقيدة دينية بحسب أصلها فخرقتها الأمم وانتقلت لها الصبغة الدينية وحاولت الجمع بينها وبين الوحدانية . هنالك اضطربت نار الجدل والحصل بين

العلماء في الأمم فكان من وراء ذلك اتساع نطاق الجدل فارتقت بعض الأمم بالعلم وانضمت أخرى بالخرافات وأزيد هذا المقام تديانا ثم أتبعه بما جاء في شريعتنا الفراء من بعض العبادات التي أخذت تلقينا كالسلام الذي نختتم به الصلاة . فعلى من يسلم المؤمن والعامل لا يتخاطب مالا وجود له

﴿ مسألة التثليث ﴾

يظهر أن الشعوب كانوا يسألون علماءهم عن نظام هذه الدنيا وكيف خلق هذا الحيوان وهذا الانسان وهذا الممدن وكيف جرى هذا النهر وأصابت هذه الشبهوس فلايسع هؤلاء العلماء إلا أن يقولوا لهم أمامكم مادة وفيها ملائكة موكلون بها رأينا آثارهم ولم نرأشخصهم ومن فوق هؤلاء إله واحد لأننا رأينا نتائج المخالقات كلها ترمى لأغراض معينة ولا يمكن ذلك إلا بالتحاد أصل العوالم وتوحيد الخالق ثم ضربوا لهم الأمثال فقالوا لهم الله أشبه بالأب في المنزل والمادة أشبه بالأم لأنها محل لتكوين الحيوان والنبات والملائكة أو القوى المبتدئة في هذه المادة نسميها ابنا لأن الابن عادة يكون بين الأم والأب . فالقوة المبتدئة في هذه المادة والملائكة يشبهون الأبناء في بيوتنا من بعض الوجوه . ذلك لأن الله هو الذي خلقهم وسلطهم على المادة فمن الوجه الأول سموا عوالم القوة ابنا . وكما ان ابن الانسان يعمل في أرضه . هكذا هذه القوة تعمل في المادة التي أشبهت الأم من وجه واحد وهي انها محل الانتاج لاغير . هذا ما كان يقوله العلماء للعامة . يستخرجون من المادة ومن القوة المبتدئة فيها معرفة إله واحد . فلما تمادى الزمان أخذت تلك الفكرة تمتد الى أصلاص الرجال وأرحام الأمهات . هنالك كان الجهل . ولكن الله يستخرج من الفهم نورا ومن الحفظ سبرا ومن الشرح خيرا . فإذا فعل بعد ذلك . جعل هذه الخبرة في الهند وفي مصر وفي بابل وأشور وفي أمريكا قبل كشفها سببا في بحث علماء منهم وصلوا الى الحقائق فكتموها خوفا على هيبتهم أمام شعوبهم فرفقوا علامهم وبحسوا في الفك والطبيعة وسائر العالم ولكن لما علم الله أن الانسانية لابد لها من نهضة جديدة أنزل الدين الاسلامي فقال بالوحدانية ومنع التثليث الذي قامت به النصرانية وشوخته وخرجت به عن أصل الدين المسيحي بل زاد رجال الكنيسة على ذلك انهم لم يبالوا بالرجة العامة التي جاء لاُجلها الدين المسيحي فان أهم خواصه الرحمة وأتباعه هم الذين أثاروا الحرب العامة في أيامنا هذه كما قال ذلك في هذا الشهر أرى شهر يوليو سنة ١٩٢٨ (المسترو ليد جورج) من عظماء الساسة في بلاد الانجليز فقد صرح على رؤس الاشهاد أن رجال الكنيسة لم يحرکوا ساكنا أثناء الحرب العامة التي لم يثرها إلا الأمم المسيحية لاغيرها من الأمم الوثنية قال ولوأنتهم رفعوا أصواتهم بمنع الحرب لم يحسر أحد على مخالفتهم . فهذا القول دل على أن التثليث عند المسيحيين الذي أوجب الخيرة والشك لاسيا بعد ظهور الاسلام قد دفع القوم الى جمع المال من الأغنياء والمحافظة على العقيدة الموروثة وانتهى الأمر بذلك الى الخروج عن أصل الدين وهي الرحمة وحب الانسانية فبدل أن يكونوا رحمة للعالمين صاروا هم المثيرين للفن والحروب بشهادة أكبر سواسهم من الانجليز . إذن هذه الخيرة في أمر التثليث قد انتهت الى مخالفت أصل الدين من الرحمة . إذن فليكن السلام في الارض يا أمم الاسلام في مستقبل الزمان

﴿ حبة المسلمين في أمر السلام ﴾

ذكرت سابقا أن أم الاسلام يرتقاء العلوم يزدادون في الدين وأن الحمد في أول الفاتحة مرتبط بمحاوره فرعون وموسى أي باعطاء الله كل شئ خلقه ثم هدايته فاذا قال - الحمد لله رب العالمين - استحضر قلبه سائر الافلاك وسكان الكواكب أجمعين وهذه الكواكب تعد بمئات الملايين واذا قال - صراط الذين أنعمت عليهم - ذكر المنعم عليهم في مئات الملايين من الكواكب . ذلك لان العمل الحديث أشار الى ذلك واذا قال ﴿ التحيات لله ﴾ علم أن تلك التحيات ليست خاصة بأهل الأرض بل في كل كوكب مسكون من تلك

الملائين وأضعافها قوم يحبون ربهم . وإذا قال ﴿ السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴾ علم أن هذا القول توطئة للمستقبل ليستمتع المسلم لتلك الأيام التي سيقابل فيها الصالحين من تلك الملائين من الكواكب . وإذا انتهى من الصلاة وختمها بالمخاطبة بالسلام لمن حوله إذ يقول ﴿ السلام عليكم ورحمة الله ﴾ فذلك السلام وخاطبه قد أثار له علم الأرواح الحديث إذ يسلم المسلم على الأرواح الذين يحيطون به من كل جانب كما رأينا ذلك في كلام العلامة (أوليفرلوج) في سورة (آل عمران) وفي كلام غيره منقولاً في هذا التفسير إذ يقولون إن هنا أرواحاً تحيط بنا وعقولنا بالنسبة لعقولهم كعقول الخمل بالنسبة لعقولنا ويقولون انهم يمتحنون بنا اهتمامنا على تسليم المسلم من صلاته ليس أمراً خالياً من الحقيقة . كلا . فالمسلم يسلم على أرواح حاضرة في كل مكان وعليه أن يقصد ذلك وأن يقصد أن تلك الأرواح لا تختص بآلنا فكل مئات آلاف الملائين من الكواكب يسلم المسلم على سكانها ويستحضرهم استعداداً للمستقبل إذ تذهب الأرض وشمسها ويستمع الناس كلامهم من سائر أقطار الكواكب ويكفونون أشبه بالجراد إذ يسرون كأنهم أمة واحدة على كثرة عددهم . فعالم الأرواح في المستقبل أولى بذلك . فتبين بهذا أن حيرة المسلم في أمر السلام والمخاطبة مع أنه لا غلط له كشف سرهما العلم الحديث إذ تعدد الأمم في الكواكب المتباينة وتصير جماعة واحدة صاعدة في معارج السكال . إذن السلام في آخر الصلاة ظهر سره الآن . فعلى المسلمين أن يسعوا ﴿ لأمرين ﴾ أمر السلام في الأرض بعد أن يرتقوا مثل أهل الأرض وأمر التفكير في العوالم العظيمة حتى يكون ذلك أسرع لرقى أرواحنا بعد الموت واجتماعها بتلك الأرواح العالية وهذا من أوكيد الأسباب في زهد أرواحنا في هذه الأرض ومن عليها وتشوقها إلى عوالم أجل وأجل والحمد لله رب العالمين

﴿ لطيفة في قوله تعالى أيضاً - قال فن ربك يا موسى * قال ربنا - إلى قوله - قال فما بال القرون الأولى * قال علمها عند ربى في كتاب لا يضل ربى ولا ينسى * الذى جعل لكم الأرض مهدياً - إلى قوله - منها خلقتكم وفيها نعيديكم ومنها نخرجكم تارة أخرى - ﴾

يسأل فرعون موسى وأناه من ربك فيقول ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه . ومعنى هذا أنه عظيم الرحمة عام الاحسان والجلود لم يفرق بين البقة والفيل ولا بين الحظير والعظيم في العطاء فهو عام الرحمة والنظام والجلود فقال له فرعون اذا كانت هذه صفات الله الجيلة فكيف عمد الى هذه الخلوقات المشمولة بالعبادة والرحمة والعطف فزفها شرمز عرق . ألم تقرأ التاريخ . ألم تر أن كل ما خلقه قد أفناه وأهلكه . إذن أين رحته وعطاؤه . فهل هذا فعل الحكيم . يعطى ثم يمنع ويخاف ثم يترق شعل خلقه تزيقاً . فأين الحكمة والعناية بل ذلك كله هباء منثور . فأجاب موسى ﴿ بجوابين * الأول ﴾ ان الله هو الذى يعلم الجواب على هذا السؤال وهو كقوله تعالى - فله الحجة البالغة - وهذا الجواب الاجابى لعموم الخلق ﴿ الجواب الثانى ﴾ للخواص فهو يقول (١) - جعل لكم الأرض مهدياً - الخ (٢) وأنزل من السماء ماء (٣) وأخرج النبات (٤) وأسكن الأنعام وأكل الانسان . ولحق أن هذا الجواب مفصل لبعض قوله - أعطى كل شئ خلقه ثم هدى . - إذن هو مقدمة لنتيجة هي مقصود الجواب (٥) وهوانهم خلقوا من الأرض ثم أعيدوا لها ثم أخرجوا منها تارة أخرى وهذا هو نهاية الجواب للحكماء فكأنه يقول له يافرعون إن هذه العوالم التى أهلكتها الله إنما فعل بها ذلك ليخرجها من الأرض فتترك هذا العالم الارضى الى عالم أرق منه . فهذا الاهلاك هو عين الرحمة كما بهجر العالم داره وبلده وأهله ويسافر فى الارض ليحصل العلم . فهذا الترك نعمة لا نقمة الصلاة فى الاسلام والتسبيح فيها يشيران للمخلص هذه الآيات خياة الناس على الأرض ومهجنتهم أشبه بحال الصلى إذ يقرأ الفاتحة فيقول - اهدنا الصراط المستقيم - الخ - واسكنه اذا ركع أو سجد لا يقول - اهدنا الصراط المستقيم - بل يرجع الى الله فيقول ﴿ خضع لك سمى الخ ﴾ ويقول ﴿ سجد وجسى الخ ﴾ ويسبح فى حال

الركوع والسجود والتسبيح تنزيه لله عن قصد الاضرار بكل ما يوههم ظاهره أنه إذلال وإهانة . فخال المصلى في الركوع والسجود أقرب الى الخشوع والخضوع من حال القائم الذى يقرأ الفاتحة فذلك ترى المصلى يسبح الله أى ينزهه عن قصد اذلالاته وإخضاعنا كما أنه ينزهه عن مذلة الحيوان الذى لم يتجلى رافع الرأس بل أشبهه بالراكع وهكذا يقصده يشبه الساجد كالمود . فهذه كلها لم توضع بهذه الهيئات إلا لأجل نفس حياتها والحفاظة عليها ولوائها وهى على حالها ورببتها خلقت على غير هذا النظام لكان ذلك وبالا عليها كما ترى نظيره مفصلا فى سورة الاسراء عند قوله تعالى - تسبح له السموات السبع والأرض الخ - فى أمر الأنوار واختلافها الذى هو نبذة عما سأتى فى سورة - قد أفلح المؤمنون - إذن كل وضع لحيوان حكمته ترجع الى نفس ذلك الحيوان . فهذا النقص فى نظرنا كمال لنفس الحيوان . هكذا مرض الانسان وموته الذى تضمنه قوله تعالى - قال فما بال القرون الأولى - فى ظاهر أمره هلاكه وفى باطنه ارتقاء . إذن قول المصلى ﴿ سبحان ربي العظيم ﴾ و ﴿ سبحان ربي الأعلى ﴾ فى الركوع والسجود تذكير بهذه العاظم أى عالم خالق الحيوان وهلاكه وهلاك الانسان وأن الله عز وجل ينزهه عن فعل ظاهر الشر الذى لا يتجلى خيرا كثيرا . فتسبيح المسبل فى الركوع والسجود ظل لأنوار قوله تعالى - الذى جعل لكم الأرض مهذا - الى قوله تعالى - ومنها نخرجكم تارة أخرى - انتهى الكلام على الفصل الثالث من القسم الثانى

﴿ الفصل الرابع من قوله تعالى - ولقد أوحينا الى موسى أن أسر عبادى - الى قوله تعالى - إنما اليكم الله الذى لا اله الا هو وسع كل شئ علما - ﴾

قال تعالى (ولقد أوحينا الى موسى أن أسر عبادى) أى من مصر (فاضرب لهم طريقا) أى فاجعل لهم من قوطم ضرب له فى ماله سهما واضرب مثلا أى اجعل لهم طريقا (فى البحر يبسا) يابسا وهو مصدر وصف به وهو قتل وسبب (لانتخاف دركا) أى اجعل لهم طريقا حال كونك لانتخاف من الإدراك فلا يدركك فرعون وجنده من ورائك (ولا تخشى) العرق أمامك فخرج بهم موسى من أول الليل وقد استعاروا حللهم فركب فرعون فى جنده من القبط قصص أنهم فذلك قوله (فأتبعهم فرعون بجندوده) أى خرج خلفهم ومعه جنوده (فغشيهم من اليم) أصابعهم من البحر (ماغشيهم) أى غشيهم ما لا يعلم كنهه أحد من الناس فيه فهو يلى وقرئ - غشاهم ماغشاهم - أى غطاهم ماغطاهم (وأضل فرعون قومه) عن سبيل الرشاد (وماهدى) أى ما أرشدهم اليه وذلك تكذيب لقوله - وما أهديك إلا سبيل الرشاد - ثم أخذ الله يعدد نعمه على بنى اسرائيل كما عددها على موسى إشارة الى أنه منع على البر والفاجر فالأول شاكر كوسى والثانى كافر بها كبنى اسرائيل قومه فقال (يا بنى اسرائيل) خطاب لمن فى عهد النبى ﷺ (قد أخرجناكم من عدىركم) فرعون وقومه (وواعدناكم بجانب الطور الأيمن) لمناجاة موسى وانزال التوراة عليه لاقامة شعائركم ونظام دولتكم (وزرنا عليكم المن والسواى) فى التيه وقد تقدم فى سورة البقرة وقلنا لكم (كلوا من طيبات ما رزقناكم) من حلالاته (ولا تظنوا فيه) بالاخلال بشكره وتعذى الحدود كالسرف والبطر والمنع من المستحق (فيعذل عليكم غضى) فيلزمكم عذابى * يقال حل الدين اذا وجب أدائه (ومن يحلل عليه غضى فقد هوى) فقد تردى ووقع فى الهاوية (وانى لغفار لمن تاب) عن الشرك (وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى) ثم استقام كما أمر * إن الله عز وجل وعد موسى أن يأتى جانب الطور الأيمن ويختار سبعين رجلا يحضرون معه لنزول التوراة فاخترهم ومضى معهم الى الطور على الموعد المضروب ثم تقدمهم شوقا الى كلام ربه وأمرهم أن يتبعوه قال الله تعالى (وما أعجلك عن قومك ياموسى) استفهام انكار أى شئ أوجب عجتك فما مبتدأ وأعجلك خبر وهذه العجلة توهم اغفال القوم فههنا تجلة انضم اليها اغفال القوم فأجابه عليه السلام بأنى لم أنقذهم إلا خطوات فلا اغفال لهم وإنما أنا كأحدهم وهذه الخطوات محتمة عادة على أن هذه الخطوات مع قتلها كانت

للسرعة الى لقاءك شوقا الى كلامك وهذا قوله تعالى (قال هم أولاء على أخرى) أى هم خلفي بلحقون في (وعجلت اليك ربي) الى الموعد (لترضى) لتزداد رضا عنى (قال فانا قد فتننا قومك من بعدك) ألقيناهم في فتنه من بعد خروجك من بينهم (وأضلهم السامري) إذ دعاهم الى عبادة الجبل فأجابوه وكانوا سبأه ألفا مع هرون ومانجا منهم من عبادة الجبل الا اثنا عشر * والسامري المذكور منسوب لقبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة . وقيل انه كان علجا من كيمان فاتخذ مجلا وكان اسم هذا السامري موسى بن ظفر وكان منافقا (فرجع موسى الى قومه غضبان أسفا) شديد الغضب حزينا (قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا) بأن يعطيكم التوراة فيها هدى ونور (أفطال عليكم العهد) أى مدة مفارقتي إياكم والعهد الزمان . تقول طال عهدي بك أى طال زماني بسبب مفارقتك (أم أردتم أن يحلّ عليكم غضب من ربكم) أى يجب عليكم غضب منه بعبادة الجبل (فأخلفتم موعدى) وعدكم إياي بالثبات على الإيمان بالله (قالوا ما أخلفنا موعدك ملكنا) مثلك الميم في قرأت مختلفة أى ما أخلفنا موعدك بأن ملكنا أمرنا فلو ملكنا أمرنا وخيلنا وشأننا ما أخلفنا موعدك فنحن كئيب المثل (قال الحافظ الوليد لم تشقني قال سل من يدقني فان من ورائي لم يتركني ورائي) ولكن غلبنا على أمرنا موسى السامري وذلك اننا حملنا أجالا من حلى القبط التي استعناها منهم حين هممنا بالخروج من مصر بعلّة أن لنا عيدا غدا فقال السامري انما حبس موسى عنكم لشؤم حرمتها لاننا مستأمنون وليس للمستأمن أن يأخذ مال الحربى ولوعدنا ذلك غنيمه لم يجوز لأن الغنائم لا تحل لنا . ثم أمرنا أن نحفر حفرة وملأها نارا وقال اقدفوا الحلى فيها فقدفناه فانصاع مجلا مخوفا نثار * ويقال انه كان خبأ في الحفرة قالب عجل وله مجار أشباه العروق فكان له خوار منها تذكوار الجبل * وقيل نفخ ترابا من موضع قوائم جرس جبريل عليه السلام يوم الفرق وهو فرس حياة نخي نثار ومالت طباعهم الى الذهب فعبسوه وهذا قوله تعالى (ولسنا حملنا أوزارنا من زينة القوم) القبط (فقدفناها) فطرحناها (فكذلك أتى السامري) أى أتى ما كان معه من الحلى كما ألقينا (فأخرج لهم) السامري (مجلا جسدا) مجسدا بلاروح (له خوار) صوت إما لأنه صار حيا وإما لأن مجاريه المشووعة بدقه كان يظهر فيها الصوت بمرور الريح فيها (فقالوا أى السامري وأتباعه (هذا) إلهمك وإله موسى) فأجابه كلهم إلا اثني عشر ألفا (فنبى) موسى ربه هنا وذهب يطلبه على جبل الطور قال تعالى (أفلا يرون) أى أفلا يعلمون (ألا يرجع إليهم قولا) أى أنه لا يرجع إليهم كلاما ولا يرد عليهم جوابا (ولا إليكم لهم ضرا ولا نفعا) فهو عاجز عن الخطاب وعن النفع والضرر فكيف اتخذوه إله (واقعد قال لهم) لمن عبدا الجبل (هرون من قبيل) أى من قبل رجوع موسى إليهم (يا قوم إنما فتنكم به) ابتليتم بالجبل فلا تعبده (وان ربكم الرحمن) لا الجبل (فأتبعوني) كونوا على ديني (وأطيعوا أمرى) في ترك عبادة الجبل واقعد دعاهم هرون بأحسن القول المنظم إذ أزال شبهة وساق الى معرفة الله فالنبوة فاتباع الشريعة وهو ترتيب طبعى وذلك بالنهى عن الجبل ومعرفة الرحمن واتباعه وهونى وطاعة أمره وهو الشريعة والتعبير بالرحن دلالة على أنه يقبل التوبة (قالوا ان نبزع عليه) على الجبل (عاكفين) مقيمين (حتى يرجع الينا موسى) لأنا لا نقبل إلا قوله فاعتزلهم هرون ومعه المؤمنون بالله فلما رجع موسى سمع الصياح والجلبة وكانوا يرضون حول الجبل فقال للسبعين الذين معه هذا صوت الفتنة فلما رأى هرون أخذ شعر رأسه بيمنه وخطبه بشماله (قال) له (يا هرون مامنك إذ رأيتهم ضالوا) أشركوا بعبادة الجبل (ألا تبصرون) أى أن تلحقني وتأتني عقي ولا زائدة كما في قوله - مامنك ألا تسجد - (أنفصيت أمرى) أى خالفت أمرى (قال يا ابن أم لا تأخذ بلعصتي ولا برأسى) أى بشعر رأسى وقد أخذ بذؤا بذيّه (إني خشيت أن تقول فرقت بين بني اسرائيل) أى خشيت اذا أنا ابتعتك وفارقهم أن يصيروا أحزبا يقاتل بعضهم بعضا فتقول فرقت بينهم (ولم تقرب قولى) ولم تحفظ وصيتي إذ قلت لك - اخلقنى في قومي وأصلح - والاصلاح انما يكون بحفظ جامعهم ومداراتهم الى أن

ترجع اليهم فتدرك الأمر برأيك وها أنت ذا قد رجعت فماذا كنت أفعل ثم أقبل موسى على السامري منكرًا عليه (قال فما خبرك يا سامري) أي ما أمرك وشأنك الذي لك على ما صنعت (قال بصرت بما هم يصنعون به) أي علمت بما هم يعملون به فقال بصروني أي علمت ما هم يعملون به بنو إسرائيل وذلك أني رأيت جبريل على فرس الحياة فألقي في نفسي أن أقبض من أثره فألقيته على شيء إلا صار له روح ولحم ودم (فقبضت قبضة) هي ما يقبض باليد أو قبضة بالصاد ما يؤخذ بأطراف الأصابع (من أثر) حافر فرس (الرسول) جبريل (فنبذتها) فطرحتها في الخلل المذاب في الحفرة أوفى جوف الخجل (وكذلك سَوَّلَ لِي نفسي) زينتني وحسنته فأنا فعلته اتباعاً لهوى وهذا اعتراف منه بالخطأ (قال) له موسى (إذهب) من بيننا طريداً (فأن لك في الحياة) عقوبة على ما فعلت (أن تقول) لمن أراد مخالطتك وهو لا يعرف حالك (لا تماس) لا يمسني أحد ولا أمسه فختم الله على بني إسرائيل أن يخاطبوه وحرم عليه أن يخاطبهم وبلغهم موسى ذلك وإذا اتفق أن يماس أحداً حمّ الماس والممسوس فسكان يهيم في البرية ويصبح قاتلاً - لا تماس - ثم ذكر له عذابه في الآخرة فقال (وان لك موعداً) في الآخرة (لن تخلفه) لن يخلفك الله بل ينجز لك في الآخرة بعد ما عاقبك في الدنيا (وانظر إلى إهلك الذي ظلت عليه عاكفاً) ظلت على عبادته مقبياً (لنحرقته) بالنار أو بالبرد يقال حرق إذا برد بالبرد (ثم لننسفنه) لننزع منه رماده أو مبروداً (في اليم نسفاً) خرقه وخرّاه في البحر (لنعاله الحكم) المستحق لعبادته (الله الذي لا إله إلا هو) إذ لا أحد يماثله (وسع كل شيء علماً) وسع علمه كل ما يصح أن يعلم لا الجبل الذي يصاغ ويحرق

- (١) عجائب القرآن وما معنى قول العلماء لا تنقضى عجائبه
(٢) ولم أثبت هذه القصة بقوله تعالى - كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا علماً - ثم أنذر من أعرض عنه
(٣) وقد ختمت القصة بقوله تعالى - وسع كل شيء علماً -

(٤) كيف تكون مدارس التعليم الدينية في مستقبل الزمان من إشارة هذه الآيات لما وصلت إلى هذا المقام من التفسير زارني عالم فاضل من رجال المدارس الذين جاؤا من أوروبا حديثاً فقال بعد أن قرأ ما تقدم . ماذا نفيدنا هذه الآيات ولقد أوضحت الأهم اليوم يطيرون في الجوّ ويسبحون بالبحار على الأرض وتغطس سفنها الحربية فتفتك بالسفن العائمة وتسمى (العواصة) والأهم كلها ارتقت فأى ارتقاء في تسكرار هذه القصص وما فائدة ذكر مجل السامري وسجرة فرعون وعصا موسى بعد ما ترقّت الأهم وأخذت تجتد وتنال حظوظها . وهل دراسة هذا إلا ترديد لما كان في الأزمان الغابرة والأجيال البائدة . ثم إن الناس في زماننا على ﴿ قسمين ﴾ قسم يرى أن هذه الأمور لم تكن وهؤلاء يكفرون بالبيانات ويتركونها للعامة وقسم يرى أنها حق وهم العامة الذين لا هم في العبر ولا في النفي . فقالت بإصباح إن هذه كسنايات والكنانية لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة المعنى الأصل فلان نحن ننسكها ولا تنقص على مجرد لفظها وهذا أبلغ ما يكون فإن الكسناية أبلغ من الحقائق . واعلم أن الباحثين في أصلها قوم لا يعلمون لأن المقام مقام علم وحكمة والعلم والحكمة انما يكونان من الاعتبار بالقصة والأخذ بحقائقها فأما تصديق الوقت في أنه كيف كانت عصا موسى ويكون المرء بين تصديق وتكذيب فذلك ضلال ووبال قال تعالى - يضلّ به كثيراً ويهدي به كثيراً - فيضلّ به أولئك الباحثين المضيعين لأوقاتهم إذ لا يعلمون المقصود من الكلام ويهتدى المفكرون الذين يبحثون عما يراد من هذه الكسنايات . قال ما المقصود من هذه القصص وما شأن عصا موسى وسجرة فرعون ومجل السامري

(٢) (العلوم العقلية)

فقلت اعلم بإصباح إن الله جعل هذه الأمور أمثالا للساكنين . يريد الله أن ينشئ أمة إسلامية غير الأمم

المتأخرة الماضية . يرد ذلك . قال وكيف ذلك . قلت انظر . أليس ترى أن عصا موسى بها غلب سحرة فرعون أي غلب الحق الباطل . قال بلى . قلت ثم جاء الباطل وهو الجبل الذي غلب الحق . قال نعم قلت وما شاع الباطل إلا عند جهال بني إسرائيل الذين عبدوا الجبل ولو كانوا علماء كالسحرة لبقوا على دينهم قال حقا . قلت حينئذ تكون النتيجة أن المجزآت الوقتية فائدتها وقتية . قال نعم . قلت والمآلوم الحقيقية فائدتها حقيقية ثابتة تبع ثبات العلم فيكون الايمان ثابتا . قال نعم . قلت حينئذ يطلب الله منا نحن لا من الذين ماتوا لأنهم عنده ولا من موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام لأنهما عنده أيضا أن نكون محققين في كل شئ . قال نعم

(٣) ﴿ الحجر في الجبل ينبع منه الماء ﴾

قلت أذكرك بما ذكرتك به في سورة البقرة إذ قلت ان عصا موسى لما نبع الماء من الحجر بسببها ذكر الله بعدها بآيات أن الحجر تنفجر منه الأنهار وان هذا إشارة الى أن الناس يجب عليهم أن يتبنوها لما في الطبيعة من عجائب وغرائب إذ أن الحجر تنفجر منه الأنهار بسبب الماء الذي في باطن الجبل فانه يصير ثاجا فينبفخ بمخاضة مخصوصة فيكسر الحجر . فهذا الثلج والخاصة التي له هي مجزة الله يضرب بها الحجر في كل حين ويخرج الأنهار في أمكنة كثيرة . قال نعم قرأت ذلك هناك . قلت حينئذ يريد الله بذكر الحجر وضرب موسى له بالعصا أن يقرع العقول فتدرك السر المصون في الطبيعة السكامن في الأجوار وهذا السر هو انتصاص الثلج بأنه يكون أكبر من حجمه اذا جد وليس سواء من الموائع بهذه الخاصة . وقد فعل الله ذلك ليعلمه وسيلة لتكسير الصخور ففتتح فتجري الأنهار كما وضحته هناك . قال هذا ظاهر لا غبار عليه . قلت هكذا هنا . قال وما هنا . قلت فانه ذكر العصا وقد أوضحن الكلام عليها وذكر بعيدها أمورا تليق لها . قال ماعنى هذا . قلت معناه أن الحجر هناك لما ضربته العصا وانفجر الماء قلنا انه إشارة لما سيذكره هناك من الأجوار المتفجرة في الجبال . أما هنا فلم يذكر الحجر . كلا . لأنه هنا ذكر أن العصا قلبت حية وجاء في سياق الكلام انها كانت ثورق وتمر متى أراد ذلك أي انها تنقلب في صور مختلفة فلم يذكر هنا انها تفجر بسببها نهر بل قال انها هي قلبت حيوانا تارة ونباتا أخرى من سياق الكلام . قال نعم وما قصدك بهذا . قلت قصدى أن الله ذكر هنا أنه أعطى كل شئ خلقه ثم هدى وانه جعل في الأرض سبلا وأزل ماء من السماء وأخرج به النبات والحيوان الذي يرعاه والانسان الخ . قال هذا عرفته فيما تقدم . وماذا تقصد به . قلت كما انه هناك ذكر ما يناسب الحجر المتفجر فأتبعه بحجر في الجبل يخرج منه الماء به فهمنا انه يقصد اننا ندرس الطبيعة . هكذا فعل هنا فنذكر الحيوان والنبات اللذين يصوران من المادة كما قلبت العصا اليهما ولم يذكر حجرا هنا ولانهرنا خارجا منه مما دلنا على أن الأمر مقصود ولذلك قال تعالى - إن في ذلك لآيات لأولى النهى - فأصبحت النتائج هكذا

(١) الاتكال على خوارق العادات وحدها لا يكفي لدوام الايمان

(٢) العقل والفكر والتضلع في العلوم كسحرة فرعون هو الحافظ الوحيد للايمان

(٣) والعلوم التي تدرس لذلك هي العلوم الطبيعية المذكورة في قوله - الذي جعل لكم الأرض مهادا - الخ (وبعبارة أخرى) العلوم الطبيعية والفلسفية لأنها سلسلة واحدة منظمة . قال الآن قد فهمت . وهل هذه العلوم للدنيا أم للأخرة قلت هي للدنيا والأخرة معا . قال وكيف ذلك . قلت هذه العلوم هي أنفسها علوم التوحيد وعلوم حب الله وعلوم شكر الله وهي أفضل وأنفس العلوم وعلم الفقه مآل ولا فرعها والفرع أقل من الأصل . فعلى المسلمين قاطبة في أقطار الأرض أن يسمعوها هذا ويعملوا به فانه أمر الله والله هو الأمر به بل أقول فوق ذلك ان الله سبى هذا الأمر وتدرس العلوم كلها في أمم الاسلام وأنا واثق بذلك كل الوثوق . قال

ما المنهج الذي تظنه سيكون في التعاليم الإسلامية

(٤) ﴿ المنهج العلمية المستعملة في أمة الإسلام في التعليم الديني ﴾

قلت ان الأمم الإسلامية ستقلب التعليم رأساً على عقب وسيصبح التعليم في علم التوحيد هكذا
تؤلف رسائل صغيرة مشوقة جلية فيها بحجائب الحكمة و بدائع الخلقه كالحيوانات الغريبة والجواهر
الشرقية والحجائب المدهشة يفرح بها صغار الطلبة في كتب صغيرة مجلدة بتجليدات جيلة مرسومها فيها صور من
تلك الجبابرة مشوقة وتجعل تلك الرسائل متفاوتة المقدار . في السنة الثانية أكبر منها في الأولى وفي الثالثة
أكبر منها في الثانية وهكذا في الرابعة فما تخطى أربع سنين وقد قرأ الطالب فيها أربع كتب متدرجة في
الكبر عجيبة العلم إلا وقد أحب الله حباً جالماً يذكره الأساتذة عند كل عجيبة من قدرة الله وعلمه وحكمته
ونظامه ثم هو أيضاً قد أدرك العالم الذي يعيش فيه فأخذت قواه العقلية تنهض وتنهش واستعدت للعجاية
وأصبح رجلاً غير رجال اليوم . فإذا انتقل إلى القسم الثانوي كما في الجامع الأزهر وأخذ يدرس فيه وقد نال في
الابتدائي حظاً من العلوم الرياضية حينئذ استعد للدرس العلوم الطبيعية فعلاً فيدرس التلاميذ تلك العلوم وهم
أيضاً في نفس المدارس أو المساجد يدرسون الفروع الأخرى من الدين وهنا يدرسون الفلك وعلم النبات وعلم
الحيوان والتعريب وهذه العلوم تدرس درساً إيجابياً مشوقاً مبنيّاً على شوقهم السابق لها في القسم الابتدائي
هؤلاء التلاميذ متى تخرجوا من القسم العالي وخصص كل منهم لفن فقهياً أو إرشادياً أو طبياً أو فلكياً
كانوا قدوة الأمة ومرشديها وأصبحو أمة حجة حقيقة فيكون عالم الدين إما قاضياً وإما مهندساً وإما طبيباً
وإما عالماً بطبقات الأرض . فهذه كلها علوم طلبها القرآن بل العلوم الطبيعية هي نفس علم التوحيد وقد ألفت
كتباً شتى في تشويق المسادين للعلوم ككتاب ﴿ جمال العالم ﴾ وكتاب ﴿ نظام العالم والأمم ﴾ وكتاب
﴿ النظام والإسلام ﴾ وكتاب ﴿ نهضة الأمة وحياتها ﴾ وكتاب ﴿ القرآن والعلوم العصرية ﴾ وفي هذا
التفسير بحجائب كثيرة مشوقة أيضاً وكتاب ﴿ جواهر العلوم ﴾ وكتاب ﴿ بزان الجواهر ﴾ وغيرها . قال
وماذا نضع بما يخالف قولك من التعاليم الموجودة الآن في الإسلام . قلت هذا القول لا يختلف طرق المتتبعين
البسة . ثم يخالفني في الأسلوب وفي عدم ضياع الزمن وفي الانتفاع بالعلم الدنيا وأخرى وفي توسيع اختصاص العالم
الديني فبدل أن يكون قاضياً فقط يكون طبيباً أو عالماً فلكاً ولا يخرج في ذلك كما فهمت في هذا المقام
أيها الفاضل الذكي انك قد فرض عليك أن تلقى عصاك فتلقف ماصنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح
الساحر حيث أتى . فقال لي ذلك العالم . أما قولك فرض علي فلم أفهمه وكذلك لم أفهم ما هي العصا التي
أستعملها ولا ما هو السحر الذي تستأصله العصا وما هذه منك إلا مقالات كمقالات الشيوخ الذين يدعون الولاية
وأكثرهم لا يفيدون الناس شيئاً فأفهمني ما قلت بطريق واضح فقلت له ما المقصود من حصول السحر . أليس
القصود منه انصراف العقول والأبصار عن الحقائق إلى الضلالات . قال بلى . قلت إذن كل ما صرف عن
الحق تجبازاته سواء أكان سحراً أم كان غيره فان النتيجة واحدة وهي الضلال . قال وما الضلال والانصراف
عن الحق الذي تقضي . قلت اعلم أن المسلمين لما تولى أمرهم مآلوك من أمة غريبة النزعة متحطة المدارك
تولاهم الخوف في الغرائم والقعود عن العلم وإدراك الحقائق . فهؤلاء المآلوك حصروا عقول العلماء في دوائر ناقصة
من العلم وأشاعوا كتباً بينهم خاصة وبعضها عديم الجدوى قليل الفائدة واتسع الجدل بين العلماء في
أمر لا توصل إلى السعادة في الحياة الدنيا ولا في الآخرة وأطالوا الجدل في العلوم التي هي آلة لغيرها وانصرفوا
عن الحقائق إلى المقننات وإلى الوسائل دون النهايات فاستيقظت أوروبا لذلك وأخذتهم على غرة وخسفت بنا
وبديارنا الأرض فأخذت كثيراً منها صاعقة العذاب الهون بما كبنا من الجهالات وما أحاط بنا من الخرافات
فهذه الطرق العلمية ستنت على الناس طرق العلم الصحيح كأنما سكرت أبصارهم وكأنهم مسحورون وذلك نفر

كثيرا من المسلمين من العلم الصحيح فإذا لم نسم هذا سحرا فإن المقصود من السحر قد حصل منه فإذا كانت البصائر قد غلظت عن الحقائق فأبى سحر أجمع من هذا وإذا كان سحرة فرعون أخذوا بأبصار آلاف . فهذا العمل قد صرف مئات الملايين عن طرق السعادة حتى اصطادنا الفريضة فهنا تم مقصود السحر بما هو أعم وأهم . هم فترى كتب التوحيد لا تقي بالغرض لصعوبتها وعدم تشويقها وكثرة جدلها في أمور خارجة عن نظام هذه الدنيا التي جعلها الله محل دراستنا فيها حياتنا وهي لوح دراستنا ونظام مدارسنا خرم منها المسلمون بشعور ما أنزل الله بها من سلطان إلا بعض شذرات أوكتب قليلة العدد فأما البقية فهي غير صالحة لارتقاء النفوس ولا معرفة الله ولا حبه ولا الانسراح به . قال صاحبي ها أنذا عرفت السحر

﴿ السؤال ﴾

(٥) فليخلص ما تقدم كيف سحر المسلمون

﴿ الجواب ﴾

سحروا بالانصراف عن العلوم النافعة في التوحيد وفي الحياة الدنيا المرتبطة به لا تفك عنه . فقال وما العساكر كيف يكون إلقاؤها وكيف تلقف هذا السحر ومن أين تدعى أنه فرض على . قلت إذا عرفت ما هو السحر فقد عرفت ما هي العسا . ان موسى أمر أن يلقى عصاه . فلقاء العصا ليس مقصودا بالذات إنما المقصود إزالة السحر ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ إزالة الجهالة فإذا رجعنا للحقيقة واضحة ناصعة ظاهرة قلت جهل يزال . فموسى أزله بعصاه وأنت أزله بما لديك من القوى فالأمر واضح . وكما ان الغذاء يقصد به حياة المتغذى فليس بهم تعيين الطريق الذي به يتناول فالتباعد بيننا وبينه بعروقه وأوراقه والحيلولة بشفه والود يعتصم بجلبده والانسان بيده ثم فقه وبعض الناس يتعاطاه بملقته أو بشوكة فليستكن أى طريق الحياة حاصله مهما تنوعت تلك الطرق ومهما اختلفت . فهكذا هنا يراد إزالة الجهالة . أزله موسى بعصاه فلنزلها نحن بما عندنا . قال أين العصا عندنا . قلت ما ذكرته لك الآن من صورة الدراسة والمناهج العلمية والكتب التي تؤلف في سنين مختلفة مرتبة منظمة جميلة المنظر حسنة الهيئة مجلدة تجليدا جيلا بهية الشكل ففرح التلاميذ بما حولهم من مزارع وما فوقهم من عيوس ونجوم ثم يخصص كل امرئ في علم خاص كقضاء أو طب وتكون مدارس الاسلام حافلة بتلك العلوم ويعرف الناس ربههم معرفة أجل وأجل من هذا العمى وحينئذ يظهر الاسلام على الأديان كلها ويؤدب رجال الشرق رجال الغرب ويطردونهم من بلادهم حتما . ومليخص هذا أن تدرس العلوم الطبيعية والرياضية بطرق جميلة وتجعل من علوم الدين وانها أهمها وهي أفضل وأجل وأرقى من علم الفقه لأن هذه أصول التوحيد وتلك فروعه والأصل مقدم على الفرع وكلاهما لازم للاسلام والمسلمين . قال وكيف تقول انى أمورهم هذا ولست نبيأ . قلت لم أنزل الله هذه الآيات ولم قال بعد تمامها . وقد آتيناك من لدنا ذكرا * من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا . فأين الذكر الذى ذكره الله هنا وكيف خصص هذا المقام بقوله . وقد آتيناك من لدنا ذكرا . وأنذر من أعرض عنه مع ان القرآن كله ذكر فلم قال هذا القول هنا . أليس ذلك للتنبيه على أن هنا نكتة يجب التنبيه لها وفكرة يجب البحث فيها والفكرة هي ما ذكرته لك من القول المتقدم وهو أن نجد في إزالة الضلالات العالقة بالأذهان . وإعل أن الله علم أن الاسلام سينتشر في أنحاء المسكونة وسيتمون في الجهالات فأُنزل الله هذا العلم في هذه السورة وأبان أن معرفة الحقائق ناصعة هي الميزة لما حققهم من الجهل والذل وظل أوروبا فوصف لهم الداء والدواء وأبان لهم طرق إزالة الخرافات من العقول وأفهمنا أن العلوم الطبيعية هي الرقصة للأهم . فأما الانكسار على الظواهر فانه مدعاة للوقوع في شرك الجهالات . وأما قولك انك لست نبيأ فأقول لك أليست تعلم أن النهي عن المنكر واجب على الأنبياء وعلى غيرهم . قال بلى . قلت وإذا عرفت أن الأمة اليوم واقعة في جهالة عمياء فأليس يجب عليك أن تبادر الى

لإزالتها . قال بلى . قلت ألم يقل الله لرسوله ﷺ - فبهذا هم اقتده - . قال بلى . قلت هكذا فصل ﷺ
فانه ألقى عصاه كما ألقى موسى عصاه وأزال السحر كما أزال موسى السحر . ذلك انه علم القوم وأسمهم القرآن
ثم كسر الأصنام التي كانت تسحر عقول القوم بكثرة المشاهدة والتعظيم والتبرك حتى صارت شجعا سحريا
يسحر العقول ويصرفها عن الحق فهذا تنويم مغناطيسى حقيقة مؤثر تأثير السحر . أأنت ترى انه فعل ما فعله
موسى . قال بلى . قلت أأنت الآن مكافأ بذلك بدليل وجوب النهى عن المنكر وبدليل قوله تعالى
- لقد كان لسمع في رسول الله أسوة حسنة - . قال بلى . قلت - فألقى ما في يمينك تلقف ماصنعوا انما صنعوا
كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى - فان بعض القوم سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر
عظيم . قال إذن فهمت ولكن أريد أن انصرف العقول الاسلامية التى قام مقام السحر ناشئ من صعوبة
الكتب وحدها . قلت هناك أسباب كثيرة فليست كل الكتب صعبة وليست كل الطرق عقيمة ولكثرت
انصراف العقول اليوم طم وعظم العباد والبلاد فأوروبا أرسلت رسلها فعمست المتصورين منا في اللذات والشهوات
وأفهمتهم ضلالات فبعضتهم في دينهم وديناهم وطرق التوحيد عندنا عقيمة فأصبح الناس بين نارين نار الجهالة
الشرقية ونار الضلالة الغربية وهذا هو الدجل وهذه أشبه بأفعال (المسيح الدجال) وليس يصرف هذا الدجال
أى الذى يشبهه إلا الطريق العيسوى والهدى الاسلامى وقد أثبتته لك - فألقى ما في يمينك تلقف ماصنعوا
انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى - كما لا يفلح الدجال أمام المهدي وعيسى فيمضى يقتل الدجال
والحق يغلب الباطل والخير يغلب الشر وجند الله هم الغالبون وفضل الله واسع . فأعرف الحقائق واتقصد من
المراتب واسق الناس من الموارد واتسقمهم من ماء آسن بل اسقمهم من كوثر ومن رحيق مخموم ختامه مسك
وفى ذلك فليتنافس المتنافسون

قال وهل أنت بما تقول واثق أم هذه أماني . قلت أعلم أن الله عز وجل أذن للمسلمين اليوم وغدا أن
يتبؤوا مكانهم في الأرض ومكانهم بين الأمم وانه ناظر اليهم . ناظر نظرا عظيما وهو اليوم يثبت في نفوس أفراد
منهم هنا وهناك طرائق العلم وأزهار الحكمة ونماشا شمية . وهؤلاء الافراد أنبئهم في أمكنة مختلفة وقد تحلى
عليهم بالنور وهم ينشرون ذلك النور في الاقطار الاسلامية وسيسمع المسلمون أقوالهم وسيكون لهم مجد قد
آن أوانه وقرب ابانه فاقرا إن شئت - سنريهم آياتنا في الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أول يكف
بربك انه على كل شئ شهيد - فقد وعد الله أن يرينا آياته في أنفسنا وذلك بعلم الأرواح وعلم النفس وفى
الآفاق وذلك بالعلوم التي ذكرناها وحسننا عليها وأعدناها في هذا التفسير تكرارا وقلنا مرارا . وأقول
لك ان ظهور هذه العلوم بهذه الطرق هذا أوانه حتما وهذا هو الوقت الذى وعد الله به وهاهوذا يتجز وعده
وفى زمن قريب سيظهر علماء وفلاء وحكماء في بلاد الاسلام . أأنت ترى أن القرآن الذى كالت الجهالة
من المسلمين يعتقدون أنه مبدع عن العلوم قد أصبح اليوم كما تراه محترضا عليها شارحا لها مهيا لها وأصبح
أمثال هذا القصص ليس أمرا مضى وانقضى لحسب بل هانت ذا تراه يصلح لكل زمن سياتى فلناس أن
يقولوا بعد آلاف السنين - وألقى ما في يمينك تلقف ماصنعوا - ويرون أن علم البلاغة بفهمنا أن المأثور
الآن انما هو نحن . قد أمرنا أن ننشر العلم ونزيل الضلال والجهالة لا أكثر ولا أقل وهذا قول مقبول بعد
مئات الآلاف من السنين . فإذا قال الله - ولكن رسول الله وخاتم النبيين - وإذا قال - اليوم أكملت
لكم دينكم وأتممت عنايكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا - فهاهوذا قد ظهر المقصود واتضح الحق وأن
هذا القرآن صالح لجميع الأزمنة والأمكنة لأنه مسائل عامة في غاياتها وإن كانت خاصة بالنظر الى ظواهرها .
وسيقوم بهذه الامور عقلاء وعلماء يملؤون الأرض نورا وعلما قريبا وقريبا جدا . واني أطلب من الله أن
تكون أيها الذكرى الطلع على هذا التفسير منهم في تذكير الناس بما علمت من هذا التفسير وغيره وأن يكون

مما سمع نورك رقى الأمة الإسلامية التي هي جسم أنت أحد أعضائه والله يتولى الصالحين وهو حسبي ونعم الوكيل
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . انتهى الفصل الرابع وهو آخر فصول المقتصد الثاني من هذه السورة

(المَقْصِدُ الثَّالِثُ)

كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءٍ مَاقَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا * مَنْ أَعْرَضَ
عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا * خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا * يَوْمَ يُنْفَخُ
فِي الصُّورِ وَتَحْشُرُ الْجَزِيمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا * يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا * نَحْنُ أَعْلَمُ
بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْ أَلَمْ نَكُنْ مِنْكُمْ قَوْمًا * يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا
رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا * يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ
لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا * يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا
مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْهَا *
وَعَسَى الْأُجُوجُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَلَبَ مِنْ سَحَابٍ مِثْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَمِنْ صَلَاحَاتِهَا وَهُوَ
مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَفُ طُلُوعُهَا وَلَا حَضُوءُهَا * وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ
لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ
أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا * وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فِتْنَتِهِ أَنْ لَا يَنْجِدَ لَهُ
عَزْمًا * وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى * فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا
عَدُوٌّ لَكَ وَلِرِجَالِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى * إِنَّ لَكَ الْأَجْمَعُ فِيهَا وَلَا تَعْرِى *
وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى * فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَذْنُكَ عَلَى شَجَرَةٍ
أَخْلَدَ وَهَذَا لَا يَنْبَغُ * فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْنِمَا مِنْ وَرَقِ
الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى * ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ قَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى * قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا
جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا بَأْتِيَنَّكُمْ مِنْ هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَصِلُ إِلَى
يَسْتَقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ
رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ
أُنْسَى * وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى *

أَعْلَمَ يَهْدِيهِمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
لِأُولِي النُّهَى * وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَسَكُنَ إِزَامًا وَأَجْدَلُ مُسَمًّى * فَاصْبِرْ عَلَى مَا
يُوقَلُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ
النَّهَارِ تِلْكَ تَرْضَى * وَلَا تَحْذَرُ عَيْنُكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى * وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا
نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى * وَقَالُوا لَوْلَا بَأْتِنَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوْ كُنَّا تَأْتِيهِمْ بَيِّنَةٌ مِمَّا فِي
الصُّحُفِ الْأُولَى * وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا
رَسُولًا فَتَنْبِئُ عَنَّا آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى * قُلْ كُلُّ مُرَبِّصٍ فَتَرَبَّصُوا فَتَسْمَعُونَ
مِنْ أَصْحَابِ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى *

(التفسير النظمي)

قال تعالى (كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق) أي مثل ما قصصنا عليك قصة موسى وفرعون
نقص عليك من أخبار الأمم الماضية كثيرا لبيانك وعلمك ونصرة لك وزيادة في علمك وعلم المبشرين
من أمثلك (وقد آتيناك من لدنا ذكرا) قرأنا فيه الأخبار والاقاصيص والانتصارات والتفكير فيها (من
أعرض عنه) عن الذكر وهو القرآن (فانه يحمل يوم القيامة وزرا) عقوبة تقيلة والوزر الحمل الثقيل لغة وقوله
(خالين فيه) في الوزر وهو حال من الضيق في يحمل وانما جمع على المعنى (وساء لهم يوم القيامة حلال) ساء
كسئ أي ساء الحمل حلال وزرهم فالفاعل ضمير مفسر بحمل وزرهم مخصوص بالثم محذوف وقوله (يوم
ينفخ في الصور) بدل من يوم القيامة أي يوم تنفخ الأرواح في صورها فالصور هنا جمع صورة * وتذكر
في الصور - بضم ففتح وهو ظاهر في هذا المعنى (وتحشر الجرمين يومئذ زرقا) أي عميا لأن حقيقة من
يذهب نور بصره تكون زرقاء وزرقة العين أسوأ ألوانها والروم كانوا أعدى أعداء العرب وهم زرق العيون
فوصفوا بوصف مبغض من حيث اللون سي من حيث ذهب البصر فهو أبغض من عميا (يتخافتون بينهم)
أي ينسأرون يقول بعضهم لبعض سرا من هول اليوم (إن لبئس إلا عميا) أي ما لبستم في الدنيا أوفى القبر
إلا عميا لئلا استقصا لمدة لبثهم لما عابوا من شدة العذاب وهوله متعبرين ماقتهم ألم زهم لأن أيام النعيم
قصيرة (نحن أعلم بما يقولون) وهو مدة لبثهم (إذ يقول أمثالهم طريقة) أعد لهم رايأ (إن لبئس إلا يوما)
قصر في أعينهم بالنسبة لأهوال القيامة (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا) وذلك أن رجلا من
قبيل سأل عنها النبي ﷺ فأجيب بنزل هذه الآية . والنسف القلع من أوصولها ثم يجعلها هباء منثورا
فأولا يجعلها كالرمال ثم يرسل عليها الريح فيفترقها (فيذرهما قاعا صفصفا) أي يدع كما أن الجبال من الأرض
أرضا ملسا صفصفا مستوية لا نبات فيها (لا ترى فيها عوجا ولا أمثا) أي لا انخفاض ولا ارتفاعا فلا وادي فيها
ولا أية (يومئذ) أي يوم إذ نسفت وهو بدل ثان من يوم القيامة (يتبعون الداعي) داعي الله إلى المحشر
(لا تسمع له) لا يطيعون ولا ينفذون عنه يمينا ولا شمالا (وخشعت الأصوات) أي خضعت (الرجن) لهايته
(فلا تسمع إلا خمسا) صوتا خفيا كصوت أخفاف الأبل (يومئذ لا تسمع الشفاعة) عنده (إلا من أذن له)

(الرحمن) أى إلا شفاعته من أذن له الرحمن أن يشفع (ورضى له قولاً) فلا يشفع إلا المأذون الذى رضى الله قوله . ثم اعلم أن الشفاعته فى الآخرة تابعة لاذن الله كما هنا وعلامة إذن الله أن يكون المرء مريض القبول ومن رضا القول أن يكون مقبول القول فى الدنيا قد سمع الناس نصائحهم لطهارة قلوبهم وخالوص نيتهم . وعلى مقدار الآثار الواسعة من الشافع الى المشفوع تكون درجة الشفاعته . فالأنبياء يشفعون والعلماء يشفعون والأساتذة يشفعون والشهداء يشفعون . واسكن منهم فى الشفاعته درجة خاصة وهي مقدرة بمقدار آثاره فى المشفوع لهم وعلامة قبول شفاعتهم فى الآخرة قبول نصائحهم فى الدنيا . فكم كما كانوا أئيين قولاً وأكثر أثراً كانت شفاعتهم على مقدار ما وصلوا اليه من نفوس سامعهم والله هو العالم بالشافعين والمشفوع لهم (يعلم ما بين أيديهم) ما تقتضيه من الأحوال (وما خلفهم) وما يستقبلونه منها فهو عالم بالشافع الذى أنار القلوب بعلومه وبالمشفوع له الذى نال تلك الآثار فيعطى الاذن وقبول الشفاعته فى المشفوع له بقدر (ولا يحيطون به علماً) أى ولا يحيطون بالله علماً (وعنت الوجوه) أى ذات وخضعت (للحي القيوم) أى الذى لا يموت القائم بتدبير خلقه (وقد خاب) أيس من رجة الله تعالى (من جل ظلماً) أى من جل الى موقف القياسه شركاً لأن الظلم وضع الشيء فى غير محله ولا ظلم أشد منه (ومن يعمل من الصالحات) الطاعات (وهو مؤمن) مصدق بما جاء به النبى ﷺ (فلا يخاف) أى فهو لا يخاف (ظلماً) أنه يزداد فى سيئاته (ولا هضماً) أى نقصاً من حسناته (وكذلك) عطف على كنهك نقص أى ومثل ذلك الانزال (أزله قرآنه عز يا) بلسان العرب (وصرفنا) كررنا (فيه من الوعيد لعلمهم يتقون) يجتنبون الشرك (أو يحدث لهم) الوعيد أو القرآن (ذكرنا) عظة (فقال الله الملك الحق) أى ارفع عن الظنون وأوهام الأفهام ومشابهة المخاوف لك الملك الذى يحتاج اليه الملوك وإنما كان ملصكاً حقاً لأن ملكه لا يزول أما ملك الملوك فانه زائل . ثم أخذ يستطرد لذكر القرآن قائلاً وإذا لتلك جبريل ما يوحى اليك من القرآن فتأني ريثما يسمعك ويفهمك وهذا قوله (ولا تنجل بالقرآن) أى بقرانه (من قبل أن يقضى اليك وحيه) أى من قبل أن يفرغ جبريل من الإبلاغ (وقل رب زدنى علماً) بالقرآن ومعانيه . ويقال ان الله ما أمر نبيه ﷺ بطلب الزيادة فى شيء إلا فى العلم (ولقد عهدنا الى آدم) أى أوحينا اليه ألا يأكل من الشجرة . يقال فى أوامر الملوك عهد اليه وأوحى اليه وعزم عليه وهذه القصة معطوفة على - وصرفنا فيه من الوعيد - (من قبل) أى من قبل وجودهم فخالف ما عهد اليه وهم أيضاً مخالفون فالحالفة راسخة فى الأصول منتقلة الى الفروع (ففسى) العهد وهو النهى والأنبياء يؤاخضون بالنسيان أو نسي أى ترك ما وصى به من الاحتراز من الشجرة (ولم تجد له عزماً) تصميماً فى الرأى وثباتاً فى العزيمة (وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لادم) أى اذكر حاله فى ذلك الوقت لتعلم كيف نسي ولم يكن له عزمة ولا ثبات (فسجدوا إلا إبليس) قد تقدم الكلام على كل ما قاله الناس فى الملائكة فى سورة البقرة وعلى أدلة وجودهم . وقال الحسن الملائكة لباب الخليفة من الأرواح ولا يتناسلون وهذا القول يرجع الى أحد الأقوال المذكورة فى سورة البقرة التى تشير الى أن الملائكة والشياطين أرواح من ماتوا من الناس فان كانوا أبراراً فهم الملائكة وإن كانوا أشراً فهم الشياطين ويكون الأولون الى النور وأنسب والآخرين الى النار أقرب . وتقدم فى حديث مسلم أن النار محجج الله فهكذا هى التى تحجب الشياطين هى والمادة التى منها أنشئت وحجبا الناس أيضاً عن ربهم ولا مجال للبحث هنا فارجع إليه هناك . وهنا يقال لم يسجد إبليس فقال (أبى) أى أظهر الإباء وتوقف (قلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك) لأنه لم يسجد لك ولم يرك لك فضلاً فاحترسا منه (فلا يخرجكما من الجنة) فلا يكون سبباً لخرابكما منها (فتشقى) فتعذب فى طلب القوت ولم يقل فتشقى لمرأعة رؤس الآى ولأن الرجل هو المكلف بنفقة المرأة فجعل الشقاء عليه خاصاً به (إن لك الأنجوع فيها) فى الجنة (ولا تعزى) عن الملابس فيها (وأنك لا تظلم فيها) لا تعطش (ولا تضجى) ولا تبرز للشمس فيؤذيك حرها لأنه

ليس في الجنة شمس . وهذه الأربعة هي مدار الكفاف فالشبع والري والكسوة والسكن هي التي عليها مدار الحياة (فوسوس اليه الشيطان) أي أسر اليه (قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد) أي الشجرة التي إن أكلت منها بقيت مخلداً (ولهك لا يبي) لا يزول ولا يصفى . فآله وبليس كلالها رغباً آدم في النعيم القيم . فآله جعله في الاحتراس من الشجرة وبليس علقه على الأكل منها فالتحدت الغاية واختلف الطريقان . فالرحيم سلك بعبد الطريق المؤدي الموصول والعمد سلك الطريق الذي لم يوصل (فأكل منها) أي أكل آدم وسواء من الشجرة (فبذبت لهما بسواتهما) أي عريا من الثياب التي كانت عليهما حتى ظهرت عورتاهما (وظفقا يتخذهان عليهما من ورق الجنة) أي يلزقان بسواتهما من ورق الثين (وعصى آدم ربه فغوى) وغوى أي أخطأ الطريق المؤصل إذ طلب الخلد بأكل ما نهى عنه . جاء في حديث رواه البخاري ومسلم قال **عَلَيْهِ السَّلَامُ** «استح آدم وموسى فقال: فقال موسى يا آدم أنت أبونا أخرجتنا من الجنة فقال له آدم أنت يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخبلك التوراة بيده أنا لمعنى على أمر قدره الله تعالى قبل أن يخلقني بأمر بين عاما فخرج آدم موسى» واعلم أن مثل هذا الحديث يتخذه الضعفاء حجة على فعل المعاصي وهو خطأ بل مثله ينفع الإنسان بعد وقوع الذنب ليستبى به فأما قبل وقوع الذنب فن الجاهالة الاحتياج به لأنه يكون ذلك وسيلة إلى تبدل القوى الانسانية واضاعة الدين والقرآن وهذا هو الضلال المبين (ثم اجتبه ربه) اصطفاه وقربه بأن حله على التوبة (فجاب عليه) قبل توبته حين ناب (وهدى) هدها لرشده حتى رجع إلى النعم والاستغفار (قال) الله (اهبطا منها) جميعا الخطاب لآدم ومعه ذريته وبليس ومعه ذريته (بعضكم بعض تنذروا) أي بعض الفريقين لبعض عدو (فإما يأتينكم مني هدى) أي كتاب ورسول (فمن اتبع هداي) أي الكتاب والرسول (فلا يضل) في الدنيا (ولا يفتن) في الآخرة (ومن أعرض عن ذكري) أي الهدى الداعي إلى عبادتي (فإن له معيشة ضنكا) ضيقا وهذا مصير وصف به * وقرئ - ضنكى - كسرى . وهذا الضنك يدركه ذنوب النفوس الجاهلة في الدنيا ولو كانوا أغنياء بسلب القناعة عنهم وحصرهم وجشعهم وسوء ظنهم بالله وفرط انشغالهم بأسباب الاكتساب وهؤلاء لم يدخلوا في السلام العام الذي يقوله المسلم في الصلاة فإنه لا أمان لهم بسوء ظنهم بالله وبكل شئ في الوجود فإن نزلت المحنة بهم لم يروها إلا تعذيبا وإن نزلت بهم النعمة حرصوا عليها وإن ذهبت منهم كادت نفوسهم تهرق فإذا ماتوا عذبوا في القبور على شهرتهم وحزنوا واغتموا على ما ظنوه نعيما وإذا بعثوا بعثوا على ما ماتوا عليه حتى يقضى الله أمرا مكان مفعولا . هذه هي المعيشة الضنكى . واعلم أن بعض الناس يعيشون في الأرض ويمضون وهم لا يشعرون أنهم يعمدون . يظنون أن العذاب نعم وأن السعير جنة . فيرى الأغنياء الذين لاحظهم من عالم الجبال أنهم في خفض وفي دعة وفي سعة وقد فاقهم الفقراء والخدم الذين في قصورهم والباعة في الطرق . فهؤلاء فاقوهم في السعادة والحظوظ الدنيوية وهم لا يعلمون وقد اكتفوا بالمظاهر التي لا تحبس بها قلوبهم وقنعوا بما يتلقى به الناس البهم وهم لا يسمعون أنهم أشقاء في هذه الحياة . وهذا هو المعنى الذي ظهر للشاعر الإنجليزي ولشاعر آخر اسمه «وليم وون» وقد ترجم شعرهما وأمدس من المدرسة العباسية بالسكندرية لتلاميذها وهذا هو اشعر المذكور ذكرته هنا لتعلم أيها الذكي كيف كانت العقول البشرية وأصحاب النفوس الشريرة قد اصطلمت وافتقت على المعاني التي أنزلها الله في القرآن الكريم لأنه أنزل للناس كافة . وما رسلناك إلا راحة للعالمين . وإذا كان راحة للناس كافة فاذن يكون موافقا لجوهر أرواحهم مناسبا للفظ الأصالية مستعونا على المعاني العالية التي اشتركت فيها الأرواح الصافية الخالية من الأغراض البعيدة عن الأهواء التي تغترف المغانى من بحر الأنوار المشرق من وراء الحجب الذين بأنسون بعالم الجبال وهم بعيدون عن التأثر بالأحوال الانسانية العارضة الشاغلة لأهل هذه العصور وإن كانوا في أم ظلالة ودول جشعة سيقاتها الحرص والطمع ولو بعد حين

﴿ أيدوق الفقراء السعادة أكثر من الأغنياء ﴾
(من شعر ترانس الشاعر الانجائيزي)

قوم صفت الدنيا لهم * وساقوهم محو عجب
فيها شمس وبها قر * لم تحجبهم عنها حجب
فاذا ما اغترت بأفتهم * مقدار الظفر له غضبوا
وفريق عايش ودهرهم * ليل فيه السود النوب
فاذا لمحو من بارقة * فرحو اجذلا وبهم طرب
هذا مثل فيه عظة * لنوى التوفيق اذا ضربوا
فانظرزمراسكنوا مصرا * وبنوا قصرا ولهم ذهب
ولهم نعم فيها نعم * فاذا راحت فلها حجب
يشكون الدهر وما ضروا * ان شاكرهم وبرصحبوا
فكأن الفضل بما طلبوا * مما من عليهم حرب (١)
وكان للمال جهنهم * وثراء المال لهم عطب
وترى رهطاسكنوا الأكوا * مخ فذا شعر هذا قصب
وحياتهم في محضمة * ومعيشتهم أبدا وصب
جدوا الرجن على نعم * وبه فرحوا وله انفسوا
فكأنهم لما سلوا * ما أعطاهم منه كسوا
فالجب كسامهم من حلل * وبكأس سعاده شربرا

﴿ وصف السعداء في الدنيا ﴾

(من شعر ولیم وتون الشاعر الانجائيزي)

ألا حبذا من عاش في الناس ألبا (٢) * ذكى فؤاد لم يكن قط أحمه (٣)
يصول بسيف الحق والحق أبلغ * اذا اضطرب الأهواء في كل معصمه
ولم يك عبدا طامعا كل شهوة * الى الموت ناقت نفسه وهو في دغه
فلا أوقته شهوة بوثاقها * الى هذه الدنيا ولا المال أطمعه
ولم يبط القوم الذين سمى بهم * مصادقة أو يستهانوا مع الضمه
وما غره مدح ولا شرع واضح * ولكن صوت العدل في القلب أقمعه
فأوى الى الزكن الشديد ضميره * فترج الحياة وأبدعه
وصار كفاف العيش لا الحب (٤) طامع * لديه ولا الطامع اذا رام ضعفه
يسعى على حين العشيات والضحى * لوجه جلال الله لا وجه منفعه
ويوم فراغ النفس تلقا قارنا * كتاب نبي أو سامي من معه
فهذا هو الحر الذي عاش مسعدا * فلا خوف بخشاه ولا حرص أوقعه
مليك قياد النفس لا ملك الوري * ولم يك ذا مال بل الملك أجمعه

فانظر كيف وصف شعراء أوروبا حال الأغنياء أولا وكيف يبنوا أن السعيد إنما يكون سعده بصفات
الكمال والقناعة والوقار بالاشهرة السكانية والمدح وكثرة الغنى . هذا بعض ما يفهمه علماء الاسلام من قوله

(١) سلب المال (٢) الذي (٣) الذي لا رأى له (٤) الخبيث

تعالى - ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا - وإياك أن تظن أن المسلم خارج عن دائرة المعيشة الضنك غنيا كان أو فقيرا إذا كان قلبه غافلا عن ذكر الله وعن الصلاة - فكم من المسلمين من يصاوم و يصومون و يعبدون وهم أجسام خالية ونفوس خالية وعقولهم ذاهبة - إياك أن تعتز بأنك مسلم أو مؤمن - إياك أن يفرحك ذلك فليس لك حظ من الإسلام إلا على مقدار اشترب نفسك بهذه المعاني وحب الله وحضور الأمور العالية في ذهنك إذا أردت أن تحظى بالمعيشة السعيدة بقدر إمكانك في هذه الدنيا فاسمع مسامحا بعد آيات في هذه السورة واسمع قوله تعالى - فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلع الشمس وقبل غروبها ومن آناه الليل فسيح وأطراف النهار لعلك ترضى - ان أسرار القرآن ستظهر عما قريب للمسلمين - انظر لكتاب الله تعالى كيف يقول ان من أعرض عن ذكر الله فإن له معيشة ضنكا ثم يأتي بعد آيات في نفس السورة ويصف السواء الناتج هذه المعيشة الضنك فيقول اصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك الخ ومن آناه الليل فسيح ويقول - ولا تمتن عيني - ويقول - وأمر أهلك بالصلاة - فهنا ذا أسير في تفسير الآيات ليتضح المقام فلسفي في وصف هؤلاء ذوى المعيشة الضنك المذكورين قال الله تعالى (ونحشره يوم القيامة أجمعى) البصر والقلب كما كان أجمعى القلب في الدنيا (قال رب لم حشرتني أجمعى وقد كنت بصيرا) فأجاب الله قائلا ليس للدار على البصر الظاهر إنما الأمر موقوف على التقول والتفكير فأنالم أحشره إلا على ما كنت عليه وهذا قوله (كنكناك) ثم أخذ يفسره فقال (أتنتك آياتنا) واضحة نيرة (فنتسيتها) غيمت عنها وتركتها اتباعا لأبيك آدم وقد نبتك بقصته فما أروعيت (وكذلك) ومثل تركك إياها (اليوم تنسى) تركك في العصى والعذاب (وكذلك ينجزى من أسرف) بالإنهالك في لذاته والاستغراق في أسباب الحياة الدنيا وهو معرض عن آياتنا (ولم يؤمن بآيات ربه) فكذبها (ولعذاب الآخرة) وهو الحشر على العصى وعذاب القبر والنار (أشد وأبقى) من ضنك العيش لأن العذاب الباقي أقل من العذاب الباقي - لقد وعد الله المعرضين عن ذكره تعالى ﴿ بعدا بين ﴾ في الدنيا بالضنك والذل وفي الآخرة بعذاب جهنم واللعن الحقيقى ثم ختم الآية بأن العصى في الآخرة وعذابها أشد من ضيق العيش في الدنيا - فما أوضح هذا القول وما أعجب - ولما كانت حياة الأفراد مقدسة على حياة الأمم كما نبه للالك أفلاطون في كتاب جمهوريته الذى وضعه على لسان أستاذه (سقراط) إذ قال فيه ان الأمم لاتتم مدنيتهن إلا ﴿ بأربعة أشياء ﴾ حكام مفكرين بحكمة وعقل وجيوش منظمة مدبرة خاضعة لأمر رؤساء المدينة وعاقمة قائمين بواجباتهم من صناعة وتجارة وعمهارة وزراعة وأدب وطاعة تامة فهؤلاء الأقسام الثلاثة إذا قام كل منهم بما أوجبه القانون عليه - فالرؤساء حكام والجيش مطيعون والعامة ممثلون أمر الفريقين كانت هذه الصفة من العدل والعدل لاسعادة لأمة إلا بهذه الأربعة - حكمة في الرؤساء وشجاعة في الجنود وعفة في العامة وعدل بانتظام هذه الأحوال الثلاثة والنشأ بها وانتظامها - ثم قال بعد ذلك وهذه إذا كانت أحوال الأمة فأحوال الانسان الفرد تقاس على حال المجموع - فلتكن قوتنا الشهوية للبس والطعم والزوج أشبه بالعامة في الأمة - وقوتنا الفضيحة طاعة لقوتنا العقلية فلا نتحرك لعمل بطريق الغضب إلا إذا كان العقل يأمر به وقوتنا العقلية قائمة بالحكمة والعلم دراسة مفكرة - وبانتظام هذه الثلاثة يكون العدل فالإنسان لاسعادة إلا بهذه الأربعة ومنها تفرعت جميع الأخلاق ﴿ العفة - الشجاعة - الحكمة - العدل ﴾ - هذا ملخص جمهورية أفلاطون ذكرتها لك هنا لتعجب كيف ذكر الله الآيات الآتية بعد السابقة ذكرها ليقس حال الأفراد على حال المجموع - فانظر كيف جاء القرآن بما هو ملخص الفلسفة العالية الموضوعه في كتاب عظيم ضخيم - انظر كيف لخصها في بضعة آيات فقد ذكر الأشخاص الذين عاشوا عيشا نكدنا في الدنيا وسيشقون في الآخرة - وهذا العيش النكد باعراضهم عن ذكر الله وهذا هو علم الحكمة وينبع سائر ما نقتسمه - ثم أتت به يذكر أحوال الأمم الجاهلة قال (أفلم يهد لهم) أفلم يبين لهم اهلا كنا من قبلهم من القرون

وهم يمضون في مساكنهم ففاعل بين هو المتأخوذ من قوله تعالى (كم أهلكنا قبلهم من القرون يمضون في مساكنهم) أى حال كونهم يمضون في ديارهم ويشاهدون آثار هلاكهم . أفلا يتفكرون أحوال الأفراد على أحوال الأمم . أفلا يفكر كل واحد في نفسه أن الله الذى أهلك هذه الأمم هو الذى يعامل الأفراد معاملة الأمم والفرد طبيعة طبع المجموع مقيس عليه كما يعرفه فلاستفكم في الأرض يقولهم ذكائهم فكيف غفل الناس عن ذلك . ونحن كما عدنا الأمم بهلاكها تارة وبغيف عيشها بالحرب والضرب والقتال نقتل نقتل كل ذلك بالإنسان الواحد فتارة تأخذ بقتة وتارة تبقى وبقتة في معيشة ضئيلة . وإن الإنسان ليسهل عليه أن يدرس الأمم وأحوالها فليقس نفسه عليها . وأنا لم أؤخر العذاب عن هذه الأمم ذكافرة من قرىش وغيرهم إلا لكلمة سبقت منى في اللوح المحفوظ وفي علمي القديم أن أؤخر العذاب عن بعض الأمم لأنى أردت أن أبتليهم لعلمهم يؤمنون أو يخرج منهم ذرية مؤمنة (ولولا كلمة سبقت من ربك) أى الحكيم بتأخير العذاب عن أمة محمد ﷺ (السكان) العذاب المائل لما نزل بهاد وغرر وغيرها (لزما) لازما هؤلاء الكفار (وأجل مسمى) عطف على - كلمة - أى ولولا العدة بتأخير العذاب وأجل مسمى لأعسارهم وألعذابهم وهو يوم القيامة أو بدر السكان العذاب لزما

﴿ فصل في الكلام على سعادة الإنسان في الدنيا وكيف لا يعيش معيشة ضئيلة ﴾

اعلم أن الله بعد أن ذكر حال الذى يعيش معيشة ضئيلة وبين أن العقل المحجوب الذى في غشاء عن ذكر الله معذب صاحبه في الدنيا وإن كان غنيا وأن عذابه في الآخرة تبع لعذابه في الدنيا وأن حاله مقيس على حال الأمم وأن الفرد كالأمة - ما خلقتكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة - أتبعه بذكر الدواء لهذا الداء لينبه المسامعين إلى الحياة السعيدة . وأن كلمة الشهادتين والاسلام الظاهري مع غفلة القلب لا يكفيان لها فأمر نبيه ﷺ بأربعة أمور ﴿ الأول ﴾ الصبر ﴿ الثانى ﴾ العبادة مع حضور القلب ﴿ الثالث ﴾ أن لا يتعلق بأمر الدنيا فيشبهى مثل ماعند الأغنياء ﴿ الرابع ﴾ أن يأمر أهله بالصلاة ويصبر عليها . هذه هي الشرائط الأربعة لسعادة النفس في الدنيا وأن الإنسان لا يكون في عيشة مضئيلة

﴿ الأمر الأول . الصبر ﴾

قال تعالى (فاصبر على ما يقولون) من الشتم والتكذيب مادمت غير قادر على تأديبهم وتهذيبهم حتى يأتيناك الأمر بالجهاد

﴿ الأمر الثانى . الصلوات ﴾

وهي الصلوات الخمس مع صلاة الليل وهي التهجد (وسبح) أى وصل (بحمد ربك) أى وأنت حامد لربك على هدايته وتوفيقه معترفاً بأنه المولى للنعم كلها بأن تقول في صلواتك - الحمد لله رب العالمين - الخ وليكن ذلك (قبل طلوع الشمس) وهي صلاة الفجر التى تكون في أوقات الصفاء والجمال والبهجة واشراق الجوّ بنور بهج بديع مشرق مذكر بالنور الإلهي المائى للسكون (وقبل غروبها) وقت الظهر ووقت العصر وقد أُرِفَتْ ترحل من العالم الأرضى إلى عالم أَرْضَى آخر فتكون الصلاة في هذين الوقتين للاعتراف بما جباه الله للناس من النور الذى أكسبهم حياة ومعيشة وسبب لهم الخيرات والنعم وحاطهم بأصناف الكرامات من جنات وأعنان وسحاب وضياء به يبصرون طرقهم (ومن آتاء الليل فسبح) الآتاء جمع إلى بالكسر والقصر أو آتاء بالفتح والملة أى الساعات يقول صل في ساعات الليل المغرب والعشاء وصلاة التهجد فإن هذه الأوقات هي التى يشعر القرب بالله تعالى ويسجد ويقرب منه لأن المشاغل الدنيوية ليس لها سلطان على القلب إذ ذلك كما قال تعالى في آية أخرى - إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قبلاً - أى أشد مواطأة وموافقة وأبين قولاً ففيها يوافق القلب اللسان ويخاطب ربه ويفرح به ويفيض عليه الأنوار والبهجة . وليس يعرف ذلك

المسلم إلا بالتجربة أما مجرد السماع فلا يكفي وأما قوله تعالى (وأطراف النهر) فإنه تكرار لاصلاحى الصبح وصلاة المغرب وهو مطوف على ... قبل ... يقول الله سبحانه في هذه الأوقات (لعلهم يترضى) أى رجاء أنك ترضى بالبناء للجهول أى يرضيك الله بالأهلام والمسررات النفسية والأنوار القلبية والهدية والتوفيق وأن تكون هادياً للناس وفى الآخرة بمشاهدة الله الذى كنت تشاق إليه وأنت حزين فى الدنيا أو بالبناء للفاعل أى تنال عند الله ما به ترضى نفسك ويسر قلبك فى الدنيا والآخرة

(الامر الثالث)

قال تعالى (ولاعتد عينيكم) أى فطر عينيكم (الى ما ممتعا به) استحضار ما له ومتعياً بأن يكون لك مثله (أزولجا منهم) أصنافاً من الكفرة ثم أبطل منه قوله (زهرة الحياة الدنيا) أى ذوى زهرة الحياة الدنيا . ولا جرم أن الزهرة ذابلة قريباً والنزهة الباقى (لنفتتهم فيه) أى لنبلوهم ونحشرهم فيه (ورزق ربك) وهو الهدى والتوفيق وثوابهما (خير) مما منجوا من الدنيا (وأبقى) فإنه لا ينقطع . ثم أعلم أن الرزق الذى جاء فى هذه الآية يشبه إلى مشاهدة الله تعالى والاستغناء به عن عالم المادة لأنه هو المصدر الأول لكل نعمة فإذا افتتح الجهال من سائر الأمم بالمال والمناصب وهى زائلة بل قواهر نفسها مضطحة ذاهبة فى هذه الدنيا قبل الآخرة فإن أرباب النفوس العالية لا يقر لهم قرار حتى يشاهدوا مبدأ هذا الجلال البارع . نعم لا يحبون شيئاً إلا أن يروا ربهم وهذه الرؤيا لا معنى لها إلا العالم والمعارف الشريفة التى تنهى بالمشاهدة للاتقة لتلك المقام لمشاهدة الحواس . وعلما تقول هذه خطوة كبرى . أقول لك أنها من حديث البخارى ومسلم فمن جرير بن عبد الله قال كنا عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر وقال انكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا القمر لاتفادون (١) فى رؤيته فان استطعتم ألا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ - وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها - اهـ

إن هذا الحديث خير مفسر لهذه الآيات . يقول الله تعالى صلوا صلواتكم المحس صلوا تمجيداً بالليل ذلك لأتجلى عليكم اذا وجهتم قلوبكم إلى فى نفس الصلوات وياكم أن يشغلكم المال والنيات الفانية فانما المال زهرة والصلوة ثمرة والآخرة إلا أن تشاهدوني فلان الدنيا والجنسة فى الآخرة بمقتعين ذوى العقول دون أن يروى . وكيف يروى إلا باستحضارى فى قلوبهم . وكيف يستحضرون فى قلوبهم إلا فى خلواتهم ولا خلوة أفضل من خلوة القلب فى الصلاة ولاتنم الصلاة وخلوة القلب فيها إلا باحتقار المال وعدم تنى ما عند الناس وعدم الاحتفال بهذه المادة فإن كنت غنياً أوفقيراً فليكن المال عندك كزهرة والعلم كثمره ومتى دمت على ذلك ومث فانك ترى وتشاهدنى أيتها العبد مشاهدة حقة ولا تظن أن قيامك بأمر أمتك وعملك لم يمنعك من ذلك فن أحسن لعبادى فقد تقرب إلى بهذا الاحسان

(الامر الرابع)

قال تعالى (وأمر أهلك بالصلاة) وأمر أهل بيتك واتباعك لك من أمتك بالصلاة كما أمرت أن تصل أنت (واصطبر عليها) وادوم عليها (لانسألك رزقا) لانسألك أن ترزق نفسك وأهلك (بمخ نرزقك) وإياهم ففرغ قلبك لأمر الآخرة (والعاقبة) الحمودة (للتقوى) للنوى التقوى وكان عروة بن الزبير رأى ما عند السلاطين قرأ ... ولا تمنن عينيكم - الآية ثم ينادى الصلاة الصلاة رحمة الله . وكان بكر بن عبد الله المزنى اذا أصاب أهله خصاصة قال قوموا فصالوا بهذا أمر الله ورسوله . وعن مالك بن دينار مثله وفى بعض الأسانيد ان كان عليه الصلاة والسلام اذا أصاب أهله ضرراً أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية وياك أن تظن أن هذا معناه أن تقدم عن الكسب بل معناه أن نسي فى الكسب وقولنا مع الله كما

ان العاشق المحب يسمى في جمع كلمة أهل العروس على حبه ويسمى في جمع المال وكل ذلك لا يجمع من الفرح والغرام بنفس العروس فهو يسهر ويكد ويحصل للاجتماع بها فيجمع المال و يلاطف أهلها ويتوسل بأهوب أيها وهي في نفسه الشغل الشاغل بل كل أهمله موجهة إليها . ناهيك ما يرى أن المسلمين مأمو روف أن يصلا صلاة الخوف وهم متلبسون بالحرب فتكون المدافع والرشاشات منصبة عليهم وهم محذورون في التكبير وذكر الله . فإذا سمعت أن الذي ^{عليه السلام} يصلي إذا أصابه ضرر وهكذا ابن دثيرا وغيره . فاعلم أن هؤلاء هم أنفسهم الذين فتحوا البلاد ودخروا الممالك وما كان ذلك وهم يصلون بل كانوا يحاربون ويصنعون الأسلحة ويشتة ونها و يفعلون من لأوامرات السرية والاستحكامات العسكرية ما أعجزوا به أهل زمانهم . فاعلم هنا أن يكون القلب بذكر الله معمورا وبالعمل في الدنيا محمدا . ولوانا تركنا القول بدين هذا التعليق لطاع البص أن ذلك كاف في الحياة . وأمثال هذا القول والأخذ به وحده هو الذي أضاع على الأمة دينها ودنياها فيطرق من لاعتقوله لم أن الدين ليس فيه إلا هذا مع أن هذا أحد طرفي الدين والطرف الآخر أعمال الحياة من جهاد وصناعة الخ فتأمل . وبهذا تعرف معنى قوله تعالى . - يصل به كثيرا - أي من أخذوا بأحد شقي الدين من القرآن . - ويهدى به كثيرا - أي من أخذوا بجميع أطراف الدين فلا أعمال القلب تلهيهم عن أعمال الجوارح ولا أعمال الجوارح تلهيهم عن أعمال القلب . وهذا هو الحق الصراح . فأما الكسالى منهم فهم الذين فهموا في الدين غير هذا فعطلوا أهله فأخذنا أوروبا وأذاقتنا سوء العذاب الهون ومزقتنا كل مزق وسيلتم الصدع وينضم الجمع ويتم الأمر ويرقى المسلمون والى محمدهم يرجعون وذلك في أقرب الأوقات ولما كانت الآيات السابقة التي فيها الشروط الأربعة للسعادة في الدنيا وتنبعها الأخرى قد جاء فيها الصبر على مايقولون وأنه أول الشروط أخذ هنا بين مايقولون لتأسى بالنبي ^{عليه السلام} والصبر كما صبر ولابالي بما يقال فإن العاقبة للتقوى فقال (وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه) أي هلا يأتينا محمد بآية من ربه تدل على صحة نبوته (أولم نأنهم بينه ما في الصحف الأولى) الهزمة للاستفهام الانكارى للتقرير . يقول لهم يا أيها الكافرون كيف تطلبون آية أوامرهم مجا . في القرآن لاسما ما في هذه السورة من قصص الأولين ونبا المرسلين كوسى وذلك ملخص مجا في التوراة في مواضع مختلفة ومصحف متفرقة . وكيف كانت هذه الزبدة ملخص علوم وآراء لو عمل بما فيها لكوّنت أمة ولأقامت شعبا كبيرا إذ جاء فيها أن العلم لا يبنى إلا على الحقائق وأن مجبرة موسى بعصاه ويده لم يؤمن بها إلا العلماء من السحرة . أما إيمان الجاهل من بني اسرائيل فقد زلله السامري بجعله فكيف تطلبون مني آية على صدق نبؤي تؤمنون بها زمانا ثم تنسج عليها غناكب النسيان اذا ظهر فيكم من يدي نبؤة أولوية وآتى بما هو من قبيل التخيل السعري فانكم تتبعون ذلك وتتركوني وتكون كل اركانكم موجهة الى من فعل ذلك ولو كان على ديني كما اتفق لبعض المسلمين الذين أنفروا غراب فظنهم الناس أنهم اتصلا بالعرش فهم مؤمنون بالنبي ^{عليه السلام} ولكن قلوبهم معلقة بأوثك الشيوخ لا يسمعون إلا لقلوبهم ولا يريدون سواء وان كانوا مؤمنين . فيقول الله هنا أما كفاكم يا أهل مكة ما قرأنتم في هذه السورة من أن ما تقرر حونه من الآيات كزراعة جبال مكة أو تفجير الأنهار أو غيرها لا قيمة له في اتباع الأندباء وإنما المدار على العلوم العقلية قال تعالى (ولو أنأ أهلكتهم ببغذاب من قبلي) أي من قبل سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام (القالوا ربنا لولا) هلا (أرسلت الينا رسولا فننزع آياتك من قبل أن نذل) بنزول العذاب (ونخزي) في العتي (قل كل) أي كل واحد منا ومنكم (متربص) منتظر للمناسبة (فترصبوا) أي فانتظروا أتم (فستعلمون) يوم بدر أو يوم القيامة (من أصحاب الصراط السوي) المستقيم (ومن الهدى) من الضلالة نحن أم أنتم . انتهى التفسير اللفظي للمقصد الثالث من سورة طه . وهنا (أربع لطائف)

﴿ اللطيفة الأولى في قوله تعالى - وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا - الى قوله - وقل رب زدني علما - ﴾

اعلم أن الأحكام التي تشتمل عليها الشرائع ومنها القرآن ستة : الاعتقادات • العبادات • المشتميات • المعاملات • الزاجرات • الآداب الخلقية • فالاعتقادات خمسة اثبات وجود الباري جلّ تبارك وتعالى بصفاته وأيات الملائكة الذين هم السفراء بين الله وبين خلقه والكتب والرسول والمعاد وقد انطوى على ذلك قوله تعالى : ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر . . . وأما العبادات فهي ثمانية : الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والاعتكاف والقرابين والصفقات . . . وأما المشتميات فهي أربع : المأكلات والشراب والمساكنات والملبوسات . . . وأما المعاملات فهي أربع : المعاوضات كالبيع والإجارة وما يجرى مجراها والمناقصات كالعدوى والديون ، والأمانات كالودائع والعواري . والتركات كالوصايا والمواثيق . . . والمزاج خمس : منزوعة عن فوات الأرواح حفظاً للنفس كالقصاص والدية ومنزوعة لحفظ الأعراض كحدّ القذف والفسق ومنزوعة لحفظ الأنساب كالجلد والرجم ومنزوعة لحفظ الأموال كالقطع والصلب ومنزوعة لحماية البيضة للرب وتقتل البغاة . . . وأما الآداب الخلقية فتلاثة

(١) ما يختص به الإنسان في نفسه وأصلاخ أخلاقه كعلم والحل والسخاء والعفة والشجاعة والوقار والتواضع
(٢) وما يختص به في معاشرته وذويه ومختصيه كبر الوالدین وصلة الأرحام وحفظ الجار ورعاية الحقوق ومواساة أهل الفقر ونصرة المظلوم وإغاثة الملهوف
(٣) وما يختص به أولوا الأمر من سياسة الرعية . انتهى . من مقدمة التفسير للعلامة الشهير أبي القاسم الراغب الأصفهاني . وقال في نفس هذه المقدمة أيضاً مانصه

﴿ إن الناس لن يتساووا في معرفة القرآن وإنما يتأولون منه بحسب درجاتهم واختلاف أحوالهم فالباغاء تعرفه من فصاحتهم والفقهاء من أحكامهم والمتكلمون من براهينهم العقلية وأهل الآثار من قصصه ما يجله غير المختص به . وقد علم أن الإنسان بقدر ما يتكسب من قوته في العلم تتزايد معرفته بفواضل معانيه وعلى ذلك أشجار النبي ﷺ * قال ﷺ نضار الله امرأ سمع مقالتي فوعاها كما سمعها حتى يؤديها إلى من لم يسمعها فرب مبلغ أوعى من سامع ﴾ انتهى

وهذا يوضح لنا معنى قوله تعالى - وقل رب زدني علماً - فالزيادة في العلم تزيد الإنسان فهماً في القرآن وقرأ هذا التفسير يعرفون هذا حق المعرفة لأن المأمور في هذا الزمان قد برعت وأظمرت ما كان خافياً على الأمم المتقدمة وهذا سرّ قوله تعالى - وقل رب زدني علماً - فعلى المسلم أن يزداد علماً حتى يدرك مقاصد القرآن ومراميه

وقال أيضاً تحت عنوان ﴿ فصل في انطواء القرآن على البراهين والأدلة ﴾ مانصه ﴿ قال عليه الصلاة والسلام إن اسكن آية ظهراً وبطاناً ولكل حرف حذاً ومظلاً (لأعلى مذهب إليه الباطنية) ومن هذا الوجه كل من كان حظه في العالم أوفراً كان نصيبه من علم القرآن أكثر ولذلك إذا ذكر الله تعالى حجة على ربه بيته ووجدانيته أنبهاً بإضافتها إلى أولى العقل ومرة إلى أولى العلم ومرة إلى السامعين ومرة إلى المتفكرين ومرة إلى المتذكرين تنبيهاً على أنه بكل قوة من هذه القوى يمكن إدراك حقيقة منها وذلك بحوقله تعالى - إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون - وغيرها من الآيات ﴾ انتهى

﴿ اللطيفة الثانية في قوله تعالى - وقل رب زدني علماً - أيضاً ﴾

اعلم أن هذا العالم الذي نعيش فيه يستخدم بعضه بعضاً - إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً - ولله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً - ومن السجود لله أن يكون المخلوق نافعاً لغيره شاء أم أبى ويستنتج من صفات هذا العالم أن النفوس الإنسانية لاتزال سعادتها إلا إذا صفت سرورها وكأت نسبته إلى العالم كماء واحدة بحيث يستوى عندها المحبوب والمكروه وتعمل الخير لأجل الخير لا لأجل منفعتها

وهذه المقدمة سقتها الأول . قد خدم السمك الصغير في البحار السمك الكبير فأكله . فهذا قدم جسمه وهو كل ما في مقدرة وقدم السمك كبيره وصغيره أجسادهم للإنسان وتدمت الفزلان والبقر وغصيرها من سائر الحيوانات الوحشية أجسامها قربانا للأسود والنور . ونقلت البقر أطفالها للقراء وجاودها وهامنا جاود النعم وغصيرها لمنافع الناس . وهكذا الصانع في كل أمة من أمة الأرض اذا اخترعوا صناعة حديثة يتخدمون نوع الانسان كله اذا سار في سبيلهم شاؤا ذلك أم أبوا . فترى من اخترع البخار والكهرباء والبريد الذي له سلك والذي لا سلك له ومن اخترع قطار سكة الحديد ومن اخترع (الراديو) والآلة الحاسبة (الفونوغراف) كل هؤلاء قدموا عملهم لنوع الانسان كما قدم الحيوان لحمه وجلده له . ولهم يرى انه لا فرق بين صانع آتقن صنعة فقلده سواء وهو لا يقصد ذلك وبين (نح) مات وترك جلده لنوع الانسان كلاهما لا يقصد له . إذن هما سيات . إذن لاخبر في عمل يعمل الانسان للنفع العام إلا اذا قصد ذلك . وهذا معنى الحديث ﴿ انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرئ ماوى ﴾

اذا عرفت هذا فانظر الى النبوة . إن النبوة يقصد منها الهداية العامة ويست كصناعات الصانع أو نحوها بل هذه يراد بها تقديم هداية الناس . فاذا رأينا الله عز وجل قطر العالم كله على مقتضى صفاته وهي افاضة الخير فان كل موجود مستعمل لافادة الخير على غيره واكثر ذلك بلا قصد فانه هو العالم الحكيم وهذه المخارقات لا تلحق في ذلك الوصف . أما الانبياء ومن اقتفوا آثارهم فهم يصنعون الخير قاصدين نفع الناس مقتدين بفعل ربهم في خلقه فهو مفيض للخير وهو عالم وحكيم . والانبياء درجات فخيرهم من أرسل لقومه ومنهم من أرسل للعموم فانك تسمع الله يقول . - والى عاد أخاهم هودا - والى ثمود أخاهم صالحا - ويقول . - ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات الى النور - ويقول في النبي ﷺ في نفس السورة قبل ذلك . - كتاب أنزناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور - . إذن رسول الله ﷺ مرسل الى الناس والأنبياء كل رسول مرسل الى قومه . وتسمع الله يقول . - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - ههنا وصلنا الى المقصود . رسول الله ليس كالأنبيا في الاختصاص بأمة والأنبياء ليسوا كأرباب الصناعات بحيث يتقدمهم النفع لغيرهم وهم لا يقصدون . إذن رسول الله أرسل للناس جميعا ليفهموا وهو يقصد ذلك . فاذا حصل . لما ظهر الاسلام ماجت الأرض واضطربت . لما اذا اضطربت لانه قال الى أرسلت الى جميع الناس وقال ﴿ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ﴾ . فاذا حصل فتصعدوا فرس والروم . وماذا حصل امتد الفتح الى أقصى الشرق . فهناك حصل ﴿ أمران عظيمان ﴾ وهما السيل الجارف الذي جاء من أوروبا بالحروب الصليبية ونظيره من الشرق حرب المغول والنز وهما بأجوج وأجوج المتقدم شرحهم شرحا وافيا في سورة (الكهف) . هنالك تدخل العالم بعضه في بعض شرقا وغربا . وذلك كله تتم في آلاف الأول من التاريخ الاسلامي . أما آلاف الثاني الذي نحن فيه فانه قد ظهرت فيه ثمرات ذلك التداخل بين الشرق والغرب واستنار الناس شرقا وغربا كل بقائه . تقدم في آخر سورة الكهف أن نوع الانسان مضى له على الأرض (٣٠٠) ثمانية آلاف سنة . وهذا وان كان أمرا تقر بييا يمكن الالتئاس به . وقد جاء أن الرسل فوق ثلثائة رسول . هذه ثلثائة ألف سنة أو أقل أو أكثر وهؤلاء الرسل الذين أرسلوا لهم لم يأذن الله لرسول منهم في تلك الأيام أن يعلن صوته للعالم ويقول يا أيها الناس إن رسول الله اليكم جميعا ولكن أعلنه آخر رسول ولما أعلن هذا الاعلان ماجت الأرض وهاجت وقرأ الفربي عالم الشرق وبالعكس حصلت هذه المدينة التي نحن فيها الآن ولم يتم هذا إلا بالرسالة . إن رسول الله ﷺ رحمة لأهل أوروبا والصين واليابان وأمريكا لأن هؤلاء جميعا لم تتم لهم هذه المدينة إلا بسبب انتشار الاسلام وتداخل الأمم ولولا هذا التداخل لم يتم شئ من هذه المدينة . والدليل على ذلك انه لم يتم شئ من هذا في التاريخ الذي بلغنا وربما كان في أزمان نحن نجهلها الآن

إذن المدنية الحاضرة ثمرة الاسلام والاسلام جاء به رسول الله ﷺ الذي أمره الله أن يدعو فقال له - وقل رب زدني علما - وقرئ بين قوله - رب زدني علما - وقوله فيما تقدم - الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى - فهناك ذكرت ليصرف الناس حقائق ما في السموات والأرض لأن جعل جده منوطا بمعرفة ما في السموات والأرض والظلمات والنور أي أننا نحمد الله على هذه البدائع والنجائب . أما هنا فهو يأمره أن يقول - رب زدني علما - فأني بياء التكلم أي ان الزيادة نافعة لي مباشرة فلذلك طلبها وقال - رب زدني علما - وإذا دعا محمد ﷺ ربه بأن يزيد علما فأتمه مأمرة كما أمره أن يزيد علما . فإذا أمر بالزيادة بالزيادة فقد أمر بالزيادة تبعا وأتمه تبع له واتباع هذا أن يزيد العلم في أمة الدعوة سكانها لأنه ﷺ جاء للرحمة العالمة فكأنه دعا بزيادة العلم لجميع أهل الأرض لأن أمة مأمرة بزيادة العلم كما أمره هو وازدياد علمه هو سبيله الانتشار فرفع الأمم وقد حصل هذا كله فإن الأمم الاسلامية أولا أثارت ثائرة الكتب اليونانية ثم لما نفرت علومها جاءت أوروبا فأخذتها وزادت عليها ثم جاءت الصين واليابان . كل هذا سر - زدني علما - . وإذا قال في - زدني - فليس ذلك كقول آحاد الناس . ان الجاهل يقصد نفسه والعالم يقصد العموم والأنبياء أعم فهم كالشمس . فإذا قالت الشمس يارب زدني نوراً فليس لهذا معنى إلا أن تضيئ النور على غيرها ولو بواسطة القمر فلذلك من مقصودها . فإذا رأينا العلم انتقل الى المشرق والمغرب وازداد ثم ازداد فهذا من آثار - رب زدني علما - . ولأذكر لك في هذا المقام ﴿ ثلاثة أمثلة ﴾ من ازدياد العلم في العالم الذي نعيش فيه

(١) مثال لما في قاع البحر من النجائب في العلم الحديث

(٢) مثال لما فوق الأرض من بدائع علم الحياة

(٣) مثال لما في عالم الجوّ والسموات من غرائب الابداع

﴿ المثال الأول في مسألة المطاط (الكأوتشوك) ﴾

إن المطاط أو (الكأوتشوك) تقدم الكلام عليه في أول سورة يونس مرسوما موضعاً منافع وخواصه العالمة . وقد قلت هناك ان الله جعله قليلا في الأرض ليناسب الناس في تحصيله الخ وما كنت أعلم ماتم بعد ذلك . فأنظر ماذا جرى . رأيت أمريكا وألمانيا أن البقايا التي فيها الكأوتشوك تحت سيطرة الانجليز وقد عمت الحاجة اليه . فإذا يصنعون . أخذ أهل أمريكا يجنون عسى أن يظفروا بمادة تقوم مقام (المطاط) كما أمكنهم أن يستعوضوا عن الجلود بمادة أخرى فوفى أحدهم لهم إلى مادة في قاع البحيرة المالحة الكبرى في أمريكا ورأى أنها تصلح بعد مزجها بقليل من المطاط البالي المنسحق لتكوين مطاط كالغداد المستخرج من الشجره . وعلى تلك المادة . هي نوع من (النفط الأسود) وجدت تحت قاع تلك البحيرة بعمق يختلف من ١٢٥ قدما إلى ١٤٠ قدما وهذا النفط أسود يشبه في كثافته عسل القصب وفيه ٩٩ من المائة من زيت كبريت جامد نشأ من بقايا حيوانات قديمة مندثرة وبقى مخزونا بين طبقات من الطين في منطقة تبلغ مساحتها ألفي فدان عند شاطئ البحيرة الشمالي . فهذا النفط يتي وزجج بالمطاط البالي وهو أفضل اقتصادا من المطاط الشجري المتقزم ومنه أقل من ربع ثمن المطاط المعتاد ويكفي لسكن ستين جزاً من النفط المذكور أن يضاف ١٤ جزاً من المطاط المستعمل . أما الألمان فأنهم يقومون الآن بتجارب أخرى في ألمانيا لصنع المطاط كله من مواد كيميائية ليسهل وجودها في كل مكان وتقول الصحف الألمانية انها ستبشره بالنجاح انتهى فأنظر لهذا الانسان كيف خلق الله له المطاط وقاله وليكن في زماننا أكثره العجلات والأدوات المصنوعة التي تحتاج الى المطاط فكانت قاله . أيها الناس . هاأنذا خلقت لكم نموذجاً وهو المطاط وقد قلته في الأرض فزيدوا علما واختبروا المواد الأرضية - وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم -

﴿ المثال الثاني ما فوق الأرض من بدائع أسرار الحياة ﴾

تقدم في سورة (الأعنام) عند قوله تعالى - انظروا الى ثمرة اذا أثمر وينعه - وصف الشرات الصغيرة

وهي طلع الأزهار وقد رسمت هناك أشكاله مكبرة باعتبار أن لشكل نبات شكل خاص لهذه الحبيبات الصغيرة التي بها يكون القاح النبات . فهنا نذكر أمرا عجيبا . ذلك أن الناس في عصرنا لم يوفقوا إلى معرفة الشيء الذي يبعث الحياة في الأحياء (ونبارة أخرى لم يصالوا لسر الحياة ولم يقدروا أن يصفوها بمحور الحياة وحركتها في الأحياء . ولكن الأستاذ (أرثر بيلسبوري) يقول انه وصل إلى تصوير (الجوهر الحيوي في الزهر) ويقول انه يشبه تقاضل الحياة في الحيوان شيئا مذهشا . ومتى تم هذا الكشف واعتدته العلماء بعد التجربة تجعل الطبيب قادرا على معرفة ما تختص به الحياة الأولية في كل جسم من العوامل التي تحدث ضررا في بعض الأعضاء الحيوية وينشأ عنه مرض معين لأن المرض عامل طارئ على الجسم يعطل العمل الحيوي المستمر وتظهر أعراض هذا التعطيل فسمى مرضا معيناً ووظيفة الطبيب أن يعرف مكان العلة ويعطي العلاج لازالتها . ومتى وثق الناس على ذلك عرفوا دواء الداء ونشطوا الأعضاء الحاملة و يصبح جسم الإنسان كأنه آلة ميكانيكية في نظر المهندس . فالمهندس يعرف مواضع خلل الآلة فيصلحها . هكذا الطبيب في الجسم و يصبح الطب علما يقينيا بعد أن كانت أعماله ظنية . فهذا الاستاذ أكتنه أن يصف ذرات القاح وهي متحركة ولم يسبق أحد إلى تصوير ذرات لقاح نباتية حية . وذلك أنه كان في جزائر (هاوى) فرأى (زنبقة العنكبوت) فكشف بين ذراتها اللقاحية وحيدة حيوية جراء اللون فأدرك أنه توصل إلى ما كان يريد وأنه رأى الشيء الذي يبعث عملية الحياة في النبات والشجر فجاء تلك الذرات التي لا تظهر للعين المجردة إلا إذا كانت متراكمة ووضع ما اصطفاه منها في نقطة من سائل خاص ووضعها على قطعة من الزجاج ووجه إليها منظاره الخاص فرأى تطور الذرات بعد بضع ساعات وفتى منها غشاؤها الخارجي وظهر من داخلها ما هو كالمرق يتأوى كالودد وبعد قليل انسلت منه تلك النطفة (وحدة الحياة) . وملخص هذا أن ذرة القاح ظهرت من داخلها مادة الحياة وذرة القاح المذكورة لا ترى بالآلة ما خرج منها وهو سر الحياة ولم يتمكن أن يصف هذه المادة إلا بعد أن جعلها مائة ألف ضعف . وهذه صورة سر الحياة (شكل ١٠)



(شكل ١٠ - رسم جرائم حية في نقطة سائل تمثل نطانات اللقاحية تخرج برأس ورقة أخرى لتكون الحياة)

﴿ المثال الثالث . السفر الى القمر ﴾

لعلك سمعت هذا العنوان فاستعجنته كما استعجنته أنا . ولا جرم أن هذا مقول أنه ينبغي . فاذا كان الانسان ليس عالما بأمر فهو ينكره ولكنى اطلمت في بعض الجلات على مقال واف مقول فذكرته هنا لذكر المثال الثالث لقوله تعالى ... وقل رب زدنى علما - فان علم النفط في قاع البحر وعلم سر الحياطة في النباتات والحياوان ازدياد للعلم مستمدة من قوله تعالى ... وقل رب زدنى علما - وهذان علمان في البحر وفوق الأرض فلندكر زيادة العلم في الحق فقول

أذكر كرك بما تقدم في سورة (الحجر) عند قوله تعالى ... إن في ذلك لآيات للمتوسمين - فقد ذكرت هناك المتوسمين من أمة الاسلام حين يرون أن القوم يريدون أن يستخدموا الفحم الذى في القطب للأعمال الانسانية وأن يجنّوا في تقريب المسافات وجميع الأعمال فأرجع اليه هناك . فهناك يفكر بعضهم أن يستخدم سرعة دوران الأرض في تقريب المسافات الخ . أما هنا فان القوم وصالوا الى ما باتى ذلك أن القوم في (برلين) و(مونيخ) بألمانيا جربوا في معامل (أو بل) الشهيرة طرازاً جديداً من المركبات وذلك أنهم لا يدبرونها بالمحركات المعروفة . كلا . بل يدبرونها بجهاز من الأسهم الغازية تقذف الغاز من أنابيب خاصة وتسير بقوة اندفاعه بسرعة عظيمة وقد جرت مركبة من هذا النوع فبلغت سرعتها في ثمان ثوان مسافة عظيمة وقد تعاقبت معامل (أو بل) مع الطيار الألماني (راب) المشهور يركب طائرة صغيرة تجهز بالجهاز السهمي الجديد وترتفع عن الأرض بسرعة (٥٠) كيلو متراً ثم تبلغ سرعتها (٤٠٠) كيلو متراً في الساعة وتشتد طياراً أخرى بعد انعام التجارب الأولى للسير بسرعة عشرة آلاف كيلو متراً في الساعة وطيارة كهذه تستطيع أن تقطع المسافة من الأرض الى القمر في أربعين ساعة فقط . ولكن لاشك في أن المسألة ليست مسألة اجتياز المسافة فقط بل مسألة الصعوبات العلمية العظيمة التي لابد لحجى السفر الى القمر من تذليلها قبل أن يميزوا على رؤية عالم غير هذا العالم . ويعود الفضل الأول في البحث عن هذا الجهاز السهمي الى الباحث الألماني (ماكس فالبه) وقد كان أول من أنشأ الجهاز ثم أخرج فكرة ذلك الباحث الكبير الى حيز العمل المهندس الألماني (فردريك سندر)

على أن الذين يقومون الآن بهذه التجارب لا يفكرون في السفر الى القمر مباشرة حالما يصنعون طيارة ذات جهاز سهمي بل يريدون أن يعرفوا ما في جو الأرض قبل أن يزوروا جو القمر وسيدبّدون مباحثهم بالارتفاع الى علو عظيم يبلغ عشرة آلاف متر حتى يستطيعوا أن يعرفوا مقدار ضغط الهواء عنده وطرق مقاومته . ولما كان ضغط الهواء ضعيفاً جداً على ذلك العلوّ فتجتاز المسافة بين القارتين بسرعة وسهولة عظيمة بفضل الجهاز السهمي من جهة وضعف مقاومة الهواء من جهة أخرى

وإذا جاء الجهاز السهمي بالنجاح المنتظر منه فان الاحتمالات التي تفتح أمام العلم وأمام حركة النقل في العالم ستكون عظيمة جداً لأنه لابد من أن يحمل هذا الجهاز في المستقبل محل المحرك ذى الاحتراق الداخلي الذي تسيربه الطيارات والسيارات والسفن الحديثة اليوم كما حلّ هذا المحرك محل المحرك البخاري الذي تقدمه . وهكذا يسير علم النقل من الحمار الى البخار فالزيت ثم الغاز . ومتى كشف الانسان أسرار الكرة الهوائية المحيطة بالأرض فلاشك انه سيشرع في استكشاف ما وراءها ويفكر عندئذ في رحلة الى القمر تبدأ أولاً بحجب الاستطلاع العلمي وتتمتعي عند ظهور نتائج حسنة منها بالنسي الى الحصول على الفوائد المادية . وستظهر النتائج الأولى لتجارب الجهاز السهمي في هذا الصيف ويتلوها درس طبقات الهواء العليا على الأرض فاذا نجحت كلها فان فكرة السياحة الى القمر التي حلم بها (جول فرن) لانبثق حتماً بل تصير حقيقة مشهودة ليطعن علماء

الاحياء وقالوا إن الأرض ان تضيق بسكانها بل قبل أن تمتلئ بهم وتجزئ خبراتها عن اشباعهم سيكتفون أرضاً أخرى في الكواكب السياره وينقلون اليها لتخفيف الضغط على هذه الأرض المسكينة . قالوا وفي ذلك الحين تصير ادارة البريد اعلانات تنبه بها على الناس أن يذكروا اسم الكوكب الذى يقيم فيه الشخص المرسل اليه الخطاب فلا يكتفون بكتابة لفظة (مصر) أو (ألمانيا) أو (انكلترا) للدلالة على المملكة التى يقيم فيها الشخص بل يضيفون اليها الأرض أو القمر أو المريخ . انتهى

أقول أنا لم أذكر هذه المسائل على أنها حقائق ولكن ذكرتها لأبين للمسلمين كيف أخذ العلم يزداد عند الأمم وكيف يفكرون في تلك الزيادة . ذكرتها هنا لقول الله تعالى - وقل رب زدنى علما - فكأن هذه الدعوة ظهر أثرها في أمة الدعوة . أما أمة الاجابة وهم نحن المسلمين فهم خلا من حب تلك الزيادة . فأما مسألة العروج الى القمر وقوله انهم يسكنون هناك أوفى كواكب أخرى فهذه أمور خارجة عن الطور الانساني الحالى وتراهم يقولون انها حلم (جون فون) . وأنا أقول وأنا أيضا حدث هذا الخلق وذلك انى رأيت في المنام انى طلعت أرض القمر وصرت أقول في نفسى حسن حسن أهل الأرض اذا أرادوا الاستعمار فهاهذا القمر يسعهم وكنت مشغولا بأمر الأشجار وزرعها في مصر لأجل الطيور المتقادمة ذكرها في سورة يوسف فرائت في أرض القمر شجرا فقلت الحمد لله هنا شجر تيش فيه الطيور النافعة للزراعة - وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين - وهذه خطرات للأفئس . واعلم أن سكنى الكواكب لأهل الأرض غير معقولة لأن اسكل كوكب جوا يخاف الآخر كما ان لكل حيوان غوا يخاف الآخر كما تقسم في هذه السورة وقد أشارت لذلك الأرواح في استحضرها فليس من المعقول أن يعيش أهل الأرض بأجسامهم في كوكب آخر والحمد لله رب العالمين ﴿ بيان أن آية - وقل رب زدنى علما - ميزان الأمم ارتقاء وانحطاطا ﴾

وتبيان ما قاله السلامه ابن خلدون في ذلك . وبيان مجالس العلم والأدب في العصر العباسى على يد العباسيين في بغداد وبنى بويه في العراق وفارس وبنى سامان في الدولة السامانية في تركستان وهكذا الدولة الزيارية في طبرستان والدولة الغزنوية بأفغانستان والهند والدولة الجدينية في حلب والموصل والمروانية بالأندلس والفاطمية بمصر وأن هذه الدول رفعت شأن العلماء فبقيت ولما زال احترام العلم والعلماء انحطت الأمم الإسلامية وبيان اختيار العلم الى بلاد أوروبا ونصر الملوك هناك للعلماء من أى أمة كانوا . وتبيان أن علما كثير (بأستور) الآتى ذكره بفرنسا بنى أئمة مجدا وسعة في الرزق لاحد لأمد . فهكذا يجب أن يكون ذلك في مستقبل الاسلام امتثالاً لقوله تعالى - وقل رب زدنى علما -

(١) هذا بيان مقالة العلامة ابن خلدون في مقدمته تحت عنوان ﴿ فصل في أن علامات الملك التنافس في الخلال الجيدة وبالعكس ﴾ ذكر هنا أن خلال الخير أغلب على الانسان من خلال الشر وأقول إن هذا حق لأن عالم المادة كله غلب خيره على شره ولولا ذلك لم يبق في الوجود . ثم قال ﴿ إن العصبية لها غاية وما غايتها إلا الملك ﴾ ثم قال ﴿ ان وجود العصبية من غير خلال جيدة نقص فكيف يكون حال الملك اذا كان بإخلال جيدة . إذن الخلال الجيدة لا يد منها للملك ولحفظه ﴾ ثم قال ﴿ فاذا وجدنا أن الذين يتقربون على كثير من النواحي والأمم يتنافسون في الخير وخلاله من الكرم والعفو عن الزلات والاحتيال من غير القادر والقرى للضيوف وحل المشاكل وكسب المعتمد والصبر على المشاكه والإفراء بالهدم وبذل الأموال في صون الاعراض وتعظيم الشريعة واجلال العلماء الخاملين لها والوقوف عند ما يحدونه لهم من فعل أو ترك وحسن الظن بهم واعتقاد أهل الدين والتبرك بهم ورغبة الدعاء منهم والحياء من الأساكر وتوقيرهم واجلاطهم والاعتقاد الى الحق مع الداعى اليه وانضاف المستضعفين من أنفسهم والتبذل في أحوالهم والاعتقاد للحق والتواضع للمسكين واستماع شكوى المستغيثين والتدين بالشرائع والعبادات والقيام عليها وعلى أسبابها والتباقى عن القدر والمكر

والخدمة وقض العهد وأمثال ذلك . قال فإذا علمنا ذلك في المتفليين علمنا أن هذه أخلاق السياسة قد حصلت لديهم واستحقوا بها أن يكونوا ساسة لمن تحت أيديهم أو على العموم وأنه خير من ساقه الله تعالى إليهم مناسب لعصبيتهم وعظمتهم وليس ذلك سدى فهم ولا وجد عندهم منهم . والملك أنسب للارتاب والخيرات لعصبيتهم فعلمنا بذلك أن الله تأذن لهم بالملك وساق إليهم وبالعكس من ذلك إذا تأذن الله بإقراض الملك من أمة جعلهم على ارتد كآب المذمومات وانتحال الرذائل وسارك طرقها ففقد الفضائل السياسية منهم جملة ولا تزال في انتقاص إلى أن يخرج الملك من أيديهم و يقبل به سواهم ليكون نفعاً عليهم في سلب ما كان لله قد آتاهم من الملك وجعل في أيديهم من الخير . وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً . ثم قال واستمر ذلك وتبعه في الأمم اللاحقة تجد كثيراً مما قلناه ورسومه . ثم قال واعلم أن من خلال السكال التي يتنافس فيها القبائل العصبية وتكون شاهدة لهم بالملك إكرام العلماء والصلحين والأشراف وأهل الأحساب وأصناف التجار والغرباء وإنزال الناس منازلهم سواء أكان هؤلاء من أهل العصبية أم كانوا ضعفاً . ولهذا يكون أول ما يذهب من القبيل أهل الملك إذا تأذن الله بسلب ملكهم إكرام هذا الصنف من الخلق . فإذا رأيت قد ذهب من أمة من الأمم فاعلم أن الفضائل قد أخذت في الزهاب عنهم وارتقب زوال الملك منهم . وإذا أراد الله بقوم سوء فلا مرد له . والله أعلم . انتهى بالحرف من ابن خلدون مع قليل من الاختصار . وإنما ذكرت هذه المقالة مع طولها لأنها هي القاعدة التي سأبنى عليها ما سأذكره من أن حب العلم والعلماء وإكرامهم هو محور الرقي . وبضدها تميز الأشياء . فهناك العصر العباسي الذي ابتداء سنة ١٣٣ هـجريه وانتهى سنة ٦٥٦ هـجريه أي من سقوط الدولة الأموية إلى سقوط بغداد على يد هولاكو سنة ٦٥٦ هـ وقد جعلها المؤرخون للمعاصرون لنا (أربعة أدول الأول) إلى سنة ٢٣٢ والثاني من ابتداء خلافة المتوكل إلى استقرار الدولة البويهية في بغداد سنة ٣٣٤ (والثالث) ينتهي بدخول السلجوقية بغداد سنة ٤٤٧ هـ (والرابع) إلى سقوطها في يد هولاكو والتتار كما تقدم

لقد كان الرشيد والمأمون وقياسهما المنصور والهادي والمهدي كل هؤلاء كانوا يكرمون العلماء ويحرمون على نشر العلم وهذا أمر مشتهر . فلنذكر ما كان من أمر العلم وإكرام العلماء بعدهم أيام هرون بن محمد بن هرون الوائقي ويكنى بأبي جعفر قد بويع بالخلافة سنة ٢٢٧ قال المسعودي كان الوائقي محباً للنظر مكرماً لأهله مبغضاً للتقليد وأهله محباً للأشراف على علوم الناس وآرائهم عن تقدم وتأخر من الفلاسفة والمتطبيين . وهنا ذكر هيئة المجلس الذي كان يذاكر فيه الطب مع العلماء مثل (ابن ماسويه) و (ابن بختيشوع) و (حنين ابن اسحق) إذ أخذوا يتباحثون معاً بمشركة الخليفة لهم في الطريق الذي يدرك به الطب هل هو التجربة فقط كأن يرى الناس الرعاف والاسهال والتي وتنجحها . وكان يرى الإنسان في المنام أنه عاجل مريضاً بدواء ففعل ذلك فشفي . أو يحضر ببناه ذلك في البظطة فيفعله فيشفي . وهكذا ذكروا أن جمهور الأطباء يجرون على القياس والقياس مقدمات أولية مثل معرفة طبائع الأضواء والأبدان والأهوية والأعمال والصناعات والاعادات والاطعمة والأشربة ثم بحثوا في الأستان وأقسامها وإنما ٣٢ سنة . وهكذا ذكر (حنين) أن خمسة تغير ألواء وهي أوقات السنة وطلوع السكواك وغروبها والرياح والبلدان والبحار وأن أحوال البلدان (أربعة) ارتفاع وانخفاض ومجاورة الجبال والبحار وطبيعة تربة الأرض . ثم قال إن ارتفاع البلدان يجعلها أبرد وانخفاضها يجعلها أسخن . فأما مجاورة الجبل فإن كان الجبل جنوبه كان البلد أزيد برودة وإن كان الجبل في الشمال كان البلد أسخن . ثم قال وإذا كان البحر من البلد من ناحية الجنوب فإن ذلك يسخن ويرطب وإن كان في ناحية الشمال كان ذلك البلد أبرد . ثم قال وإذا كانت البلدان أرضها حجرة كان ذلك البلد أبرد وأخف وإن كانت طيناً جعلته أبرد وأطب . وإذا جاورت البلاد تقائع ماء أوجف أو بقولا عفنة وغير ذلك مما يتعفن

تغير هواؤها . انتهى ما اخترته منه

هذه سيرة الواثق وكان يتشبه بالأمون في حركاته وسكناته فلما توفي الواثق وخلفه أخوه جعفر المتوكل انصرف بعض الانحراف على العلماء فقد قتل ابن السكيت وغضب على يحيى شوع الطيب وقبض ماله ونفاه الى البصرين وسخط على عمر بن مصرح الراسخي وكان من عليه الكتاب وأخذ منه مالا وجواهر وأمر أن يصنع به ذلك في كل يوم ولما قتل المتوكل اضطربت الأحوال واستفحل شأن الأتراك ونفرت قلوب طلبة العلم وأكثرهم من الفرس والعرب ففرقوا من بغداد رويدا رويدا الى فروع المماليكة العباسية

أفلا ترى عقاب الله للدرلة . أفلا تراه أنزل العقاب صارما على الأمة على ما فعله المتوكل . قتل بعض العلماء ونفى بعضا وصفع بعضا فقتل هو أولائم اختلت المملكة وقويت شوكة الدولة على الملوكة وهاجر العلم من بغداد فالتوكل وأمثاله لم يقولوا - رب زدني علما - كما أمروا بل قالوا رب زدني جهلا . وهذا كقوله تعالى في سورة (سبا) - قالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم - . إن أهل سبأ لم يطلبوا من الله أن يباعد بين أسفارهم بل كان فعلهم من التخريب والسلب والنهب أوجب ذلك نفويز البلاد وطوات مسافات السفر في القفر بعد اتساع نطاق المهارة . هكذا هنا لم يقل المتوكل رب زدني جهلا وإنما جرى على أساليب لا يوافق ازدياد العلم كما أمر في الآية فتمت لكفة العذاب فهذا مصداق ما قاله ابن خلدون فيما ذكرناه وأن احترام العلماء علامة الرفعة والعكس بالعكس

﴿ الدول التي تفرغت من الدولة العباسية ورغبتها في العلم ﴾

اسم الدولة	مقرها	مدة حكمها	جنس مؤسسها
المروانية	الأندلس	من سنة ١٣٨ - ٤٢٢	عربي
السامانية	وراء النهر	من سنة ٢٦١ - ٣٨٩	فارسي
الزيرية	جرجان	من سنة ٣١٦ - ٤٣٤	فارسي
الجدانية	بين النهرين وحلب	من سنة ٣١٧ - ٣٩٤	عربي
البويهية	العراق و فارس وغيرها	من سنة ٣٢٠ - ٤٧٤	فارسي
الغزنوية	أفغانستان والهند	من سنة ٢٥١ - ٥٨٢	تركي
الفاطمية	مصر	من سنة ٣٥٧ - ٥٦٧	عربي

﴿ عز العلم في ظل الدولة البويهية ﴾

أنصار هذه الدولة الدليم من الجبلان وراء خراسان وآل بويه يرتفعون في نسهم الى مالوك الفرس القدماء وجد آل بويه اسمه (بويه) ولقبه أبو شجاع له ثلاثة أبناء هم علي ولقبه عماد الدولة وحسن ولقبه ركن الدولة وأحمد ولقبه معز الدولة . كان آل بويه هؤلاء يحبون العلم والأدب وكان وزراءهم من العلماء والشعراء والكتاب كابن العميد والصاحب بن عباد وسابور بن أزدشير المهلي بل نفس مالوك آل بويه اشتهر بعضهم في العلم والأدب مثل عضد الدولة وقد قرب اليه العلماء واستحسنهم على تأليف الكتب فألف له أبو اسحق الصافي كتابا في أخبار (آل بويه) . وألف له أبو علي الفارسي كتاب (الانصاف والتكليف) في النحو وقصده المنه والسياسة وغيرها . ومن شغفه بالشعر تبنى أن يكون هو المصاحب بدل ابن بقیة الوزير لثقل فيه قصيدة محمد بن عمران الانباري التي مطلعها

علو في الحياة وفي الممات * لعمرك تلك إحدى المجيزات

وقد كانت عظمت دواتهم كلها ترجع لنصرهم العلم وشدة رغبتهم فيه . فاننا كيف كان ركن الدولة (ابن

بويه) في الري وحمدان وأصبهان مستوزرا ابن العميد الكاتب المشهور . وهكذا بهاء الدولة بن عضد الدولة في العراق والأهوار استوزر ساور بن أردشير فأنشأ هذا الوزير في كوخ بغداد خزانة كتب وقفا على افادة الناس . قال ياقوت لم يكن في الدنيا أحسن كتب منها كانت كلها بخطوط الأئمة المعتبرة وأصولهم المحترمة . وقد كان صاحب بن عباد وزير مؤيد الدولة بن ركن الدولة ثم وزير لفخر الدولة أخيه وكان له عشرات من أهل العلم والأدب يقيمون عنده وعشرات يقدون عليه

﴿ الدولة السامانية في تركستان ﴾

رأس هذه الدولة سامان من أشرف بلخ وأعقابها أنشؤا دولة عظيمة في خراسان وتركستان وزهت في أيامهم بخارى فكانت مجمع الأدباء والعلماء والشعراء واشتهرت نيسابور وقد انشئت فيها أقدم المدارس الإسلامية وملك هذه الدولة عشرة واشتهر كثير منهم بالعلم والأدب ومنهم منصور بن نوح الذي استوزر البلخي العالم الفارسي فترجم له تاريخ الطبري إلى اللغة الفارسية وخلفه ابنه نوح وهو الذي اقترح فظلم الشاهنامه (البازة الفرس) في الفارسية اقترح ذلك على شاعره الدقيق فظلم له بعضها . ولما قتل أمها الفردوسي بعده بإشارة السلطان محمود الغزنوي . ولما سمع نوح بشهرة صاحب بن عباد وزير البويهيين كتب إليه سرا يستدعيه إلى بخارى ليفوض إليه وزارته وتدير مملكته فاعتذر صاحب بأن كتبه تحتاج في نقلها إلى ٤٠٠ جل والكتب التي جمعها نوح هي التي ذكرها ابن سينا في تاريخه انه استفاد منها في صباه وأن منها كتباً نادرة الوجود

﴿ الدولة الزيارية في طبرستان ﴾

أول ملوكها مردوج بن زيار وأشهرهم بحب العلم ونشره شمس المعالي قابوس بن وشكير سنة ٣٦٦ - ٤٠٣ هـ كان كاتباً عنده معرفة بالفلسفة والنجوم والنجامة . وقد ألف رسالة في الاسطرلاب وكان يرسل صاحب بن عباد وهو القائل الآيات الآتية

قل للذي يصروف الدهر عيرنا * هل حارب الدهر إلا من له خطر
أما ترى البحر تعالو فوقه جيف * وتسقر بأقصى قعره الدّر
وفي السماء نجوم ما لها عدد * وليس يكسف إلا الشمس والقمر

﴿ الدولة الغزنوية بأفغانستان والهند ﴾

مقرها غزنة وأعظم ملوكها السلطان محمود سنة ٣٨٨ - ٤٢١ صاحب الفتوح العظيمة في الهند وناشر الاسلام فيها وكان يلقب بيمين الدولة . فتح بخارى وخلف الدولة السامانية فيها وغلب على الزياريين وحكم أفغانستان وتركستان وخراسان وطبرستان وسجستان وكشمير وشمال الهند . والذي يهمني أن مجملته كان حافلاً بالعلماء والشعراء وتلك كانت عادة ملوك عصره . وقد اقترح على الفردوسي اتمام الشاهنامه فأتمها كما تقدمت

﴿ مسامرة ﴾

كان محمود هذا لا يسمع بعالم أو شاعر إلا استدعاه إليه فعمل أن في مجلس مأمون بن مأمون أمير خوارزم جماعة من رجال العلم والفلسفة . وفي جلستهم ابن سينا الطبيب والبيروني الرياضي المؤرخ وأبو سهل الميحي الفيلسوف وأبو الحسن الخوارزمي وأبو نصر العراقي الرياضي وغيرهم فتأقت نفسه إلى احرازهم في مجلسه فكتب إلى مأمون كتاباً أرسله مع بعض خاصته خلاصته ما يأتي ﴿ علمت أنت في مجلسك جماعة من العلماء المبرزين مثل فلان وفلان فأرسلهم إلى ليشتروا بمنجلتي ونستفيد من علمهم فلم يكن للأمر مناص من اجابة الطلب لكنه كان حريصاً عليهم فقتل عليهم الكتاب وقال لهم انه لا يقوى على رد طلبه لبقيل البيروني والخوارزمي (تشدت اليم) والعراقي بالذهاب وفر ابن سينا والميحي . ان اكرام العلماء كان في نظر أهل ذلك العصر من أسباب الأبهة وأدلة الحضارة . فهذا رأينا من الأمم الفارسية أكرموا العلماء وعظموا العلم

وتنافسوا فيه لأن لهم سابقة في ذلك وهم الأكاسرة ملوك الفرس أولئك الذين شادوا للعلم منارا ورفعوا له قدرا . وهؤلاء الملوك على آثارهم يهرعون وبهم يقتنون وعلمهم يقومون وبسيرهم يقتدون . فهل يعلم ذلك أمراء العرب بالجزيرة اليوم ولآبائهم دولة كانت شامخة الذرى رفيعة القدر . فهل يشرفون آباءهم باحتدائهم حذوهم كما فعل أولئك الفارسيون

إن هؤلاء الملوك الفارسيين سواء أكانوا من الزياريين أوالبويهيين أوالسامانيين قد نزعوا في اكرام العلماء الى مآثرع اليه كسرى إذ أرسل برزويه الطبيب الفارسى الى بلاد الهند ليترجم كتاب « كائلة ودمنة » فتوجه الطبيب المذكور خفية الى الهند وترجم الكتاب ورجع وقرأه على الملك ووجوه القوم فأكرم مشواه وأثله المنزلة السامية وخلع عليه وقال له خذ ما نشاء من المال فقال . كلا . ثم كلا ولكنى أريد أن يكتب وزيرك تاريخ حياتى فى مقدمة الكتاب تشريفا لى ففعل وكتب تاريخ حياته وأنه كان من أبوين شريفيين وأنه طلب العلم لله والدار الآخرة لا لاجاه ولا لمال وأنه كان يأخذ على التطيب أجرا عظيما من الأغنياء ويصرفه على الفقراء المرضى ويواسيهم من جيبه الخاص وأنه كان يعتقد أن من طلب العلم لأجل العلم ولله نال الدنيا مع العلم ومن تعلم العلم للدنيا فقط لم ينل حظ الآخرة . فطالب العلم إما أن يكون عمله كالخطبة أو كالكلأ فزفرع الخطبة ينفع للإنسان والحيوان وزرع الكلأ لا يفيد إلا البهائم . فمن طلب الأعلى نال معه الأدنى ومن طلب الأدنى لم ينل الأعلى . اهـ

﴿ حب الدولة المجدانية فى حلب والموصل للعلم ﴾

هؤلاء من قبيلة تغلب وهذه الدولة حكم منها أربعة أمراء فى الموصل وخمسة فى حلب حتى خرجت الموصل منهم الى البويهيين سنة ٣٨٠ واستولى الفاطميون على حلب سنة ٣٩٤ وكان سيف الدولة أبو الحسن على صاحب حلب ممدوح التني ونفس سيف الدولة كان شاعرا نقادا للشعر محبا للعلم مقربا للعلماء

﴿ الدولة المروانية بالأندلس ﴾

إن الناصر وابنه الحكم كانا محبين للعلم وهذا تقدم فى هذا التفسير وأمرهما مشهور وكان الفقهاء والأدباء يحضرون مجالسهما . وكان الناصر مولعا باقتناء الكتب فجمع منها ما لم يجمعه أحد قبله . وأثناء فى قرطبة مكتبة جمع اليها الكتب من أنحاء العالم كان يبعث فى شرائها رجلا من التجار ومعهما الأموال ويحضرهم على البذل فى سبيلها لينافس بنى العباس فى اقتناء الكتب وتقريب الكتاب . وكان أبو الفرج الأصبهاني صاحب الأغاني معاصرا له وهو أموى فبذل ألف دينار ذهب على أن يرسل اليه كتاب « الأغاني » قبل استرجاعه الى بنى العباس . وفعل نحو ذلك مع القاضى أبى بكر الأبهري المالكي فى شرحه لمختصر ابن عبد الحكم وغيره وكانت فيهارس السواوين وحدها (٤٤) فهرسا فى كل فهرس عشرون ورقة . قال بعضهم فإذا قررنا للصفحة (٢٥) اسما فقط كان مجموع عدد السواوين (٤٤٠٠٠) كتاب فكيف بسائر الكتب . ويقول ابن خلدون ان مجموع ما حوته تلك المكتبة (٤٤٠٠٠٠) ونبع من مملوك الطوائف بعدهم جماعة مثل اسماعيل بن ذى النون المتوفى سنة ٤٣٥ هـ

﴿ الدولة الفاطمية بمصر ﴾

استولى الفاطميون على مصر سنة ٣٥٧ هـ وقد نبغ فى تنشيط العلم منهم اثنان العزيز بالله سنة ٣٦٥ - ٣٨٦ والحاكم بأمر الله سنة ٣٨٦ - ٤١١ فأنشأ خزائن الكتب فيها مئات الآلاف من المجلدات فى العلوم فى مكتبته التى كانت تسمى (دارالحكمة) أو (دارالعلم) وقد أبلغ فيها المناظرة للمتريدين اليها ورسول لهم الطاعة والنسخ وهى التى قادها أستاذنا المرحوم على مبارك باشا فقال لاسماعيل باشا « إن مصر كانت فيها دارالعلم يحضر اليها رجال ينظرون فى أنواع العلم فأذن لى أن أحضر طالبا من الأزهر نسيمهم طلبة (دارالعلوم) فأذن له فنادر

العلوم هي المكتبة الخديوية بدرب الجاميز إذ ذاك . ثم استأذن في أن يفتي مدرسة اسمها (مدرسة دار العلوم) المعروفة الآن بمصر . وهي المدرسة التي تعلمنا فيها ولولاها لم نكن نعرف شيئاً من العلوم والفضل في ذلك للقنوة الحسنة بالحاكم بأمر الله جعل أستاذنا المكتبة الخديوية كأنها دار الحكمة وتحيل في أن يجعل لها مدرسة وقد مضى لها ٩٠ سنة الآن وحسن التحيل من وزير المعارف أستاذنا المتقدم . وهكذا صارت هذه المدرسة نبراسا لمصر ولغيرها من البلدان في هذا القرن العشرين . وهكذا أنشأ الحاكم (لرصد الحاكم) وبناء على جبل المقطم وبقى عمدة الراصدين حتى بنى نصير الدين الطوسي مرصده في مراغة بتركستان سنة ٦٥٧ هجرية

﴿ تذكرة في أجد بن طولون ونصره للعلم ﴾

لقد كان أجد بن طولون يفعل ما فعله أولئك الأمراء فقد كان له مجلس عام يحضره العلماء من كل حذب وصوب . وأذكر اني قرأت للسعودي المؤرخ انه يوما قال هل بقي من العلماء أحد في مصر لم أره فقالوا له هناك في أقصى الصعيد عالم قبلي تبلغ سنه ١٣٣٦ سنة يسكن في منزل على شاطئ النيل فأمر باحضاره مكرما معظما فلما حل بساحة الأمير بمصر ووضعت أمامه المائدة للمكسية أخرج ما كل من حقيقته وقال دعوني أكل مما اعتدت عليه فان هذه البنية اذا غيرت طعامها اختلفت واعتلت وأسمرت للزوال فبقاؤها خير لكم لتذفخوا بها فلما بلغ الأمير ذلك أذن فيه وأباح له ذلك . ولقد أدهش علماء المسلمين والنصارى واليهود حين تباحثوا معه . وقد سأله عن الهرم وبناءه وعن الكتابة التي عليه وعن بعض جزائر البحر الأبيض المتوسط وعن بعض الجعيرات القريبة من البحر الأبيض المذكور فكان يجيبهم أجوبة طريفة فيها في الكشف الحديث وأذهل القوم علمه وحكمته فسأله المسلمون كيف اتبع دين المسيح وأنت حكيم فيلسوف وهذا الدين مضطرب فقال هذا الدين حق لأنه مخالف للعقل . ذلك انهم يقولون إن الإله رأى ابنه يضرب ويصفع ويحرق ويصلب ويجعل أصحوكه ويذل وهو يستغيث والكيل الشوك والقتاد فوق رأسه وأبوه القادر على كل شيء لا يرد عليه ولا يغيثه ولا يرجه . فن هذه الوجهة عقول بني آدم لا تصدق هذا الدين . ولكنني وجدت أناسا من القديسين قد اهتموا بهذا الدين وصاروا صلحاء فاتبعته واهتديت بهديهم . إذن هذا الدين فوق العقل . فلما سمع المسلمون والنصارى ذلك رضى الطرفان بقوله ، وخاطبه يهودي في المجلس كالمعتز عليه فقال له يهودي أنت قال نعم قال أيها الأميرانه مجوسى فغضب اليهودي فقال أيها الأمير سله أليس في التوراة أن الانسان يتزوج ابنة أخيه فقال بلى قال أليس الانسان اذا مات أخوه وجب عليه أن يتزوج زوجته قال بلى قال له إذن يتزوج بنته أفليس هذا دين المجوس بعينه فبهش الحاضرون من قوله وزاد الرجل احتراما واعظاما واجلالا . انتهى

ولأختم هذا المقام بذكر موقف الدين عبد اللطيف البغدادي الذي ذكر في تاريخ حياته وكيف قرأ كل علم وكل حكمة من أدب وفافسة . وبالجملة لم يدع فنا إلا عرفه . فمثلا يقول حفظت اللع في ثمانية أشهر وتقويم اللسان في ١٤ يوما . وهكذا قال وحفظت كتاب النجاة وكتبت الشفاء وعيشت وهكذا . ولما كان المقام مقام البحث في تعاون الأمراء على العلم وتناسلهم فيه وحجهم للعلماء ضرتب الذكر صفحا عن تاريخ حياته كله فلا تخص الكلام بما كان من أمره مع صلاح الدين الأيوبي . قال ثم لفي توجهت الى زيارة بيت المقدس ثم الى صلاح الدين بظاهر عكة فاجتمعت بهاء الدين بن شداد قاضي العسكر يومئذ ثم جمعه على عماد الدين الكاتب . قال وهذا كرتي في مسائل من علم الكلام ثم قاموا الى القاضي الفاضل قال قرأته يكتب ويعل على اثنين . قال وسأني القاضي الفاضل عن قوله تعالى - حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها - الخ أين جواب اذا وأين جواب لوفى قوله تعالى - ولو أن قرأنا سيرت به الجبال - الخ وعن مسائل كثيرة ومع ذلك لم ينقطع عن الكتابة والاملاء فأرسله الى مصر وأوصى عليه بها وعاش بها أمدا طويلا ودرس في الجامع الأزهر

ثم توجه الى القدس ثم الى دمشق سنة ٦٠٤ والى هنا انتهى ما أردت من ذكر تعاون أمراء الاسلام وملوكهم على نصر العلم وحب العلماء وأن ذلك كما قال ابن خلدون هو رأس الأمر وملاكه
 خب العلم وتعظيم العلماء اذا حلّت بأمة فتع لها باب الفضائل وسائر أخلاق السكّال وذلك ايذان من الله بأنهم يملكون زمام السياسة . واذا أدبر عن الأمة هذا الحب أي حب العلم نفرت منهم سائر الفضائل ويتبعها ذهاب الدولة . فهذا التقدير من التاريخ يثبت لك بيانا لقوله تعالى هنا - وقل رب زدني علما - ولم يبين نوع العلم بل جهله عما كقولته تعالى - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - وإني لأعجب من هذه الآية وأقول إن الله لو أرسل رسولا وأيده بالمجرات فصدقه الناس ولم ينزل عليه سوى قوله - وقل رب زدني علما - لكفت في اظهار أهم وأجيال وملوك وحكّاء وعلماء وإن لم ينزل غير هذه الآية . ولقد عجبت لأهم الاسلام المتأخرة كيف ضلوا وجهالوا وبته عاقبة الامور . هذه هي الصورة الواضحة الظاهرة الباهرة الجلية من تعاون أمراء الاسلام على العلم وعلى احترام العلماء وحبهم وكيف رأينا المجد يصاحب العلم . فلما أن نسوا - وقل رب زدني علما - انحطت الأمم الاسلامية . وأذكرك بما جاء في سورة (الأنعام) عند قوله تعالى - يجعلونه قرايطس يبدونها ويخفون كثيرا -

﴿ انحطاط التعاليم في بلاد الاسلام ﴾

لقد استبان هذا المقام في سورة (الأنعام) وذكرت لك مافعله في القرن السادس إذ أحرق ابن المارستانية كتب الركن عبد السلام الجيلي موضع يقال له (الرجبة) ببغداد وهذا الاحراق بمشهد من الناس فاقراه مفصلا في سورة الأنعام وذلك سنة ٥٨٩ فانظر كيف أحرقت المسامون في هذا التاريخ ما جمعه من العلم في العصور الأولى وأعجب من صنع الله عز وجل كيف رأيت المتوكل العباسي شرد العلماء من بغداد وقتل ابن السكيت فبات هومقتولا وانتقل العلم من جذع الدولة الى أطرافها وتولاه أمراء من الفرس والترك والعرب غير العباسيين - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - فقد تغيرت عقول المسلمين في القرن السادس وقالوا ربنا لا زدنا علما بل قالوا . كلا . أقصص علومنا . فإذا فعل الله . لم يعض أقل من قرن حتى دخل هولاء كوف بغداد . لماذا . لأن المسلم اذا كان غبيا جاهلا يذله الله ولا يرضى لملك أن يكون غبيا لأنت نبيه ﷺ أمر أن يقول - رب زدني علما - أي وهو يزداد علما فإذا أخذ علمه في التقص أدله الله . ولقد كان علي بن الملقب بالسيف الأمدي مبرزا في علوم الأوائل فلما دخل بغداد جفاه الفقهاء ووقعوا في عقيدته ففرّ الى مصر سنة ٥٩٣ وظهر وعلم ثم حسده الفقهاء بها أيضا ففرّ منها أيضا هاربا . وهكذا قد أحرقت القوم كتب الغزالي بالأندلس وفي المغرب الأقصى . فلما كره المسلمون العلم سلط الله عليهم الحروب الصليبية وهجم المغول والتتار فاحتسحوا مابالكاتب من الكتب لاسيما ما كان منها في بخارى وسمرقند وما كان منها بحلب لما دخلوها سنة ٦٥٨ فقد مزقوا الكتب وأحرقوا ألوانا لا تحصى . وهكذا نذكر أيها الذكر ما تقدم في سورة (ابراهيم) من اضطهاد ابن رشد في الأندلس وكيف كان حاجب هشام بن الحكم يضطهد العلماء ويحرق الكتب . وكيف كانت دولة الموحدين فقد نصر العلم أولا عبد المؤمن ولكن يعقوب المنصور في ابن رشد وأمر بحرق الكتب فهي كالتى قبلها نصر للعلم أولا واضطهاد آخر . هناك تقرأ المنشور الذى نشر لتفتير الناس من الفلسفة والعلوم والحكمة . انتهى

﴿ التجاه العلم الى أوروبا ورجوعه الى انبانيا ﴾

انتقل العلم الى أوروبا وتنافس ملوكها في عصرنا على حب العلماء كما كان ذلك في الدول الاسلامية المفرقة من الدولة العباسية سواء بسواء ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ أن العلم لما جاء للمسلمون بقي عندهم وأعز دولهم ولما أهانوه وأهانوا حلميه وحرقوا كتبه التجأ الى الأمم المسيحية وقرت عينه هناك بهم . وهاهوذا بمد يده

الينا . وهانذا وآلاف مثلى فى المسلمين يمتون ايديهم له ليرجعوه الى نصابه فى بلاد الاسلام ومقره الاول
تلبية لقوله تعالى - وقل رب زدنى علما -

اذا قلت هرب العلم من بلاد الاسلام وقلت انه اوى الى الأمم المسيحية فليس معنى هذا انهم لم يحاربوه
كلا بل كان حريمهم لهم أشد فتكا وأعظم وقعا وأكثر صرعى . اقرأه فيما تقدم فى سورة التوبة عند قوله
تعالى - اتخذوا حبارهم وورثانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم - الخ فأنا لا أعيد مذكرته هناك
فقد قتر المورخون عدد الثين قتلا بأوامر من ديوان التفتيش الذى أسس فى سنة ١١٨٤ فى مجمع فيرونا
وصادق عليه البابا (ايونشيسوس الثالث) سنة ١٣٠٤ وبته نهائيا البابا (غريغوريوس التاسع) براءة
خصوصية . أقول قترهم المورخون بالملايين ولست أعيد مذكرته هناك بالتفصيل فارجع اليه . فهذه الملايين
المقتولون بأمر البابوات لم يقتل مثلهم ولا جزء من آلاف من عددهم عند المسلمين ولكن العجيب أن العلم
هرب من بلاد الاسلام مع قلة ضحاياه ولكنه وطدت أركانه وثبت بنيانه واشتد ساعده ونصر على أعدائه
فى أوروبا المسيحية مع كثرة ضحاياه وقتلاه * وفى المعنى * ومن طلب الحسنة لم يغفلها مهر *
وقال المتنبي

على قبر أهل العزم تأتى العزائم * وتأتى على قبر الكرام المكارم

وتعظم فى عين الصغير صفارها * وتصفى فى عين العظيم العظام

إن السعادة على مقدار النصب . تغلب العلم فى تلك الأصقاع الباردة على أعدائه بعد أن جنسدل من
أصدقائه آلاف الآلاف . أتدري ماذا حصل . عم أقطار أوروبا ثم حلّ بساحات أمريكا واليابان والصين
وهاهنا يحاول فتح عقول أم الاسلام فدخل ايران وبلاد الترك وقد دخل ظاهرا بلاد مصر ويحاول الرجوع
الى بلاد العرب . أتدري أيها الذكى لماذا صبر العلم هذا الصبر فنتجج ذلك بدعوة رسول الله ﷺ

﴿ الكلام على الشمس والأرض والأمم الاسلامية عليها والعلم والنبي ﷺ ﴾

الشمس أشبه بمرتقاة بالنسبة لعوالم الكواكب التى عظم عددها جدا . فاذا قدرنا شمسا بمرتقاة فلنتقدر
سائر الكواكب بمجموعة كالكرة الأرضية بل أكثر من ذلك وأرضا بالنسبة للشمس أقل من حبة رمل .
فاذا قام على هذه الحبة من الرمل أم وأم فان صورهم جميعا لاترى بأقوى المناظير . فاذا تصورنا أمة من تلك
الأمم التى لاترى على قبة تلك الحبة من الرمل . وقال قائل منهم أيها الناس إن ربنا الذى خلق هذه العوالم
كأها الذى شمسها عظيمة وأرضا بالنسبة لها صغيرة جدا قال لى أدعنى أن أزيدك علما . اذا قال ذلك قائل
منهم فلاجزم يقولون جميعا بلسان واحد . اذا كان ربنا قال لك هذا ففناه أن أعداءك وأعداء أمتك وأحبابكم
جميعا يتعاملون فيقول لماذا هنا فيقولون لأن حبة الرمل التى نحن عليها بالنسبة لعوالم صغيرة جدا ونحن
عليها قليل جدا بالنسبة لغيرنا . فاذا قال الله لنا ذلك واعتنى بنا مع عظمتنا فان هذا علامة على ريقنا جميعا

﴿ اوضح هذا المقام ﴾

لما قال النبي ﷺ والمسلمون ربنا زدنا علما آجاب الدعاء فنشتر العلم فى أوروبا والصين واليابان ونشر العلم
فى تلك الأقطار هوعينه زيادة علم للمسلمين لأن علم الأمم دخل علينا بلادنا وصناعاتهم وكتبهم قد أثرت فينا
فزدنا علما ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ أن موجة العلم أولا ماجت من الحجاز فعمت أما فى الشرق وحاربوها فعمت
أوروبا وبلاد الشرق كره أخرى . وهاتين أولاه تتعلم من علومهم التى كان أصل التحريض عليها من ديننا
فبالاختصار أن رقى العلم فى الشرق والغرب رقى للمسلمين منه . إذن الحركة الفكرية فى العلم فى الأمم استجابة
لدعوة نبينا محمد ﷺ وأمتنا لانا الآن ننقل فى هذا التفسير من علوم الأمم فزدنا علما وسيزيد قراء هذا
التفسير علما . كل ذلك بنقل علوم الأمم فزيادة علمهم زيادة علم لنا لإجابة لدعوة نبينا ودعوتنا بزيادة العلم

فاذا رأينا الصين في هذا الاسبوع (يوليو سنة ١٩٢٨) ارتقت وأمرت الأوربيين أن يسبروا على قوانينها فهذا من دعوته ﷺ . يا عجايب كل العجب . اننا لم نسمع في التاريخ أن الأمم كلها على خط واحد في التعليم إلا في هذه الأعصر ولم يحصل ذلك إلا بعد نزول نبي من عند الله وبلغ الأمم قائلا إن الله أمرني أن أدعوه أن يزيدني علما ولم يقطع العلم بعد أن نزلت هذه الآية وقد عمّ العلم الأمم كلها ولم يرد في التاريخ نظير هذا . اللهم انك أنت الذي جعلت الأمم كلها كأنها فرد واحد . فاذا علمت واحدا فقد علمت العموم . ومن قتل نفسا بغير نفس أوفسدت في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا . ومن أحييها فكأنما أحييها جميعا . اللهم ان أهل الأرض أمة واحدة بل هم كشخص واحد . وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون .

﴿ كيف يتعاون ملوك أوروبا وعلماءها على رقي العلم ﴾

لقد تقدم في سورة (إبراهيم) عند قوله تعالى . وذكرهم بأيام الله . كيف تعاون القوم في أوروبا على العلم . وكيف يرى أنت (نسخو برهي) العالم بالأجرم السجاية قد أعانته ملك (المانمارك) وملك الانجليز والإمبراطور ألمانيا وهكذا غيره وغيره فارجع اليه هناك . وأقول هنا فوق ما ذكرت هناك . تقدم أنت ذكرت هناك (ديدرو) الذي ألف دائرة المعارف الفرنسية وكانت هي السبب الأعظم في الثورة الفرنسية وهي التي زلزلت عقائد الشعب في رجال الدين فهذا المؤلف قد كان رقيق الحال فقيرا في فرنسا . ولما كبرت ابنته وأراد تزويجها لم يكن عنده مهر لها وعلمت بذلك الإمبراطورة (كاترينا) فأرسلت رسولا اشتري منه مكتبته بألف جنيه وأبقتها في باريس وأقامته حافظا لها براتب سنوي . فهذه إمبراطورة (الروسيا) ساعدت علما فرنسيا . وانظر إلى الأمدى المتقدم ذكره كيف اضطلع في مصر وفي بغداد لما أراد الله انحطاط العلم في الاسلام . وانظر إلى مجالس العلم عند الأمراء في القرن الرابع الاسلامي فيما تقدم كيف تعاون العلماء على رفعة شأن العلم عند إرادة الله رقي الاسلام والمسلمين

﴿ اعظم ملوك أوروبا وعلماءها للعلامة (لويس باستور) المتوفى سنة ١٨٩٥ ﴾

أذكر هذا العالم الآن لأرى المسلمين الحاليين تعاون الأمم المسيحية الآن على رفع منار العلم وكيف كان هذا العالم قد نفع فرنسا وزاد ثروتها بعلمه بحيث يقوم مقام مئات الألوف من الأغنياء (١) أرسل له أستاذه (ديماس السكاوي) الشهير وتوسل اليه توسلا أن يبحث في أسباب (ضربة دود القز) التي فشت في فرنسا سنة ١٨٥٣ . لأن (ديماس) كان ساكنا في المكان الذي اشتدت فيه الضربة وفعلت فعلها الربيع ولم يكن (باستور) رأى دود الحريق فاعتذر اليه بعدم اختباره في ذلك وطلب منه أن يعفيه لجأه الجواب من ديماس يقول فيه اني لائق بك وبقدرتك على اجابة طلبي رجة لبلادي المسكينة فان الرزء يفوق التصور وكانت ظواهر هذا الداء نقطا سوداء تعاو جسم الدود فيتأخر نموه ويختلف أقداره وتبطؤ حركته . وهكذا فعمل تجارب نجح فيها نجاحا باهرا (٢) ثم بحث مباحث أخرى مثل مبيحت الاختبار فأثبت بعد تجارب لاجل لذكرها أن الأجسام الذائبة اذا عرضت للهواء امتلاّت من الذرات الحية التي فيه . ومتى ماتت الجراثيم التي في تلك السوائل ولم تدخلها جراثيم أخرى من الهواء لم يتولد فيها شيء (٣) وهكذا بحث أمراض الدجاج والغنم والبقر وتوصل الى ذلك ومنع تلك الأمراض باضعاف الجراثيم المعديّة وقطعهم للمواشي بها . ولقد كان قبل ذلك يموت في فرنسا وحدها من المواشي ما يقدر ثمنه بعشرين ألف ألف فرنك سنويا . ولقد أتى عليه المسيو (بولي) في اجتماع المجامع الخمسة السنوي فقال ﴿ انظروا كيف ان الطبيعة قد كاشفته دفعة واحدة بسر من أغمض أسرارها (سر العسوى) وكيف ان العلم قد حوّل مسبب الموت الى دافع الموت الخ ﴾

وقال الاستاذ (هكسلي) ﴿ إن ما كشفه (باستور) يساوي المليارات الخمسة التي أعطتها دولة فرنسا لدولة ألمانيا غرامة ﴾ (٤) وقد قلده مجمع انكابترا الملكي نشان (رمفرد) سنة ١٨٥٦ وهكذا وزير الزراعة في

النسب أجزاء بعشرة آلاف (فلورين) على كشفه علة مرض دود القز . فانظر كيف تعاونت أوروبا على نصر العلم حفظت أموالهم ومواسيهم بنفس العلم . وكيف تعاون معاصروهم من الأمم الاسلامية لتجويل فطردهم من جبال الدين الأفعافى . ولما جاء الى مصر طرده منها فالتجأ الى الاسكندرية وكان معه نديم الكاتب المصرى فاحتل في قتلها بمكروب السرطان السلطان عبد الحميد . هذا ولما حاربت ألمانيا فرنسا وكان (باستور) من متخرجى مدارس ألمانيا ورأى عليها لقومه أرسل شهادة الدكتوراية الألمانية الى ألمانيا قائلا انه لا يقبل اكراما من أمة تحارب بلاده فأراد أهل بلاده أن يقلدوه نشانا ويقيموا له احتفالا فأبى فعضم مقامه اه هذه حياة (باستور) وأنا لم أكتب باستور في تفسير القرآن رمية من غير رام . كلا . وإنما كتبت هذا لأريك أن أستاذة (ديماس) يقول له انى واثق بك وبقدرتك على اجابة طلبة رجة بللادى المسكينة . فالحجب لعالم يتخاطب علما كلاهما عالم بالكيمياء يقول له ﴿ رجة بللادى المسكينة ﴾ ما أحسن هذا العلم وما أحسن هؤلاء العلماء . عالم يرجو علما أن يرحم البلاد من ضربة دود القز لأجل صنع الحرير . ففى نسعم أن علماء الاسلام بالمعاهد الدينية يفقهون أن الأمة تحت اشرافهم وهم قوامون عليها على هذا النحو

فانظر كيف عبر بالرجة . وانظر كيف كان نشر العلم في الشرق والغرب جاء بعد البعثة المحمدية والله يقول - وما أرسلناك إلا رجة للعالمين - فالرجة التي جاءت لدود القز وللعنم وللبحر بعض الرجة التي أرسل لها ﷺ وهي الايقاظ للعلم . إليك أيها الزكي أن تظن في التعصب لديني فهذه حقيقة ظاهرة لا تحتاج الى دليل أو برهان إن الهداية ﴿ ثلاث مراتب ﴾ المرتبة الأولى ﴿ هداية الأنبياء وهي هداية عامة لا تتعلق بالاشهاد بدون دخول في العلوم الجزئية والتفصيل ﴾ المرتبة الثانية ﴿ مرتبة الحكماء والهادة في الأمم . ينزل الله في كتاب سماوى على نبي فيقول له ادعنى أن أزيدك علما فيتبعه بعض العلماء وهم حكماء الأمة فيفهمون قوله فيقرؤن هذا التفسير وأمثاله فإذا يقولون . يقولون ان هذا كلام الله الموجز ولكن نحن لا نقصص على خطاب الناس بهذه الآية بل نتخاطب الناس بما يعلمون ونشوقهم للعلم بما يألفون ونوضح لهم فيفقهون ونذكرهم فيذكرون ﴿ المرتبة الثالثة ﴾ هم العلماء المختصون الذين يختصون بعلوم أو صناعات فيتقونها فينفقون الناس بعلمهم كأمثال (باستور) المذكور فهؤلاء قد شوقهم للعلم الحكماء والحكماء في الاسلام شوقهم العلم نبينا محمد ﷺ فإذا قلت لك أيها الزكي ان (باستور) قد أفاد فرنسا مالا قدر الذى بذلته لألمانيا في الغرامة وأفاد جميع أوروبا وأفاد المسلمين لأن دوابنا قد حفظت ونفوسنا من الطاعون بالاحتياطات الصحية . فليس معنى هذا أن هذا أرقى ما يصل اليه العلماء في الاسلام بعدنا . كلا . بل ان قراء هذا التفسير وأمثاله سيؤلف بعضهم وينشركتبنا تنشوق المسلمين للعلم على نحو ما كتبناه أو أحسن أو أقل . فهذا التشويق يحدث شوقا في بعض النفوس فيخرج علماء في مدارس ومدارس وينفعون الأمم لا المسلمين وحدهم في علوم وصناعات مختلفات كما فعل (باستور) وغيره . إذن حكماء الاسلام الذين يسوقون العلماء لعلوم الكيمياء والطبيعة والفلك أفضل ألف مرة من العلماء الذين تأثروا بأقوالهم . وهؤلاء الحكماء ماهم إلا جنود الأنبياء . فالأنبياء كشمس والحكماء كالأنوار . والعلماء كالنجوم وهؤلاء العلماء أشبه باستور المذكور وهذا معنى قوله ﷺ ﴿ أصحابي كالنجوم ﴾ فهذا معناه . أما الحكماء فكأنهم وهؤلاء العلماء أشبه باستور المذكور وهذا معنى قوله ﷺ ﴿ أصحابي كالنجوم ﴾ وهذا معنى . وأدعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا - انتهى يوم الجمعة ١٣ يوليوسنة ١٢٧٨

(نذكرة للأمة الاسلامية في تعاليم أوروبا)

قضى الله عز وجل أن يكون الخير مقرنا بالشر والمرض يتبع الصحة * قال الشاعر

ودعوت ربى بالسلمة جاهدا * ليصحنى فإذا السلمة داء

(وقال آخر)

والخير والشرّ مقرونان في قرن * فالخير متبع والشرّ محذور

قال تعالى - وأما نوح فهدى بناهم فاستحبوا النعمى على الهدى - وفي آية أخرى - وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة - الخ * وفي الآثار ﴿ اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ومن علم لا ينفع الخ ﴾ . أقول ههنا بمناسبة ذكرى (باستور) العالم الفرنسى وتكريس الأمة الاسلامية على علوم أوروبا فان هذا القول اذا أطلق على علته أدّى الى ترك الديار بلا قبح فما جنى الناس الورود إلا من خلال الشوك ولا تأكلوا لحماً إلا وجدوا معه عظماً ولا سمكاً إلا اجتهدوا في اجتنب شوكه والابتعاد عن مضراته فهذا العلم الأوروبي خير كثير يحيط به شرّ مستطير . أما كونه خيراً كثيراً فهو الذى أعتق تركيا وإيران والأفغان واليابان والصين من ظلم أوروبا . فهؤلاء كلهم استقلوا ولبسوا الأوروباً ثوب الفر وقاموها مقاومة الاباة الفوارس . كل ذلك كان لما قابل القوم عتوهم بنظيره وسلاحهم بسلاح مثله فتكافأ الشرق والغربى ورجع الظالمون الغربيون بخفى خنين . ذلك لأن حاملى العلم غير مغلوبين على أمرهم . أما أمتنا المصرية وأمثالها فانهم تعلموا ولكن احتلال الأجنبي أغرق العلم في بحر من المفساد والفسوق والخلاعة فما رأيت ذكياً من الأذكىاء إلا انقلب على عقبيه وضلّ سواء السبيل في زمن الشباب ولا مجدداً جيل الصورة إلا استحوذ عليه الرجال والنساء ففتنوه وأزلهوا عن منازل الأشراف الى دركات الرعاف والسوقة الجاهلين . وأكثر من تراه من المتوسطين في العلم والنزاهة من يسمى و يصبح ولا همّ له إلا المقام على وظيفة والمحافظة على سمته وبرّته . فاما العلم فاما هو مطلب المكاسب سلم المعاش . ففى وصل الشاب بهذا السلم الى معاشه رضى بحاله ولم يزد عالماً بل رجع فيه القهقري وإذا مات فسوف يرى . سألت ناظر مدرسة من المدارس المصرية وكان من تلاميذى بالمدرسة الخديوية . فقلت له إن المتقنين من أمم الاسلام كانت لهم في العلم طريقة شيقة وحب عجيب وذكرته بالنظير أسلوب موفق الدين عبد اللطيف البغدادي وكيف كان يحفظ الكتب في أيام معسودات على ماسر بك ولم يدر عالماً إلا قرأه ولا حكمته إلا درسها . فقال وهو مخلص في خطابه ﴿ نحن الآن في قبضة الانجليز والمدارس عندنا أن تكون برّتنا وهيتنا منمقة وتنطق بالانجليزية كما ينطقون . بهذا ترتقى . فاما العلوم فان الناس عنها معرضون . فلوان الوسط الذى نعيش فيه والبيئة التى تحمينا كانت معرمة بالتحصيل مداومة على العلم معمورة بمجالس الأدياء ومسامرة الحكماء لكننا أسرع الناس الى المزاجية فى المعارف وأقربهم زلقى الى التنافس فى العلوم وأشدّهم رغبة فيه . فانه إذن موقوف على الرغبة العامة وعلى حال الوسط . فالناس بأزمانهم أشبه منهم بأبائهم ﴾ . فقلت له قد صدقت وقلت قولاً سديداً

كل ذلك لأشعر الفاسد فى البلاد ونعم قدرة الفضلاء على تغيير المنكر لشدة شيعه ومساعدة المحتلين وامتييزات الأجانب فى البلاد فلتحذر الأمم الاسلامية أن يتعاطوا السم فى السم كما تعاطينا نحن المصريين . فهناك مجاء يوم الاثنين ١٦ يوليو سنة ١٩٢٨ و ٢٧ محرم سنة ١٣٤٧ منشوراً فى جرائدنا المصرية تحت عنوان ﴿ التقديم والجديد ﴾

عقدت احدى صحف لندن فصلاً في موضوع القديم والجديد قالت فيه ما بآنى بيننا تظهر مصر في عيون الغربيين غريبة أو بالأحرى روائية لما يحيط بها من هالة الشفق التاريخى نرى المصريين يطعمون الى أن يكونوا من أبناء العصر بل أن يبلغوا أسبابا (فوق العصرية) ونسمع اليوم من كل حلب وصوب عن التقدم فى مصر . تقدم العلوم والمعارف . تقدم النهضة الفكرية . تقدم الافكار الجديدة . تقدم اقتباس الآراء الغربية ونبد كل شئ قديم ورجى . هذه صورة حقيقية ولكن الى حدّ معلوم ونقطة معينة . نعم أن أمورا جسيمة تحدث فى مصر اليوم . ولكن هناك ناحية أخرى تظهر فيها حاشية الرقى تلك الناحية الحافية التى تؤثر فى حياة الناشئة المصرية وتحط من شأن السجاياء والطابع . فكم من الاحداث

والشبان يجد ما يأخذ بيده ويهوى به إلى أسفل الدرجات في تلك البسمة التي يسمونها المدنية الغربية كأشرطة
 السبحة التقيرة الخلة بالأداب التي يرونها يوماً بعد يوم في دور السينما والمؤلفات البذيئة التي يطالعونها والمعاشر
 الرديئة التي يلاقونها فلا يخرج الطالب من المدرسة إلا وهو عبد لمعادن وشهوات شهينة يظل أسيراً لها بقية
 أيام حياته وتكون عبثاً قبل أن يبرز تحت ومذلة تله وتضع أنفه في الرغام وتسمعه برصمة عار لا تمنح مازال حياً
 هذه حالة البنين . أما حالة البنات فأنتسكد وأضل سبيلاً فان زوجه الحية التي هبت على مصر والاندفاع
 الشديد في تعليم الاناث وتحرير المرأة واقتباس الملابس والأزياء الأوروبية ومضطرب ضروب الرياضة البدنية
 والألعاب والرقص وما إلى ذلك قد أوجبت طفرة في البلاد كان لها أشد مساس بالأداب وعبت بالفضيلة
 فانما أرادت مصر أن تصل إلى مصاف الأمم الراقية فعليها أن تحصر على الحياة الأدبية ولاسيا بين الناشئة
 والأحداث وأن تحسن تربية البنين والبنات وتفرس في فلوهم التقوى وخافة الله والحشمة والزاهة ومبادئ
 الشرف والأمانة . وغير التربية هي التي يوضع أسسها في البيت ويشاد صرحها في المدارس . انتهى
 ﴿ تذكرة ﴾ إن ظهور هذا التفسير اليوم في بلاد الاسلام موافق لحركة الإصلاح فيها فقد ألهم الله رجال الإصلاح أن
 يضعوا بذوره ليتخرج رجال في المعاهد الدينية على مشرب هذا التفسير . فانظر إلى ما قدمه صاحبنا الشيخ
 محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر إلى في ١٩ صفر سنة ١٣٤٧ الموافق ٦ أغسطس سنة ١٩٢٨
 لحكومتنا المصرية وهذا نصه

﴿ إصلاح الأزهر الشريف ﴾

(مذكره الاستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر)

أوجب الدين الاسلامي على أهله أن يختص طائفة منهم بحمله وتبليغه إلى الناس - فلولاً نفر من كل فرقة
 منهم طائفة ليستقوها في الدين ولينبذوا قومهم إذا رجعوا اليهم لعلمهم يحذرون - وأوجب الله على نبيه ﷺ
 أن يدعو الناس إلى السبيل الموصلة اليه - أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي
 أحسن - وقواعد العلماء كلها متفقة على وجوب السعي إلى نشر الدين واقتناع العباد بصحته وعلى وجوب
 حبايته من نزغات الاغلاذ وشبه الخللين . وفي الكتاب الكريم آيات كثيرة تحت على النظر في الكون وعلى
 فهم ما فيه من جلال ودقة صنع . وقد لفت النظر إلى ما في العالم الشمسي من جلال باهر وضع عظمى وفت النظر
 إلى ما في الحيوانات من غرائب تدفعها إلى الصنع الدقيق والأعمال التي لها غايات محددة . وأشار إلى سيرة الأولين
 وحث القرآن على العلم وفاضل بين العلماء والجهال وأعمال السلف الصالح وسير العلماء لا تدع شبهة في أن الدين
 الاسلامي يطلب من أهله السعي إلى معرفة كل شيء في الحياة . وقد تولى سلف علماء الأمة القيام بهذه المهمة
 على أحسن وجه وأكمله خلفوا تلك الثروة العظيمة من المؤلفات في جميع فروع العلم ودرسوا أصول المذاهب
 في العالم ودرسوا البيانات ودرسوا الفلسفة على ما كان معروفاً في زمنهم وكتبوا المقالات في الرد على جميع
 الفرق . وكانت للعقل عندهم حرمة وله حريته التامة في البحث وكان الاجتهاد غاية يسعى إليها كل مشغل
 بالعلم متفرغ له . ولكن الدماء في القرون الأخيرة استكانوا إلى الراحة وظنوا أنه لا مطلع لهم في الاجتهاد
 فأقفوا أبوابهم ورضوا بالتقليد وعكفوا على كتب لا يوجد فيها روح العلم وابتعدوا عن الناس فجعلوا الحياة
 وجهلهم الناس وجهلوا طرق التفكير الحديثة وطرق البحث الحديث وجهلوا ماجد في الحياة من علم وماجد فيها
 من مذاهب وآراء فأعرض الناس عنهم وتقموا هم على الناس فلم يؤدوا الواجب الديني الذي خصصوا أنفسهم
 له وأصبح الاسلام بالاجل وبإداعة المعنى الذي يتطلبه الدين . في الدين الاسلامي عبادات وعقائد وأخلاق
 وفقه في نظام الأسرة وفقه في المعاملات مثل البيع والرهن وفقه في الجنائيات . وقد عرض الدين الاسلامي
 لغيره من الأديان وعرض لعقائد لم تسكن لأهل الأديان (كذا) وأشار إلى بعض الامور الكونية في النظام الشمسي

والمواليد الثلاثة من جناد وثبات وحيوان

وقد هوجم الاسلام أكثر من غيره من الديانات السابقة ، هوجم من أتباع الأديان السابقة وهو جيم من ناحية العلم وهو جيم من أهل القانون . لهذا كانت مهمة العلماء شاقة جداً تتطلب معلومات كثيرة . تتطلب معرفة المذاهب القديمة فيها وحيديتها . ومعرفة ماضي الأديان السابقة . ومعرفة ما يتجدد في الحياة من معارف وآراء . ومعرفة طرق البحث الفلاني وطرق الاقتناع . وتتطلب فهم الاسلام نفسه من ينابيعه الأولى فهماً صحيحاً . وتتطلب معرفة اللغة وفقهها وآدابها . وتتطلب معرفة التاريخ العام وتاريخ الأديان والمذاهب وتاريخ التشريع وأطواره . وتتطلب العلم بقواعد الاجتماع والأمة المصرية أمة دينها الاسلام فيجب عليها وهي تتجاهر بذلك أن ترقى تعليمه ابرق حلتته ويكونوا سقاظاً ومرشدين يدعون الناس اليه . ولا يوجد دواء أجمع من الدين لاصلاح أخلاق الجماهير فإن العلة تنافي أحكام الدين والأخلاق الدينية بسهولة لاحتياج الى أكثر من واعظ هاد حسن الأسلوب جذاب الى الفضيلة يحمله وبحسن بصره في تصريف القول في مواضعه . ولذلك كان الدعاء الى الفضيلة قديماً وحديثاً يلجؤون الى الأديان يتخذونها وسائل لاصلاح بل إن كل دعاء للمذاهب السياسية وحلته السيوف لم يحدوا بدا من الرجوع الى الأديان وصيغ دعواتهم بها . كل ذلك لأن حياة المجتمعات لا تدبر لنوع من أنواع الاصلاح إلا اذا صبغ بصبغة دينية تكون قوامها الإيمان . والأمة المصرية بل والأمم الشرقية جماء تدهورت أخلاقها ضعفت لديها مملكات الصلح والوفاء بالوعد والشجاعة والصبر والاقترام والحزم وضبط النفس عن الشهوات وضفت الروابط بين الجماعات فلم يعد الفرد يشعر بالام الآخرين ومصائبهم وقد أثرت الحياة الفردية في حياة الجماعة أثرها الضار فاحتطت منزلة الأمم ورضيت من المكانة بأصغر المنازل الى أن قال ﴿ يجب أن يدرس القرآن دراسة جيدة وأن تدرس السنة الشريفة دراسة جيدة . وأن يفهم على وفق ماتطلبه اللغة العربية فقها وآدابها من المعاني وعلى وفق قواعد العلم الصحيحة وأن يتعد في تفسيرها عن كل ما أظهر العلم بطلانه وعن كل ما لا يتفق وقواعد اللغة العربية ﴾

﴿ يجب أن تهذب العقائد والعبادات وتنقي عما جد فيها وابتدع وتمتدب العادات الاسلامية بحيث تتفق والعقل وقواعد الاسلام الصحيحة ﴾

﴿ يجب أن يدرس الفقه الاسلامي دراسة حرة خالية من التصبب لمذهب وأن تدرس قواعده مرتبطة بأصولها من الأدلة وأن تكون الغاية من هذه الدراسة عدم المساس بالأحكام المنصوص عنها في الكتاب والسنة والأحكام المجمع عليها والنظر في الأحكام الاستنباطية لجعلها ملائمة للمصو والأمكنة والعرف وأمنجة الأمم المختلفة كما كان يفعل السلف من الفقهاء ﴾

﴿ يجب أن تدرس الأديان ليقابل ما فيها من عقائد وعبادات وأحكام بما هو موجود في الدين الاسلامي ليعطى للناس يسره وقده واستيازه تن غيره في مواطن الاختلاف . ويجب أن يدرس تاريخ الأديان وفرقها وأسباب التفرق وتاريخ الفرق الاسلامية على الخصوص وأسباب حداثها ﴾

﴿ يجب أن تدرس أصول المذاهب في العالم قديماً وحديثاً وكل المسائل العلمية في النظام الشرعي والمواليد الثلاثة مما يتوقف عليه فهم القرآن في الآيات التي أشارت الى ذلك ﴾

﴿ يجب أن تدرس اللغة العربية دراسة جيدة كما درسها الأسلاف وأن يضاف الى هذه الدراسة دراسة أخرى على النحو الحديث في بحث اللغات وآدابها ﴾

﴿ يجب أن توجد كتب قيمة في جميع فروع العلوم الدينية واللغوية على طريقة التأليف الحديثة وأن تكون الدراسة جامعة بين الطرق القديمة في عصور الاسلام الزاهرة والطرق الحديثة المعروفة الآن عند علماء التربية . وعلى الجملة يجب أن يحافظ على جوهر الدين وكل ماهو قيمي فيه محافظة تامة وأن تهذب الأساليب

ويهدب كل ما حدث بالاجتهاد بحيث لا يبق منه إلا ما هو صحيح من جهة الدليل وكل ما هو وافق لصلحة العباد ﴿ يجب أن يفعل هذا لإعداد رجال الدين لأن رسالة النبي ﷺ عامة ودينه عام ويجب أن يطبق بحيث يلائم العصور المختلفة والأمكنة المختلفة وإن لم يفعل هذا فإنه يكون عرضة لنفور منه والابتعاد عنه كما فعلت بعض الأمم الإسلامية وكما حصل في الأمة المصرية نفسها إذ تركت الفقه الإسلامي لأنها وجدته يخالف بحالته التوسل إليها العلماء غير ملأهم ولو أن الأمة المصرية وجدت من الفقهاء من جارى أحوال الزمان وتبدل العرف والمادة وراعى الضرورات والحرج لما تركته إلى غيره لأنه يرتكن إلى الدين الذى هو عزير عليها ﴾ ثم قال بعد كلام ﴿ وقد بذل الله هذه الأحوال وأصبح قانون الأزهر مشتملاً على ضغى العلوم التى كانت تدرس من قبل وأصبح يدرس فى الأزهر التاريخ الطبيعى وتدرس فيه الطبيعة والكيمياء ويدرّس فيه الجبر والهندسة وقبل الأزهر فى قسم تخصص القضاء الشرعى ودروسا فى وظائف الأعضاء ودروسا فى التشريح . وقبل الأزهر يون كل جديد وأعدوا أنفسهم له وزالت كل العقبات التى كانت من قبل ولم يبق إلا إصلاح طرق التعليم وإيجاد المعلمين الأكفاء وتوزيع العلوم على الأقسام توزيعاً صحيحاً . وإذا كانت هناك بقية تسترعى الجديد فلم يبق لها من الشأن ما تستطيع معه أن تكون عقبة فى طريق الإصلاح ﴾ انتهى

هذا ما أردت نقله من ذلك التقرير المرفوع من صاحبنا شيخ الإسلام الحامى الذى هو موافق لروح هذا التفسير . كتبته هنا لتعلم أيها النكبي مبلغ ما أخبرتك عنه فى هذا التفسير مراراً وفى كل سورة من أن لهذا التفسير وأمثاله أثر محمود إن شاء الله فى الإسلام وأن الأمة قد استعادت له وأمثاله . ولقد نشأت فى الأزهر وعاهدت الله على أنه إذا علمنى بعض حقائق هذا الدين التى كنت أجهلها بالأزهر نشرتها بين المسلمين لئلا يقع أدكيأهم فى حيرة مثل ما انفق لى . ثم إن ما كتبه شيخ الجامع الأزهر فى هذا التقرير الذى رفعه للحكومة المصرية قد خطا خطوات واسعة فيها يطلبه الأزهر والمسلمون . اقتد طلب أن يكون التعليم فيه على ﴿ قسمين ﴾ قسم لا يتحدد عدده ولا ترتب درجات التعليم فيه ولا يكون له شئ من الحقوق فى أعمال الدولة وإنما يراد منه الثقافة فى الدين . وقسم يتحدد عدد تلاميذه وترتب درجات التعليم فيه إلى ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ القسم الأول مدته خمس سنوات وهكذا الثانى والثالث . فالأول والثانى تدرس فيهما العلوم كالمدارس المصرية ماعدا اللغات الأجنبية وكذا علوم الأزهر الأصلية . والقسم العالى يدرسون فيه المنطق والتوحيد والأخلاق والفلسفة قديهما وحديثها وآداب اللغة والقرآن وعلم الترتيبية وبعض اللغات وتاريخ التشريع الإسلامى وما يلزم للقاضى والحامى من نظم القضاء والإدارة وقوانين المرافعات ونكاد . وهؤلاء يكون منهم علماء اللغة العربية وعلماء الفقه وعلماء الإرشاد والدعوة ويوظفون فى الوظائف المناسبة لهم . هذا ملخص ما فى التقرير . ثم أعلم أيها النكبي أن هذه خطوة تتبعها خطوات . فحتى تم ذلك تلتهى خطوة أخرى فسيقوم فريق من هؤلاء العلماء بعدنا ويقولون لا نقف عند هذا الحد وأى فرق بين اللغة العربية وبين الطب والكيمياء والطبيعة وعلم النبات والحيوان . فلي لا يكون منا السياسى الخنك الماهر والطبيب النطاسى والمهندس النكبي وعالم الكيمياء والنبات والحيوان وهذا ما سيكون بعد حين وإذن يكون الأزهر والمجاهد الإسلامية قد سارت على منهج قوله تعالى - لا تكافئ نفس إلا وسعها - فيخصص كل طالب لما استعد له والله هو الولي الحليم

﴿ العلم علان علم ضائع وعلم نافع ﴾

أما العلم الضائع فهو ما لا يفيد إلا فى حياتها ولا فى أخلاقها ولا سمو نظامها . لقد تقدم فى سورة الكهف ما نقلته عن علماء أئمتنا الإسلامية أنهم كانوا يعمدون إلى ما فى القرآن من الآيات ويحسبونها بالجل ويستخرجون منها نتائج . وهذا الحساب يرونه سرا مصونا وجوهاً مكنونا ويقوى ذلك اطلاعهم على علوم الحساب والهندسة والجبر وأمثالها فيستخرجون فيه ويشغلون الحياة به . فهذا فيه فائدة ولكن مضاره لا حصر لها . أما فائدته

فإن المسلم حين يطلع عليه ندعن نفسه للدين ولا يشك فيه لأنه يرى أن هذه المجائب وبدائع الحساب قد حواها دينه فيستكمل به وفي الوقت نفسه يقف عقله عند هذه ولا يخطئها . فهذه العلوم أشبه ببعض شيوخ الصوفية الذين ليسوا كالمسلمين . فهو لاء يكون اعتماد تلاميذهم فيهم سببا لوقوفهم في العلم عند حد خاص لا يتعدونه . وأذكر أنني في أيام شبابي كنت أقرأ ذلك في بعض الكتب فكنت أدهش من ذلك الحساب ومجانيبه مثل أن جل محمد الفظلي (بحيث تشكلون الميم حرفين) يساوي (١٣٢) وحروف الفاتحة اللفظية عددها يساوي (١٣٢) أيضا فلما قرأت هذا أخذت أعد الحروف اللفظية فكانت تقرب من هذا العدد أو تعد به فكان هذا عندي دليلا على صدق القرآن . وقد تقدم أن هذا وأمثاله يقبل المعارضة وليس فيه من العلم ولا الحقائق شيء وكنت أنظر في الأوفاق وأعدادها ونظامها وأدهش وأقول . يا عجبا . لماذا لا يجعل الله في الطبيعة نظاما كنظام الأوفاق كهذا المثلث وأقول . بالله إننا نرى هذا المثلث

٤	٩	٢
٣	٥	٧
٨	١	٦

كل ضلع من أضلاعه (١٥) سواء أ كان أفقيا أم رأسيا . وإذا كان هذا النظام جيلا فلماذا لم نجد الله فصل في الطبيعة مثله . هذا كان غرابي وأنا

شاب بمثل هذا . وسبب ذلك وقوع أمثال تلك الكتب في يدي . جلّ الله وجلّ العلم . غلب على الحساب وغلب على عقلي حب نظام الأعداد وصارت هذه طبيعتي وليس الآن لي متسع أن أفيض القول فيما عرفت بعد ذلك لأني مدرسة دار العلوم ولا في الأهر قبله بل في كتب التري بين وستراه مسطورا في سورة (العنكبوت) أن العلماء في زماننا لما ربوا العناصر بعقولهم وجدوا بينها نظاما مدهشا يهتمر في جانبه علم الأوفاق نسبيا منديا وأن النظام هناك والخواص وتناسبها أمر يفوق الحصر كالآلة وجبالا حتى أن الأوفاق العددية لا قيمة لها في النظام إلا كقيمة الشعمة في ضوء الشمس . هذا هو الذي كان يحطري وأنا شاب وأقول يارب لم لم تر نظام الأوفاق في عالم الطبيعة . هذه هي النتائج التي علمتها في حياتي وإياك أن يصدق هذا عن أصل الموضوع فإنا نتكلم في العلم الذي لا ينفع وقد قلنا أن هذا العلم لا ينفع لأنه وإن أفاد بعض فائدة يضيع على المسلمين فوائد لا حصر لها وأنه إن أفاد الطمأنينة بعض صغار العلم فإنه يصد عنه ويحجب العقول عن التفكير . وسبب ذلك أن الذين يقرؤون تلك الكتب لا يعرفون العلوم التي اشتقت منها هذه الأمور فيظنون أن ذلك سرّ القرائن وسرّ الأولياء فيرون أنه من طبقة فوق متناولهم ومن عقول فوق عقولهم فيدلون ويخضعون ويموتون ولا هم يدركون . ستقول لي أيها الذي أسمع بحجة ولا أرى طعنا فأضرب لنا مثلا حتى نعرف به ما تقول أقول لك . انظر المثلث السابق فقد جعلوه من أسرار (طه) وهذا هو السبب في ذكرى له هنا . المثلث السابق كل ضلع من أضلاعه عدده (١٥) كما تقدمت مجموعها كه (٤٥) ويقولون إن هذا السرّ عظيم من أسرار القرآن . ألا ترى أن (٤٥) هي جمل (آدم) . إذن هذا المثلث هو سر آدم أينما وإذا كان (٤٥) حاصل ضرب ٥ في ٩ فله (ضلعان) ضلع ٩ وضلع ٥ وهما أكبر من ٥ فيكون آدم وهو (٤٥) ضلعه الأكبر (الضلع أحد المضروبين) ٩ لأنه آخر الأعداد البسيطة التي هي أمهات الأعداد كلها وآدم آخر المكنونات وهي النسبة (العقل . النفس . الفلك . الكوكب . العنصر . المعدن . النبات . الحيوان . الإنسان) وضلعه الآخر (٥) فالأكبر منه أين والأصغر نسميه أيسر فإذن آدم له ضلع أين وضلع أيسر وحواء خلقت من الأيسر ولأنها أن حواء في الجبل (١٥) وهي مخلوقة من ضرب ٥ في ٣ وحواء تلد إنسانا تاما كما أن ٥ بضربها في نفسها تأتي مربع (٢٥) ومربع (٢٥) يكون ظاهرا في جميع مضروباتها مثل (١٢٥) وما بعدها إلى ما لا يتناهى فالخمس هذا شأنها وحواء هذا شأنها كل منهما قد تم ما تولد منه وإذا كانت (طه) مركبة من (٩) ومن (٥) فيكون معناها هكذا . طه ما أنزلنا عليك القرآن

لنشى - يعنى يا آدم وياحواء يعنى أيها النوع الانسانى - ما أنزلنا عليك القرآن لنشى - أى ما جعلناك جامعاً لجميع مراتب الوجود لنشى بل لتسعد بمطالعة حقائق الموجودات بسبب وجود نموذجها فيك وهذا المعنى على أن القرآن هو القرآن، التشويق أى هذا العالم ونظامه وإن أريد به الوحى فيقال ما أنزلنا عليك القرآن بالوحى إلا لتسعد بالعمل بما فيه الخ

أنا أيها الذكى قلت لك عبارة القوم وأنا أعلم أن أكثر من يقرؤها يتعب في فهمها إذ يرى أن مسألة عدد (٥) عدد كروى مثلاً وأن هناك ضلماً أصغر وضلماً أكبر وألفاظاً من علوم مختلفة فأمثال هذا كان يقرؤه المتعلمون في الاسلام فيظنون أن هذا من علم أعلى وتقف العقول وتحصر الأفكار . ذلك لأن مسألة العدد الكروى وهو (٥) وأن (٧٥) ظاهرة في كل مضروباتها . هذا من علم الارتباطى (خواص الأعداد) التى ذكرته في كتاب «مجمعة العلوم في الفلسفة العربية وموازنتها بالعلوم العصرية» وإذا رأى ذلك متفقاً مع حديث خافى حواء من الضلع الأيسر ويدخل على الأذكياء لفظ ضلع مع أنها أحد المضروبين في العدد وأدم ليس له ضلعان اثنان أمين وأيسر . كلا . بل له (٧٤) ضلعاً لاضلعان، ولكن القارئ الذى يفهم هذا في كتب القوم يظن أن هذه حقائق ذات قيمة فتطلع نفسه وينخاع قلبه ويرى أن هذه العلوم عالية جداً فيعيش في تلك الكتب ويقف عقله فيكون أشبه بالسباب إذا وقع في الغسل وهذه حال أكثر الأذكياء من رجال العلم والصوفية في الأمم المتأخرة الاسلامية . أتدري من أين جاءت لك هذا . نقلته من «سفينه الراغب» نقل عن شرح الصاملة الشيخ ابراهيم المصرى الحلبي على لغز اسم كتاب «الزبد» إيهام الدين العاملى سنة ١١٦٥ هـ فهذه كانوا يعدونها أسراراً للقرآن وماهى بأسرار . كلا . بل هذا الفضل يفضل العقول ويضيع عليها الوقت ويخرجها الى عالم الخيال ويحبسها عالم الحقائق . هذا هو العلم الضائع

﴿ العلم النافع ﴾

إن من قرأ هذا التفسير وأمثاله رأى أن هذه السورة مشحونة بجانب الخلق وذكر عجائب السموات والأرض وماعليها من نبات وأنعام ويقول الله - قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى - وهذه الآية مثلاً مفسرة بالعلوم التى أحاطت بنا من كل جانب وبها سعادتنا وسعادة الأمم حولنا بل فرق ذلك جعل في هذا التفسير أن الطاء والهاء يشيران لنفس هذه الجلالة وقد فسرت بما ذكره الله في عالم الحيوان مشروحاً شارحاً للصدور . فما نتيجة ذلك الحساب الذى جعلوه سرا إلا أن يقال إنك أيها النوع الانسانى جامع للحقائق تطالعها في نفسك . فهل هذا هو السر . اللهم لاسرّ هنا ولا معنى فهذا المعنى جزء ضئيل من المعنى الخبوء في آية واحدة من السورة فان قوله - أعطى كل شئ خلقه ثم هدى - شملت الانسان ولم تقتصر عليه بل جمعت كل حيوان وكل نبات وكل فلك وكل جماد . فما هذا السر إذن - إن هى إلا أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان * إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى - فأشكال هذا الحساب قد أوقف العقول في الأمم الاسلامية دهراً طويلاً . فلعمرى أين هؤلاء العلماء من بعدهم الله الآن للألام الاسلامية ليرشدوهم ويعادوهم . إن الله أعدّ للمسلمين عقب ظهور هذا التفسير وأمثاله من مؤلفات علماء زماننا رجالاً في ظهور آياتهم وآخرين في بطون أمهاتهم سيبرسون هذه الدنيا على حقائقها ويقولون إنما مثل هذه التى سميت أسراراً إنما هي أشبه بتدريب الأطفال في المدارس تدريجاً عضلياً جسمياً لتقوية العضلات في ساحات المدارس وهذا فائدته لتقوية الجسم وحده ولا ينتج فائدة مادية أخرى

أما العمل في الحقول وفي الصناعات الذى سنه الله لخلقه فانه يفيد «الأميرين» يفيد قوة البدن ويفيد نمو العمران وارتقاء الأمم وينتج الاغذية والماليس وسائر الصناعات . فنحن اذا وجدنا السابقين من متأخري المسلمين أضعاء بعضهم وقتهم في هذه التى سموها أسراراً وقد مرت عقولهم عليه ولكن ما نفعنا منهم فليتنا نحن

أن تحزن عقولنا على ما يكسبنا ﴿أمرين﴾ رقى عقولنا ورقى أحوالنا المعاشية والمعادية . فأننا إذا فلننا كما كانت أولئنا أيام الدولة العباسية وكما تفعل الفرنجة بعدهم من تحويل أرضنا من حال إلى حال وأحداث مالم يكن موجودا من المزارع واستخراج مالم يستخرج من المعادن وأنواع السوائل المخزونة في الأرض فلنا الأمرين رقى عقولنا بجانب هذه المخلفات وارتقاء مدنيتنا بالمنافع النافعة . ففي بجانب تلك المخلفات من النظام والجبال والبدائع ما يدهش العقول ألف مرة بخلاف ذلك الوهم الذي لا يجيب به إلا المبتدئ في العلم ثم يقولون أمر الله نبينا ﷺ أن يدعو الله أن يزيد عاما . ولا جرم أن العلم الذي لا فائدة منه لا يطلبه نبينا ﷺ ويقولون إن العالم الذي يكون على قدم رسول الله ﷺ هو الذي يستخرج منافع هذه الدنيا ويكون كالنجم به يهتدى ومستحيل أن يكون كالنجم إلا إذا عم نفعه . ويقولون يقول الله تعالى - لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة - فجعل الله التفكر في الدنيا قبل الآخرة . ثم يقولون فلنبتهى بالفكر في الدنيا ونقرأ آيات الصدقات . يقول الله تعالى - فلا اقتحم العقبة * وما أدراك ما العقبة * فك رقية * أو أطمع في يوم ذي مسغبة * فتم دنا مقربة * أو مسكينا ذا متربة - فيفتكرون إذن ويقولون إن إطعام المسكين والفقير له منزلة سامية وإذا كان آلاف آلاف من الأغنياء أطعموا ملايين من الفقراء وأغنواهم فهو لاهم أجر عظيم ولكن ربما ظهر عالم في الأمة فابذع ما شاء الله أن يبذع في هندسة الأرض بأن يني قناطر حفظت الماء فسقت آلاف الفدادين (جمع فدان) . فهذا بعلمه نفع أعما لا أشخاصا فقط فهو وحده أفضل من هؤلاء الأغنياء كلهم وهكذا إذا ظهر من اقتحم العقبات العلمية ودرس طبائع الأرض وفهم خواصها فأدرك بعلمه ما فيها من معادن ومنافع كالنفط والقار التي ببلاد العراق فإن من يتأمل فيها يجد الألمان والانكليز لهم الحظ الأوفر في استخراج ما بها من النفط والقار ويقطرونه وكان المسلمون أحق بتلك العلوم والمعارف لأن الله يأمرنا بالازدياد من العلم . الله أكبر ما أجل العلم وما أبدع الحكمة . يا الله أدهشت عقولنا وأثرت بصارتنا بحكمتك في أرضك . يا الله أرئنا أرضك جنة واسعة . وكيف لا تكون جنة وقد رأيناها عروسا زينت للنظرين . عروسا قد حليت بأنواع الحلى

فلاتدوم على حال تكون به * كما تلون في أنوارها الغول

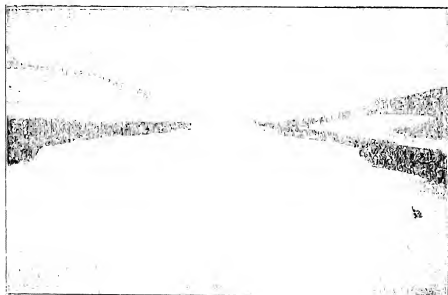
كيف لا وقد رأينا عرونا تنبع من الأرض بالماء البارد تارة والجار أخرى كما مرَّ صورا في سورة الكهف وهكذا قد أخرجت عيوننا كبارا وصغارا تنبع بالقار وهو في حال الغليان وهناك يجتمع أشبه بالصلصال على الأرض أسود أملس صقيلا رطبا عطر الرائحة وذلك على بعد أربعة وأربعين ميلا إلى الجنوب من بلاد الموصل على الجانب الغربي من (دجلة) في مكان يسمى (بالقياره)

وهناك بالعراق أيضا بآبار يستخرج منها (النفط) كما يستخرج الماء من الآبار . ولقد فتحت بئر هناك في زماننا فقدفت في الجوف ألؤفا من القناطر من (النفط) في مدينة (كركوك) التي تبعد عن بغداد بنحو (٢٠٠) ميل إلى الشرق . وهناك مكان يقال له (بابا قرق) يخرج منه غاز يتقد نارا متى لامس الهواء فإذا نكتت بأصبعك أو يعود رأيت اللهب يخرج من الأرض . وإذا حاولت سده بالتراب خرجت النار من مكان آخر وأرض النار هذه أربعة أمثا مربعة فيها بضعة عشر قنبرا يخرج من كل واحد منها نار ملتبهية كلهيب المصباح في لونها (انظر شكل ١١ في الصفحة التالية)

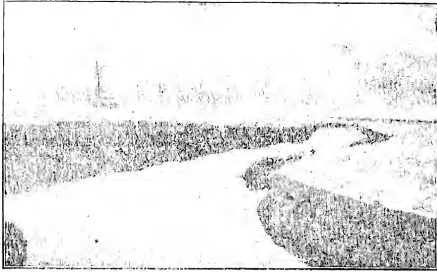


(شكل ١١ - رسم أطمه في (كركوك) وهو سين من البار يقال لها (بابا قرقر) يظن انها اتون النار المتقدة التي أتت فيها النبتة الثلاثة على ما جاء في سفر دانيال)

ويقال ان المحوس عبدوها لما رأوها تخرج على هذه الحال في (باكو) وهو قول لم يحقق ولقد انفجرت بئر في سنة ١٩٢١ بالقرقر من (بابا قرقر) فجأة وارتفع في الجو بضع مئات من الأمتار وكان يقذف (النفط) في اليوم الواحد (٣٥٠٠٠٠) صفيحة من الصفايح المعروفة وذلك في شهر أكتوبر من تلك السنة وجرى نهر من (النفط) وصار بحيرة وغطى على (كركوك) من الفرق وانهمز المهندسون والعمال ثم عادوا فردموا البحر ومات منهم ثلاثة خنقا بالغاز أحدهم مهندس أمريكي والآخران عراقيان . وبالجملة أن (النفط) و (القار) في العراق كله (انظر شكل ١٢ وشكل ١٣)



(شكل ١٢ - رسم بحيرة من النفط حيث نفجرت البئر قرب (بابا قرقر) في (كركوك) ولعل البحيرة التي رآها الاسكندر كانت « تلك »)



(شكل ١٣ - رسم صورة أخرى لآبار (النفط) على مقربة من (كركوك) حيث تفجرت بئر
واندفت قربى (النفط) نهرا واشتعل بهض كما ترى في الصورة ولا يزال مشتعلًا)

﴿ تنبيه ﴾ هذه الصورة والثاني قبلها منقولة مع ملخص المعنى من مجلة (المستطف)
خبرني أيها الذكر هلا تخرج من بلاد الاسلام علماء بخصيص لذلك بالتعليم في الأقطار الأوروبية
ويشرحون الطريقة التي بها تستخرج تلك المواد من الأرض وتنتفع بها . فهو لاء لم يكن عملهم قاصرا
على نفع مئات الآلاف من الناس . كلا . بل العالم منهم ينفع أهل الأرض كلها لأن ذلك (القار) أو (النفط)
ينتقل بالتجارة الى أقطار الأرض كلها فهو إذن قد نفع جميع الناس . فاذن العالم أفضل ألف ألف ألف
ألف مرة من الغنى وانفاقه من علمه أفضل ألف ألف ألف مرة من انفاق الغنى من ماله . هذا هوسر
قوله تعالى - وقل رب زدني علما - . انتهى يوم الجمعة ٣ صفر سنة ١٣٤٧ ٢٠ يوليو سنة ١٩٢٨

﴿ الباطية الثالثة في قوله تعالى - ولقد عهدنا الى آدم - الى قوله - ولعذاب الآخرة أشد وأبقى - ﴾
هذه الآيات ذكرا لله فيها آدم ونسبانه وأنه ليس له عهد وذكرا للجوع والعري والظلم والخ ووسوسة الشيطان
والأكل من الشجرة وظهور عورتيهما لهما . اعلم أن هذه القصة أنزلها الله ليعلمها امرأة لبي آدم فإذا تأملها
الناس عرفوا أن ما جاء فيها منطبق عليهم تمام الانطباق « وفي المثلث « أسر حسوا في ارتفاع « وأنت لك
القصد والقرآن لا يواجه الناس بحقائق أحوالهم بل يكنى لهم ويرمز ليكون أدعى الى التفكير وأقرب الى التأمل
ولأن الحقائق التي تضمنتها هذه القصة ولخواها صرح بها القرآن ليس بنو آدم من الرقى والياس يمنع الرقى
الى الكمال . ان بني آدم يعيشون في هذه الأرض وقد أحاطت بهم المثلث واستبانت الحقائق . فهذه الطيور
والبهائم تعيش بالاطيخ والاعين ولا خبز ولا اسراف في مأكل ولا مشرب ولا يقرب الذكر أناته لإعند الحاجة
الى الحبل ثم لا يقربها الى أجل مسمى . فالطبيعة المحيطة ببني آدم قد برزت مكتوبة بخط جليل ظاهر . إن
السعادة والهناء والسلامة والصحة في القناعة والرضا وعدم الاسراف . فإذا فعل هذا الانسان . طمى وبني
وتعبدى حده في مأكله ومشربه وملبسه وهذه كلها مذكورات في هذه الآيات وجهل ما خطه الله على لوح
الطبيعة من النظام . هذا الانسان خلق له الجوع والعطش والتألم من الحر والبرد فأمد بكل غذاء للجوع
وبالماء للعطش وبالمالبس لمنع آلام الحر والبرد لكنه لما تناول الغذاء جهل أصل المقصد منه فتفنن في ضروبه
وألوانه ولما تعاطى الماء طهر جهله فيه فتفنن في ضروب الأذات فأصبح صريع شهوته قتل جهالته . ولما
استعمل اللباس لم يقف عند الحاجة بل أخذ يزين به ونسى كمال نفسه فأصبح ذو آدم بهذا عبيد العوا

وأدخلوا في جهنم دار الجنة والحرمان وقد نسوا نسياناً تاماً سعادة الطير وقناعته بريشه واكتفاه بالحب بلنقطه وهو مفرد طرب . وهكذا الأنعام لها جلودها وأشعارها وأوبارها لم ترد زيادة عنها . وهكذا البناء تشربه قراحاً لا تخرجه بخارى ولا يتبعه خراجاً . فهذه الجن التي وقع فيها بنو آدم هي المضاهية لما قيل في آدم إن الشيطان وسوس له وأنه أكل من الشجرة وأن السواة بدت لهما وانهما أخذتا يصفان من ورقة الجنة . فنذكر الأكل وذكر الخصف راجع للجوع وللعمى والأكل يبقعه الشرب ثم ذكر المداواة والأسراف ونسيان العهد ولا جرم أن الانهماك في هذه المطالب أسراف وهو يورث العداوة . إن النسيان المذكور في الآية قد عم هذه الكرة الأرضية . كلنا نجعل أصل المقصود من الجوع ومن العطش الخ . ولقد ذكرت نبذة في هذا الموضوع في سورة (البقرة) عند قوله تعالى - استبدلون الذي هو أدنى - الخ وفي سورة (الأعراف) عند قوله تعالى - وكلوا واشربوا - وفي سورة (الحجر) عند ذكر آدم في أول السورة وفي هذه المقامات الثلاث ذكرت أهم الشروط الصحية في الملابس والمأكل والمنشرب . وأن الأمم والأفراد الذين انهمكوا فيها ذلوا في الدنيا بالضعف والذل - ولعذاب الآخرة أشد وأبقى - وهأنذا الآن أقرأ في كتاب الصحة تأليف زعيم المنسوس الأكبر (مهاتما غاندي) الذي ترجمه الأستاذ الشيخ (عبد الرزاق المليح) آباي ففجبت كل العجب أن يكون هو قد اصطفى من الطب الحديث ما يقوى مذكرته سابقاً في هذه المواضع الثلاثة ولكنه هو ذا أمراً عجا ذلك أنني كنت أتوخي فيما أكتبته أن أبين الماء كل الصارفة مثل الدقيق المنخول والسكر وكذلك ما يشرب مثل القهوة والشاي والخمر . وهكذا قد أبنت المضار الناجمة من ترك الرياضة البدنية التي جعلها كثير من المسلمين فضعت أبدانهم ورفقت عظامهم وقصرت آجالهم . أما هو فقد أطب في ذلك وأبعد فيه ثم أتبع بما كنت أود أن أعرفه أنا ويعرفه قراء هذا التفسير . ذلك أنني كنت أقرأ في المائدة الطبية للطبيب المصري وهو الشيخ الرشيدى بعض أعمال طبية بحجية تدأوى من أكثر الأمراض بلا استعمال دواء وذلك هو الاستحمام بالماء البارد وألحار . وهكذا قرأت في كتب أخرى أن الغواء وضوء الشمس والطاين . كل هذه تقوم مقام الأدوية وهكذا كنت أقرأ في الكتب القديمة والحديثة أن استعمال الأدوية التي ملئت به الصيدليات في زماننا ما دخلت معدة أو منزل إلا كانت سبباً في تسلسل الأمراض كما قدمته في سورة (البقرة) مفصلاً ولكنني كنت أظن أن أرى طرق المداواة بهذه المواد مهيمة سهلة بحيث لا يحتاج الإنسان فيها إلى مرشد سوى الكتاب . فلما طالع على هذا الكتاب أفيت المؤلف قد أوضح طرق العلاج أيضاً تاماً وذكر أنه قد جرى بها فعايت أن الله عز وجل قد أذن للناس أن يقرأوا هذا التفسير أن يستغنوا عن الأطباء غالباً متى قرؤوا ما نقله عنه من تلك الكيفيات الصحية التي شملت الأمراض الظاهرة والباطنة اللهم إلا قليلاً . فهأنذا أنقل من ذلك الكتاب القسم الأول منه وهو ما يحفظ الصحة هنا وأرجى قسم للمداواة في سورة (الشعراء) فأكتبه عند قوله تعالى - والذي هو يطعمني ويسقين - فإن حفظ الصحة بمقامنا هنا أليق والمداواة بآية (الشعراء) أنسب وسأنقل من الكتاب في المقامين عيون كلامه وأهم ما يناسب التفسير وليس هذا خارجاً عن التفسير بل هو من صميمه وإذا كنت في سورة (آل عمران) أذكر نبذة جيلة من علم التفرج بمناسبة قوله تعالى - هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء - وأذكر عند قصة إبراهيم الخليل في سورة (الأنعام) آجل ما في علم الفلك وأذكر عند قوله تعالى في سورة (المائدة) - وإذا قال الله يا عيسى ابن مريم - الخ خلاصة ما جاء في الكشف الحديث من ظهور حقائق جديدة بالاعتبار بها عرف الناس أن كثيراً من عبارات الأنجيل منقولة بالحرف من كتب اليهود وهكذا ترى أيها الذكر أن الآية قد يكتب عليها نحو عشرين ورقة أو أكثر أو أقل ثم ذلك كله فوائد عامية تشوق للعالم فبالك بما يقوم صحة الأبدان ويوزج دلهاً ويتبع المرء قوى البدن فيصيح الجسم قوى العقل والذاكرة ليربح السعادة في الدنيا ويعتق أهل بلاده وأهل دينه . لا جرم أن هذا أحق بالعناية وكل علم رسم

في ذهن سقيم يسقم تبعاً للعالم به والسقم يتبع الموت * وفي الأثر ﴿ العقل السليم في البدن السليم ﴾
 ولنبداً الآن بذكر قسم حفظ الصحة هنا ملخصاً أجل ما ذكره لتستيقن بما كتبه سابقاً لأنه ما كتب
 ذلك إلا بعد التجربة وقراءة كتب الطب الغربية المعاصرة المطبوعات ولذا ذكر ملجاء فيه على ترتيب ما في الآية
 فقد جاء فيها الجوع والعري والظما فلذا ذكر الكلام على الغذاء ثم اللباس ثم الماء ثم الهواء تبع ترتيب الآية فنقول
 قد ذم أكثر الأكل الذي يوجب تعاطي المسهلات والحبوب الهضمة وذكر أنه هو قد كان وقع في ذلك
 إذ كان يشرب الشاي صباحاً ثم يفطر بعد ساعتين ثم يتغدى الساعة الواحدة ثم يشرب الشاي ثانية ثم يجلس
 للعشاء بين الساعة السادسة والسابعة . قال فلا تسأل عن تعاسي وسوء حالتي في تلك الأيام فكان حشو
 جسمي الكثير من الشحم يوجب أن يكون عندي قوارير للأدوية تلازمي . قال وكانت مقترنى العقلية
 ونشاطي ثلث ما أحس به اليوم مع أني كنت في عفوان الشباب ثم أخذ يذكر الطيور وقناعتها وهكذا جيع
 الحيوانات وتعجب كيف نهضت أنفسنا أفضل المخلفات وقد سبقنا الحيوان إلى هذه السعادة . ثم بين أن الغش
 والسرقة وغيرها من الذنوب مبنية على هذه الشراهة والطمع وأخذ يضحك من هذا النوع الانساني المفسد
 في لذة الاعراس والأفراح والأعياد ولا يخجل الناس من هذه الفضائح لشحن بطونهم . قال وهذا ثم كبير
 انقلب مفخرة فبدل أن الناس في الأعراس حين يقتلون أنفسهم بالبطنة يلومون أنفسهم زاهم يقتضرون بهذه
 المنجبة والمهلكة والموت الزوام فأصبح ما يوجب التحمل والخزي باباً من أبواب الفخر والشرف وكأنه بهذا
 يعبر عن قوله تعالى - أذهبتم طبيعتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم
 تستكبرون في الأرض بغير الحق - وبما كنتم تفسقون -

أقول . الحمد لله قد أصبح علم الطب في العصر الحاضر ك تفسير القرآن . ذلك أن الله علم أن الأمم سيزداد
 عددهم على الأرض فيستبحر العمران ويزدهم السكان ويكثر الطاعون والوباء فذم في القرآن الاسراف أولاً
 وعمم الأطباء في العالم الانساني ثانياً وزاد الطب رقياً على مقدار ازدياد الأمراض انتشاراً . ثم أفاد أن هذا
 النوع الانساني يكره اللصوص والغشاشين ولكنه لا يبعد البطنة ذنباً مع أنها ثم كبير وأصعبها أهل الفتى والسخط
 وذكر ما يتبع ذلك من الخمر والحشيش والأفيون وأخذ يقيح التبغ وعادة تعاطيه كما قدمت الكلام على ذلك
 كله في سورة (البقرة) عند آية الخمر وفي سورة (الأعراف) وأخذ يقول إن الناس لا يعلمون الدساسات المتنوعة
 التي يستعملها صناع السجائر إذ يرشون التبغ بحامض الأفيون وغيره من الحوامض المعطرة لكيلا تقدر على
 تحريروا أنفسنا من قبضته إذا أردنا ذلك . ثم قال والمدخن يصبح عبداً خاضعاً للتبغ إلى درجة يفقد فيها كل
 شعور للحياء والنجس وهؤلاء إذا لم ينالوا التبغ يرتكبون الجنايات للحصول عليه وحكي حكاية (ليون تولوستوى)
 الروسى إذ قال ﴿ أراد رجل لسبب ما قتل زوجته فاستل مدينتهم وهم بالجناية ولكنه أحسن حالاً بالندامة
 فأعرض وأخذ يمدخن فلم يلبث أن غشى على مشاعره تأثير التبغ فقام من فورده وقتل المرأة ﴾ قال فاستدل
 الحكيم بهذه الحكمة على أن الدخان أشد تأثيراً على المخ من الخمر وأكبر خطراً منها . ثم أم أن التدخين
 يوجب انحطاطاً كبيراً في قوة الهضم لأن المدخن لا يشعر بالميل إلى الغذاء ولذلك يستعمل المربيات والبهارات
 والبهارات بكثرة ونفسه يتعفن ويظهر في بعض الحالات على وجهه البثور والنفاطات وتسود الأسنان واللثة وقد يقع
 بعضهم في أمراض خطيرة والدخان (التبغ) يعفن الهواء ويفسده وهذا تستضر الصحة العامة ضرراً كبيراً . وقال
 مثل ذلك في الشاي وأشد وهكذا القهوة والكافور . وأبان أن هذه المنهات مضرّة . وأنا أقول فأنا أجد الله إذ
 نقل عن الأطباء واصطفي من افواهم ما اصطفته سابقاً في المقالات التي ذكرتها لك قريبا وقال انها تحتوي على نوع
 من السم ثم كرر القول وأكده أن القهوة والشاي والكافور كلها رديئة لاحتوائها على مواد كلها مضيعة
 لقوى الهضم ومن تعود على شئ منها لم يقدر على تركه إلا بعسر . وذكر أن شاعرا هندياً وصف القهوة بأنها

تريل البلغم والتفاح ولكنها تضعف قوة الرجولية وترقق الدم وترقق المني . ثم قال وقد صدق فيها قال فلاضرار
 الثلاثة حق ولكن البلغم والتفاح يمكن الاستغناء عنها بسائل الزنجبيل فهو أنفع فيها لهذا الغرض . ثم قال ان
 إثم القهوة أكبر من نفعها . فإذا كان شئ يفسد المادة المنوية ويسمم الدم أفلا يجاب اجتنابها وقال ان السكاكو
 فيه مادة تصطب احساس الجلد وفيه مضار كالشاي وكالقهوة . ثم اخترع قهوة تقوم مقام الشاي والسكاكو
 ولكنها قهوة صحية نافعة ويحبذ الذين يشربون القهوة فيه طعاما لا يفرقون بينه وبين طعم القهوة . وذلك أن
 بوضع قمع جيد منقى في مرجل فوق النار فيقلى حتى يحمر ويضرب الى السواد ثم يسحق كالبن ثم تأخذ من
 المسحوق ملعقة وتضعها في فجبال وتصب فوقها ماء فاترا وان وضعتها على النار نحو دقيقة فهو أحسن وتضع
 عليه اللبن والسكر ان شئت فهذا شراب لذيذ أرخص وأصح من القهوة . ثم ذكر أن الأغذية إما لحم لأهل
 المناطق الباردة كالاسكيمو وإما نبات لأهل كثيرة وإما مخلوط فيها لا تقوم . ثم أثبت بالبحث أن الجسم الانساني
 أقرب الى مناسبة الغذاء بالفاكهة . ذلك لأنه ليس بجسم البقر والجاموس مثلا فتلك لها أربع معيدات كما
 تراه مرسوما بالشكل في سورة (النحل) . أما الانسان فله معدة واحدة . إذن ليس طعامه كطعامها فهي
 تأكل النباتات . نعم الانسان أقرب اليها من الآساد والغورآكلات اللحوم ولكن تركيب المعدة مخالف ولكن
 الانسان أقرب الى الحيوانات آكلات الثمار كالقرد مثلا فهو يشبهه في شكله وتركيب بنيه . فاذن الانسان
 أبعد عن نحو الأسد جدا وعن نحو البقر نوعا ولكنه أقرب الى القرد آكل الثمر كاللوز والبرتقال والتمر والعنب
 والتفاح واللوز والجوز والفول السوداني والجوز والهندى . ونقل عن الأطباء أن الانسان لا يبنى له أن يعالج
 الطعام بالطبخ فهو يقدر أن يعيش على ما تنضجه الشمس بحراستها كالحيوان وأيضا ان أكثر المواد الغذائية
 تضع بالطبخ . فأما التي لا تؤكل نيئة فانها لم تخلق لغدائنا . وبعد أن ذكر هذه الآراء قال ان قراءة الكتاب
 سيستخرجون من هذا الرأي ولكن على أن أقول المثل الأعلى لهم وما جرت به بنسبي وأنا واثق أنه لا أحد من
 القراء يعمل به ولكن على أن أظهر لهم حقيقة العلم ومن أراد ذلك فليسر فيه بالتدرج . هنا كلامه هوم
 قال ﴿ إن كثيرا من الناس في انكسار اقتصر على الفواكه ودونوا نتائج تجاربهم . قال وقد أفت الدكتور
 الألماني (جست) كتابا ضخما في الموضوع أثبت فيه قيمة غذاء الثمار بكثير من الدلائل والشهادات وعكدا
 علاج كثيرا من الأمراض بوصف هذا الغذاء مصحوبا بالعيشة في الهواء الطلق ﴾ قال ﴿ وقد توسع حتى قال
 إن أهالي كل قطر يقررون أن يستعملوا ثمار بلادهم ﴾ ثم قال المؤلف نفسه انه جرب الثمار وحدها ستة أشهر
 فاقصر على اللوز والفول السوداني والتمر وزيت الزيتون معه بعض الفواكه الحامضة كالليمون . قال وقد
 نجحت تماما . قال وقد بقيت صحيحة وغيرى قد مرضوا وقواى العقلية والجسمية أقوى الآن بكثير وأنا أكثر
 فيه ثباتا وعقلا وحزما . وهكذا جربت غذاء الثمار في كثير من المرضى . وبالجملة أقول ان تجرب شئ الشخصية
 وقراءتي لكتب الطب زادني رسوخا في الاعتقاد بأن غذاء الثمار أحسن غذاء للانسان . وبعد أن فرغ
 من هذا قال ﴿ إن غذاء النبات أحسن غذاء بعد غذاء الثمار . والمراد بالنبات ما يشمل أنواع الخضراوات
 والحبوب ويطلق بها اللبن ولكن النباتات تغذيها أقل من الثمار لأنها تفقد جزءا من قوتها أثناء الطبخ ولا بد
 منه لأنه يتعذر أكلها نيئة . وهنا ذكر أحسن النبات فقال ﴿ القمح أحسن أنواع الحبوب ويمكن أن
 يعيش الانسان عليه وحده ففيه جميع المواد الغذائية . وقد تقدم هذا في سورة الحجر موضعا وأقل منه الدخن
 والذرة . وهنا أخذ يذم البقيل والخبز في السوق وأنا أكتفي من هذا بما تقدمت في سورة (الحجر) فانه هناك
 واضح كل الاضاح . وهنا استحسنت في القمح أن يجرش ثم يطبخ ويخلط معه اللبن والسكر فيكون طعاما
 لذيذا . أقول وأنا أخاف في أمر السكر لأنه مضر بالصحة وأخافه في اللبن لأني سأقل عنه أن تركه أفضل
 من تعاطيه . ثم ذم غذاء الارز وقد تقدم هذا في سورة (الحجر) . ومن العجيب انه أخذ يذم البقول ويقول

انها وإن كانت تساعد في تنظيف الدم فهي عسرة الهضم جدًا فيجب الاعتدال فيها وذر العدس واستشهد بكلام الدكتور الإنجليزي (بقي) والقالف تنطق أشبه بالكاف إذ قال ﴿ إن العدس يجب الشيء خوفة قبل أوانها ﴾ وقال ﴿ فالأحسن لبث لا يقدر على ترك البقول والعدس أن يقتصر منهما على القليل ﴾ ثم أخذ يذم المهارات مرة أخرى والتوابل . وذكر أن السودانيين حرقوها ومثى أكلوها أفست معداتهم وظهرت بثور على وجوههم ثم كرر القول أن المهارات والتوابل لا يقصد الناس منها إلا أنها تنضم طعامهم لكنها لا تتحدث لهم إلا جوعا كاذبا وينتهي لهم ذلك بفقر الدم وبالإسهال . قال وقد مات رجل إنجليزي بسبب أكل الفلفل الأحمر ثم زاد على ذلك أن الملح أيضا ملحق بالمهارات ومن ترك الملح نظف دمه حتى لا يؤثر فيه لبغ الثعبان والمصاب بالبواسير وضيق النفس يشفي إذا ترك الملح . قال ولما تركت الملح استفتت فوائدها منها عدم كثرة شرب الماء . ومن يترك الملح لابد أن يترك معه النبات والعدس . إن الخضراوات والعدس لا يمكن هضمها بدون الملح . قال والذى يترك الملح نباتا يشعر في أول الأمر بقصور واسترخاء ولكنه إذا ثبت على ذلك استفاد فائدة تامة . ثم أخذ يذم اللبن ولما ذم كرر القول أنه واثق أن قراءه لا يوافقونه ولكن عليه أن يقول الحقيقة والمثل الأعلى ذلك لأن الجبل يرضع لبن أمه فإذا كبر استغنى بالحشائش . ومعنى هذا أن الكثير منا لا يصلح له اللبن كإفعل الثور تماما لأن هذا هو درس الطبيعة المشاهدة واستدل بقول الأطباء أن اللبن يورث نوعا من الحن أو أوث هناك في الجوف جرثيم تسقط على اللبن قسميه وفوق ذلك ما يعلمه الناس أن المرأة المرضعة لبنها يمرض ولدها هكذا البقرة المرضعة بفعل لبنها معنا كذلك . ومن أين لنا البهيمة السليمة والأغنياء يعطون البقاء للألم ليصبح رضيعها . فإذا كان هذا شأن اللبن فلنستخلص بدله زيت الزيتون . واللوز الحلو يدل قوى جيدا للبن فيوضع في الماء الساخن ويزال قشره ثم يسحق جيدا ويمرس ويخرج مزجا فهو يبي شرابا محتويا على جميع مرابا اللبن وسلبا من جميع مضاره . ثم قال إذا كان الجبل عند ظهور أسنانه يكتفى بالحشائش ويترك اللبن فهذا معناه أننا نحن إذا جاوزنا سنى الطفولية نعيش على الموز والتفاح واللوز وهكذا سائر الثمار أو على خبز القمح قال وبترك اللبن نجنى فوائد اقتصادية . قال وعرق الليمون الحامض يدل جيد اللبن الحامض وأما السمسم فألوف مؤلفة من اليهود يستعمون بدله الزيت . ثم عقد فصلا للحم فقال قد ثبت بالعصص أنه ليس غذاء طبيعيا للإنسان والدكتور (بقي) المتقدم ذكره والدكتور (كينجفورد) أظهر أن لكل وضاعة مضارة في أجسامنا وأثبتنا أن الحمض الذي يولده العدس يولده اللحم واللحم يولد الأمراض في الأسنان والروماتيزم في الجسم ويحرك الأميال الرديئة كالغضب وما الغضب وسائر الشرور إلا صور من صور الأمراض . قال وقد أخذ بعض أكلى اللحوم يهجر رزقها ويرجعون إلى الغذاء النباتي . ثم أبان أن المقتصرين على اللحم حالتهم رديئة ثم أتى بهذه النتيجة أن الذين يعيشون على الثمار قليل ويسهل أن يعيش الإنسان على الثمار مع القمح وزيت الزيتون . فهذا غذاء يساعد مساعدة كبيرة في تقوية الصحة ثم رتب الثمار كما هكذا الموز وبعده الخمر والعنب والبرقوق والبرتقال وأمثاله . قال ويمكن تناولها مع الخبز ثم قال إن الخبز لا يقصد طعمه إذا بل زيت الزيتون . قال وهذا الغذاء لا يحتاج فيه إلى الملح والفلفل واللبن والسكر وتحضره سهل ورخيص ثم قال إن أكل السكر وحده حافة والاكثر من الحلو يات يضعف الأسنان ويضر بالصحة والمأكولات المصنوعة من البر والثمار جامعة بين الصحة واللذة

﴿ مقدار الغذاء . ذكر أن الأطباء يسمون بأن تسعين في المائة من الناس يأكلون أكثر من حاجتهم ﴾ وهنا أطال في أمر مضغ الطعام وجعل له المقام الأول ونقل عن الأطباء أن مضغ الطعام جيدا يفيد مواد غذائية كثيرة من طعام قليل حتى بالغ كاتب خبير فقال ﴿ لومضغنا الطعام جيدا لم نحتاج إلا إلى أوقتين أو أربع أوقيات من الغذاء ﴾ . قال الدكتور هذا القول بعد أن جرب تجارب لأصحى وقد بيعت نسخ كتابه ألوف

مؤلفة . وراز الذي يأكل طعاما ناعما غير كثير يكون قليل المقدار متاسكا بعضه ببعض ولينا ذا لون قائم وخاليا من كل رائحة خبيثة . ومن يرى أن برازه ليس كذلك فليعلم أنه يأكل طعاما كثيرا غير نافع ولا يمتنع جيدا وهكذا من يشكو الأرق أو ينام نوما متقطعاً مقلقا بالأحلام أو يجد صباحا على لسانه اللاب متجمدا فهو أكثر من الأكل والعفونة في نفس الأسنان تدل على أن طعامه لم ينضم تماما وظهور البثور في الوجه وفي داخل الأنف وتولد الريح في البطن كل ذلك من كثرة الأكل . وبالاختصار يقول أن أصل المصائب أننا جعلنا بطوننا مزابل . وهذا أخذ يحسن فرض الصيام وأوجب أن يصوم الإنسان كل أسبوعين يوما على الأقل لأجل الصحة قال وقد تأسست في انكثرا وأمريكا جمعيات تحض على الاقتصار على الأكل مرتين في اليوم فلا يفطرون صباحا ولا ياكلون إلا بعد ثلاث ساعات من استيقاظهم . وهناك دكتور اسمه (ديري) ألف كتابا جليلا في الصوم وأثبت فوائد ترك الفطور . قال وأنا جربت في مدة ثمان سنين أني قد اكتفيت بمرتين في اليوم وهذا خبر لمن جاوز سن الشباب

﴿ الرياضة ﴾

قال انها ضرورية في الهواء الطلق كضرورة الماء والغذاء . ومن لا يواظب عليها لا يكون صحيحا وأفضل الرياضة العمل في البساتين والحقول وساعات في النهار فهذه رياضة جسمية وعقلية معا ويلها رياضة المشي وهي وإن كانت أقل من العمل في الحقول والرياح قد سميت (ملكة الرياضات) وأنا أقول أنني أثناء تأليف هذا التفسير كنت لأكتب مطلقا إلا بعد المشي على قدمي نحو ستة كيلومترات كل يوم وأنا أعتقد أن هذا قليل ولكنه نفعي والحمد لله وأنا الآن مواظب على الرياضة غالبا ولكن ممارسة الكتب العلمية تزيد الإنسان رغبة في العمل . ثم كم المؤلف لما كتبه الكاتب الأمريكي الكبير (تورر) الذي أطبب في فوائدها الرياضة ثم قال ما نصحني أن كتابة أولئك الذين يعيشون في البيوت ولا يخرجون منها أبدا في الهواء الطلق تكون ضعيفة كأجسامهم وإن أسس مؤلفاتي كلها هي التي ألقتها في الزمن الذي كنت أمشي فيه كثيرا . وقد كان يمشي أربع أو خمس ساعات كل يوم . ثم قال ﴿ إن المشي ميلا أو ميلين ليس يمشي لأن مشي عشرة أو اثني عشر ميلا ضروري للرياضة فإن لم يكن كل يوم فليكن يوما في الأسبوع ﴾ ثم ذم لاعبي كرة القدم والصولجان فقال انهم لا يكونون قوي عقلية تامة

﴿ اللباس ﴾

أما اللباس فقد حدثت عنه في سورة (الأعراف) وكذلك الماء هناك موضعا وسأز يدعها هنا أيضا من كلامه وأزيد عليهما الماء فأقول يقول أن الإنسان خلق في الأصل عاريا مكشوف الجسد فكان جلده متينا قويا يتحمل (مجاراة القيط) و (صبارة) الشتاء وبال المطر ونحن لا ننفس بفمنا لحب بل بجلدنا كذلك فتغطية الجلد تمنعه من أداء وظيفته فلما شاعت عادة اللبس أخذ أهل البلاد الباردة يغطون أجسادهم لأنهم لا يتحملون البرد ثم صار اللباس للزينة ثم صار عنوانا على الوطن والجنس ونحوهما . وأحق أن جلدها خلق كسوة لنا وتوهم الناس أن جسمنا العاري غير جميل توهم باطل . ثم قال أن الجسم العاري أجمل من اللباس وأخذ يذم الحلي فقال إن منها ما يكون سببا في تراكم الأوساخ كزينة الأنف والأذن . ودم الملابس المفرنجية في غبر البلاد الباردة فيجب أن يكون واسعا في غيرها وقال أن اللباس الأسود يكون أحر من الشمس بخلاف الأبيض لأن الأول يشرب الحرارة ويجمعها والثاني يذبها ولا يقبلها وسمى الرجلين سباسة الأمراض لأنها تتوسخ وتعرق وتتغفن تغفنا شديدا فيجب تغطية باطن الأقدام دون ظواهرها واختار هولاء القباب وذلك كما فعل قدماء المصريين من لبس نعال كنعان أهل الحجاز ولم يقتصر على ذلك حتى أمر الناس أن يمشوا حفاة

﴿ الزواج ﴾

ولقد منع الاسراف في هذه الشهوة وبالغ حتى حرم أكثر تمتع الناس بها لأن حفظها يقوى عقولنا ويحفظها اذا كبرنا فنفع الناس بعقولنا ولا نموت إلا وقد أدبنا ماعلينا للناس . إنف يكون موتنا سعادة لأننا أرضينار بنا بمغفرة عبادته ولا تقدر على ذلك إلا اذا صحت عقولنا وأجسامنا وهما لاصحة لها إلا يحفظ هذه الشهوة وعدم خطورها بالبال . وإذا كان لابد منها فليكن ذلك لطلب النسل لاغير (أقول وذلك كما يفعل الحيوان سواء بسواء) ثم انه بعد ذلك يقول ﴿ إن هذا القول لن يقبله أحد من الناس ولكن أنا ألقت الكتاب لأشرف نوع الإنسان النافعين للآمم وأولئك هم المتقون - وقليل من عبادى الشكور - ويقول ﴿ من غلبته الشهوة من هذه الطائفة فليستحم بالماء البارد ﴾ وقال ﴿ إني وقعت في الاسراف في هذه الشهوة عشرين سنة وهأنذا الآن أجد الله إذ أحافظ عليها وأحفظ عقلى وجسمى مدة الحياة ﴾

هذا ما قاله في الغذاء والغذاء لايد له من الرياضة ويقبهما أمر الشهوة ثم مجل ما ذكره في اللباس وقد وعدت أن أذكر الغذاء لأجل ذكر الجوع في الآيه ثم اللباس وأتبع ذلك بالماء مراعاة لنظام الآيه هنا إذ يقول تعالى - إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى * وانك لا تضطأ فيها - الخ فلا تختم القول بالماء وأتبعه بالهواء أما الماء فقد وضع في سورة (الأعراف) أى وضوح كما ذكرته هنا فلند كشرفة مما قاله هنا . يقول ان الماء يفسد بسبب المكان الذى هو فيه وسبب أفسنا فلما الذى في مكان قدر يحضر منه عادة ولكن ماء الأنهار والجارى النظيفة نلقى فيها القاذورات نحن ثم نشرب منها فليحذر الناس من شرب الماء من الأنهار التى فيها القدر فلتخصص الجهة العليا من النهر للشرب والسفلى للاغتسال وغسل الأشياء مثل الملابس والأواني وهناك بلاد تعودوا أن يحفروا بجانب النهر حفرة في الرمل يأخذوا منها الماء لشربهم وهذا الماء يكون نظيفا جدا لأنه مصفى بالرمال ومنع شرب ماء الآبار إن لم تكن مبنية بناء محكما حتى لا يطر الماء الوسخ فيه وسقوط الطيور والهومام وتعضها فيه واتخاذ الطيور أو كراها فيه . كل ذلك يفسد الماء وكثيرا ما يتسرب اليها الماء الوسخ من باطن الأرض فليحترس من شرب ماء الآبار . وهكذا من تزن المياه في الخوض المكشوف فليغط ولينظف حينئذ بعد حين . ثم قال وقليل من الناس من يراعون الأحواض والآبار فلا يصح الاغتسال في النهر ولا غسل الملابس في موارده العامة للشرب خاصة أوقضاء الحاجة والبول على شواطئ الأنهار فلما الصافي نادر . لذلك هيأ الأطباء الماء المقطر لمرضاهم . فمن شكا الامساك يشفى غالبا بشرب الماء المقطر . وفي كتاب حديث في هذا الشأن مبالغة عظيمة في الماء المقطر أن استعماله بطرق خاصة يمنع جميع الأمراض وهذه مبالغة ولكن تدل على فائدته

﴿ الهواء ﴾

ثم ذكر أن الانسان لا يعيش بدون الهواء خمس دقائق . نحن نعرف الماء القدر فتجنبه ولكننا ننفس في الهواء الفاسد وأكنا نتعاطى التلوث والاحتس به . فاذا تنفس الناس في حجرة فقد أصبح هوأها كالتي ولكننا لانعرف ذلك . وأخذ يتعجب بمن ينامون أو يجلسون طويلا في حجرة مغلقة . ثم قال إن الهواء الفاسد قد قضى على صحة (٩٩) في المائة من الناس . فالسل وصى الذى سائر الأمراض العفنة سببها الهواء . وقال إن الراحض لاذ لم ينب على طريق صحى أفسدت الهواء . والسنايتدقن البراز في التراب وكذلك الكلاب . يجب أن ننظف المراحيض بايدنا ولا نتجمل ونمنع البق في الطرق لأنه يعدى الناس اذا كان صاحبه مريضا ونمنع التنفس بالثم وهكذا . وأفاد أن ينام الانسان ليلا تحت ضوء القمر في ساحة طلقة الهواء ويكون في النهار في مكان طلق بقدر الامكان . واذا نام الانسان في حجرة فليترك بابها مفتوحا واستنشاق الهواء البارد لأبعدت الزكام . نعم يحدث عند الذين أفسدوا رئاتهم بالنوم في الحجرات المقفلة وغبروا

عادتهم جثة ولكن لا ينبغي لهم أن يخافوا من البرد لأنه ان أصابهم لا يلبث أن يزول قريبا وكشف الوجه في أثناء النوم ضرورى والا تنفس الإنسان في الهواء الذى قصفه وهكذا يقول في النور لا بد منه . قال وقد شفى كثير من المرضى على يد علماء أوروبا بالاستحمام الهوائى والاستحمام الشمسى بدلا من الادوية . وقد شفى ألوف من المرضى بتعرّضهم للهواء وللشمس ولم يستعملوا أى دواء . فعلينا إذن أن نترك جميع أبواب بيوتنا ونوافذها مفتوحة ليدخل فيها النور والهواء بكثرة . هذا ما أردت أن أذكره من قسم المحافظة على الصحة من ذلك الكتاب . ولقد تلخصت لك تلخيصا لا يضيع عليك وقتك مع الايضاح وأرجأت كيفية المداواة لجميع الأمراض غالبا بدون شرب دواء الى سورة (الشعراء) كما ذكرت سابقا . وهنا اعترض فربّ قائل يقول لى انك فى هذا التفسير قد أنيت بالمتناقضات لأنك فى سورة (الأعراف) قد جمعت بين أنواع اللحم وأنواع الخضراوات وجعلتها مرتبة في طرق استعمالها وهضمها . وهنا نقلت أن اللحم والخضراوات لازوم لها في سورة (البقرة) أيضا منعت اللحم . فإذن أنت إنما تنقل الكلام على عواهنه والقارئ لا يعرف لك رأيا وهذا أمر لا يقبله العقلاء أقول . هذا حصل فعلا ولكن الأطباء عند المرض وظيفتهم كوظيفة العواظ والمصلحين للقول . فالطبيب عادة يجد الناس يأكلون كل شئ فعليه هو تنظيم ما يأكلون . وهكذا للمصلحون ينظمون أحوال الناس وعاداتهم وليس في استطاعة هؤلاء ولا هؤلاء أن يغيروا العادات تغييرا تاما . فإذ ذكرت في سورة (الأعراف) هو والطب المعتاد بين الأمم . وما ذكرته هنا لطيفة ترفع به عن طبقات الناس وتحظى بسعادة وصحة غير ماعرفة الناس من السعادات . ثم إن ما ذكرته أنا في سورة (الأعراف) مناسب لما لأن الله تعالى يقول - وكأوا وأشر بوا ولا تسرفوا - فوجب تنظيم الأكل هناك . أما هنا فالله يقول قولاً آخر . يقصّ علينا قصة آدم وبنتا الصخرة نجسة آدم أبينا . ثم اتنا قلنا لا بد من لذات وزينة فانتقلنا الى ماتمن فيه الآن فعاقبنا الله بالخروج عن سنن الطبيعة . فإذا كان آدم نسي عهد الله وأكل من الشجرة فعن خرجنا عن سنن الطبيعة فأكلنا فوق طاقتنا ولم نفعل فعل الحيوان في أمر الشهوة الهيمية فلم نجعلها مثله لأجل التربية . لهذا عوقب الناس بالمرض من سائر وجوهه كما عوقب آدم بالخروج من الجنة . وإذا قال الله في آدم انه لما أكل هو وحواء من الشجرة أخذوا يحصفان عليهما من ورق الجنة . هكذا لما خرجنا عن سنن الطبيعة أخذنا نجد في طلب اللذات والزينة في القوت واللباس . وإذا قال الله لها - ألم أنهك عن نكاح الشجرة - الخ فها هوذا النداء في كل وقت نسمعه بلسان الدين والطب يقرع أسماعنا كل يوم ﴿ اتركوا الشهوات لتصحوا ﴾ . هذا قول الدين وقول الطب والعلم معا لتصح العقول والأجسام . وإذا أجاب أبو انار بهما بأنها ظلمنا أنفسهما فهنا نحن أولاء نكتب جميعا في الشرق والغرب ونعترف على رؤس الأشهاد بأنا معاشر بني آدم نتركنا عن الحيوان في أكلنا وشربنا وهوائنا وشهوواتنا التناسلية فكل كاتب يقول ذلك عن نفسه وعن نوع الانسان فهذا الاقرار بترك كل يوم كافر أبوينا . وإذا أجابهما الله بأن يهبط بعضهم لبعض عدو . فها هوذا نوع الانسان بعضه لبعض عدو . وإذا قال الله لها ان من اتبع هداى لا يضلّ ومن أعرض عن ذكرى يكون في معيشة ضلّكى . فها هوذا تذكر الله لنا بالكاتب السابو والكاتب العالمية كل يوم فن اتبع فاز ومن ضلّ هالك في صحته إن خالف المثل الأعلى وفي عقله أيضا بترك الصحة أو بترك التقوى . ثم إن هذه الآراء التي نكتب هنا وأمثالها تذكر قواد الأهم بالرجوع الى حال الصحة الناقصة ليكونوا قادة للنوع الانساني - ولقليل من عبادى الشكور - . اللهم إني أجدك جدا كثيرا إذ وقفتى لكتابة هذا وتفسير الآية به . كتبت هذا

(زيارتي لمتحف فؤاد الصحي بمصر)

أقول لمباطلع على ما كتبت أحد الفضلاء قال إن في هذا القول المبالة وشدة تضيقا وليس لهذا إلا أن يكون من المذكرات للعقلاء بل إن المؤلف نفسه قد قال ذلك . فهل لك أن تسير معي إلى جهة عابدين لأريك ما أحدث بالقاهرة على كسب منك أنت . هذا كلام (غاندى) ولكن بعض القراء يقولون إن (غاندى) رجل أشبه برجال التصوف والزهاد . وهذه الطائفة مشددون فإذا أردت كلام هذا العالم بما شيد في مصر عابدين وهو المتصف المذكور ثم ثبت ما تراه هناك وما أعد لمشاهدة الجمهور كان ذلك أحسن وقعا وأدق صنعا وأقرب إلى العقول فهما الأنهم يعلمون أن هذا المتحف قد أنشئ في مصر على منوال ما صنعه أهل أوروبا الذين روى الفساق من أبناء الشرق عن فساقهم أحاديث الخسلة والشهوات القاتلات مسلسلة مصححة فاتبعوها بأمانة واخلاص فعسى أنهم إذا سمعوا أحاديث الطب المروية عنهم يتبعون أحسنها ويهديهم الله ويجمعهم من أولى الأبواب . فقلت إن ما ذكرته عن (غاندى) منقول عن أوروبا . فقال ولكنه مقرون بفتنه هو فيظن فيه التشديد والمبالغة فتوجهت معه إلى « متحف فؤاد الصحي » فأول ما فاجأني فيه بهوم متبع وفيه تماثيل وصور شتى تمثل أنواع الأعضاء الجسمية

(أ) فهناك صورة تمثل المصارع وقوته تحريرا على الرياضة البدنية
(ب) وهى آلة كالمسوك موضوعة على الأسنان ترى الداخل أن الأسنان يكون التنظيف فيها طولا وعرضا
(ج) وصورة الرأس متصلة بالرقبة وبيان عملى أن لها « حركتين » حركة تنزى بها إلى الأمام والخلف وحركة جانبية

(د) صورة فقرة من فقرات العنق مكبرة وفيها النخاع الشوكى والأعصاب واضحة فيها
(هـ) صورة تبين قوة عظام الفك

(و) وبيان أن وزن جسم الإنسان إذا كان (٧٠) كيلوجراما فإن الماء فيها يكون (٤٥) منها والمواد الصلبة (٢٥) وهذه منها مواد زلالية (٤) ومواد دهنية (٧) وأملاح غير عضوية ٣ ومواد نشوية ٢٧ . كج (ز) وصورة العمود الفقرى الخ . وبالجملة يرى في هذا البهو العظام والألياف العضلية مفصلا وهناك في ذلك الدور الأرضى يتفرع من هذا البهو « ثلاث حجرات » « الحجرة الأولى » فيها (١) جهاز السورة السموية (٢) وجهاز الأوعية المغاوية (٣) وجهاز التنفس (٤) والفرد ذوات الافراز الداخلى وقد كتب فيها هذه النماذج

(١) ابتعد عن الخمر والتدخين وحاذر من عدوى الزهري تسلم من كثير من أمراض القلب والأوعية الدموية « الحجرة الثانية » فيها

(أ) الجهاز العصبي (ب) صورة الإنسان قبيل التاريخ وهيكلة العظمى نفسه (ج) نفس الأدوات التى استعملها الإنسان قبل التاريخ (د) الجلد الإنسانى وفيها ألواح مكتوب فى أحدها ما يأتى

(١) النظافة من الإيمان (٢) الصحة تاج على رؤس الأصحاء لا يراه إلا المرضى (٣) لو تسنى لك رؤية ما يتراكم تحت أظفارك من القاذورات بالمجهر (الميكروسكوب) لبذلت عناية كبرى فى قصصها ووظائفها . وقد كتب فى لوحة ثانية ما نصه

(١) العقل السليم فى الجسم الصحيح

(٢) بعض أنواع الجنون وراثية فيجب العناية بانتقاء الأزواج

(٣) المخدرات كالسكر والكافيين والمورفين والخمر من أهم أسباب الجنون

(٤) « تخبروا لطفكم فان العرق دساس » وكتب تحته هكذا (حديث شريف)

- (٥) حجم مخ الانسان منسوب الى وزن جسمه يفوق مخ أى حيوان آخر
- (٦) الأمراض الطفيلية الزمنة فى الأطفال تؤخر نمؤ عقولهم
- ﴿ الحجره الثالثه ﴾ فى الدور الأرضى للفرغه من هذا البو فيها
- (١) الجهاز الهضمى (٢) الماء كولات ومصدرها وطرق استعمالها (٣) الجهاز البولى
- (٤) الأمراض التى تنشأ عن نقص فى بعض مواد الغذاء (٥) الأذن . وفيها لوحه كتب عليها ماأتى
- ﴿ المدهه بيت الداء والحجيه رأس الدواء ﴾ ولوحه أخرى كتب عليها ماأتى
- (١) ﴿ الجاهل يعيش ليا كل والعاقل يأ كل ليعيش ﴾
- (٢) اشرب كثيرا من الماء القراح فانه ينقى الدم ويساعد على إفراز البول
- (٣) لاتركن الى الأدوية الملمية لمعالجة الامساك إلا بارشاد الطيب
- (٤) التدخين يسبب مرض القلب والأروعيه الدمويه وققد الشهوة وضعف الابصار
- ولوحه ثالثه كتب عليها ما أتى
- (١) ﴿ نحن قوم لانأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لانشبع ﴾ وكتب تحتها (حديث شريف)
- (٢) ﴿ رب أكاه حرمت أكالات ﴾
- (٣) سوء التغذية يودى بحياه آلاف من الأطفال
- (٤) لبن الأم هو الغذاء الطبيعى للطفل حتى الشهر التاسع
- (٥) لاتدخل الطعام على الطعام
- و بعد أن اطلعت على الدور الأرضى صعدت الى السلم المؤدى الى الدور النوى فوقه فرأيت أمرا عجبا .
- رأيت صوروجوه مزججه وأعضاء مجزئه مشوهة تشوها فظيها لأقوام أصيبوا بالزهرى وزهقت أرواحهم ضحيته
- وقد كتب تحت هذه الصور المشوهة ألواح فيها نصالغ مثل قولهم
- (١) إن التعود على العادات الصحيه فى الصغر أمر مهم . أما قراءة علم الصحة بلا تهود فلا فائدة منه
- (٢) ومثل ﴿ انى لا أبصق على الأرض ﴾
- (٣) انى أمضغ طعامى جيدا
- (٤) انى أغرف لنفسى الطعام بملعقه خاصه ولا أستعمل لذلك ملعقتى الخاصه فى
- (٥) انى أذهب الى المرحاض فى ساعه معينه كل يوم
- (٦) انى لا أعود المرضى إلا اذا كنت مضطرا لغرضهم لأن كثيرا من الأمراض سهله الانتقال
- (٧) أنا أنام عشر ساعات كل ليله ونوافذ غرفتى مفتوحه
- (٨) انى أغسل يدي بالماء والصابون وأنظف أظافرى قبل أن ألمس الطعام
- (٩) انى أنظف أسنانى مرتين كل يوم على الأقل مره فى الصباح ومره فى المساء
- (١٠) انى استحم استحماما كاملا مره على الأقل كل أسبوع
- (١١) انى أضع منديل أمام أنفى اذا سعلت أو عطست . وقد كتب أيضا أن هذه اللوحات مستحضرة
- من بلاد الصين . ثم إن هذه النصالغ الجميله قد فصلت فى ألواح أخرى وشرحت . فى لوحه كتب ماأتى
- (١٢) الأطعمة المعروضه فى الأسواق بلاوقايه من الأتربه والذباب خطر تناولها . كذلك الطبيبخ الذى
- يمسكه البائع بيده القنطرة الخ . وفى لوحه أخرى كتب ماأتى
- لانأكل الخضرراوات إلا بعد طبخها أوغسلها جيدا مثل الفجل والكراث والخس لانها قد تكون مصابة
- من ماء البرك بالمكروب . هذا ماقرأته وأنا صاعد فى السلم على اللوحات المعلقه على الحائط . فلما دخلت الدور

العلوى وجدت فيه ﴿ ثلاث حجرات ﴾ أيضا . فأما الحجر الأولى ففيها الأعضاء المشوهة من مرض الزهري بهيمة تشهر منها الأبدان بحيث لو اطلع عليها شاب لا يسمح لنفسه بالزنا مرة واحدة في حياته فكأن الأعضاء المشوهة بالسلم مقتدات لهذه الحجر . وهذه الحجر قد كتب على بابها في لوحة مائضة ﴿ الأمراض السرية - ولا تقر بوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا - والحق أن ما يشاهده الانسان في هذه الحجر لا يدع سبيلا للشك في اهلاك الزنا للنفس البشرية . وجوه كالحة وأنوف مائلة ورقاب ذابلة وقروح دامية وشفاة سائلة وأذان حالمة وعيون جاحظة وسواك مفتحة وعورات مخزقة وفروج منقطعة ومقطعة وهيئات جهنمية وعظام ألوانها بنية (تشديد النون والياء) في أجسام بلية منظر مهول ومظهر كالقول ووصف أعجز القول فليس لي بوصفه حول ولا طول . لتلك أنتقل من هذا الى باب بقية الحجرات في هذا الدور العلوى فأقول هناك على باب بقية الحجرات لوحة قد كتب عليها ﴿ إن الذي في البهوى . الامومة . الطفل . الاسعافات

الأولية ﴾ ﴿ غرفة نمرة ١ ﴾

الأمراض المعدية . الأمراض الطفيلية

﴿ غرفة نمرة ٢ ﴾

أمراض العيون . الأدوات الصحية . السرطانات . الحياة التناسلية . إذن دخلت البهو وهناك فيه رسمت الزهرة ولها أعضاء تدكر عددها خمسة صفراء اللون محيطة بخمسة أخرى داخلها وهي أعضاء تأنيث خضراء وكلها مجسمة واضحة . وهناك شاهدت أطوار النطفة من أول يوم الى تمام كمال الجنين في الشهر الأول وليس واضحا . أما في الشهر الثاني والثالث فانه يرى خلقا بعض الخلق . أما في الشهر الرابع فانه يرى تام الحلقة نائما على ظهره ولكنه في الثاني والثالث يرى نائما على جنبه الأيسر وفي الشهر الخامس يكون أكبر وهو نائم على جنبه الأيمن وفي السابع يكون نائما على ظهره وهكذا الى الثامن . أما في التاسع فانه يكون نائما على جنبه الأيسر كاشه الثالث . وفي الأيام الأولى يرى تكويته مبتدئا يجعل النطفة قسمين ثم أقساما ثم يظهر شكل العلقه ثم يكون له ما يشبه الذيل ثم يرى أن هذا الذيل قد زال وأصبح أشبه بحيوان لا ذيل له فلا تدخل إذن الحجر الأولى نمرة ١ هناك ثلاثة أنواع من الألواح . ألواح كتب عليها نصائح للرجال والألواح كتب عليها نصائح للشباب وألواح كتب عليها نصائح للبنات

﴿ نصائح الرجال ﴾

ألواح نصائح الرجال كثيرة ففيها جنسدي مديج بالسلاح مكتوب تحته ﴿ اذا أردت أن تكون جنسيا شجاعا فيجب أن تكون مخلصا مطيعا سليم البنية . وقد أمر أن ينظر في اللوحات التي بعده مثل ﴿ بيان كيف يمكن كبح جراح الشهوة البهيمية وذلك بعدم قراءة النوادر ورؤية الصور المبتذلة وكل ما يوقظ الشهوة وينصح أيضا بالابتعاد عن النساء المبتذلات وعن شرب المشروبات الروحية ويؤمر بضبط النفس وبالاهتمام بالأعمال الخاصة بالألعاب الرياضية ونحوها ﴾ ثم هناك بيان كيفية إصابة الزهري وبيان ما يطلب من الرجل ومن المرأة من العفة والشرف وشرح المرض التناسلي وضرره . فكأن هذا شرح لما في الحجر الأولى التي يدخلها الانسان قبل دخول البهو المماودة صورا محزنة . فهذا شرح لها . وهناك لوحة كتب عليها ما نصه ﴿ هل الجماع ضروري . ليس الجماع ضروري لحفظ الصحة لأن الطبيعة (يريد الطبيعة) تصرف في الوسائل التي تقرزها الغدد التناسلية أثناء النوم . لاتصدق من يقول لك ان (الاستحلام) مضر ويجب معالجته بالجماع . فهذا ليس حقيقيا فان المدريين الرياضيين ينعون المصارعين من الجماع قبل المسابقة لأنهم يريدون أن يكونوا في أحسن صحة ممكنة . القبطان سكوت وجاعته في ارنيا دهم القبط الجنوبي وجاعات كثيرة غيرهم أمضوا وقتا طويلا حيث لا توجد امرأة ولا يتكرر أحد انهم كانوا رجالا أشداء ﴾ هذا ما أردت

ذكره من لوحات نصائح الرجال

﴿ لوحات نصائح الشبان ﴾

كتب فيها ما يأتي ﴿ المحافظة على الصحة . نصائح للرجال والأولاد نشرتها مصلحة الصحة بالولايات المتحدة باتحاد الجمعية الأمريكية للصحة الاجتماعية ﴾ وهذه صورتها

(١) هل أنت صحيح (٢) هل يمكنك أن تمشي عشرين ميلا في اليوم (٣) هل يمكنك أن تشتغل في الحقل ثمان ساعات في اليوم (٤) هل يمكنك أن تجري (١٠٠) ياردة في (١٢) ثانية . مستلزمات الصحة . (١) القوة العضلية (٢) الاجتهاد (٣) النشاط (٤) قوة الإرادة (٥) الشجاعة (٦) ضبط النفس

﴿ ما هي حدود مدة التمرين البدني ﴾

وهنا أمر بالمحافظة على قوانين الرياضة البدنية فقال حافظ على صحتك لتقوم بالألعاب الرياضية وألتعلم العلم والأشغال التجارية وأولى عمل في ميدان الحياة باتباع القوانين الآتية

(١) تريض واللب بلا فراط (٢) تناول الأطعمة الصالحة (٣) استنشقي الهواء الطلق كلما أمكن ذلك (٤) نم وقتا كافيا (٥) اعتن بنظافة جسمك وثيابك . ثم بعدها لوحة كتب عليها ما يأتي

﴿ تشرب بالروح الرياضية ﴾ (١) السباحة (٢) كرة القدم (٣) كرة المضرب (٤) ركوب الخيل (٥) المشي في الهواء الطلق والمصارى . كل هذه أنواع الرياضة الشيقة . وفي لوحة أخرى أيضا ما يأتي

﴿ رضى بدتك بعمل نافع . الاشتغال في الحديقة والتجارة . أنواع الرياضة المنزلية النافعة . تريض عند البطالة من النوم . تريض أمام نافذة مفتوحة وأتبع ذلك بحمام وذلك جسمك بنشاط بمنشفة خشنة .

قف معتديلا وجلس وامش معتديلا . الوضع الطبيعي للجسم يلفت النظر لجلاله ويدعو الى الاحترام والوقفة بالنفس ويساعد على الهضم . أحن رقبتك الى الخلف حتى تمسّ طوق الرقبة . أكثر من الاستحمام .

كيفية الاستحمام . الماء الباني والصابون لمدة ثلاث دقائق ويعقب ذلك شعور بارتياح وحرارة في الجسم ونشاط ان كان الانسان صحيح البدن . الاستحمام يوميا والاكثر من غسل الوجه بالماء والصابون والتجفيف بمنشفة نظيفة يساعد على منع السامول ولكن لا ينسفيها فاذا اصب بالدمل فاستشر طبيباً ﴿ انتهى ما أردته

من نصائح هذه الدار

﴿ ظهور آثار ما تقدم من علم الطب في الأمم و بيان بعض السر في قوله تعالى - وعصى آدم ربه فغوى - ﴿

اللهم إنك خلقتنا في هذه الأرض وأودعت أرواحنا في هذه الأجسام الأرضية وحكمت عليها أن تبع في صحتها ومرضاها وذكاؤها وبلادتها طبيعة الأغذية والأهوية التي تتناولها وتستنشقها . خلقت يالله في الانسان شهوة وجعلت له عقلا ومكنته في الأرض فجعلته خليفة وقلت له ﴿ يا عباد فاتقون ﴿ فزلت قدم هذا الانسان

بما سؤل له الشهوة البهيمية فاختأ في تقدير الطعام والشراب واللذات ونسى أسئل المقصود من الحياة واتبع اللذة وما هي إلا وسيلة للحياة والصحة فعكف على الوسيلة ونسى الغاية . نسي الغاية لأنه ظلم جهول قال

تعالى - نسوا الله فسيهم - ومن نسيان الله نسيان حكمته في بريته ونظامه في خلقته

يقول العلامة ابن خلدون في مقدمته ماملخصه ﴿ إن الأقاليم المعتدلة ليست كلها على وتيرة واحدة في الخصب والعمران . ففيها ما يكون لأهلها خصب العيش من الحبوب والادم والخنطة والفواكه لوفور العمران

ومنها ما لا تنبت زرعاً ولا عشباً وسكانها في شظف العيش مثل أهل الحجاز وجنوب اليمن . ومثل المسلمين من صنهاجة الساكنين بصحراء المغرب وأطراف الرمال فيما بين البربر والسودان فإن هؤلاء يفقدون الحبوب

والادم جلة ولا يتعدون إلا من الألبان واللحوم . وهكذا العرب الجائون في القفار وهم لا يتناولون إلا التزاليير من الحبوب والادم وعماد أغذيتهم الألبان القائمة مقام الخنطة . فهؤلاء الفاقدون للحبوب والادم من أهل

القنار أحسن حالا في جسمهم وأخلاقهم وأبعد عن الانحراف وأذهانهم أثبت في المعارف والادراكات . ثم أبان السبب قائلا : ان كثرة الأغذية ورطوباتها تولد في الجسم فضلات رديئة بنشأ عنها عدم انتظام أقطار الجسم في نسبة الخلق وانكساف الألوان وقبح الاشكال من كثرة اللحم وتغطي الرطوبات على الأذهان بما يصعد الى الدماغ من أنجرتها الرديئة فتجني البليدة والفقلة والانحراف عن الاعتدال بالجملة . ثم وازن ما بين الناس وبين الحيوان . وأن الغزال والنعام والمهر والزرافة والجر الوحشية والبقرة إذا وزناها مع أمثالها من حيوان التلول والأرياف والمرعى المحصبة وجدنا البون شاسعا في صفاء أديمها وحسن رونقها وأشكالها وتناسب أعضائها وحلة مداركها . فالغزال أخوال الغزال والزرافة أخوال البعير والجر والبقرة أخوال الجر والبقرة واليون بينها ما عرفت فالحيوانات الاطرية في أبدانها رطوبات وفضلات رديئة وأخلاق فاسدة ظهرت آثارها على أبدانها وفي ادراكها والجوع لحيوان القفر حسن في خلقه وأشكاله . هكذا في الآدميين . فأهل الأقاليم المحصبة العيش الكثيرة الزرع والضرع والادم والفواكه تصف أهلها غالبا بالبليدة في أذهانهم والخشونة في أجسامهم وهذا شأن البربر المنغصين في الادم والحظفة مع المتشقين في عيشهم المقتصرين على الشعير أو البصرة فهم أحسن حالا في عقولهم وجسمهم مثل المصادة وأهل غمارة والسوس . ووازن هنا ما بين أهل بلاد المغرب المنغصين في الادم والبر مع أهل الاندلس المقود بارضهم السمن جملة وغالب عيشهم الذرة . فالآخرون أذكاء العقول خفيوا الأجسام يقبواو التعلم والأولون أقل منهم في ذلك . ثم ذكر أن المعودين على الجوع من أهل البادية لافضلات في جسمهم غليظة ولا لطيفة . ثم ان أثر الخصب وأحواله يظهر في حال الدين والعبادة فان المتشقين من أهل البادية أو الحاضرة الذين يتجافون عن الملاذ أحسن ديناً واقبالاً على العبادة من أهل الترف والخصب بل أهل الدين قليلون في الأمصار لما يعمها من الاكثار من اللحوم والادم ولباب البر . وهكذا اذا نزلت بهم السنون وأخذتهم الجماعات يسرع الهلاك الى أصحاب الملاذ والترف والانفاس في طيبت المأكول والمشارب مثل برابرة المغرب وأهل مدينة فاس ومصر . فأما أهل القفر والصحراء وبلاد النخل الذين يعيشون على الخمر وهكذا أهل أفريقيا في عهد ابن خلدون الذين غالب عيشهم الشعير والزيت وأهل الاندلس في زمانه الذين غالب عيشهم الذرة والزيت فان هؤلاء لاتأخذهم السنون والجماعات فلا يكثر فيهم الهلاك . قال بل ولا ينسر قال لأن المنغصين في التمر والملاذ كسبت أمعاؤهم رطوبة فوق رطوبتها الأصلية فاذا حيل بينها وبين ما ألقت أسرع اليها ليس وتبعه الهلاك . فالهالكون في الجماعات انما قتلهم الشبع السابق لا الجوع اللاحق فللدار إذن على العادة ﴿

هذا ملخص ما ذكره ابن خلدون في مقدمته . فهذا هو العجب العجيب . أنزل الله في القرآن قصة آدم وأسماء من الشجرة وكررها في القرآن . كررها ليلفت اليها أذهاننا نحن أبناء الاسلام . نحن الذين نزنحنا من جزيرة العرب الى شمال أفريقيا والاندلس والعراق وغيرها وقال الله لنا إن أبأكم آدم أغواء إبليس فأكل من الشجرة فكشفت عورته فاخذ يتخصف من ورق الجنة ليوارى تلك العورة . وهاتحين أولاء الآن قد نهانا الله عن الاسراف في المأكول والمشارب وحذرنا فقال - أذهيتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فالقوم تجزون عذاب الهون - فلما تفرقنا في أقطار الأرض وملكننا نسبنا عهد الله لنا كما فعل آدم سواء بسواء ولكن آدم تاب فتاب الله عليه . أما نحن أبناء العرب ومن معنا من أمم الاسلام فأكثرنا ناسون لعهد الله فأخذنا في البطنة وسوء التدبير واستكثرنا من تلك اللذات وقد علمت أن اللذات والبطنة والاستكثار منها قد أورت الناس قلة الجلال في أجسامهم والحفة في أرواحهم وفقد الصحة في أبدانهم وذهب الذكاء في عقولهم وفقد الحية في شرفهم وأعرضهم للموت اذا حلّ الوباء وقلة العبادة والعلم وحب الله . فهذا ﴿ سبع خصال ﴾ تقدم البرهان عليها من تاريخ ابن خلدون وبصدها تميز الأشياء . إنك يا الله حشرتنا في هذه

الأرض وأرى قناطريق الشهوات والعفة فاتبع أكثر الناس الأولى وذلك لما كثرت لهم الخيرات والمنافع وفشح البلدان التي خاف منها رسول الله ﷺ علينا إذ قال ﴿ إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مَا يَفْتَحُ عَلَيْكُمْ الْخَيْرَ ﴾ والحديث تقدم في سورة الأنفال وغيرها . والذي خافه رسول الله ﷺ قد تحقق فعلا وصار المال الذي فتح الله به على الناس سببا في ضرر الأجسام والعقول وضياح السرور والأنساب والشرف . أفليس من العجب أنها تذكر أن يتفق العلم الحديث الآن وما جاء في التاريخ . أفليس من أجل العلم الهلالي أن نرى ما يقوله أطباء العصر الحاضر الذي عقله أمثال (غاندي) (الزعيم الهندي) وعمل به وزهد ورأى في نفسه خفة وذكاء وعقلا بعد أن كان كثير البطنة قليل الذكاء هو عين ما يقوله ابن خلدون سواء بسواء

اللهم إني أجدك على نعمة العلم وعلى نعمة التوفيق وأسألك أن توفقي فيما بقي من أيام حياتي أن أعمل صالحا وأقتدى بال صالحين . اللهم إني أجدك إذ استبان الحقيقة لي ولاخوافي قراء هذا التفسير إذ يرون الحقائق ناصعة جميلة الحميا بهجة المنظر وأن ما قرره ابن خلدون عملا في زمانه من اختلاف الأجسام والعقول باختلاف المآكل عفة وشهوة هو عينه الذي يقوله علماء زماننا حرفا بحرف ثم يظهر في الهند عالم فيقر هذا في نفسه . مثال (غاندي) المتقدمة قبل الهداية للقناعة هي حال أهل الأمصار التي ذكرها ابن خلدون وحال (غاندي) بعد القناعة هي حال أهل القفر الذين لا يكتفون من الأغذية المورثة عفونة في أجسامهم هذا بعض أسرار قوله تعالى . ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما . وقوله . فقلنا يا آدم إن هذا عدوك ولزوجك فلا تخرجنكما من الجنة فتشقى . وقوله . فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى * فأكل منها فبدت لها سواتهما . وقوله . ومن أعرض عن ذكرى فإن له مبيتة ضنكا . الى قوله . وكذلك نجزي من أسرف . والحمد لله رب العالمين . انتهى صبيحة يوم الخميس (٢) أغسطس سنة ١٩٢٨

﴿ فصل في إيضاح ما تقدم ﴾

تبين مما تقدم في هذا المقام أن الانسان اليوم تنطبق عليه قصة آدم بخلافها إلابلا . وهنا لما وصلت الى هذا المقام حضر صديقي العالم المفكر واطلع عليه فقال ما هذا الفصل الذي تريد شرحه الآن ولقد أطلت المقال والشرح . إنما كان ينبغي ما تقدم في هذه القصة . قلت إن الأطالة في أمثال هذا إيضاح لأولى الإبصار وبصرة لهم وإن أطلنا في هذا لتكون أهدى من بطيل في مقدمات بلاتناج . فقال ما معنى مقدمات بلاتناج . فقلت ان المسلمين اليوم يحتاجون الى الإفصاح عن الحقائق الدينية والعلمية . وأكثرت الكتب المشهورة فيما بينهم كانت الأطالة فيها في الآلات المعدة للاستنتاج ولكننا اليوم في زمان يجب علينا فيه أن نشرح الحقائق ونختصر المقدمات ونطيل في النتائج والمقاصد . وأكثر ما في هذا التفسير مقاصد وموارد يرددها المسلمون فيصرون عنها وقد اشترحت صدورهم إذ قرؤوا في التفسير ما كانوا يشاققون الى معرفته من نظام هذه الحياة الدنيا وما بعده . فقال لقد ذكرت ملخص ما قاله (غاندي) وما رأيته أنت مكتوبا في المتحف الصحي وما ذكره ابن خلدون في المقدمة في هذا المقام اجتمعت موارد النصح الطبية من تجارب الأمم في المتحف الصحي وخلاصة تجارب الأطباء في كلام (غاندي) ونتائج ذلك كله قديما في أحوال الأمم أيام ابن خلدون المؤرخ . فإذا ينبغي بعد ذلك . قلت أريد أن أوفى المقام حقته . فقال من أي ناحية . قلت من ناحية استعداد الانسان . قال إذن تريد مقالا عاما ينطبق على جميع ما تقدم . قلت نعم . قال فما هو . قلت ﴿ اللهم إني أجدك خلقنا على هذه الأرض ومختارين بها قوام حياتنا وعقلا به نعام هذه الغرائز فأني أكثر الناس على الأرض إلا اتباع خطوات الذات وعصيان نصائح العقل والحكمة حتى قاتلنا - قتل الانسان ما أكفره - فوالله لقد ظهر القتل في نوع الانسان أيام حياته . كيف لا وقد جعل سطوة الحكومات مناسبة لمشارب الأمم وظلم الملوك على مقدار جهل الرعية واحتدام

وطيس الحروب بين الدول على مقدار ما في نفوسهم من الجشع وما في قلوبهم من الطمع وهكذا اهلاك الأطباء
للرضى مقدار انهما كهم في لذاتهم وجهم لما اعتادوه . فقال صاحبي أنا لم أفهم معنى قولك ان الأطباء
يهلكون المرضى . ان الأطباء يشفونهم لانهم يقتلونهم . فقلت نعم الطبيب أعد للشفاء ولكن لما رأى أن
المرضى يميلون الى شهواتهم نوع الدواء على مقتضى دوائى نفوسهم فأصبح الدواء من مسببات أمراض جديدة
وأصاب حادثة . ألم تر عاك الله أن علماء الطب اليوم قد نصوا على أن خير الدواء ما كان أبعد عن العقاقير
وأقرب إلى الأغذية والهواء والماء وهكذا . ألم تر الى ما ذكره (غاندى) المتقدم ذكره مما سأذكره ان شاء الله
في سورة (الشعراء) عند قوله تعالى - وإذا مرضت فهو يشفين - من القسم العلمى في الطب الذى لا يعول إلا
على البساطة . قال فهل جرت شئ من ذلك . فقلت نعم . فقال وماهو . فقلت قد جرت . مسألتين
اثنين * الأولى * انى بعد ما قرأت كتاب (غاندى) في الصحة اعتراني ليلة (أرق) فرأيت فيه أن الأرق
يزول بالاستحمام بالماء الحار ثم البارد ثم أن ينام الانسان في الهواء الطلق ففعلت ذلك ولكن لما أردت النوم
في الهواء الطلق تدرت بالتأثر بخود فقلت فإحس بهجوم النوم فكشفت الغطاء وجعلت جسمى ملاقياً للهواء
فأسرع النوم الى عيى في لمح البصر * المسألة الثانية * انى في يوم من الأيام اعتراني مرض معدى وهو
المسمى (بالزحير) وهو أن تستصلى الطبيعة عند قضاء الحاجة وتكون الفضلات محتاجة ملوثة بمادة دموية
وقد كان هذا المرض يعترونى منذ سنين وكنت أنعاطى له أدوية وعقاقير فبإثر التدرج فلما اعتراني هذا
المرض مرة أخرى رجعت الى الكتاب المذكور فرأيت فيه ماملخصه إن المريض عليه أن يتعاطى الطعام
٣٧ ساعة وأن يشرب في أثناءها الماء الباقى مع الليمون ويؤمر المريض أن يمضى ساعتين في اليوم ويستحم
الاستحمام الخاص بالماء البارد . ويدلك البطن بخمرة خشنة وهكذا يضع لبخة الطين على معدته ليلا وهكذا
فما قرأت ذلك حتى تركت الطعام وتعاطيت الماء الدافئ مع الليمون ومشيت مدة في الهواء الطلق . فن عجب
أن المرض وقف واقطع . وأنى أذكر هذا في التفسير شكرا للنعمة وتذكرا لأولى الألباب . إن هذا النوع
الانسانى كله في جهل مركب وأنا أعجب من نوع الانسان هذا النوع الذى اتفق فيه العالم والجاهل والطبيب
والمريض . اتفقوا جميعا - إلا من رحم ربك - على احتياج خطة اللذات واتباع الشهوات . ان الطبيب
العائد لا يمكنه أن يداوى المريض بما تداوى به . ويمتعه من ذلك * سببان * السبب الأول * أن المريض
لأوامره الطبيب بالمشى ساعتين ليشفى من هذا المرض وبأن يجوع ٣٧ ساعة لم يتسن للمريض اتباع مشورة
الطبيب لأن المشى عمل شاق والجوع صعب على النفس * والسبب الثانى * أن المريض لا يعطى الطبيب
أجرا إلا اذا أعطاه دواء لأنه يحجل أن الشفاء قد يحصل بالمشى والجوع . إذن يضطر الطبيب أن يجارى
المريض لتلك عجرت (الصيديات) وفكتك بنوع الانسان فتكا ذريعا . ذلك لأن هذا الانسان في الأرض
يتبع الشهوات والعادات - هو حيوان مقلد - وإن قطع أكثر من في الأرض يضطرك عن سبيل الله ان
يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخوضون - عصي آدم ربه فغوى ولكن آدم تاب الله عليه . أما بنوه فهم
عصوا بداعى شهواتهم وتقليدهم وقلة تبصرهم . وهاهو القرآن يذكرهم والأمراض توقظهم ويقول الله
- ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا - الخ أنا سطرط هذا ليفكر أهمل العلم في الاسلام أن الله
عز وجل ما أنزل بلاه لأهل الأرض إلا كان سببه الجهل فلو لا الجهل ما أضعت في الأيام الماضية أياما وليالي
في مداواة هذا المرض بل كنت أقطعه بما قطعته به هذه المرة . إن المانع للإنسان من الرقى هو الجهل .

إن المانع للأهم عن الرقى هو الجهل - إن الله لنوفض على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون -

اللهم إن العذاب مقدر على مقدار التوب والتوب هنا أن بنى آدم يقدمون لذاتهم في مرضهم على محبتهم
وسعادتهم فيعاقبون بزيادة المرض . ألا ترى عاك الله أن الأطباء في زماننا إذا رأوا مريضاً بهذا المرض في

الشرق أوفى الغرب فإن الطبيب يقول له إن أفضل علاج أن أحققك بالحقن وهناك يدخل الابرة في جلده ويدخل العقاقير فتجري مع الدم ويقول له إن هذه العقاقير تقتل الحيوانات الصغيرة المنتشرة في الجسم المؤدية إلى استئصال الدليعة ولا يزال المرء يضربواظب على إدخال تلك الابرة في جسمه ولا يزال هو ناعما هادئا ساكنا ظاننا أن هذا آخر علاج ويتقذى بالأغذية التي يصفها له الطبيب . أما العلاج بالجوع والباشى والليمون الذي لم أعرفه ولم أعمل به أنا إلا في مرضى الأخير للزحير فقط لمريض حالاً فإن الطبيب لا يصفه لأحد حتى لنفسه ولا لأخيه ولا لأخته ولا لأبيه ولا لصاحبه ولا لبنيه لأنه هو نفسه مسوق بالعادة وأكثر الناس عبيد العصا مسوقون بالغرائز والعادات ويعاقب المريض على ذلك بطول مدة الشقاء وبحديث أمراض خفية في جسمه بسبب تلك العقاقير التي أدخلها الطبيب في جسمه كما قال تعالى - وجزاء سيئة سيئة مثلها - فهو يستجلى الراحة وواقفه طبيب به العادة فلم يستعمل الحية وتعاطى الدواء فأدخل لها بذور الأمراض الخفية تفعل فعلها ويظهر مرض جديد بعد حين . إذن الآلام المرضية التي تنتاب الإنسان مقطرة بمقدار اللذات التي وضعت في غير موضعها واذن صدق قول الله - أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون - وهذا القول وإن كان في الآخرة فاتأثره في الدنيا واضحة . إذا علمت هذا فانتظر ما ستقرؤه في سورة (الشعراء) من الأدوية التي لاعقاقير فيها وانصح للمسلمين وقل لهم حافظوا على الصحة وتداووا بالبسائط لا المركبات اه

﴿ الطائفة الرابعة ﴾

اعلم أن ملخص ما في هذه السورة يرجع ﴿ لقمان ﴾ الأول ﴿ توحيد الله مع اشتغال القلب به ﴾ الثاني ﴿ أن جميع الآيات الخارقة للعادة لاتصلح لإقامة الأمة بل لا بد معها من العلم لأن عالم المادة متشابه والضلال مخطئ بالحق . وهذان اللقمان جعهما الله في آخر السورة هنا لخلص لها . فاذا قال في أول السورة انه خلق السموات والأرض واستوى على العرش وطلب من موسى الصلاة لذكره فقد قال هنا وأمر يا محمد أهلك بالصلاة واصطبر عليها لانألك رزقا نحن نرزقك . واذا ذكر معجزات موسى من العصا واليد وأن يحل السامري قد غطي على المعجزة عند الجهة وأن العالم العقالية هي المقصودة قال هنا ملخصا لذلك - أولم تأتهم بيته ما في الصحف الأولى - . انتهت الطائفة الرابعة وبها تم تفسير سورة (طه) والحمد لله رب العالمين

﴿سورة الانبياء مكية وهي مائة واثنان عشرة آية﴾

إقرأ مناسبها لما قبلها في اللطيفة الأولى من لطائف القسم الأول

﴿وهي قسبان﴾

﴿القسم الأول﴾ في حقيقة النبوة وفي البعث ودقة الحساب وفي الاستدلال على الله بالعوالم المشاهدة من السموات والأرض وما بينهما وذكر عبادة الملائكة ودوامها من أول السورة الى قوله - وكنت بنا حاسبين -
 ﴿القسم الثاني﴾ من قوله تعالى - ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان - الى آخر السورة وفيه ذكر (١٤) قديسا وهم الانبياء المشهورون للانعاط بأحوالهم والافتداء بسيرهم أنزلهم موسى وبله ابراهيم فاسحق فيعقوب فلوط فداود فسلمان فأيوب فاسماعيل فادريس فنواكفل فنواالتون فزكريا فيحيى وأنبياها يذكر ممدوحهم أي . ثم اكمل السورة بذكر الوعيد على الكافرين وأن سيدنا محمدا ﷺ رحمة للعالمين فهو قائم مقام هؤلاء جميعا في آخر الزمان . هذا ملخص السورة

(القسم الأول)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

أَفْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ * مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ
 إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْمِزُونَ * لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ
 مِثْلُكُمْ أَفْتَأْتُونَ السَّحَرَاءَ وَانْتُمْ تُبْصِرُونَ * قَالَ رَبِّیْ یَعْلَمُ الْقَوْلُ فِی السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ
 السَّمِيعُ الْعَلِیمُ * بَلْ قَالُوا أَضْغَاتٌ أَلْهَمَهُ بَلْ أَفْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآیَةٍ كَمَا أُرْسِلَ
 الْأَوَّلُونَ * مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ * وَمَا أَرْسَلْنَا
 إِلَّا رِجَالًا نُوْحِیَ إِلَيْهِمْ فَسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا
 لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ * ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ
 وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ * لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * وَكَمْ قَصَمْنَا
 مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ * فَلَمَّا أَحْسَسُوا بِأَسَاسِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا
 يَرْتَضُونَ * لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِينَكُمْ لَمَلِكُمْ تُسْأَلُونَ *
 قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * فَزَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ *
 وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ * لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَا تَخَذُوهَا مِنْ لَدُنَّا
 إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ * بَلْ تَقْدِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ

مِمَّا يَصِفُونَ * وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا
 يَسْتَعْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْترُونَ * أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ
 يُبَشِّرُونَ * لَوْ كَانَ فِيهَا إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ * لَا
 يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ * أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ
 مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ * وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ
 قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ * وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا
 سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْأَلُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَنَّهُ يَتَعَلَّمُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ
 أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ * وَمَنْ يَقُلْ
 مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَلَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ * أَوْ لَمْ يَرَ الَّذِينَ
 كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا
 يُؤْمِنُونَ * وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ
 * وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ * وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ
 وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ * وَمَا جَعَلْنَا لِلْبَشَرِ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْقَ أَكْفَرًا مَتَّعْنَاهُمْ
 الْخَالِدُونَ * كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَبَلَّوْكُمْ بِالْأَسْرِ وَالْخَيْرِ فَنَتَّوَيْنَا ثُرَجْعُونَ * وَإِذَا
 رَأَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ أَنْ يَخْذَلُوا أَفَلَا يَنْظُرُونَ * هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَذْكُرْ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ يَذْكُرُ
 الرَّحْمَنَ هُمْ كَافِرُونَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ سَأَوَرِكَكُمْ ءَايَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ * وَيَقُولُونَ
 مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ * لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُرُونَ عَنْ وُجُوهِهِمْ
 النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ * بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدِّهَا
 وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ خَافَ بِالَّذِينَ سَجَرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ
 يَسْتَهْزِئُونَ * قُلْ مَنْ يَمْلِكُكُمْ يَابْنَائِلَ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ *
 أَمْ لَهُمْ إِلَهَةٌ غَيْرُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْعِقُونَ * بَلْ
 سَمِعْنَا هَوْلًا وَاِبَاهَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ

أَطْرَافَهَا أَفْهَمُ الْعَالِيُونَ * قُلْ إِنَّمَا أَنذَرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْدَرُونَ *
وَلَنْ مَسْئَلَهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ
الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى
بِنَا حَاسِبِينَ *

(التفسير المفضل)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قال تعالى (اقرب للناس حسابهم) أصله اقرب حساب الناس ثم اقرب للناس الحساب، ثم اقرب للناس حسابهم (وهم في غفلة) أى عن الحساب (معروضون) عن التفكير وهما خبران للضمير والجللة حال (ماياتهم من ذكر) يوقظهم من سنن الغفلة (من ربهم) صفة لذلك (إلا استمعوه وهم ياعلمون) يستهزئون به ويسخرون والجللة حال من أوامره وقوله (لا هية قلوبهم) حال أخرى فهم يستمعون الذكر وقد جمعوا بين الاستهزاء والتلهي (وأسرؤا الجوى الذين ظلموا) أى بالقوا في اخفاء النتائج والذين ظلموا بدل من الوار في - وأسروا - وقوله (هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون) هذا كله بدل من الجوى يقول الله أسرؤا المناجاة وهى هذا الحديث وقوله - تبصرون - أى تعلمون انه سحر - (قال رنى يعلم القول في السماء والأرض) هما قراءتان - قال - أى محمد ﷺ في جوابهم و - قل - يا محمد الخ - رنى يعلم القول - سره وجهه في كل مكان ومنه مناجاةكم (وهو السميع لها) (العليم) بما في نفوسكم فهو يحاسبكم على ما أسرتم من هذه الأكاذيب (بل قالوا أضغاث أحلام بل هوشاعر) ثم أسرؤا عن قولهم سحر وقالوا انه تخاليل أحلام رآها في نومه فتوهها حقيقة ووحيا ثم أسرؤا عن هذا أيضا إلى أنه افتراء من عنده قصدا وهو عالم بافتراءه ثم أسرؤا عن هذا أيضا إلى انه شاعر كأولئك الذين يخفون القصائد ويختلقون فيها ضروبا من الخيالات كما في المعلقات السبع وغيرها وهى مشهورة عند العرب فليكن هذا مثلهم على انه ان كان صادقا في دعواه ولم يكن كما ذكرنا (فليأتنا بآية) بمجزة تبهرنا كما أتى موسى وعيسى وكما اقترحنا عليه أن يزيل جبال مكة عنا ويجرى أنهارا فيها (كما أرسل الأولون) وفعلوا ذلك كبراء الأكه والأبرص وأحياء الموتى وكالمصا وما أشبه ذلك فقال لهم الله ردأ عليهم (ما آمنت قلوبهم من قرينة) من أهل قرية (أهلكناها) صفة القرية (أفهم يؤمنون) لو جنتهم بها - كلا - لا يؤمنون كما تقررى سورة طه ووضح هناك وإذا قتلتم هل هذا إلا بشر مثلكم فالأنبياء لم نرسلهم للناس إلا من جنسهم فنجعلهم من جنس الرجال هكذا أرسلنا من قبله من الرسل لقومهم - فالرسل ليسوا من الملائكة إذ الملائكة لا يمضون مطمئنين على الأرض بل هم عالم روحاني غريب النزعة عنكم لا يستقر ينسبك فالتى إذن يكون من الرجال ويأكل الطعام كما نأكلون ويموت كما تموتون ولا يكون خالدا وذلك ليشعر بما تشعرون به وبحس بما تحسون به فلا تم طباعكم فبعاءكم وهذا قوله تعالى (وإنا أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي اليهم فاستألو أهل الذكر) أهل التوراة والإنجيل فانهم وإن أنكروا بقوة محمد لا يستطيعون أن يقولوا ان أنبياءهم كانوا ملائكة (إن كنتم لاتعلمون) ذلك (وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام) حتى تنكروا أن يأكل كما نأكلون ويمضون في الأسواق كما تمضون (وما كانوا خالدين) في الدنيا بل يموتون كما تموتون ولكن هؤلاء رجال ميزناهم بصفات استحقوا بها أن يوحى اليهم وودعناهم بالنصر (ثم صدقناهم الوعد) أى في الوعد كقولهم - واختار موسى قومه - أى من قومه (فأنجيناهم) من الهلاك انجازا لوعدنا وتصديقا لوعينا (ومن نشاء) وهم الذين آمنوا بهم (وأهلكنا المسرفين)

الذين جاوزوا الحد فكفروا بهم . هذه هي قضية الأنبياء كلهم وقصتهم فهم بشر لهم ما للبشر وعليهم ما عليهم وعدناهم فصدقناهم في الوعد . وإذا كان هذا فعلنا معهم فكذلك فعلنا مع محمد . إن محمداً أنزلنا له قرآناً فيه صيتكم وذكركم بين الأمم فيعرفكم به أهل الشرق الأقصى من الصين واليابان وجزائر الهند الشرقية وأهل أوروبا وأمريكا ، كل من هذه الأمم يعرفون أمة العرب وأن هدايتنا وقرآنا ويدرسه المستشرقون منهم وبسلم من هؤلاء كثير بعد أن كنتم لا تفتي في العير ولا في الفير - مستشفون في الأرض تخافون أن يخطفكم الناس - وكذلك في هذا الكتاب ما يلي صيتكم وشأنكم بكارم الأخلاق التي يهمل بها ذوا الشهامة والمروءة منكم وهذا هو قوله (لقد أنزلنا اليك كتابا فيه ذكركم) أيقب عنكم ذلك (أفلاتهقون) ما فضلتمكم به على غيركم فتؤمنون وكان من حقيكم أن تكونوا أسرع الناس اليه لما فيه من مزايا الشرف الديني فوق ما هو موضوع له من الكمال الأخرى فإن أبيت إلا التحدي في الضلال فإنا نهلك الأمم الظالمة والناقي في الوجود إلا ما هو نافع ويندع ما ليس بإصلاحه ولا دافع عارا ولا موريا ولا نافع جاريا فإن لم تنهوا أهلكنكم وأنشأنا غيركم فإن العالم في قبضتنا ولا تخلف إلا لمنفعة ومصلحة جليلة عندنا فإن لم تقبلوا هذا الدين أقصيناكم وأحللنا غيركم بحكمكم وهذا هو قوله (وكم قسمنا) أي أهلكنكم (من قرية كانت ظالمة) أي من أهل قرية كانت ظالمة بأمر أو بغيره (وأنشأنا بعدها) بعد هلاك أهلها (قوما آخرين) مكانهم (فلما أحسوا بأسنا) أي عندنا أي أدركوه ادراك المشاهد المحسوس (إذا هم منها يركضون) يهربون مسرعين راكضين دوابهم أو كالراكضين لها فقال لهم (لا تركضوا) لا تهربوا (وارجعوا إلى ما أرتقم فيه) أي تنعمت فيه من العيش (ومساكنكم هل لكم تسألون) أي تقصدون للسؤال والتشاور في المهام والنوازل فبأساكم عبيدكم وأنتم على الأرائك في خفض من العيش يقولون هم تأمرهم ويسألهم الناس في مجالسكم لتعاونوهم وتنفذ عليكم الوفود وأنتم في أبهتكم يستمطرون سحائب أكفكم وأنتم في بحبوحة العز وسعة الجاه وغنى عظيم أي يقال لهم ذلك استهزاء بهم كما في قوله تعالى - ذق إنك أنت العزيز الكريم - (قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين) فاعترفوا بانهم فرطوا أيام مجدهم وكفروا بالنعمة حيث لا يفيد الاعتراف بعد فوات الفرصة (فما زالت تلك) أي قلوبهم - يا ويلنا الخ (دعواهم) دعاهم وهي خبر زال وتلك اسمها وإنما سميت دعوى لأن المولود كأنه يدعو الوليد ويناديه (حتى جعلناهم حصيدا) مثل الحصيد كما يحصد الزرع أي المحصول وهو يستوي فيه المفرد والجمع (خامدين) ميتين من جذت النار وهذه الحال هي حال الأمم الشرقية الآن من المسلمين فانك تسمع في كل وقت قول أهل الهند وأهل مصر وسوريا وأهل شمال أفريقيا يدعون بالويل ويقولون فرطنا فلاحم عقلمنا ولادين اتبعنا ولا مجد أسسنا فنزل بنا القرع فاحتلوا بلادنا يا ويلنا إنا كنا ظالمين وإن شاء الله لا يحل بهم العذاب لأن هذا القرآن أنزل لتذكهم وعزهم فسيعرفون العاقبة ولا يكونون خامدين فإن هذا القول وإن صدق على أمة مضت فلا يصدق على هذه الأمم لأنهم نزل القرآن لاعلاء شأنهم فكيف يكونون حصيدا خامدين . ومن عجب أتى أكتب هذا التفسير وقد استقل أهل الأناضول من الترك وأمة الأفغان وأمة الفرس وهم قوم مسعودون وليسوا من العرب . أما أبناء العرب أي الذين نزل القرآن بلغتهم فهم الآن بين براثن الآساد الأوروبية وهم يريدون نهش عظام أبناء العرب وسواهم من الأمم الإسلامية الأخرى غير الذين استقوا ولكن الله يقول لأمة العرب أيضا لستم خامدين لأن القرآن أنزل لتذكهم وأصيتكم فليرجع مجدهم قريبا ومجد أمة الإسلام فإن القرآن نزل بلغتكم وأنذرنا الأمم به كما أنذرناكم وحذرتكم وكيف نترك الناس بلا تحذير ولا نزل فيهم مندرين (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما ليعين) ما خلقنا هذا الجلال لعب واللهو وإنما خلقناه لحكمة وأبدعناه لمنفعة وزوّقناه لثري نفوسا ونطلعها على عجائبنا ويدركون جلال الوجود ويكون ذلك لهم جناحا يطربون به إلى العالم الأعلى (لو أردنا أن نتخذ لهم آيات فإنا لآخذونها من أدناهم) أي من أدناهم أي من العوالم

المجردة من المادة كاللائكة ولا تنزل للباسه ماهو من شأنكم المادى كالزوجة والولد . ولم تخلقكم لتلهى بكم كما تلهون أتم بالصور المادية الأرضية بل يكون اللهو بن عندنا من العوالم المجردة . على أن ذلك أيضا لا يليق بنا لأن هذا خارج عن نظام حكمتنا وقوانين نظامنا ورفعة قدرنا (إن كنا فاعلين) ما كنا فاعلين ذلك فلأنه بالصور الجسمية وبالبالفوس الروحانية بل نحن خلقناكم لحكمة وقتناكم وصورتناكم وجعلنا لكم السمع والأبصار لغايات قدرناها لكم لآلهتنا ولعينا وعلى ذلك نحن لا نترككم سدى بل نحاسبكم ونؤاخذكم لأن الجّد مطلبنا والله واللّاب شأن العبيد الخلقين لأرب العالمين . فإذا نيس اللهو شأننا (بل نقذف بالحق على الباطل فيسدمقه فإذا هو زاهق) بل أمرنا فوق ذلك فأننا من شأننا أن نرى الحق الذى من جلّه الجّد على الباطل الذى منه اللّاب فيكسر دماغه بحيث يشق غشائه المؤدى الى زهوق الروح فإذا هو هالك وقد شبه بإنسان كسر دماغه . هذا هو شأننا فكيف نترككم بالانذار كأننا خلقناكم لنهوى بكم . كلا . وإذا كنا نغلب الجّد على اللهو ونصهره عليه فصن أولى أن لا نتخذ ما حقرناه وأقصيناه صفه لنا ثم إن نتيجة عندنا أنه أن الناس ينترون ويحاسبون لأن الله خلقهم لحكمة ولغاية . فهذه الأرواح الانسانية سيصير قوم منها فى العالم العلوى مع الملائكة الأعلى ويلحقون بهم فى الجنة وإسعون عليهم . . . ولذلك خلقهم . . . فأنه إذن يرى الإنسان فى الأرض يلحق بالعالم الأعلى ولم يخلق للهو واللّاب ولذلك أعقبه بذلك فقال (ولكم الوليل بما تصفون) * . . . من فى السموات والأرض ومن عنده) يعنى الملائكة (لا يستكبرون عن عبادته) لا يتكبرون ولا يتعظمون عنها (ولا يستحسرون) ولا يعيون وليس كنوع الإنسان الذى يرى يلحق بهم . فأت هذا الإنسان منه من تكبر عنها وهم الكافرون ومنهم من يعبد ويمسح بهم المؤمنون . أما الملائكة فهم دائما فى العبادة فهم أشبه بالقلب الإنسانى فانه دائما يعمل ويدفع الدم فى الشرايين الجسمية دائما ولا ينهار تام الإنسان أواسيظ . . . وكالكواكب الدائرة لىلا ونهارا . . . كالنملة النباتى والحيوانى لىلا ونهارا . هكذا سيكون هناك قوم من هؤلاء المؤمنين يرون الله ويرتقون عن أهل الجنة أو يكونون فيها وهم مع الملائكة أو يصيرون أشبه بهم ثم وصف هؤلاء الملائكة فقال (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) أى يترخون الله دائما لا يضعفون والجنة حال من الوافى . . . يسبحون . . . هذه أوصاف الألوهية وهى أن يكون الله عقلا يعبد أهل الأرض والملائكة المبرؤن من المادة لا كذلك الألّه المزيقة المكتوبة التى اتخذوها فى الأرض وهذا قوله (أم اتخذوا) أى بل اتخذوا (ألّهة من الأرض) صفة لآلهة (هم يشعرون) أى يحسون الموتى فأن الله من لوازمه أن يحى الموتى فأن هؤلاء الألّهة المكتوبة يحسون الموتى . وليس الأمر كذلك فأنهم هم أنفسهم أموات فكيف يحسون الأموات على أنه (لو كان فيهما ألّهة إلا الله) غير الله فلا وصف لآلهة وليس يجوز أن يقال انه بدل مرفوع لأنه لا يمكن إذا كان الكلام غير موجب ولا يجوز نصبه على الاستثناء لأن النكرة فى الإثبات لا محوم لها فإذن لم يدخل فيه المستثنى فكيف تخرجه إلا وهو لم يدخل فيها قبلها ولو بمنزلة ان فلانى هنا . يقول لو كان فى السموات والأرض ألّهة مغايرون لله (لفسدنا) غربتا وهلك من فيهما أى لو كان فيهما جنس الألّهة غير الله أى إله غيره لاختلغا وأتافقا باختلافهما يستلزم أن يصح العدم والوجود على شئ اختلاف فيه وهو محال واتفاقهما يوجب توارد خلقين على مخلوق واحد وهو مستحيل فيكون وجود الالهيّن محالا . على أن هذا البرهان اذا سلمنا جدلا أنهم ألّهة . ولكن الاله كما قلنا يسبح له من فى السموات والأرض والملائكة فكيف تجعل هناك موازنة بينه وبين الأججار والصور الأرضية (فبجعان الله رب العرش) المحيط بجميع الأجسام والملائكة حافون حوله يسبحون بحمد ربهم فلامعنى التنزل والموازنة المذكورة لأنه أجل وأعلى وهو موزنه (عما يصفون) من الشركاء ونحوها . وكيف يقرن بتلك الألّهة وهو (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) فأين العظيم الذى يحل عن السؤال والضعيف المعترض للسؤال ثم أعاد الكرة للانسكار مرة أخرى بعد هذه

الجميع فقال (أم اتخذوا من دونه آلهة) بعد ما ظهر الدليل (قل هاتوا برهانكم) فقد ثبت الإله الواحد عندها
وعندكم وقد اتفقتا عليه . فاما الزيادة عن الواحد فبحسن تنكيره وأتم أثبتوه فليكن البرهان ولادليل على
الرائد (هذا ذكر من مبي وذكر من قبلي) من الكتب السابقة فهي كلها متطابقة على التوحيد وتباعدة
عن الشرك (بل أكثرهم لا يعلمون الحق) لا يميزون بينه وبين الباطل (فهم معرضون) عن التوحيد
لغباوتهم . ثم بين ذكر من قبله فقال (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون)
أي فوحدون . ولما كان الولد نقضا كالشريك لأخيهما معا من صفات المحدثين قال (وقالوا اتخذ الله ولدا
سبحانه) تنزيها له عن الولد وهؤلاء خزاعة قالوا الملائكة بنات الله (بل عباد مكرمون) مقرين (لا يسبقونه
بالقول) لا يقولون شيئا حتى يقوله لأنهم يدبرون أمر العالم كما يلهمهم لأنهم عصاة مثل هؤلاء الذين جعلهم
أبناء الله (وهم بأمره يعملون) لا يعملون إلا بأمرهم به (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) ما قدموا وما آخروا
(ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) أن يشفع له مهابة منه (وهم من خشيته) عظمتهم ومهابته (مشفقون) مرعدون
إن العالم كجسم الإنسان وقد جعل الله روحا وتصريفا لأجساما تمثيلا لتصرفه في العالم . فإذا كانت روحنا
واحدة فهو واحد . وإذا كانت لنا حواس مختلفة فله ملائكة مختلفة . وإذا كان في الحواس أعلى وأدنى كالعين
والتلس في الملائكة كذلك سكان عالم السموات وسكان عالم الأرض كل له درجة . وإذا كانت حواسنا
تطيع أراذلنا فلائكة الله مطيعون إرادة الله . ولما سأل العلماء الأرواح التي حضروها وصفت الله والعالم
هكذا ثم قالت (إن أرواح الناس كلما ارتقت بعد الموت تصات مع الأرواح العالية وصارت معها رأيا واحدا
لأنها كلما ارتقت في المقامات العالية وطهرت مانت الفوارق بينها فيصير الفكر واحدا والخلاف يسقط لأن
الصفاء يجمعهم والفكر متحد وكان أهل الأرض إذا ارتقوا إلى عالم آخر يكونون وحدة متلائمة الأطراف
ذات درجات مختلفة . هذا في قسم الصالحين . أما الطالحون فهم نوع آخر ويكون السجنان أشبه بالعالم
المحسوس بعضه نار وبعضه جنات كالأرض في داخلها نار وفي خارجها جنات على سطحها . وهؤلاء الملائكة
المقرَّبون لاتصل بهم الجرة أن يدعوا الالهية فانهم من خشية مشفقون (وإن يقل منهم إلى إله من دونه
فذلك يحجزه جهنم) كالبلس إذ دعا إلى نفسه . أما الملائكة فلم يدعوا هذه الدعوى ودخوله معهم فيه تجوز
(كذلك يحجز الظالمين) الذين وضعوا الالهية والعبادة في غير موضعهما متبعين في ذلك وسوسة إبليس
(فصل في نذرة من علم الفلك وعلم طبقات الأرض للاستدلال على الوحدة في هذه الآيات وذلك
من (وجهين الأول) جهة الأحكام وحسن التصوير والتقدير (الوجه الثاني) من جهة

القرآن إذ أخبر بأموالهم تعلم إلا في القرن التاسع عشر

يقول الله (أولم ير الذين كفروا) أي أولم يعلموا (أن السموات والأرض كانا رتقا) ذوات رتق أو
مرتوقتين فهو مصدر بمعنى اسم المفعول أي ملتصقتين متصلتين (ففتقناهما) ففصلناهما وأزلنا اتحادهما كما
ثبت عن أهل أوروبا في هذه العصور إذ هم الذين قرروا هذا العلم وقالوا إن الشمس كانت كرة أشبه بالنار
دائرة ملايين من السنين والأرض والسيارات وأوبعها كانت معها . ثم إن أرضنا انفصلت كما انفصل
غيرها من السيارات انفصل جميعا من خط الاستواء الشمسي أثناء سرعة سير الشمس وجريها حول نفسها
فتباعدت أرضنا والأرضون الأخرى وهي السيارات فان شمسنا والسيارات الأخرى كلها سيارات وكأها أرضون
وهكذا كل الشمس التي نراها كأنها كواكب ثابتة على هذه الخلال لها سيارات وقد اشتقت منها وقد قبروا
على سبيل الظن أن الأرضين في العوالم كلها لاتنقص عن ثلثائة مليون أرض مسكونة ويقولون ليست جميع
السيارات حول شمسنا فإنها مسكونة بل المسكون منها أرضا وربما كان المريح وسيار آخر الخ
فتبت أن أرضنا مشتقة من الشمس والشمس أيضا من شمس أكبر منها وتلك من شمس أكبر منها

وهكذا وكل شمس من هذه دائرة حول ما اشتقت منه الى ما يقف عنده الفكر ويدش العقل ه هذه قصة العالم الذي نسينه . وهذا هو القول المشهور الآن في العالم الأوروبي الكافر بسيدنا محمد ﷺ بجهلاء بقوله تعالى على سبيل الاستفهام التقديرى - أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما - من المجزأت لأن هذا العلم لم يعرف عند العرب ولا عند الأمم المعاصرين لهم وإنما عرف في عصرنا الحاضر فعلى أن أعلن المسلمين به وأقول لهم إن هذه معجزة واضحة في القرآن فإن الله قد استدل بحسن صنعه وإتقانه على تفرد به بالقدرة والحكمة إذ جعل الحرارة سببا في حركات تلك العوالم التي كانت نارا محترقة ثم بواسطة هذه السورات أزمانا برد ظاهر الشمس فانفصلت منه الأرض وغيرها من السيارات وأرضا منها وكان هذا الحساب المدعش في سيرها والخلق البديع على ظهورها وإتقان كل شئ عليها . هكذا كان ذكره في القرآن مع جهل المسلمين وغير المسلمين من فرس وروم وأمم أخرى بهذه النظرية التي لم تكن لإحداثها معجزة مدهشة فإن أهل أوروبا وهم الكافرون بنينا محمد ﷺ عرفوا هذا الرأي فأنه تعالى يوحى الأمم الذين كانوا في زمن النبی ﷺ ويوحىنا أيضا لجهلنا . يقول أولم يعلم هؤلاء الكافرون بقوله لهم أن العالم الأرضي قد فصل من العالم السماوي أى ان العقل البشرى مستعد لمعرفة هذا من اتباع الأسباب ومن قراءة الكتب ومن درس الخبايا فكيف لا يؤمن الناس بالله واحد . وسيأتى أيضا حقا قريبا لأن هذه المعجزة مهمة جدا ثم قال (وجعلنا من الماء كل شئ حي) أى وخلقنا من الماء كل حيوان كما قال تعالى - والله خالق كل دابة من ماء - وكذا كل نبات لأنه بحياه . ويقول أيضا عاماء العصر الحاضر ان كل حيوان خلق أولا في البحر وأصل جميع الطيور والزواحف وحيوانات البر من البحر قد قطعت بطباع حيوان البر على مدى الأزمان وتنوعت ولهم في ذلك كلام كثير فتكون هذه أيضا في حكم مראה الذين كفروا ويعتبر معجزة للقرآن وستوضحه قريبا ثم قال تعالى (أفلا يؤمنون) مع ظهور الآيات ثم أتى بمعجزة ثالثة فقال (وجعلنا في الأرض رواسي) أى جبالا ثوابت كراهة (أن تميد) أى تميل (بهم) وتضطرب فانك سترى أن الأرض لها (سنة أدوار) تقدم ذكرها في سورة هود وهذه الأدوار الستة مقسمة الى ٣٦ طبقة والصور الأول منها كان عبارة عن الزمن الذي كَوّن فيه على الكرة الأرضية النارية قشرة صوانية صلبة قدر زمنها ببعوث ثمانية مليون سنة . ومعاقم أن الأرض كانت نارا ملتهبة فبردت قشورها وصارت صوانية وهى الغلاف الحقيقى لتلك الكرة النارية ولتزال الأرض تخرج لنا من أنفاسها المتضاربة ونارها المتقدة في جوفها كل وقت نارا بالبراكين التي شرحناها سابقا في هذا التفسير في سورة (آل عمران) فهذه البراكين أشبه بأفواه تنفس بها الأرض لتخرج بعض النار من باطنها ثم يخرج ذلك البركان وينفتح بركان آخر . وهذه البراكين تخرج نارا ومواد ذائبة تدلنا على أصل أوضاعنا وما كانت عليه قبل الدهر . فهذه القشرة الصلبة لولاه لتفجرت ينابيع النار من سائر أطرافها كما كانت بعد ما انفصلت من الشمس كثيرة الثورات والפורان وهذه القشرة الصوانية البعيدة المغلفة للكرة النارية هي التي نبتت منها هذه الجبال التي تراها فوق أرضنا كما يقوله علماء طبقات الأرض . فمن هنا ظهر أن هذه الجبال جعلت لحفظها من أن تميل لأن الطبقة الصوانية هي الحافظة للكرة النارية تحتها والكرة الصوانية هذه نبتت لها أسنان طالت وامتدت حتى ارتفعت فوق الأرض فلو زالت هذه الجبال لبقى ما تحتها مفتوحا وإن ذلك ثور البراكين آلافا مؤلفة وتضطرب الأرض اضطرابا عظيما وتزلزل زلزالا شديدا لأن البراكين وثوراتها زلزلة لها بالآل اذا كانت لجبال كلها لم تكن وخذت أما كتبها ثم إن هذه الجبال قطعة من نفس القشرة غاية الأمر أنها ارتفعت فما هي إذن إلا حافظة للكرة النارية التي لو تركت وشأنها لاضطربت في أقرب من لمح البصر فأهلك الحرف والنسل . هذه هي المعجزة الأخرى للقرآن لأن السابقين ومن عاصروهم كانوا يؤمنون به فقط فظهر ذلك اليوم من المعجزات القرآنية . ولقد أجمع العلماء قديما وحديثا أن الجبال على الأرض لا قيمة لها بالنسبة

للكرة الأرضية فلو فرضنا أن هذه الكرة الأرضية كرة قطرها ذراع لم تكن الجبال فوقها إلا كتنحو نصف سبع شجرة فوقها . ولو أن الأرض كرة قطرها متر واحد لم تزد الجبال عليها مالا يمترا واحدا ونصفه فقط فما هذا الجزء الخفيف بالنسبة لتلك الكرة حتى انه يمنع ميلها وسقوطها فساكن الناس يؤمنون بهذه الآية وقد ظهرت هذه النوبة فعلا في العلم الحديث ولم تظهر إلا على يد من كفروا بسيدنا محمد ﷺ والسامعون ليعلمون إلا من النورية وأنا أكتب عنهم ومن كتبهم فصدق الله وجاءت المعجزات تترى في هذا التفسير . فآله هو الذي فصل الأرض من الشمس وكائنا ملتحمتين والله هو الذي خلق كل الدواب في البحر ثم ارتقت الى أن ارتفعت في الهواء . وإن كان هذا المعنى فيه نظر ان حملنا الآية عليه والله هو الذي جعل الجبال حافظة للكرة الأرضية أن تهتز وتضطرب لأنها نار والجبال متصلة بالطبقة الصوانية المحيطة بالنار فآله هو الحافظ لها . كل ذلك دال على وحدته . ولكن الأهم من ذلك أن القرآن ورد به ولم يعرفه الناس بل لم يفسره القرآن على وجه علمي يبرهاني إلا في هذا العصر وإنما كان يفسر قديما بمجرد الإيمان . فهذه هي المعجزة الثالثة . واعلم أن الكرة الأرضية بعد أن تمت أدوارها الستة المذكورة في سورة ﴿ هود ﴾ وفي سورة ﴿ الأنعام ﴾ ومضى دور النوفان العام ثم الدور الخالي ونظمت الأحوال على ما هي عليه الآن ظهرت فيها ﴿ الفيحاج ﴾ وهي المسالك الواسعة وكما نظمها الله وأخرج زرعها ونوع حيوانها حتى وصل النبات الآن على ما يقول ﴿ اسيسر ﴾ ٣٢٠ ألف نبات والحيوان أيضا مليوني نوع وخلق الإنسان وأبدع كل شيء فيها هكذا نظم السماء وجعلها سقفا محفوظا لحفظ الشمس في مداراتها بحيث لا تختلط ولا تختلط بل حفظها سالمة في أماكنها الخاصة بها وبقوة الجاذبية بالاصطلاح العلمي فالقمر والشمس والكواكب الأخرى متجاذبات حافظات لمداراتها لا تخرج عنها ولا لاختر هذا العالم وبهذا الحفظ ونظام السرران كان الليل والنهار الحادثان من جري الأرض حول الشمس وقوله - كل في فلك يسبحون - راجع للأرض والشمس والقمر وهذا هو قوله (وجعلنا فيها فجاجا سبلا) وهو بدل من - فجاجا - (العلم يمتدون) الى مصالحهم وقوله (وهم عن آياتها معرضون) أى غير متفكرين وقوله (يسبحون) أى يسرعون في المدارات المخصصة لها ، أجراها مجرى العقلاء فهي تسبح كما يسبح السمك في الماء وهذا هو الرأي الحديث وهو أن الأرض تجري وأن هذه كلها تجري في عالم الأثير المائي لهذا الفضاء فهنا معجزات

(١) الأرض كانت ملتصقة مع السماء

(٢) الأحياء خلقوا أولا من الماء

(٣) الجبال قد ثبتت انه لولاها لتشقت الأرض بالنار

(٤) الأرض تسبح لساكنة

(٥) جريها وجري الكواكب كسبح السمك في الماء

كل هذا هو العلم الحديث وهذا أمر عجيب . هذا هو النظر العام في السموات والأرض فالشمس تجري والأرض تجري وهما تسبحان والقمر معها وبينهما المخالقات الحية فما هذه العوالم إلا كآلة طابعة والمخالقات كلها وسجلوها أوكادار صناعة تخرج كل يوم أدوات وآلات ومصنوعات مختلفة الأشكال فهي كل يوم تأتي بأشكال حديثة بعد هلاك القديمة . فلما فرغ من الكلام على دار الصناعة أخذ يصف ماضور فيها من الصور والأشكال التي أعدت لأن تخرج الى عالم أرقى من هذا العالم متى تم كمالها وأعلى هذه المخالقات الانسان فأخذ يصف الصنعة بعد وصف آلتها فأبان أن البشر لا يقاء لهم في الدنيا فأنت وهم ميتون على قاعدة التعليل والترتيب الذي اقتضاه نظامنا في هذه الدار العظيمة الصناعة فإذا ترصوا بك رب المنون فالنوم ليس خاصا بك بل هم خاضعون لقانونه فكذلك تذوقون الموت واما خلقناكم على هذا النظام لتعاملكم معاملة المتجربين

وتزفيكم في عالم الجمال والكمال وهذا قوله تعالى (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) الى قوله (ونبأكم بالشر والخير فتنة) مصدر مؤكد لنبأكم من غير لفظه (والينا ترجسون) فنجازكم على مقضى شكركم وصبركم
﴿ فصل في استبعاد هذه العلوم وأمثالها والاستهزاء بها ووعده الله للناس بأنه سيربها للناس في زمانها هذا كما اتضح لك تكميلا للحجة للقرآن في آخر الزمان ﴾

اعلم أن الله تعالى أشار للأول بقوله (وإذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك) أى ما يتخذونك (الاهزوا) سخرا قالنا بعضهم لبعض (أهدا الذى يذكر آلهتكم وهم يذكر الرحمن هم كافرون) أى منكرون فهم أحق بالاستهزاء . وأشار للثاني بقوله (خلق الانسان من عجل) لأنه يكثر منه والعرب تقول لمن يكثر منه الكرم ﴿ خلق من الكرم ﴾ ومن مجلته سبادرته الى الكفر واستهجال الوعيد واستبعاد ما جاء في هذه الآيات من الامور العلمية التى أوضحها علماء العصر الحاضر فهو يستبعدا طبعا لأنه لا يعقلها فقال الله لا يتبعوها أيها الناس (سأريكم آياتي فلا تستهجلون) والآيات أمور عاقمة منها العلوم الطبيعية المثبتة لما تقدم وعمل طبقات الأرض وغيرها فادام فيهم أعم سابقه فاقى سألتها على قوم بعدهم . وقد ورد في قول الذى ﷺ ﴿ رب مبلغ أوعى من سامع ﴾ وذلك في حجة الوداع ورفع طرفه الى السماء وقال ﴿ أأهل باغت . اللهم اشهد ﴾ ومن العلوم التى غيبت عن الناس واستهجاها أمر القيامة حين تشقق الأرض وتظهر النار التى فى داخلها التى هى إحدى نيران جهنم وقد كشفت في العصر الحاضر وهذا هو قوله (لو يعلم الذين كفروا حين لايتكفون عن وجوههم النار ولاعن ظهورهم ولاهم ينصرون) أى بحيث لا يقدر على دفعها ما استهجاوا العذاب ولكنهم لجهنم يستهزئون ويقولون أن هذا لاحقيقة له مع أنهم لو حفروا تحت أرجلهم لوجدوا أن الحرارة ترتفع درجة واحدة في كل ثلاثين مترا من العمق . ففي عمق ثمانية متر عشر درجات وفى عمق ثلاثة آلاف متر مائة درجة وهى درجة الماء المغلى وفى عمق ثلاثين ألف كيلو متر ألف درجة وفى عمق مائة ألف كيلو متر أكثر من ثلاثة آلاف وثلاثة درجة . وهذه حرارة تذوب فيها كل الجواهر والمواد المعروفة وقطر الأرض نحو ثلاثة عشر ألف كيلو متر . فالأرض مائى إلا نار متأججة وليس عليها إلا قشرة جامدة يبلغ سمكها مائة كيلومتر فستبسط الى الأرض كذبة قشرة الرقيقة الرفيعة للتفاحة نفسها . إن الأرض كانت في أول أمرها نارا متأججة مشقة من الشمس فبردت شيئا فشيئا وكان كل شئ نراه الآن فيها سائلا فلاحجر ولاشجر ولاغيرها وهى الآن على ما هى عليه كما جاءت من الشمس ونحن على تلك القشرة الرقيقة . فاذا انشقت الأرض انشقاها عظيما أكثر من انشقاقها منذ بضع سنين حوالى سنة ١٩٢٣ في بلاد اليابان إذ زلزلت زلزلة شديدة وطفعت بنار من باطنها فأهلكت خسبانة ألف انسان وأهلكت قرى كثيرة . أقول فإوانها شقت أكثر من هذا لانهدمت هذه القشرة كلها اذا كان الانشقاق في كل مكان وحينئذ يسقط الناس في النار فعلا وليست نارا وهمية بل هى نار حقيقية تحرق الناس بها فعلا . هكذا فلتكن المجزآت . وهكذا فليكن الصدق وهذا على الرأى المشهور الآن وإن كان ظنيا . نبى أى يأتى منذ ألف وثلاثة سنين وبأى العلم الحديث بما يقوله بحذافيره ثم يقول الله (بل تأنيهم) أى النار حينئذ تهب قشرة الأرض بانفجار عام أشبه بانفجار اليابان المتقدم ذكره (بغتة) فجأة وهو مصدر (فتبتهتهم) فتعلمهم كما شهد عليها لليابان (فلا يستطيعون ردها) أى صرفها (ولا هم ينظرون) يهالون للتوبة والعذرة فكيف يساغ لهم أن يستهزؤا بك يا محمد وهذه العلوم غائبة عنهم سيعرفها من بعدهم لأنهم ليسوا أهلا لها فكان يجب عليهم التصديق بها إيمانا ويقولون هذا العلم إلى أنبأهم من بعدهم وخافهم ويكون الصدوق بك لما شاهدوا من الآيات الجبية التى تناديهم وقد ادخرا هذه الامور لأمر ستأتى اشكون لهم آية علمية على صدقك فتكون الآيات دائما مجددة فتسل على استهزائهم بما حصل للرسول قبلك (ولقد استهزئ برسل من قبلك) كما استهزأ بك قومك (خاق) فنزل (بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون)

أى عقوبة استهزأهم . هكذا سيحقيق هؤلاء ذلك وقدتم ذلك ففلا يوم بدر وغيره . على أن العذاب الذى أهد
 هؤلاء ليس قاصرا على يوم القيامة بل الناس على سطح هذه الأرض معزّون لحظر في قيامهم وقعودهم
 تحيط بهم حوادث مزججة قد منعناها عنهم برحمتنا وهم لا يشعرون بذلك . فنحن الذين لا نسلط عليهم الحيات
 مثلا فتلذّغهم وهم ناثمون . ولم نسلط عليهم الحرّ الشديد ولا البرد الشديد فيموتوا . وهامهم أولاد يرون الآفات
 العارضة لزعمهم فاولاها أكثرناها لم يبق لهم زرعهم . فأناس أبنوا حلوا أو ارتحلوا يرون أصفاء من المهلكات
 ولكننا نحن نمنعهم عنهم . فالعذاب يحيط بالناس الآن وهم غافلون . وانما نحن لما تمنعناهم وتمننا آباءهم ومنعنا
 عنهم جميع الآفات المحيطة بهم حتى طال عليهم العمر طنوا أنهم يفلتوا من عذابنا دائما مع أنهم لوفطونا أكثرهم
 الأرضية وتأملوا سطحها لوجدوا أنها قد انكسخت من جهة القطبين بسبب دورانها أيام كانت سائلة . فهذا
 دليل على أن أرضهم نار ماثية وكل ما فوقها سريع الزهاب والتقلب فلا أمان للتعلم عليها . وهامهم أولاد يرون
 الأقوام تحطف من حولهم والأثم تؤخذ بذنوبهم من جيرانهم . فلهذا اعتبروا بنقص أطراف الأرض وبنقص
 الأثم حولهم وأخذهم بحرب وضرب وتنكيل كما حصل في زمن النبوة بعد هذه السورة ونزولها لأنها نزلت بمكة
 فسلط الله المسلمين على أطراف البلاد وكما يجرى الآن من تسلط الفرنجة على أطراف بلاد الاسلام . فشكل
 هذه آيات للناس ليستيقظوا ولا يفتقروا ويشكروا في أمر دنابهم وآخرتهم . أقول وانما لنصر المسلمين في الأزمان
 القريبة لأن الاخلاق معطلة . ألا ترى أن أهل أمريكا يهاجون نحو مائة مليون وهم من أم شتى وقد كونوا
 مملكة واحدة . أما المسلمون فإن العنصر العربى منهم الذى يقطن ﴿ جزيرة العرب ﴾ لا يزيد عن عشرة
 ملايين وفيه بضعة ممالك وقد منعمهم الحسد والجهل وسوء التربية وسوء الخلق والشهوة الذين أن يكونوا
 مملكة واحدة فشكل منهم يحذر الآخر فأدبهم الله بالفرنجة وسلطهم عليهم فأنزلوهم وسيكون لهذا الأمر آخر
 وسيهدمهم الله ويصلح بهم ويؤدبهم ويسمدهم ويهلمهم الاتحاد إن شاء الله تعالى فيؤلا يقول لهم الله - أولاد يرون
 أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها - وأثم الفرنجة تنقص البلاد من حواصك قصا . فكيف جهلتم هذا ولم
 تصدوا كما يأمركم دينكم . إنكم إذن جاهلون صم بكم لاتعقلون وهذا قوله تعالى (قل من يكأؤم) يحفظكم
 بالليل والنهار من الرحمن) من بأسه وعبر بالرجة لما عرفت أن العذاب يكون بالآفات وهو غنعه دائما ولما
 عرفت أن قشرة الأرض رقيقة ونحن عليها فبرجته حفظها من الفرقة (بل هم عن ذكر ربهم معرضون)
 لايخطر ببالهم (أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا) أى بل لهم آلهة تمنعهم من العذاب (لا يستطيعون نصر أنفسهم)
 أى لا يقدرّون على نصر أنفسهم فكيف ينصرون عبادهم (ولا هم منا يصحبون) أى ينصرون ويحاربون
 (بل تمنعنا هؤلاء وآباءهم) في الدنيا وأمهلتناهم (حتى طال عليهم العمر) أى امتدّ بهم الزمان (أفلا يرون)
 أى هؤلاء المشركون وغيرهم عن يغترون بالسلامة (أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها) وهذا في الحقيقة
 من اقتراب العذاب لهم فكيف لا يعتبرون بنقص حولهم وبغير ذلك (أفهم الغالبون) اتما الغلبة لله
 ولرسوله ولقائمين بالحق (قل إنما أنذركم بالوحى) أى بما أوحى الى (ولا اسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون) *
 ولئن مستهم نفحة) أصابهم شئ قليل (من عذاب ربك) وأصل النفع هبوب راححة الشئ (ليتولوا باولينا
 إيا كنا ظالمين) أى لدعوا بالويل على أنفسهم واعتبروا عليها بالظالم كما تقدم في أول السورة (ونضع الموازين
 القسط) أى ونحضر الموازين ذوات العدل توزن بها صحائف الأعمال والقسط مصدر يصح الوصف به بالمعالة
 وهذا تمثيل لخال العدل (ليوم القيامة) أى لجزاء يوم القيامة (فلانظلم نفس شيئا) من حقها أو من الظلم
 (وان كان مثقال حبة من خردل) أى وان كان العمل مقدار حبة منه (أتنبأ بها) أحضرناها (وكفى بنا حاسين)
 أى عالمين حافظين . انتهى تفسير القسم الأول من السورة . وفيه لطائف

﴿الطائفة الأولى﴾ في مناسبة السورة لما قبلها وفي قوله تعالى - اقترِب للناس حسابهم - الخ مع قوله - ونضع الموازين القسط ليوم القيامة - الى قوله - وكفى بنا حاسبين - ﴿

﴿الطائفة الثانية﴾ في قوله تعالى - أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا - الخ ﴿
﴿الطائفة الأولى في (فائدتين * الفائدة الأولى) في مناسبة هذه السورة لما قبلها ﴿

لقد علمت أن الدائرة العلمية في علم الطبيعة قد جاء ذكرها في (الحجر) وفي (النحل) مرتين ثم ذكرت قصة موسى وقومه مجزأة في (الاسراء) وما بعدها الى (طه) وجاء في هذه الأخيرة يؤيد العلوم العقلية بحيث انتهينا من مجل السامري وعبادة القوم له وتقضيه على عصا موسى جهلا وغباوة وأن ذلك داع حثيث الى الرجوع الى العلوم العقلية والطبيعية والفلسفية وأن الأمم لاتقوم إلا بها كما ان العقائد لاتصح إلا بالتكامل بها وظهر من هذا الترتيب أن معرفة الله ليست مسألة ذات حل واحد بل هي مسألة كثيرة الحلول كهية الغنى ونحوها . فكم ان الناس مختلفون أخلاقا وغنى وقوة وفضلا وجبالا وألوانا لاعتد لها بل كل امرئ له مرتبة ليست لاآخر . هكذا هنا معرفة الله هي أن يتكامل الانسان بالعلوم العقلية والأخلاق بقدر طاقتهم والجاهل من اكتفى بقصور العلوم وظواهر الديانات . فالقرآن جاء طمطم نظريات جميع الديانات وتأسيس أساس آخر وهو أن الناس يجب عليهم التكامل بالعلوم العقلية بقدر طاقتهم أي أن يكونوا ناهجين نهج الحكماء والفلاسفة هذا هو المقصود من السور التي سبقت هذه السورة . ولعمرك لقد أوضحت هذا المقام ايضا كما في هذا القول وما قبله وعليه . فكم ان الدين أمرنا أن نصلي الصلوات الخمس للذكر ولم يكف منا بصلاة يوم واحد أو بشهادة أن لا إله إلا الله هكذا طلب منا أن نزيد علما دائما . فبالعبادة نتذكر وبالعلم نثبت العقائد ويكمل فطام الأمم وكما قال الله لرسوله - قم الليل إلا قليلا - قال له - وقل رب زدني علما - ومن يجب أن تذكر هذه الآية في سورة (طه) بعد الكلام على أن الايمان لا يتم إلا بالعلم . فكأنه يقول - فكم أن يثبت العقائد ويكمل فطام الأمم العادات لم تؤخر إلا زمانا قليلا في بني اسرائيل فاطلب من ربك ازدياد العلم تعلما ألتك فقل لهم زددادوا علما أزددهم هدى وعمران بلاد وأجعلهم خلفائي في خلقي وقد قلت لهم - كنتم خير أمة أخرجت للناس - فهذا تكبرون - خير أمة أخرجت للناس - كما وعدكم ربكم . وقد تبين بهذا أن معرفة الله ليست مسألة حسابية أو جبرية أو فلسفية وإنما هي غذاء للنفوس . فكم أن غدينا النفوس علما ازدادت بصيرة برها ﴿ و بعبارة أوضح ﴿ ان الله يطلب منا أن نل بالعلوم الطبيعية التي لاتسكن إلا بالرياضة وهذه العلوم يتبعها معرفة الله ومعنى معرفته الانتقال بالتدرج من النقص العلمي الى الكمال العلمي وذلك درجات كدرجات الغنى والقوة الجسمية والقوة العقلية وقوة الحرارة وما أشبه ذلك . هذا ما يفهم من القرآن وما ظهر في سورة (طه) وما قبلها اذا علمت هذا فاعلم أن سورة (الأنبياء) أكلت ماتمتم . فاذا كانت السور قبلها قد ذكرت ذكر العلوم النباتية والحيوانية وسلسلة المواليد فهذه السورة قد أتت بنظام الأرض نفسها ومن أين اشتقت وأشارت الى أنها فصلت من الشمس كما أوضحناه . فالسور قبلها علمت علم المواليد وهذه أشارت الى اشتقاق السموات والأرض وتبسط القطبين وأن الجبال متصلة بالطبقة الصلبة حافظة للكرة الأرضية النارية أن تبرد فيهلك من عليها وهكذا . هذه هي المناسبة بين هذه السورة والتي قبلها فهي تمة لها . وقد أظهرت أيضا أن العلوم ستجدي في الأزمان المقبلة أي كزماننا هذا وأن الناس سيعلمون غوامض علوم القرآن كاتين لك إصاحه هنا اجابة لرسول الله ﷺ إذ قال - رب زدني علما - في آخر سورة (طه) وازدياد علم أمته تبع له وازدياد علمنا يكون بتجدد العلوم على مدى الأزمان كما سيحصل لأمة الاسلام المستقبل . انتهت الفائدة الأولى

﴿الفائدة الثانية من الطائفة الأولى - اقترِب للناس حسابهم - ﴿

اعلم اني لما وصلت الى هذا المقام جاءني ذلك الفاضل وأخذ يحاجني فقال . ان اقتراب الساعة أمر مشكل

ان هذا القول قيل لأدم وادريس ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم كل هؤلاء بقال لهم اقرب الساعة ولم تقرب ولم تقم فأين الساعة وأنى أقول لك بصريح العبارة أن القيامة بعيدة علينا كما بعدت على من قبلنا . فإذا مضى علينا الآن ألف وثلاثمائة وسبع وأربعون سنة بعد نبوة سيدنا محمد ﷺ ولم تأت القيامة وقد كان الصوفية في الألف الأولى يحسبون حساب القيامة وانها آتية في زمانهم وهكذا من قبلهم ومن بعدهم ولا قيامة الى الآن . وهكذا الأئم قبلنا كانوا يحسبون والى الآن لم تقم القيامة . فما هذا الوعد إذن . فيظهر أن هذه القيامة طويلة المدى بعيدة جداً وهذا البعد يورث التراخي والماعل الحازم لا يضيع يومه للمستقبل البعيد . فإذا ترى . قلت ان القيامة الكبرى لا تكون إلا عند تفكك الكرات الأرضية والشمسية أى ان النظام الشمسى كله يحترق ويذهب ثم يرجع الى المصنع الكبير السماوى ويضع مرة أخرى وذهب نحن في عالم آخر . هذا هو عالم القيامة الكبرى . ولكن ليس العذاب قاصراً على القيامة الكبرى فان الدين الاسلامى جعله عند النزول في القبر . وورد في الشريعة أن النار يعرضون عليها غدغداً وعشياً وهناك أحداث كثيرة فقال وضع مسألة الحساب في القبر . فقلت له ان الشريعة أنت بها مهمة لأنها أمور تأتى في عالم أطراف من عالمنا فذكر الشرع عذاباً ونعياً مجملين وأبان أن الحجاب يكشف ويطالع الانسان على أخلاقه وأعماله بعد الموت وأن الملائكة يسلمون والشياطين يقرنون كل بمائنته وذكرنا رايه ونعياً وهكذا . قال فهل أتى العلم الحديث من هذا بشئ في علم الأرواح . قلت اقرأ ﴿ كتاب الأرواح ﴾ الذى ألفته في هذا وأقرأ كتب اخواننا الذين كتبوا في هذا . قال فاذكر لى قولاً مجملاً فيما قاله الأرواح مع العلم بأن كلامها لم يتم عليه دليل فاذكر بعض ماقرأته من المجالات عن أحوال الأموات مما ذكرته الأرواح والمسلمون فيما بعد يحضرونها وبيحون الموضوع . فقلت إن الأرواح تقول اننا بعد الموت نعيش على ما كننا عليه بحيث يبقى الانسان بأخلاقه ومعه جميع مواهبه الأخلاقية والعلمية ويوضع في مركزه المعدل في الآخرة ويعيش مع من هو مناسب لهم في الأطوار والأحوال ويجد الانسان جميع أعماله حاضرة عنده فيعذب بها أو ينعم والمرء له ﴿ ثلاث حالات ﴾ حال وطنية . وحال منزلية . وحال شخصية . فقد يكون كاملاً فيها جميعها فترقى . وقد يكون ناقصاً في الأخلاق الشخصية فاضلاً في الوطنية والمنزلية وبالعكس . فبعد الموت يؤمر أن يكفر عن ذنوبه بأن يعيش مع من ظلمه ويؤدى له كل ما عليه ويكون تحت أمره في أعمال يرضاه وهذه الامور لا نذكرها الآن وقد يكون صالحاً في نفسه نافعاً لأهله ولكنه يظلم هو وأئمة قوم آخرين فبعد الموت يعيش عبسة فردية لا ظلم فيها وهكذا حياته مع عشيرته ولكنه هو ومن معه من المشتركين يلزمون بأعمال يقهرون عليها لمن ظلموهم . ثم إن الأرواح تقول ﴿ إن النقص عندنا عدل لا عوج فيه وهو من هذا القبيل . وعندهم أن البخيل معذب بماله والحرص مقطوع القلب على أعماله ﴾ وهكذا . فقال صاحبى هذا كلام لست أدري أحق أم باطل فقد يكون هذا من الأرواح أشبه بنصائح اخترعوها لأجل هدايتنا بما يناسب عقولنا في العصر الحاضر وربما كنت أنت لما قتلها تركت أشياء تراها غير موفقة لعقائدنا فأعرضت عنها وخطبتنا بما نفهمه . واذن المسألة كلها الخطيئة على مقتضى الافهام سواء أكان للأوفون أم الأرواح أم الديانات . فقلت له قل ما تشاء فلا ضرر وأن حرص الأرواح التى تكلم الناس وحرص الأنبياء وحرص الحكماء دليل على أن هناك علماً غير علما نعيش فيه بعد الموت ونجارى . قال فهل تذكر لى شيئاً مما نقلته في كتاب ﴿ الأرواح ﴾ مما نقله نفس الأرواح مع الاختصار حتى ان المسلمين يحققونه في المستقبل وينظرونه بأنفسهم . قلت نعم أذكر لك من صفحة ١٠٥ من كتاب ﴿ الأرواح ﴾ الطبعة الثانية وهاهوذا

﴿ الحديث الحادى عشر مع حذف كثير من الأسئلة الخارجة عن موضوعنا ﴾

روت المجلة الروحانية في عدد شهر (آب) سنة ١٨٦٠ خبر حوادث منحة جرت في مدينة (باريس) شارع

(نوبه) والاجوبة التي أعطاها الروح محدثها عند ما استحضرنه إحدى الجماعات الروحانية ما نرى به
(س) . (إلى الروح الموكول إليه حراسة الجمعية) . هل من محنة للحوادث التي تحت في شارع (نوبه)
(ج) . نعم وقد عظمها محنة البعض إما من باب الخوف وإما من باب السخرية . أما محدثها فهو روح
طائش يقصد الهوى وأرغاب سكان الناحية

(س) أللأرواح تعلق بالأشخاص فقط أم بها وبالأشياء أيضا
(ج) هذا منوط بدرجة ارتقايتهم فلبعض الأرواح السفلية تعلق شديد بالأشياء الأرضية كالبحيل مثلا
الذي لم يتجرد بعد من الماديات فإنه يلزم الكثر الذي خبأه تحت الأرض ويحافظ عليه
(س) هل للأرواح الناعمة أماكن تسر بالاقامة بها
(ج) للبداً واحد أي أن الروح الذي يتجرد من الأرضيات يذهب حينئذ بحبها بحبها المحبة . وأما بعض الأرواح
السفلية فتستحب أحيانا الاقامة بمكان تسر به لدواع من الدواعي
(س) هل تألف الأرواح القبور المدفونة فيها أجسادها
(ج) إن الجسد كسء مؤقت فلانكثرت الروح به أكثر من اكثرت السجين بسلاسله إنما الشيء
الوحيد الذي يميل الروح له هو ذكر أحبائه له

(س) ألا تسرهم الصلات التي تقام على لحودهم
(ج) ان الصلات استحضار يجذب روح الميت . وكلما كانت الصلات حارة نقية ازداد سروره بها فشهد
القبر يزبد المصلى خشوعا وهيبه كما حفظ أثرا لبيت يحرك فيه الذكر والمحبة . وعليه فالفكر هو الذي يقفل
بالروح لا الأشياء المادية وتأثير هذا عائد على الحى أكثر مما على الميت
(س) فعلى هذا للبداً قد يمكن لبعض الأرواح أن يميلوا بزيادة الى بعض الأماكن
(ج) نعم وقد يدوم مكثهم فيها طالما دواعى الاجتذاب عاملة فيهم
(س) ماتكون هذه الدواعي

(ج) أخصها محبتهم لبعض الأشخاص المترددين الى تلك الأماكن ورغبتهم في مناجاتهم . وإن كانت
الروح شريرا يقصد الانتقام من عدو له مقيم بتلك النواحي ويكون أحيانا مكثه في مكان مخصوص اضطرابا
حكم عليه به قصاصا عن جرم اقترفه في ذلك المكان نفسه حتى تكون خطيئته دائما نصب عينيه فيحصل له
من ذلك عذاب لا يطاق

(س) كثير من أهل الصلاح يكونون مع هذا عرضة لارغابات الأرواح الشريرة . فما الداعي لذلك
(ج) ان كان هؤلاء حقا صالحين يكون لهم ذلك من باب التجربة لترويض صبرهم وحنهم على القتل
في الصلاح ولكن لانتقوا كثيرا بظواهر الفضيلة ولا تظنوا أن من يكثر من ذكرها هو صاحبها فإن من يملكها
حقا ويحملها لا يتكلم عنها

(س) هل نستطيع أن نحضر الروح المسبب الجلية في شارع (نوبه)
(ج) يمكنكم ذلك . إنما هذا روح طائش لاتأنيكم أجوبته بفائدة . واليك الأجوبة التي أعطاها
الروح المذكور وقت احضاره . قال ما قصدون من احضاري . هل تشبهون أن أقذفكم ببعض الحجارة
لأشهد هز بمتكم رغما عما تبدون من مظاهر البسالة

(س) حجاتك لاتفرعنا بل نسألك ان كنت حقا تقوى على قذفها
(ج) ربما لا أجسر على ذلك لأن ههنا حارسا جليلا متيقظا عليكم
(س) هل وجدت في شارع (نوبه) شخصا تستعين به على الأعمال المكربة التي أقلقت بها سكان المنزل

(ج) نعم وجدت آلة نفيسة وصفا لى الجوّ بهدم وجود روح قدبر يصنّى عن عملى . إنى كثير البسط والانشراح وأحب أحيانا أن أنسى

(س) من هى الآلة التى استعنت بها فى عملاك

(ج) هى خادمة . و بعد أسئلة كثيرة سألوه الأسئلة الآتية

(س) كم لك من الزمان وأنت ميت

(ج) خمسون سنة

(س) ماذا كنت فى حياتك

(ج) خرقيا لأنفع به أجول فى هذه النواحي والناس يهزؤون فى لتعلقى بشراب أينا نوح الأجر

(س) ماذا تعمل الآن وهل نسى فى أمر مستقبلك

(ج) كلا . أنا ناله الآن لأنه ليس من يفكر فى على الأرض ولا من يصلى لأجل

(س) ماذا كان اسمك فى حياتك

(ج) حنين

(س) اننا مستعدون لإسعافك بالصلاة . فقل لنا يا حنين هل سررت باحضارنا لك

(ج) نعم أنتم قوم صلحاء محبوا الزهد وقد سررت جدا باستماعكم لى . استودعكم الله

قال شير محمد . ماذا ترى فى هذه الحادثة من العجائب العلمية . قلت يا شير محمد تذكرت بقول الروح

أن الأرواح تألف الأمكنة التى ينجيهم فيها من يحبونهم ما قرأته فى كتاب (المضنون به على غير أهله)

للإمام الغزالي قال (ومن أقبيل فى الدنيا بهمة وكيته على إنسان فى دار الدنيا فان ذلك الإنسان يحسن

بأقبال ذلك المقبل عليه ويخبره بذلك . فمن لم يكن فى هذا العالم فهو أولى بالتنبيه وهو مهمل لذلك التنبه فان

اطلاع من هو خارج عن أحوال العالم على بعض أحوال العالم ممكن كما يطلع فى المنام على أحوال من هو

فى الآخرة فهو مثاب أم معاقب فان النوم صنو الموت وأخوه فبسبب النوم صرنا مستعدين لمعرفة أحوال لم

نكن مستعدين لها فى حال اليقظة فكذلك من وصل الى الدار الآخرة ومات موتا حقيقيا كان بالاطلاع على

هذا العالم أولى وأحرى . فأما كاية أحوال هذا العالم فى جميع الأوقات فلم تكن مندرجة فى سلك معرفتهم

كما لم تكن أحوال الماضين حاضرة فى معرفتنا فى منامنا عند الرؤيا . ولآحاد المعارف معينة ومخصصات منها

همة صاحب الحاجة وهى استيلاء صاحب تلك الروح على صاحب الحاجة وكما تؤثر مشاهدة صورة الحى فى حضوره

وخطور نفسه بالبال فكذلك تؤثر مشاهدة ذلك الميت ومشاهدة ربه التى هى حجاب قلبه فان أثر ذلك الميت

فى النفس عند غيبته ومشهده ليس كآثره فى حال حضوره ومشاهدة قلبه ومشهده . ومن ظن أنه قادر على

أن يحضر فى نفس ذلك الميت عند غيبة مشهده كما يحضر عند مشاهدة مشهده فذلك ظن خطأ فان للمشاهدة

أثرا يينا ليس للغبية مثله (انتهى المقصود منه بالحرف الواحد

وانما ذكرت لك ذلك لأريك العجب فى توافق أقوال علمائنا لما نطق به الأرواح على اختلاف مشاربها

ومنازعها واختلاف أقطار احضارها فى مشارق الأرض ومغاربها فى روسيا وأمريكا وإنجلترا وفرنسا واسبانيا

حتى أصبح ذلك متواترا . فانظر كيف وافق قول الإمام الغزالي المذكور قول الروح . فشهد القبر يزيد العلمى

خشوعا وهيبة كما حفظ أرا للميت بحرك فيه الذكر والمجبة . وعليه فالفكر هو الذى يفعل بالروح لا الأشياء المادية

وتأثير هذا عائد على الحى أكثر مما على الميت وقولها أيضا أخص دواعى ميل الأرواح الى الأماكن محبتهم

لبعض الأشخاص المترددين على تلك الأماكن ورغبتهم فى مناجاتهم وان كان الروح شريرا قصد الانتقام من

عدو له مقيم بتلك النواحي فتأمل وتجب

فلما تمت هذا القتال قال صاحبي قد فهمت أن العقول والديانات متضاربة مع عل الأرواح على أناس تجازي بعد الموت فعلا وأصبح الآن عندي أشبه بالحق ولكني أقول أيضا ان هذا العقاب أيضا بعيد وكيف لا يكون بعيدا ونحن نرى أن الناس يعاقبون على ذنوبهم في محاكمهم بعد الجرم وإنما نجد الحكومات تسامح من غاب عن الوطن مدة معينة إذا كانت عقوبته على جريمة متوسطة . فإذا كان الناس في محاكم الشرق والغرب يراعون اقتراب الذنب من الجريمة فاذن تأخير العقاب الى ما بعد الموت غير كاف في تهذيب النفوس البشرية قتل مائتة . ان عذاب القبر وما بعده لا يردع النفوس البشرية كلى الردع بل لا يتدبر به إلا أوساط الناس وعذاب الآخرة البعيد يردع به الجهال والنساء والأطفال . فلما أرقى الطبقات المتعلمة فليس شئ من ذلك يثبته لها . ولذلك ترى أكثر الظلم إنما يكون من عقاب الأم والملوك والذين يدهم الخلق والعقد والمجالس النبائية في جميع الأمم . قلت ان العذاب كما جاء في الدين ليس قاصرا على الآخرة والقبر . ان العذاب يصل بالأفراد والأمم من وقت وقوع الجريمة ولكن الناس في الدنيا مساكين لا يشعرون وبعضهم يشعر به . قال فاضرب لي مثلا على شريطة أن تؤيده بالقرآن . فقلت له أتيتك بأمثلة وآيات . مثال ذلك من ظلم الناس بأخذ أموالهم وأصبح مثيرا غيبيا يشار إليه بالبنان وقد أخذها بسرقة أو بنهب فان هذا ﴿ أولاً ﴾ يجذب قلبه حزنا وهو يكتمه وألما لأن النفوس الانسانية لها شعور بما كسبت ولها ميل للعذل فوخز الضمير ملازم لها ولكن يخفى ذلك كثيرا * قال أفلاطون ﴿ إن الظالم معذب بضميره كعذاب المظالم الذي سلب ماله ﴾ ﴿ وثانياً ﴾ يرى في الحرص عليه وحقد القلوب وكرهه الناس آلاما ﴿ وثالثاً ﴾ التواب التي تحمل بالمال الحرام وباللحل الخلال كلها عذاب لصاحب المال قال تعالى - فلانجيبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا - فانظر كيف ذكر العذاب في الحياة الدنيا . ناهيك ما ترى من خبر خراب الأمم وزوالها في القرآن . فكل هذا عذاب دينوي . إن الانسان يعذب بالتفريط في أى قوة من قواه الجسمية والعقلية في هذه الدنيا . ان الانسان في الدنيا يرى انه يتقصيره في كسب المعالي ينزل درجات عن غيره وهو في الدنيا انه يحسن بآلم في القلب اذا وجد غيره عالما بمسألة هو يجهلها . انه متى أكرم امرأ وجد الحمة له جزاء ومتى أهان آخر وجد الكراهة له جزاء . ومارك وقتا بلا عمل وهو قادر إلا أحسن بندامة . انه اذا أكل فوق طاقته تجرع غصص الأمراض . واذا ترك الطعام فلم يأكل أحسن بآلم الجوع . واذا ترك التزويج مثلاً أحسن بآلم الشبق . واذا ترك التداوى ازداد به المرض . واذا لم يحسن المعاشرة انصرفت القلوب عنه . إن الميزان منصوب في الدنيا ومنسوب في الآخرة والله هو الممسك بالميزان ونحن الآن نوزن أعمالنا صباح مساء ونحن غافلون ومحسن ببعض العذاب وبعض الثواب وسنشره بالباقي بعد فراق هذه الدار . فلما سمع صاحبي ذلك أشرق وجهه واستبشر وقال حقاً لقد أزلت الحجاب ونطقت بالصواب وأفهمتى قوله تعالى في هذه السورة - ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أثبتنا بها وكلنا نناحسين - واتى لا أقول آمنت بل أقول أبقيت أن الحساب واقع الآن ولكنه مغطى علينا وأن ذلك الحساب مستمر بعد الموت ملازم لنا ملازمة الظل للشيخ وأبقيت أنه لا فرق بين قوله تعالى - ونضع الموازين القسط ليوم القيامة - وبين قوله تعالى - وأثبتنا فيها من شئ كل موزون - وقوله - وإن من شئ إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم - والحساب الآن موجود ولكن نحس منه بعض الآثار فإذا متنا نطلع على ذلك واضحا جليا - كنى بنفسك اليوم عليك حسيباً - واذا كنا نجد أن الماء مركب من ذرات الاكسوجين وذرات الادروجين بنسب لا خطأ فيها وان أقل ذرة توضع في الماء من أحدهما خارجة عن الوزن لا يقبلها الماء ولا تدخل فيه . فهذا الميزان المشاهد أماننا أنه ونقرؤه في علم الكيمياء هو بعينه الذي يطلع الله عليه بعد الموت وهو الذى نصبه الآن وبعد الآن لوزن أعمالنا فيها حولنا وفيما بعد الموت والجد لله على هذا العلم الصحيح . انتهى الكلام

﴿ الماطيفة الثانية في قوله تعالى - أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا - ﴾
 ها أنت ذا قد اطلمت على ما أبرزه القرآن قبل مئات السنين من أن السموات والأرض أى الشمس
 والكواكب وماهى فيه من العوالم كانت ملتحمة ففصلها الله تعالى وقلنا إن هذه معجزة لأن هذا العالم لم يعرفه
 الناس إلا في هذه العصور ، الأثرى أن كثيرا من المفسرين قالوا أن الكفار في ذلك الوقت ليس لديهم هذا
 العلم فكان جوابهم على ذلك أنهم أخبروا به في نفس هذه الآية فكان الآية تستدل عليهم بنفس ما زلت
 به وذلك أن هذه الأمور لم تخلق وقد أخذ العلماء يؤولون تأويلات شتى لقرط ذكائهم وحصرهم رحمهم الله
 وهاتين أولاه نجد هذه العوالم المكنونة المخزونة قد أبرزها الله على أيدي القرينة كما نطق القرآن هنا كأنه
 يقول سيري الذين كفروا أن السموات والأرض كانت مرتوقة ففصلنا بينهما فهو وإن ذكرها بلفظ الماضي
 فقد قصد منه المستقبل كقوله تعالى - أتى أمر الله - وهذه معجزة تامة للقرآن وبمعجزة من أعجب ما يمدحه الناس
 في هذه الحياة الدنيا . ولذلك نجد نفس هذه المسألة أصبحت عقيدة في جميع المدارس شرقا وغربا فاتهم
 يقولون للتعليم أن الأرض جزء من الشمس انفصلت منها وهي تدور حولها . هذه العوالم أصبحت عقائد
 للذين كفروا وللذين آمنوا . هاهو ذا ربنا يقول لنا . لقد فهم الذين كفروا علوما فهلا آمنوا بي لأن
 هذه العوالم تدل على عظمتي وحكمتي وابدائي وجمالي واحكامي في عملي لأنني هكذا خلقت الكائنات وربيتها
 طبقا عن طبق باعتبار فهمهم وجعلت الماء لحياة الحيوان والجمال لحفظ الأرض من التهوّج والضياغ في الخلاء الذي
 لا يتأذى

﴿ خطاب لعلماء الاسلام ﴾
 أيها العلماء . لاعطر بعد عروس ولا تخبأ بعد بوس . قد أعذر من أنذر . هل بعد ما نبين لكم
 الحق ورأيتم كيف رضى الله العوالم متى كانت موافقة للعقل وحض الناس عليها . هل بعد هذا تتجافون عن
 النظر للجانب ربكم . كفى يا أئمة الاسلام . أيها الذكي القارئ لهذا التفسير . اسمع مني وتأمل ما أقول
 قرأ رسول الله ﷺ قوله تعالى - وأخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه -
 فقال ﷺ ماعز الله عالمنا إلا أخذ عليه من الميثاق ما أخذ على الأنبياء - لتبيننه للناس ولا تكتمونه - اه
 هذا قوله ﷺ أخذ علينا العهد كما أخذ على الأنبياء . ان الأنبياء اليوم عند ربهم ونحن سكان الأرض
 الآن مأخوذة علينا العهد نابع لنفس العلم . فأنت أيها الذكي مسؤول عن هذه الأمة وعن حوك
 على مقدار طاقتك . هل في شرعة الانصاف أن تكون أمة هذا كتابها أجهل الأمم به وبالعالم التي أنزلها
 الله . هل من جادة الحق وطريق الصواب أن الله يقول - ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش
 قليلا ما تشكرون - ويصبح الخاطبون بهذا القول أجهل الأمم بهذه الأرض وبما فيها . يقول الله ان
 الأرض التي جعلت لكم فيها معاش محل شكركم وأنتم لا تشكرون إلا قليلا ولا يكون الشكر إلا بالتذكر
 والتفكير أولا والعمل باليد واللسان ثانيا . هأنت ذا عرفت وأنت مسؤول بين يدي الله فلتكن أنت العامل
 لأتمتكم الاسلامة . أنها في حاجة الى النصير والمعين فأدع هذا القول وأمثاله مما يفتح به عليك مادمت من
 الصادقين الموقنين

﴿ اعتراض على المؤلف وسؤال وتبصرة ﴾

حينئذ قال لي ذلك العالم صديقي . إذن أنت تريد أن تصوّرنا نحن العلماء بصورة المقصرين . فقلت له
 إن التقصير على مقدار العلم ومادام الناس لا يعلمون فإذا يفعلون ولا يعلم إلا اذا تعلم . فأنا أطب من العلماء
 أن يقرؤا العوالم ويفهموا الشبان أن الله خلق الأرض والسماء لدراستهم لأنه كما جعلها معايش جعلها دروسا
 أي محل دراسة فهي كتاب مستطور فانه قال في هذه السورة - وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها

معرضون - جعلها آيات كما جصل في القرآن آيات . وآيات القرآن تطلب منا آيات العوالم المحيطة بنا . قال هانت ذا ذكرت عقاب الله للناس على الأرض . فهاذا عوقب به المسلمون اليوم . قلت المسلمون عوقبوا بالذلال الفرنيحة لهم . فقال وبماذا أفاد العقاب . قلت أفاد كثيرا ونجح نجاحا باهرا . ألم ترالى أمة الترك كيف استقلت وصلح حالها وأمة الأفغان كذلك ترى الأمم التركية تنجذب وتتحد وهكذا . أما أمة العرب فانها الى الآن تذوق العذاب . قال أوضح المقام . قلت انظر الى أمريكا وحى من أمة مختلفة أصبحت أمة واحدة تربو على مائة مليون وهى مكونة من عشرات الممالك . انظر الى ألمانيا بلغت نحو (٧٠) مليوناً وهى ممالك مختلفة صارت مملكة واحدة . انظر الى انكلترا كذلك . انظرالى غيرها وغيرها ثم انظرالى أمة العرب كعصر وتونس والجزائر ومراكش و بلاد الشام والعراق و بلاد الحجاز هؤلاء كلهم عرب . فانظر ماذا أصابهم فتحوا البلاد قديما ثم عاشوا فيها وخضعوا لأمم غيرهم فأصبح الشامى لا يفهم المصرى إلا قليلا والعراقى لا يفهم المغربى فى تونس إلا قليلا ولايتهم أن يجاموا لهم وحدة . هكذا ترى الأقطار الحجازية والينية فى جزيرة العرب التى هى منشأ العلم والدين لم تتحد ممالكها بل هم أعداء مع أنهم لا يبلغون عشر الممالك المتحدة . الحق والحق أقول ان الله لا يأذن ببقاء أمة فى الأرض ضالة جاهلة . إن الله أذن بارتقاء الانسان فز ارتقى بقاء ومن لم يرتقى أقصاه . ان الله أعطى الترك نصيبا من العقل فعادوا بهذه النصيحة . أما العرب فانهم لا يزالون جاهلين خاملين وسعولهم الحوادث فى المستقبل الاتحاد وتنشأ سكة حديد من مراكش الى الجزائر وتونس وطرابلس ومصر والشام والعراق مخترقة الحجاز ويكونون دولة بينها وبين الأفغان والترك معاهدة ومع الفرس . هذا هو اليوم الذى يقال فيه ان أمة محمد ﷺ قامت بمعاييرها . هذا هو اليوم الموعود للمسلمين . أما هذه الحياة حياة الغباوة والسكسل والجهالة - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - فليعرف كل قوم وطنهم ثم جسدهم ثم الجامعة العاقلة ولكن أبناء مصر الآن وأبناء العرب لا يعلمون شيئا من هذا فان الأمير عبد الكريم القائم الآن فى مراكش يدافع عن بلاده ضد أسبانيا لى يساعده اخوانه فى مصر من العرب ولم يجيبوا نداءه بالمساعدة المالية فضلا عن الطبية والحربية . فالحبل خنيم ولكن الله يريد ازالته - ولتعلم نبأه بعد حين - . إن الله لا يأتى إلا الأصل فى هذا الوجود والله هو الولي المجد

وكيف يدخل الناس الجنة ويقال انهم على سرر متقابلين أو ينزع ما فى صدورهم من غل وهم لم يحرموا حول هذا فى الدنيا . لسلك عمل فى الآخرة أس فى الدنيا فأين الأس هنا . ان كل عمل يعمل المرء برصد له فى حساباته حتى الحركة والخطوة والسكامة وهذا يسجل له فى أعضائه وسر كانه المستقبل ويكون كل عمل مبدأ لما بعده ويصبح سجيحة راسخة أو طالحة . فهذا نوع من الجزاء للفرد بحيث لا يعمل عملا صغيرا أو كبيرا ولا يفكر فكريا كذلك إلا كان له أثر فى أعماله فى الحياة الدنيا شاء أم أبى . هكذا الأمم فكل جاهل وكسل فى الأمة يضعف أعمالها وأهلها ويؤخرها وتصبح فريسة لغيرها . فأين الاتحاد فى الاسلام ولم اتحد أهل أوروبا وهم لا يتحدون . أفلا يقرؤن - ونزعنا ما فى صدورهم من غل - اخوانا - فى الآخرة ولا يد من مقدمة ذلك فى الدنيا أفلا يقرؤن - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا - فأين التعارف وقد تعارف الألمان والاطليان والأمريكان

﴿ جوهره فى قوله تعالى - وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون - مع قوله تعالى - ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عاقلين - الى قوله تعالى - فجعلناهم الأندلسيين - وتبين الخصال التى عكفوا عليها وكسرها الخليل عليه السلام ﴾

اعلم أن هذه الآية أيضا من اللججرات القرآنية . ذلك لأن الكشف الحديث أظهر أن كل دين كان فى أصله دين توحيد . وأذكر ك بما تقدم فى سورة ﴿ آل عمران ﴾ من أن كتاب ﴿ التيدا ﴾ الذى هو أصل

دين (البراهمة) قال بالتوحيد وهكذا دين (خريستا) قبل المسيح بنحو ٤٨٠٠ سنة و (بوذا) بعده سنة ٣٠٠ ق م ودين قسما المصريين و بيان رؤيا (هرمس) التي صرح فيها بالتوحيد تدرجها واضحا وهكذا دين (بو) الكبير بالسين ودين (ليونسو) بعده بالسين أيضا . هذه هي البيانات المنشرة اليوم في الأرض وأصلها التوحيد . وقد تقدم أيضا نحو هذا في سورة (ابراهيم) في المجلد السابع من أن غمامة الهند ومصر وحدوا سرا وأشركوا جعرا لاضلال العامة ولتقي لهم السيادة عليهم والتثليل عند هذه الأمم جاء بعد التوحيد . هذا هو ماتقدم ولكن الآن أريد أن أضيف الى ذلك جمالا في العلم وحكمة ونورا أشرق على أهل الأرض بالكشف الحديث . ذلك الكشف الذي أيد هذه المسألة تأييدا أتم

- (١) فأوسع القول الآن في دين قسما المصريين لفوائد لم تكن ذكرت من قبل
 - (٢) وأذكر دين الفرس القدماء وأبين أن أصل هذا أيضا التوحيد
 - (٣) وأن الاسلام جاء لا يوضح الحقيقة التي غطاها المضلون من أهل البيانات فهي (ثلاثة فصول)
- ﴿ الفصل الأول في دين قسما المصريين ﴾

قد أظهر الكشف الذي ذكره (ولكسن) البعثة الانجيزي ثلاثة وسبعين إلها وإلهة وقال انهم لم ينوا عداهم . وورد في كتابة مصرية لرسميس الثاني البارة الآتية وهي ﴿ الآلهة الأفاضل الآلهة والإلهات الذين في مصر ﴾ وجعلها هيرودوتس ﴿ ثلاث رتب ﴾ ٨ منها في المرتبة الأولى (١٣) في الثانية والباقية في الثالثة . ومن يجب أن هذه الآلهة كانت تجمع بين المتناقضين العقل الكبير والسخافة ففهم الخطاط وارتفاع في الأمور العقلية مما . فأما السخافة فهي الظاهرة للعامة . وأما سمو الفكر فهي عند الخاصة للذين كانوا يعتقدون إلها واحدا

ثم انه يؤخذ مما يقوله (برتش) دليل المتحف المصري ومن كتاب ﴿ موقع مصر ﴾ لبنصن المجلد الخامس ومن كتاب ﴿ مصر في الأزمنة القديمة ﴾ لبرتش و (ولكسن) و (رولنسن) قد أخذ من مجموع كلامهم ما يأتي انهم يقولون ﴿ الخالق الحق للسموات والأرض لم يخلقه أحد الوجب الوجود لنفسه السكان منذ الأزل الروح الطاهر الكامل في جميع أوصافه الكلي الحكمة والقدرة والقداية ﴾ وهذا الإله لم يصنعوا له رسالوا لم يكن له اسم عندهم ولا يبيحون التلفظ باسمه . ويقولون إن كل ما سواه من الآلهة ليس إلا صفة له أوقسا من الطبيعة التي خلقها وكانوا يقولون إن العبادة للآلهة الصغيرة هي لله أي - مانعدهم لإلهم بونا إلى الله زاني - وإذا كان الله لا يجوز التلفظ باسمه فوجب أن تقدم للآلهة الصغيرة لأن الله أكبر من أن نعبد نحن

أقول إن ذلك أشبه بما يصنع الناس اليوم إذ يخاطبون الوزير أو الأمير بقولهم حضرتك وسعادتك وجلالة الملك وعظمة السلطان وهذا من التعالي في العظمة . فإذا كان الإنسان اعتاد التعالي في عظمة المخلوق فها هو بالأولى لم يعرف بأي طريق يعظم الله إلا بترك اسمه ونسيانه وعبادة مخلوقه . ولما كانت الآلهة الصغيرة المعروفة عند العامة ليست مقصودة لأنها بل هي رمز لخالقها . أجازوا أن يسمي الواحد من هذه الآلهة باسم الإله الآخر منها لأنها مرجعها كلها إلى الإله الأول . هذا في العقيدة القلبية . أما اليوم الآخر فقد كان معروفا عند العامة والخاصة كانوا يعتقدون بخلود النفس ومتى فارقت الجسد دخلت دار الحق وحوكت في حضرة (أوسيريس) والاثنتين والأربعين قاضيا الذين معه فيأتي (انوريس) بن (أوسيريس) بيزان يضع في ناحية منه تمثال الحق وفي السكة الأخرى إله فيسه حسنات الميت . فإذا رجحت الحسنات على التمثال أبيع للنفس أن تدخل قارب الشمس وقادتها الأرواح الصالحة إلى الفردوس ومساكن الأبرار وإن لم ترجح حكم عليها أن تتقمص في أجساد الحيوانات كما تقدم في أقوال (طباوس) في محاوراته مع (سقراط) في سورة النحل فهناك يقول بهذا قوله نفسه كما تقول الهنود . إذن هذه عقيدة أهل الهند ومصر واليونان والديانة الملة التي تضيها

في تلك التقصصات تتوقف على مقدار اجتهادها في التطهير فان لم تتطهر في تقصصها حكم عليها بالاعدام . فأما النفس الصالحة فتظهر من سيئاتها بالنار المطهرة وتقيم مع (أوسيريس) ثلاثة آلاف سنة ثم تعود الى الأرض وتدخل الجسد الذي خرجت منه فيقوم من الأموات ويمش كما عاش أولاً ويتكرر عليه البعث والموت حتى يبلغ السعادة العظمى إذ ترجع نفسه الى النور الالهي الذي صدر منه . وهكذا كمال السعادة . انتهى .
هذه هي الديانة القديمة عند قدماء المصريين . هذا الدين كان في أول أمره حقاً كالاسلام ولكن هذه الخرافات التي جاءت لهم من دين البراهمة بالهند قبل المسيح بأربعة آلاف وثمانمائة سنة هي التي أوقعتهم في خرافات أشد من غيرهم فهم ظنوا أن الروح ترجع الى هذا الجسم فحنطوه وأبقوه عليه القعيدة . فأما القضاء وأسماؤه الآلهة ونحوها فهي كلها ضرب أمثال للعامة

﴿ الفصل الثاني في ذكر دين الفرس القدماء ﴾

اعلم أن (الآريين) كانوا يسكنون قديماً أواسط آسيا شرقي بحر قزوين والجزء الشمالي من (هندكوش) وقد تفرع من هذا الأصل (السلتيون) فرحوا الى أوروبا من طريق بلاد الهند وآسيا الصغرى . وارتحل بعدهم أسلاف إيطاليو واليونانيون والتوتونيون فبعض هؤلاء رحلوا الى أوروبا في الطريق بين بحر قزوين والبحر الاسود وما بقي من ذلك الأصل ذهب منهم قسم الى بلاد الهند جنوباً وقسم ذهب الى بلخ وسمرقند وقسم ذهب الى بلاد الفرس . فهؤلاء هم قدماء الفرس . فهم إذن فرع من ذلك الأصل الآري وهم اخوة أهل الهند وأوروبا فقد كانت أصولهم جميعاً تنكح باللغة واحدة وتدين بدين واحد وليس منهم (الترك والمجر وأهل فنلندة ولا بلاند) فهؤلاء القدماء لما استقرت قراهم بجهات إيران تفرقت عقائدهم وآلهتهم بأسباب عارضة فصار ذلك التفرق في العقائد باباً يجرى الى الحرب والضرب والعداوات والشحناء فظهر بينهم رجل عظيم يسمى (زردشت) . وقال أبو القاسم منصوري بن نصر الدين أحمد الفردوسي الطوسي الشاعر المولود بقرق طوس حوالي سنة ٣٣٠ للهجرة (في كتابه) «الشفاعة» الذي يبلغ ستمائة ألف بيت وقد ألفه في مدة ٣٠ سنة وقد فضله المتأخرون على كل تاريخ منقول . انه ظهر ببليخ في عهد الملك (كاي مستش) رجس طاهر اسمه (زردشت) بيده إله فيه نار بلاذخان ولاوقود ولايخور وقال للملك انني نبي مرسل اليك لأرشدك سبيل الله وهذه النار التي بيدي من الفردوس أعطانها الله نفسه وقال لي خذها فان فيها صورة السماء والأرض . خذ مني الآن الدين الحق واستر به وأزدر بالدنيا وكان مع النبي كتب قال ان الله كتبها وهي (الاستواوند) ولقد ولد (زردشت) بالري على مقربة من طهران (كما تقدمت الإشارة اليه في سورة طه) عند قوله تعالى - قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى - بمناسبة تذكائر الذرية في الحيوان الضار هناك) في المائة السادسة قبل المسيح كما يقوله الفرس الآن أوفي جوار بلخ في المائة الثانية عشرة قبل المسيح على أقوال المحققين من الفرنجة أي قبل وصول قدماء الفرس الى إيران . ولقد قبل الفرس دعوته فانتفعوا بها ولبت شعهم وقيت تلك الديانة قائمة الى القضاء أسرة بني (ساسان) في خلافة عمر رضي الله عنه سنة ٦٥٩ م ودخل التورم دين الاسلام إلا شذمة قليلة حافظت على ذلك الدين الى الآن وهم قليل جداً ببلاد الفرس ونحو سبعين ألفاً ببلاد الهند . ولقد قلنا في سورة (طه) أيضاً ان الله عز وجل عسده «قانونان» لا بد منهما الموت والحياة والشرا والخير كما في القرآن سواء بسواء . ولقد حرم التورم عبادة الأصنام وأبقوا بالخير والبشر أنهما من الله وأن كلاهما يلزم الآخر نور وظلمة وغنى وفقير وحق وباطل وهكذا والأول (أهورامزدا) ثم صار (هرمز) والثاني (أنرومايوس) ثم صار (أهرمان) فهذه التعاليم أعطيت للقوم قبل رحيلهم الى إيران . ولما ساءوا ساحة (إيران) وخالطوا الجوس أصحاب البلاد اقتبسوا كثيراً من دينهم وعوالمهم . فبعد أن كان (أهرمان) و(هرمز) عمليين من أعمال الله جعلوا إلهين مستقلين بينهما حروب وأضال . فهذا يرسل القحط والجوع

وهذا يعانده فيأتي بالحبس والشيع ولكل منهما أنصار وأنصار (هرمز) ست (١) العقل التام (٧) الاستقامة (٣) الحكم التام (٤) العبادة والطهارة (٥) الصحة (٦) الخلود

وهم يعتقدون أن الإنسان من مخلوقات (هرمز) إله الخير وإذن عليه أن يعصى إله الشر وإذن يتصف ﴿ بأربع فضائل ﴾ التقوى . الطهارة . الاجتهاد . الصدق . فالأول الاعتراف بأن (هرمز) الإله الحق واكرام الملائكة بالصاغات والسيبجات والطهارة للمداومة على الفرائض الدينية والتزهد في الفكر والقول والفعل لأن (هرمز) طاهر ورب الطهارة فليكن أتباعه طاهرين . والاجتهاد يرجع الى حزن الأرض واستئصال الشوك منها . والصدق أهم الفضائل عندهم * وروى (هرودوتس) أن صبيان الفرس يمتنون على ركوب الخيل وأن يوتروا الفوس وأن يتكلموا الصدق والكذب عندهم شرّ الرذائل وأسوأها . وكانوا يعتقدون الخلود كالصريين فيما سبق واليونانيين وأهل الهند . ويقولون ان نفوس الصالحين والطالحين تمرّ بعد الموت على الصراط وهو جسر ضيق في طريق الجنة وهو من فوق جهنم . فأما نفوس الأخبار فانها تعبر عليه سالمة وتعيها الملائكة لاسما رئيسها (سروش) والدعوات التي يدعوها أصحابها الذين على الأرض . فأما نفوس الأشرار فانها تسقط في الهاوية . ومتى وصلت نفس الصالح الى الفردوس حيها العقل الصالح والملائكة يقولون طوبى لك أيها النفس المقيمة فلك الخلود ونفوس الأشرار تقيم في جهنم وهم يعتقدون الى الآن يوم القيامة وحشر الأجساد وكل ذلك بقي في الدين بعد امتزاج (الزردشتية بالديانة المجوسية) والمجوس أصحاب البلاد الذين اختلط بهم الفرس كانوا يكرهون النار والهواء والماء والتراب ويمحسون النار المقدسة على مذابحهم معتقدين أن أصلها من السماء وانهم يجب عليهم أن يحرسوا عليها حتى لا تنطفئ . أقول من العجب أن هذا القول في حقيقته رمز للعلوم والدين . فالدين من السماء وهو النور والتور الحال في القلوب فتجب المحافظة عليه فلعل ذلك رمز للمعاني العلمية فتبقى مابقيت الرسوم الظاهرة وهناك مناسبة بين الحقيقة والمجاز إذ لم نور والنور يصاحب النار أو الحرارة . ولا يجرون على تدنيس الأنهار ولو بغسل الأيدي . وهذه العقائد دخلت تدريجاً في دين (زردشت) حتى ان الفرس بعد ذلك كانوا يطعمون موتاهم طيور السماء ووحش القفار كالمجوس لئلا يدنسوا النار إذا أحرقوه بها والأرض إذا واروهم فيها والماء إذا طرحوه فيه والهواء إذا وضعوه في تابوت فصعدت رائحتهم اليه

وهاك ﴿ نبذتين ﴾ نبذة من كتاب (الاستارزند) المذكور أي الملتن والشرح وباللغات الافرنجية (الزندانستا) وهو فيه ألف ألف بيت من الشعر نظمته (زردشت) وشرحه من خلفه وقد أكثره أيام الاسكندر ثم جمع ما بقي منه الأكاسرة بنو ساسان . ونبذة في قانون الإيمان بالله

﴿ النبذة الأولى ﴾ أقدم التحيات لسيدي ومولاي العظيم (أهورمزدا) وأسألك أيها السيد العظيم أن تغفر لي خطيئتي يوم الدين وتقدرني على أن أقوم بشعائر الدين . إن في الوجود ﴿ روحين ﴾ روحا شريرة وروحاً فاضلة وللأولى الشرور وللثانية الفضائل والخيرات . فاخترت أنت يا قدوس الخير ونبئت الشر وأهل الشر قد افتوا عليه فكنت أنت غالبهم فأنت الأرض بالشوك والحسك بسبب شرهم تأتي أنت بالنعم في الأرض وسوف يأتي يوم الحساب ويجازى كل بما عمل

﴿ النبذة الثانية قانون الإيمان بالله ﴾ نؤمن بالله واحد خالق السموات والأرض والملائكة والشمس والقمر والنجوم والنار والماء وكل شئ . إياه نعبد وله نسجد وبه نستعين . إلهنا لا ربه له ولا شكل ولا له مكان محدود ولا نستطيع وصف مجده ولا نذكر عقولنا كنهه . له ألف اسم واسم ولكن اسمه الأول (هرمز) أي الروح الحكيم . ومتى عبداً نلتفت الى بعض خلقاته كالشمس والنار والماء والقمر . وقد علمنا نبينا (زردشت) أن الله واحد وهونيه وأن نؤمن (بالاوستا) وبجود الله وأن نسل شديته ونطبع أوامره ونعمل

الأعمال الصالحة وتقول الأقوال الحسنة ونفكر الأفكار الطاهرة واصلى - نسا كل يوم ونؤمن بالحساب و بأنه يكون في اليوم الرابع بعد الموت ونرجو السماء ونخاف جهنم ونؤمن بيوم القيامة . انتهى
هانتذاها الألباب الذكي قد قرأت دين قدماء المصريين ودين الجوس ودين الفرس فكانت هذه الديانات الثلاث مثل غيرها مما ذكرناه في سورة (إبراهيم) و (آل عمران) كما قدمنا جميعها ناطقات بلسان واحد أنه ﴿ لا إله إلا الله ﴾ وإنما ذكرت لك ذلك بنصوصه وأطلت فيه بعض الاطالة ﴿ لغرضين شرفين ﴾ الغرض الأول أن تتطلع على ديانات الأمم فيحصل لك اليقين بالاسلام من طريق الديانات لأنها كالاسلام من حيث وحدانية الله والخالود بعد الموت والجنة والنار ولا عبرة ببعض التطرف في تلك الديانات ﴿ الغرض الثاني ﴾ أن تفهم الآية التي نحن بصدها . فأنه يقول فيها إن الرسل الذين أرسلوا قبلك يا محمد لم يدعوا إلا إلى إله واحد . أليس ذلك مجزوءة وأي مجزوءة ثم ان تطابق الأقوال واتخاذها في جميع الديانات طريقا واحدا يمتد اجاعا من أكثر الأمم وهذا مما يزيد اليقين ويقوى العقائد ويقال الزيف عند الذين لا بصيرة لديهم ولا قوة بها يدركون الحق . واعلم أن مثل هذا الانسان على الأرض في دينه كشله في أمر طعامه . فكما ان في الطعام أنواعا وأجناسا هكذا في الديانات والامور العقلية ألوانا وأجناسا وكما أن الانسان قديما وحديثا قد غش في الأطعمة كما شرحت لك في سورة (الحجر) عند ذكر الملائكة وآدم هكذا غش في الديانات . فترى هناك ما تقتله عن الأطباء في مصر وفي أوروبا فقد جاهدوا بأن الناس غشوا في الدقيق والخبز واللبن الأخضر واللبن المصحون واللبن وكل سائل كذلك وكما جاجات المقلات بالمياه الغازية . فكل هذه دخلها الغش . فلا زيت ولا سمن ولا لبن ولا خبز إلا فيها غش . فالبن يدخاؤون فيه الطين واللبن يدخاؤون فيه ماء قدرا فيأتى بالأمراض العفنة أقول . فكما غش الناس في طعامهم غشوا في دينهم وفي علمهم كما علمت في دين قدماء المصريين وفي دين (زردشت) الذي دله التعبد في الله بعد الوحدانية . وترى الناس على الأرض هذا دأبهم وهذا كله من ضعف استعداد سكان هذا الكوكب الأرضي فإن الكمال قليل فيه ولا يكاد دين ينزل إلى الأرض حتى يختلط بطينها ووحاها ويصبح أشبه بأراء أهلها الخاطئة - وإن طمع أكثر من في الأرض يضاولك عن سبيل الله إن يتبعوا إلا الظن وإن هم لا يتخبرصوت - وترى الناس سكارى وما هم بسكارى - ولكن الجهل شديد إن هذا الانسان يريد تعظيم الاله . فإذا يفعل . يتجاوز الحد فيقول أنا لا أذكر اسمه تعظيما له فيقع في عبادة الخلق كما عرفت في ديانة الفرس وديانة قدماء المصريين والشئ إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده والمسلمون لما طال عليهم الأمد أرادوا تعظيم الله تعظيما تاما فتقرّبوا إليه سبحانه بترك المألوم الطبيعية وعدوها كفرا وهذا من شدة عنايتهم بتعظيم الله فهم لشغفهم بتعظيمهم نهوا عن النظر في صنعتهم كما تقدم عن الأمم السابقة إذ لا يدركون اسمه اعظاما له بل يذكرون اسم مخلوقاته كما نسمع أن أهل اليابان كانوا يعظمون الميكادو فلا يرون وجهه . وكما نسمع عن بعض أتباع شيخ عظيم من المسلمين بشمال أفريقيا . فأهل البلاد محرم عليهم النظر إلى وجهه - إن الانسان لظالم كفار - إنه كان ظالما جهولا -

فلما سمع صاحب ذلك قال إن في معرفة آراء الأمم السابقة لحكمة ونورا وهدى وأن ذلك يفيدنا معنى الآية التي نحن بصدها . حقا ان المسلمين عليهم أن يقرؤوا علوم الأمم وتاريخهم . يقول الله في الآية إن كل الأنبياء كانوا يقولون بالله واحد وهذا أمر سمى ولا يكون السبى بالعقل إلا بالاطلاع وهذا هو اليقين واليقين أفضل من الايمان . ولاجر من ازدياد العلم به تزداد المدنية وترقى الأمم . فبيناهم يحققون في أمر آية أو عقيدة إذا هم ارتقوا في أمورهم المادية والمعنوية . ثم قال وإذا كان الأمر كذلك فاني أقول لقد ذكرت أن في الهند كتاب (الفيدا) ثم كان (خريستا العظيم) ثم (بوذا) وفي الصين كان أول (يوالكبير) ثم (ليونسو) بعده وأن دين الجميع التوحيد فأرجو أن تذكر آخر دين بالصين لأن ديانات أهل الهند قد شرحت سابقا في هذا

التفسير وكذلك دين أهل (بابل) . فقلت أما آخر دين في الصين فهو دين (كنفوشوس) هو فيلسوف الصين صاحب المؤلفات الكثيرة بقرّ بفضلله أهل الصين كلهم . ولد سنة ٥٥٠ قبل الميلاد وزمانه كان يقرب من زمان (بوذا) بالهند وكان والده من أسرة شريفة حاك على بلده وتوفي وابنه صغير وتعلم علوم بلاده وعين معاوناً في وزارة المالية وسنة ١٧٢ سنة ثم ترك الحكومة ثم جرح قاضياً فوزى ثم ترك المنصب إذ وجد أن الشعب لا يرتقي إلا بالتعليم فأخذ يجوب البلاد ويسلم الجاهل ويرشد الضال والناس مابين مهين له ومكرم وهو يقول لا أهم بأبناء الناس مادمت أسمى في رقيهم . وكتب في الفلسفة واللغة الصينية والعلوم القديمة وتاريخ بلاده وتقاطرت اليه الناس من كل حذب ينساؤون . وقد كانت البلاد تحت حكم ظلمة مرتشين يلقون بين الناس العداوة والبغضاء ليقى لهم السلطان عليهم فأخذ يذم فعلهم تارة وينصحهم أخرى فأصلح حال أكرهمهم . ويقال انه لولا مؤلفاته لم يعرف الناس عن تاريخ بلاده شيئاً ومات سنة ٤٦٨ ق.م وكان تلاميذه ثلاثة آلاف تلميذ أشهرهم (٧٣) اشتهروا بحجة العظم له ويعتبر الصينيون اليوم علومه وآراءه واسمه . ولا يرتقي الرجل عندهم إن لم يكن أئقن تعاليمه واشتهر بها . وذريته اليوم يعظمون أشرف بلادهم وكان في تعاليمه يضرب الأمثال بما حوله كما كان يضربها المسيح . فن أقواله أنه مرة بساقية فقال لأصحابه ﴿ للماء حكمته الناس أفضوا من علمكم على الناس كما يفيض هذا الماء فيعود عليكم بالنفع وينقي سيرتكم كما ينقي الماء ولا يفتي ﴾ . ورأى صائداً معه بطيور فقال له مالي لا أرى ملك طيوراً كبيرة فأجابه إن الكبيرة تعرف الشرك فتعجم منه أما الصغيرة وما يتبعها من الكبار فانها تقع فيه فقال تلاميذه هكذا الناس فن انبع نصيحة الشيوخ نجا ومن انبع الجهال وصغار الأحلام والشبان هلك . انتهى

أما دين (بابل) الذي سألت عنه فاعلم أن الآثار التي عثر الناس عليها اليوم قد أبانت ديانة هؤلاء أكثر مما أبان التوراة فكان رأس آلهة الآشوريين (آشور) ورأس آلهة البابليين (إل) وبه سميت مدينتهم فهي (باب إل) أو (باب الآله) إذن دين الآشوريين التوحيد ودين البابليين التوحيد لأنهم مهما نصبوا من التماثيل والأصنام فقد عبد كل منهما إلهاً واحداً وهو الرئيس كما عبد (كونفسيرس) في الصين إلهاً واحداً كما عبده (النيان) قبله بها فهم كأهل الهند عندهم إله واحد وليسكن عند العائمة أظهروا التعدد وهكذا قدماء المصريين . إذن الأمم القديمة كلها متشابهة توحيد وتعدد في آن واحد . وبعد الإله آشور الذي هو رئيس الآلهة عند الآشوريين ﴿ ثلاثة آلهة ﴾ وهم (انو) و (بيل) و (ايا) وهذا مثل الآشوريين وبعدها المثلث مثل آشور وهو (الإله سن القمر) و (الإله شمس الشمس) و (الإله أفا) أو (قل) أو (يم) أي إله الهواء وهكذا آله وراء آلهة . ولهم اعتقاد بالآخرة مثل بقية الأمم . وهكذا كان المصريون يعتقدون تثليث الإله فكل جماعة كانوا يعبدون مثلاً غير الآخرين . فالتوحيد والتثليث إذن في الهند وبابل ومصر على حد سواء . وأذكرك أيها الذي بما مر في آخر سورة (المائدة) إذ قلت لك هناك صفحات كلها منقولة من نفس علوم أهل الهند أي أن عشرات الآيات من الأنجيل الأربعة نقلت بنصها وفصها مما كتب على (بوذا) وما كتب على (خريستا) انظره هناك فإن الأمر عجب وأعجب من هذه الانسانية المخرقة المحرفة الطفلة لما على الانسان إلا أن يأتي بضلالة فتزعم في الأرض فلا يخرجها علم ولا حكمة ولا صدق ولادين بل تبقى ثابتة مادام لها أنصارياً تكون منها الخير . بهذا تعلم أن تثليث المسيحيين لا فرق بينه وبين تثليث المصريين والبابليين وأهل الهند . وأذكرك بما تقدم في سورة (مريم) عند قوله تعالى - فاختلف الأحزاب من بينهم - فقد ذكرت هناك الرواية التي تشبه الرواية المنقولة عن المسيح حرفاً بحرف نقلتها هناك من كتاب (اللورد هيدلي) رئيس الجمعية البريطانية للاسلامية . فهناك ما كتب في اللوحين البابليين التابعين لمجموعة السجلات المكتوبة بالخط الآشوري التي كشفت بواسطة الحفارين الألمانين سنة ١٩٠٣ وسنة ١٩٠٤ في (كاله سيرجات) قاعدة

الآشوريين القدماء وهما يقعان مكتبة الآشوريين التي أنشئت في القرن التاسع قبل الميلاد وقبل ذلك وهما مع ذلك صورتان طبق الأصل . ففي تلك الرواية ترى رواية الأنجيل نفسها كما ترى روايات دين الهنود وملخص ماضى أن هذا النوع الانساني فيه ﴿ طبعان ثابتن ﴾ الأول ﴿ انه كاهن متدين معتقد بالله وآخرة وموحد ﴾ الثاني ﴿ انه لا يصبر على التوحيد بل يثبث ويكثر الآلهة التي قد تصل الى ألف أو ألاف . هذان طبعان في الانسان لا يفتقران مادام على هذه الأرض فهو متدين بالطبع مشترك بالعادة وهذا نفسه برهان على الله واليوم الآخر لأن ما كان ملازما للطبيعة فهو حق كالغذاء ومحموم حب التزويج وهكذا والله يعلم وأنتم لاتعلمون والحمد لله رب العالمين . كتب يوم ٢٠ فبراير سنة ١٩٣٨ م

بعد أن أنمت هذا المقال حضر ذلك الصديق العالم وقال لي إن هذا القام جليل وجيل ولكن يحتاج الى الايضاح فقلت له توضيح الواضحات من المشكلات . قال لست أريد أن ماضى ليس واضحا بل أريد أن نرجع في بحر النور العلمي ونقتبس من هذه الآثار والأخبار التي وردت عن الأمم السابقة ما يفتننا في عصرنا . فقلت سل مانشاء . فقال أرجو ايضاح هذا التثليث عند القوم فلتن عرفنا أن هناك مثلثا عند الآشوريين والبابليين وهم الآلهة العظام عندهم ومثلثا أقل منه للقمر والشمس والهواء . لم نعرف أهؤلاء الآلهة عندهم زوجات أم لا ، فقلت لهؤلاء الآلهة الست ست إلهات زوجات للتثليث ولكن (آشور) و (إل) لم يتزوجا فقال وهل من آلهة بعد ذلك مشهورين . فقلت خمسة (زحل) والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد) فهؤلاء خمسة آلهة والسكل درجة عندهم وهذه أوصافهم

(١) زحل الجبار المحارب الظافر قاهر العصاة الرب القدير قاهر الخارجين وهو معظم عند الآشوريين وأكثر البابليين وله صورة نور ورأس انسان وجناحا طائر

(٢) المشتري معظم عند البابليين وهو عندهم الرب العظيم والملك وملك الآلهة والاله المجيد والقاضي والقسديم وقاضي الآلهة وبكر السماء ورب الحروب وملك السماء ورب الأبدية العظيم ورب السمكيات ورئيس الآلهة وإله الآلهة

(٣) المريخ إله الحرب والصيد الرجل العظيم البطل القدير ملك الحرب المهلك جبار الآلهة وله صورة أسد ورأس انسان وجناحا طائر

(٤) الزهرة ملكة الحب والجمال وكانوا يعبدونها عبادة خاصة فاحشة كما كانت تعبد عند الفينيقيين واليونان والرومان ويعملها هؤلاء أيضا إله الحرب ويقربونها مع آشور ورئيسة السماء وملكة الآلهة والآلهات

(٥) عطارد . إله الحكمة والفهم والتعليم ورسول الآلهة وثارة يقولون رب الأرباب الذي لا مثيل له في القدرة حارس السموات والأرض الذي يسلم الملوكة صولجان الملك

ثم انهم يصنعون أصناما من الحجارة والمعادن فيكون البدن حيوان له رأس انسان وجناحا طائر ويعبدونها في معابد خاصة ويشيدون الأنشيد ويذبحون الذبائح ويقربون القرابين . وما يتبع ذلك انهم يقولون ﴿ أيها النار الربة العظيمة المتعالية فوق كل شيء . أنت سابة النحاس والرصاص . أنت ممحصة الذهب والفضة وكان كل يوم من أيام السنة عبدا لاله أو كثر من آلهتهم ويعتقدون اليوم الآخر ويصاؤون على موتاهم . هذا ملخص ما عند القوم . فقال كيف يقع العقلاء في هذه الجمالة الظاهرة البطلان وكيف يكون المريخ والمشتري وأمثالها آلهة ثم ماهذه المبالغات وإذا كانت الأمم القديمة كلها على هذا المنوال مخترعين ضالين فكيف كانوا منبع الحكمة . إن الحكمة ظهرت عند جميع هذه الأمم فكيف تجتمع الخرافات والحكمة . وإذا كان دين الاسلام قد خلا من هذه الشوائب فلماذا لم نرفه حكاية أشبه بمن مضوا في الأمم فهل الخرافات تكون سببا في الحكمة والقول الحق يتبعه قوم يقل الحكما بينهم . إن هذا لعجب عجيب

فقلت هوّن عليك يا صاح . اعلم أن الله عز وجل مشرق نوره على جميع الأمم قديمها وحديثها وهو القائل - وإن من أمة إلا خلا فيها نذير - والقائل - ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة - فهو سبحانه لم يذم أمة من الأمم السابقة إلا وأرسل لها هداة وهذا المقام يحتاج إلى مقامة فأقول

إن الله عز وجل هو الذي بث الحيوانات في البحر والتراب وفوق الأرض وفي الهواء وهو الذي نظم تلك الممالك وأودع فيها غرائز فبهى بذلك حافظات لنظامها فأتمت بأمر ذريتها مادام الفردان وطلع الثيران واسكن انظر ماذا فعل . أعطى كل نوع من أنواع الحيوان فطرا وغرائز تخالف بقية الحيوان . فهل فطرة النمر كفطرة الغزال . قال لا . قات فهذه فطر مختلفات . مثلا ترى أصواتها لا تشابه بينها . فكل نوع صوته ونغمته تخالف النوع الآخر والنوع الواحد من الذئب لا يتخالف في صوته معاش منه في الغرب فصوت الغربان والكراك والى قردان في الشرق هو صوت الغربان والكراك والى قردان في الغرب لا اختلاف بينها . أما هذا الانسان فأمره عجب . أعطى عقلا وأعطى حرية يتصرف في الكلام كما يشاء . فله استقل عقله قدر على التصرف . فهاذا فعل . سار على ناموس الوجود . ومعنى هذا أن هذا الوجود فطر على الاختلاف والتنوع . فبما نوع الله أصوات الحيوان باختلاف الأنواع أخذ هذا الانسان يتوقع أصواته كما فعل الله في حيوانه فجعل الانسان نفسه كأنه أنواع لأنوع واحد . فترى اللغات الأصلية الثلاثة وهي (الآرية والبطورانية والسامية) تختلف عن بعضها اختلافا بينا وكل لغة لها فروع كثيرة . فاذا رأيت الآريين يتكلمون بالسانسكربتية وبالفارسية وبكثير من لغات أوروبا ترى الطورانيين يتكلمون باللغة التركية والقازانية وغيرها وترى الساميين يتكلمون بالعربية والعبرية والحبشية وأما شكلها . فاذا أصبح التركي والفارسي والعربي في لغاتهم أشبه بالكركي والبارزي والسنور مختلفا الأصوات مختلفا اللغات ذلك لأن الله من عادته أن لا يكرر في الخلق أي شيء دائما يتوقع عواقبه . هكذا الانسان لما أعطى قوة وتلك القوة من عند المبدع الحكيم نوعا كان نوع المعطى القادر . فبما نوع الله في أصوات الحيوان نوع الانسان الذي هو خليفته في صوت نفسه تحدثت اللغات ولكل لغة حاجات . وكل نوع الله في الغرائز الحيوانية نوع الانسان في البيانات

فهذا المثل ضربته لك أيها الفاضل لتفهم عليه . وقد قلنا ان الله لم يذم أمة إلا وأرسل لها رسولا والمجددون في كل دين هم قائمون مقام الرسل . فهذه البيانات تنوعت على حسب ما طبع عليه الانسان من التنوع في عادته وأطواره . ثم ان كل دين ينزل لأهل الأرض كما قدّمنا يكون بالتوحيد وهذا التوحيد سار في جميع الكائنات والله لم يره أحد فاذا فكر العقل لم يجدوا إلا لجل هذا الوجود فيفتنون في وصف جبال العوالم ويشقون الصانع بنظرهم الى الصنعة والدين اذا لم يكن مستندا الى هذه العوالم الطبيعية لم يسم . ان الله لم يره الناس ولكنهم رأوا جمالا باهرا وحسنا ظاهرا وبهجة وكالا فهذا الجمال يسوقهم الى أن تبرع عقولهم الى مبدع العالم

ولاجرم أن زحبل المشتري وأمثالها ذات جبال باهر وحسن ظاهر فهذه السيارات وكذلك الشمس والقمر والنجوم الثوابت هي المزرعة العامة التي بها يعيش الناس خالقهم ويرتقون في صناعاتهم الدينية . ومعنى مضت الأيام والسنون أصبح ما كان بهجة الجمال وبابا للعلم وسما للعرفه حجبا على العقول وامنا يمنع من الوصول وذلك بالانطباع في مدح هذه الدلائل والتغالي في وصفها جيلا بعد جيل فينتزل هذا الدين الى السفساف ويجعل الناس هذه الكواكب كأنها آلهة صفرى تقرب الى الآلهة الأكبرهم اذا تمدد الزمان انحطوا الى عبادة التماثيل التي تمثل هؤلاء المعبودين من الكواكب . والدليل على ذلك أن الأوصاف للمتقدمة تحوّل لسلل كوكب فيها انه رئيس الآلهة فتراهم يقولون في أكثرها انه رب الآلهة وهذا مبالغة الشعراء في

كل عصر إذ يصفون وصفا كاذبا من كثرة المبالغة . وقصارى الأمر وحجاده أن هؤلاء الصابئين كانوا أولا يعبدون الله وثلاثة ملائكة والملائكة موكبون بالكواكب فأنه هو المعبود والملائكة يعمدون بأمره والكواكب كأنها أجسام تلك الأرواح فعبداء الملائكة يتقربون بها إلى الله والكواكب حجابها أو جسدها أو نحو ذلك فهو رزقه والتمثيل في الأرض مذكرات بالكواكب إذا غابت عنهم . إذن العبادة في نظرهم كلها راجعات إلى الله كما قال تعالى - ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى - فإذا عبدوا زملا أو المشتري فقد أرادوا بذلك انهم ما كان من اعتبروا الكوكبين ثم التمثيل

﴿ ضرب مثل ﴾

ومما مثل الديانات إلا كمثل الناس على الأرض . يكون المرء طفلا فصبيا فراهقا ففتى وشابا فبالغا أشده فكهلا فشيخا فهرما فميتا . هكذا الدين يكون أولا قرلا على لسان رسول فيبلغه فينشئ في الأمم فيرتقون به ثم يأخذ في الاضعحال شيئا فشيئا حتى لا يصلح للأهم فيقول من الوجود أو ينكشف في جملة محقورين وجعل الله أن يبقى في الأرض مالا فائدة فيه . فهذه الديانات وهي قائمة في الأرض كانت يدهمها علوم وحكم وأخلاق ومواعظ . كل هذه تقلب على الخرافات فلا يكون لها أثر ولكن بتأدي الزمان تزداد الخرافات فتظلب على جوهر الدين فلا يبقى صالحا لحياة الأمم فيزل من الوجود . تلك الديانات لم تزل من الأمم إلا حين ضاعت ثمرتها وذهبت بجنتها وفارقت الصواب . واعلم أن أهل كل دين يفتنون انهم على الحق وسواهم على ضلال ونحن المسلمين اليوم نظن أن تلك الأمم لم يكن لهم من الهدى نصيب وهذا حق من وجه ولكن من وجه آخر باطل لأنهم لوجودوا من كل حكمة في الدين مابقي ذلك الدين فكانت لهم شرائع وقوانين وعلوم تربو على تلك الخرافات فيعيش بالدين الناس بسلام

فلما سمع صاحبي ذلك قال الحمد لله ديننا برىء مما وقعت فيه الأمم السابقة . فقلت ان ديننا وقع فيها وقعت فيه الأمم السابقة حذو القذة بالقذة كما روى ﴿ لتبعن سنن من قبلكم شيئا بشيرا وشرارا بئرا حتى لو دخاوا حجر صب لدخلتموه ﴾ . فقال وكيف ذلك . قلت ما الذي ضر الناس من عبادة الكواكب . قال نفرت في الوجه فلا يدري الناس من المعبود وحذو القذة يضع الوقت سدى ويتفرق الناس شيئا ويذوق بعضهم بأس بعض وتخل الرابطة . فقلت هذا وإن لم يحصل بنفسه قد حصل نظيره في بلاد الاسلام وذلك في رجال العلم ورجال التصوف والكتب الموروثة عن المتقدمين أما رجال العلم والكتب فانك ترى أتباع الحنفي والشافعي وابن حنبل والامام زيد وهكذا الشيعة وجميع الفرق المستدعة في أهم الاسلام لكل وجهة هومواها فهو لا يجتمع جميعا يقرن العلم الموروث عن الشافعي وأبي حنيفة إلخ ولكن لا يجوز لهم أن ينظروا في كتاب الله ولا يسير الصحابة ولا التابعين إلا نظرا تابعا لأولئك الأئمة ، وإيضاح المقام أن الله أنزل القرآن على النبي ﷺ فقام به الصحابة والتابعون ثم قام الأئمة واجتهدوا ثم المجتهد منهم له أتباع وهؤلاء الأتباع ألفوا كتبها وبعدهم مؤلفون وراء مؤلفين . فاطالباب في زماننا يقرأ في مذهب الشافعي مثلا الكتب المقررة في الأزهر كالمنهاج ولا يزيد عليه مع ان المنهاج من المنهاج والبهاج مشتق من كتاب من كتب الامام الغزالي في مذهب الشافعي فكل متأخر لا يجزئ أن يقرأ كتب أحد إلا الطبقة القريبة منه ويفهمه شيوخه انه ليس أهلا للطبقة العليا فاذا لم يكن أهلا لكتب الغزالي كالوسط واليسيط والوجيز فن باب أولى ليس أهلا لكتب الامام الشافعي ومن باب أولى ليس أهلا للترجيح في أحاديث البخاري ومن باب أولى ليس من رجال فهم كلام الله تعالى لأنه مفروض أن قوته حكمها لا تنتطاول الى ذلك ، وبناء عليه تنازل العلم والنصر في عوام المتأخرين مع تعظيم المتقدمين فالقرآن معظم والحديث محترم والشافعي وأصحاب الشافعي والامام النووي والرملي وابن حجر ولكن كتب هؤلاء أكبر من أن يدرسها الانسان وهذا كله حاصل عند المتعلمين في أكثر ديار الاسلام وقد فرض

الناس أن الدين كله فيها مع أن هذه المذاهب ليس فيها إلا أسوال عارضة للإنسانية وليست كل الدين بل هي حاشية من حواشيه أوسياج لروسته . فعمل الفقه الذي أسمعتك وصفه . وأن العالاب في زماننا ليس أهلا إلا لقراءة كتب المتأخرين من المؤلفين فيه ليس له حظ من الدين إلا أنه سياج له والدين روضة ذات أشجار وثمار والأشجار هي المعارف العالية والغنية والثمار هي الأخلاق والمودعات والمحبات ورق الأمم وكل ذلك لا يتم إلا بالسياج الذي سميناه فقها . فإذا كانت هذه حال دين الاسلام وأن أصوله تركت وهي الأخلاق والمعامل التي ثلاث الدنيا وأن سياج الدين أيضا لم يأخذ الناس منه إلا بشذرات وحرموا من الأصل . أتول إذا كان هذا شأن دين الاسلام أفليست تقول إن هذا ينزل وسقوط في هاهوية كسقوط الآشور بين والبابليين في أصول الدين إذ عبدوا الكواكب والنماثيل ونسوا الأصل فلكل منا ومن تلك الأمم وجهة هومولها فهم سقطوا من جهة الأصول ونحن هومنا من جهة الفروع والفرق بيننا وبينهم أن سقوطنا يمكن تداركه أما سقوطهم فلا وعلى ذلك حل الاسلام محل أديان تلك الأمم وديننا ليس يعوزه شيء إلا أن نوقف الأمة إلى القرآن ونقول لهم ما قلناه في هذا التفسير الذي رجع بالأمة إلى ما كان عليه الصدر الأول ولكن بطريق يناسب العصر الحاضر فهذا فرق ما بيننا وبينهم . القرآن باق ولولا القرآن لاضمححل الدين ولم تبق له قائمة فهذا القرآن فيه اصلاح الأمة واصلاحها بالعلم والعلم هوملاك الأمر . هذا ماقلوه في رجال العلم . أما رجال التصوف فخذت ولا حرج فقد اتخذ كل منهم له طريقة تخالف الآخر ليميز أتباعه عن غيرهم ثم يرى أتباعه أنه خير من غيره مع احترام الباقيين ويجعل لهم ذكرا خاصا وأورادا وآيات من القرآن ويصرفهم عن بقية الدين وعن فهم القرآن وعن سائر العلوم وفي أعلم أن بعض رجال الصوفية في زماننا قد أمروا تلاميذهم أن يذكروا اسمه مائة ألف كذا يذكرون الله وقد تغالى أهل كل طريق في شيوخهم وبالغوا في تعظيمهم بل إن بعضهم قد حرم على أتباعه أن يروا وجهه ويذكرون في مناقبهم مآثر وخوارق كما نسمع من أصحاب السوفى والرفاعى والسيد أجدالبدوى . فهو لاء الشيوخ كانوا قوما صالحين ولكن أتباعهم أسندوا اليهم من الأعمال ما لا يستند إلى الله أولى الأنبياء فتاهت العقول وضلت . أفلا ترى أن أولئك الشيوخ فصل معهم أتباعهم ما فعله الصائبة مع الكواكب التي هي مقام الملائكة ومترتهم في النماثيل . الله أكبر . لقد وصف كل من زحل والمشتري والزهرة والحج بما وصف به الله فكل من تلك الكواكب وصف بأنه رب الأرض وبأب وقاهر وهكذا وقال للجهلة من المسلمين في شيوخهم من التعظيم ما يصحى وصف الله القدير كأن يقولوا هو يحيى الموتى بدعوته ونحو ذلك وهذا مشهور معلوم فكيف يرجع للقرآن هؤلاء وكيف يعرفون أوصاف النبي ، ذلك الذي الذي لم يحي ميتا أما شيء فقد كان على هذا المقام العظيم . إن المسلمين تفوقوا بتفرق قلوبهم وتفرق قلوبهم ناجم من جهنهم وجهنهم بسقوط العلم في التعليم وجهل الأصول والأخذ بأذياب الدين وترك رأس الأمور والنفس والتدليس من المتصوفة . فخص وإن لم يكن عملا كسرا في الاسلام فهو سقط لهم الأمم . وقد لا نتيجة التي أدى إليها نزل الآشور بين والبابليين في عباداتهم والباب الذي وجبناه لا رتقاء الأمم الاسلامية اليوم أصبح . والحمد لله فتوقا على مصرانته وذلك بأمثل هذا التفسير انظر ما تقدم في (آل عمران) عند قوله تعالى ألم ترالى الذين أتوا نبييا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله . ألم ترالى الذين أتوا نبييا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله . فهذا المقام هناك موضح غاية الايضاح . ففيسه ذكر الغرورين من أمة الاسلام وما نتيجة الغرور وأنواعه وما السبيل إلى رقى الأمم الاسلامية .

فلما سمع صاحب ذلك قال حيا الله المسلم فوالله ما كان لهم جس يتخاطرون أن تكون هناك موازنة بين عبادة الكواكب وبين التغالى في الشيوخ . فقلت إن الأمر فوق ذلك . فقال زدنى إذن . فقلت إن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يقرؤون القرآن لغرض ويتعلمون العلم لغرض والغرضان شريضان . قرؤا القرآن لينظموها أرض الله ويرفقا الشعوب . وتعلموا العلم وأخذوا عن الشيوخ ليسكنوا قادة وسادة وعملا

نافعين لنوع الانسان . أما الأمم الاسلامية المتأخرة فان بعض حفاظ القرآن لا يقصدون منه إلا « أمرين » الأول أن يكون حرفة يعيش بها بين الناس « الثاني » أن يقرأ القرآن لأجل لفظه لا لأجل معناه . وقد رسخ في عقول الكافة أن القرآن يلوث معنى كاف . فقد زاد في الطين بلة قوم نقلاوا علوم الصابئة ومنجوها بالقرآن وصار هذا الكتاب بقصد جلب الرزق ودفع الأذى ومنع الأنداء وهكذا . وكما يقصدون من القرآن يقصدون من الشيوخ . فإذا كان المتقدمون يتعلمون من الشيوخ العلم صارا المتأخرون لاسيا تلاميذ الصوفية يعتقدون فيهم انهم هم الذين يقرّبونهم الى ربهم بهمهم مع أن القرآن لمنه والعلم به والشيوخ ليسوا مقصودين لشفاعتهم عند الله بل لترقية العقول وحث التلاميذ على الاجتهاد والعمل ومساعدة الناس وهذا وحده هو الذي يرقى المرء في الدنيا والآخرة ويجعل المرء مستعدا لشفاعة نبيه ﷺ فكما كان الصابئة في بلاد بابل وأشور يعبدون أولا إلهما واحدا وهو الذي سموه رئيس الآلهة فيما بعد أخذوا بعد ذلك في عبادة مخلوقاته من الكواكب وغيرها . فبعد أن كان المقصد من الكوكب أن يعرف جلال الله به وحكمته وعظمته صار نفس الكوكب إلهما صغيرا متصرفا وبمثل هذا يقال في الشيوخ وفي الأوراد وفي قراءة القرآن . فبعد أن كان هؤلاء جميعا لارتقاء الانسانية انحطت القوى فصارت قراءة القرآن والأحزاب واتباع شيوخ الصوفية يقصد منه عند صغار العقول طلب الدنيا أو الانسكال على ما ذكرناه في النجاة يوم القيامة وما نجاة الانسان إلا بعمله هو في الحياة الدنيا علما وعملا وأخلاقا . فقال إن قولك ان المسلمين مزجوا دين الصابئة بالاسلام لم أفهم مرادك منه . فقلت إن أكثر أهل العلم في بلاد الاسلام تقع في أيديهم كتب جعلت جلب الرزق والمنافع الدنيوية وقد جعل القرآن فيها وسيلة لسعادة الحياة الدنيا ولكن بطريق يخالف طريق الصحابة فالصحابة والتابعون اتبعوا سنن الله في تحصيل الرزق بالعمل في الأرض أو بالتجارة أو بالجهاد . أما المتأخرون فيضهم جعل قراءة القرآن وحده سببا لجلب الرزق لا العمل بمعناه في أمور الحياة فترى كتاب البوني المسمى « شمس المعارف الكبرى » يطبع منه ما لا يطبع من هذا التفسير وغيره آلاف وآلاف وبيع وفوه فوائده تكتب إما بأرقام عددية أو أوقاف وإما بريضة وتخبر وتقرأ الآيات مع ذلك على طهارة وأما بتعيين ساعات للكوكب كرحل والمشتري والمرخ في آخره وكل ذلك منقول حرفيا عن الصابئين أهل بابل الذين جئوا هم والمصريون وأهل الهند للكواكب أوقافا وأعدادا خاصة منظمة ترجع في أصولها الى علم (الزخامطيق) الذي ذكرته سابقا في هذا التفسير وألف فيه أستاذنا المرحوم على باشا مبارك بعنوان « خواص الأعداد » فهذا العلم الذي هو أصل علم الحساب ظهرت فيه عند تلك الأمم عجائب لا محل للكسرها تأخذ باللب . فهذه الجوانب استعملها البابليون والآشوريون الى آخره جلب الرزق والتقرب من الكوكب إذ لكل كوكب مريع خاص . فإذا كان الله له عدد (١) فالله لها عدد (٢) وربه (٤) أما مريع (١) فهو الواحد إشارة الى أن وحدة الله عندهم مقدسة ولزحل (٣) مضروبا في (٣) يساوي (٩) وللمشتري المربع (٤ في ٤) يساوي ١٦ وللمرخ (٥ في ٥) يساوي (٢٥) مريحا وللشمس (٦ في ٦) يساوي (٣٦) وللزهرة (٧ في ٧) يساوي (٤٩) ولعطارد (٨ في ٨) يساوي (٦٤) والكوكب القمر (٩ في ٩) يساوي (٨١)

ومعنى هذا انهم يرسمون مربعات اما (٩) للأول واما (١٦) للثاني واما (٢٥) للثالث وهكذا ولولا خيفة التطويل والخروج عن المقصد لرسمت هذه المربعات وأريتك حسابها فتعرف كيف تكون الأعداد في هذه المربعات من (١) الى (٩) في الأول ومن (١) الى (١٦) في الثاني ومن (١) الى (٢٥) في الثالث هيئة منظمة فتتجيب غاية التعجب ومتى وقع هذا الوقف في يد الطالب أيقن أن فيه سرا عيبيا وإذن يتقرب به الى الكوكب الخاص به لأجل ما فيه من سحر النفس ودهشتها به وبدقة حسابها . هذا فعل الأمم القديمة الذين جعلوا فن خواص الأعداد المقصود به استخراج علوم الأعداد المتفرعة عليه كلها كما قدمناه في آية الميراث في سورة

(النساء) بابا جلب الرزق بالتقرب للكوكب وقلدهم في ذلك المسلمون المتأخرون فجاءوا نفس هذه الأوقات مع جهلهم حسابها ونظامها بابا جلب الرزق بالآيات القرآنية بدل الكواكب السبعة بل منهم من أدخل الكواكب مع القرآن والرياض والحلوة وهكذا وساعات الأيلام الخاصة بالكواكب . فقال في أي كتب قرأت هذا وهل تسمعي قولا عن عالم اسلاي قال هذا حتى يكون لهذا القول أثره في أئم الاسلام بعدنا لأن هذا التفسير من الكتب التي تناولتها الأيدي في بلاد الاسلام فاذا وفيت المقام بمثل ما طلبته منك الآن كان ذلك خيرا وأبقى فقلت ان العلامة ابن خلدون في مقدمته تحت عنوان ﴿ علوم السحر والطلسمات ﴾ قد أوضح الفرق بين السحر والطلسمات وأن هذه العلوم مهجورة عند الشرائع وانها كانت علوم النبط والكهنة والمصريين وأهل بابل والسر يانيين وأن الذي ترجم لنا من تلك الأمم قليل مثل (الفلاحة النبطية) من أو ضاع أهل بابل ومثل مصاحف الكواكب السبعة وكتاب طمطم الهندي في صور الدرج والكواكب . ثم قال إن جابر ابن حيان من كبير السحرة المسلمين أنسفي هذا وجاء بعده مسلمة بن أحمد الجرجي إيطي امام أهل الأندلس في التعاليم والسحر وأطال في ذلك بما يفرج بنا عن موضوعنا لو كتبناه إلى أن ذكر تحت عنوان ﴿ أسرار الحروف ﴾ ما ملخصه ﴿ إن الذين يذكرون أسماء الله لأجل المنافع الدنيوية يمزجون قوى الكلمات والأسماء بقوى الكواكب فيعين لذكر الأسماء الحسنى أو ما يرسم من أوقافها . وهكذا لساير الأسماء أوقافا تكون من حظوظ الكوكب الذي يناسب ذلك الاسم كما فعل البوني في كتابه الذي سماه الأعماط ﴾

وذكر أيضا أنهم قسموا الكواكب على هذه العوالم من جواهر واعراض وهكذا الحروف والأسماء أيضا مقسمة عليها الكواكب كما قسمت على عوالم المادة . قال وبنون على ذلك مبادئ غريبة منكسرة من تقسيم سور القرآن وآيه على هذا النحو كما فعله مسلمة الجرجي في الغاية . والظاهر من حال البوني في الغمط انه اعتبر طريقهم فان تلك الأعماط اذا تصفحتها وتصفحت الدعوات التي تضمنتها وتقسيمها على ساعات الكواكب السبعة ثم وقفت على الغاية وتصفحت قيامات الكواكب التي فيها وهي الدعوات التي تختص بكل كوكب يسمونها ﴿ قيامات الكواكب ﴾ أي الدعوة التي يقام لها بها . اذا فعلت ذلك عرفت أحد أمرين اما انه من مادتها واما أن ذلك أمر أوجبه التناسب الذي كان في أصل الابداع وبرزخ العلم انتهى بصرف يسير جدا لفهم

فلما سمع صاحبي ذلك قال بعجبا كل العجب . إذن تنزل المسلمين وسقوطهم الى الهابة كان مسبوقا بالأهم التي هوت مثلنا . إذن تلك الأمم استعملت أمثال الحساب الذي خلق لرقى الأمم بابا وسلمنا للاستجداء من الكوكب وقد قلدهم المسلمون في ذلك وصاروا كالصائبة ومزجوا القرآن بعلم الصائبين والذي تبين لي من هذا القول أن سقوط الأمم وانحطاط أخلاقها جار على سنن واحد قديما وحديثا . فهذه الآيات القرآنية لرقى المسلمين وتلك الكواكب عند الصائبين لمعرفة حسابها والانتفاع به في أمور الحياة ولمعرفة جلال الله والفرام به فانحطت تلك الأمم انحطاطا أفقدهم منه الاسلام وصاروا يتهلون الى نفس الكوكب . فهكذا نحن جاء القرآن لرقى العقول والأعمال والمدن والأمم فسار يقرأ للتضرع وترك الموالب العقلية والجسمية كما فعل الصائبون حذوا القادة بالذمة وهذا انحطاط وموت عاجل وهذا داء قد فشا في الأمم الاسلامية . وأرى من مجموع مذاكرتنا في هذا المقام وغيره أن الذي يفرج المسلمين من هذه الدرجة المنحطة ﴿ امران ﴾ الأول ﴿ دراسة أمثال هذا التفسير وتأليف كتب مثله مختلفة ليتغفل المسلمون ﴾ الثاني ﴿ ان يجد كل قطر من أقطار الاسلام في تقليل الفقر المدقع عن الأمة وذلك بأن يخصصوا جميع أفراد الشعب ويعرفوا صناعة كل منهم فلا يتركون قادرا على العمل إلا لزومه به وأتوا له يعمل . فهذا العمل للفقراء يغنيهم ويلبهم عن الاستعانة بهذه الكتب المنتشرة في أقطار الاسلام ويصبح هؤلاء العاطلون نافعين للمسلمين . فقلت أنا أوافق عليه وأزبد أن الزكاة الواجبة

شرعا يعطى منها للعاطلين الذين لا يقدرّون على العمل ما يسد حاجتهم والباقي يجعل لشراء آلات للعمل أو تمهيد أرض لأصحاب الأعمال الذين لا يجدون وسيلة لعمل يعيشون به . فقال الجد لله إن هذا المقام قد استوفينا القول فيه ولكنى أرى أن حساب الأوقاف المتقدم ذكره يقرؤه القارئ فلا يهمله . وإذا كان الامام الغزالى فى بعض كتبه وهو يرد على علماء الباطنية فى زمانه وقد أنكر بعضهم فائدة الصلاة يستجيب عليهم بالوفى المثلث الذى ذكرته أنت انه زحل ويقول أنتم تعتقدون فى هذا الوفى الذى ترون انه اذا وضع على هيئة خاصة يؤثر فى تسهيل الوضع للحاصل فكيف لا تعتقدون أن يكون بين الصلاة وبين الثواب فى الآخرة مناسبة كالمناسبة التى بين الوفى المثلث وتسهيل الوضع . أقول ان الامام الغزالى كما قال هذا رسم الوفى المثلث لكى يفهمه القارئ فأرى أن ترسم لنا وفقا آخر حتى يعرف القارئ كيف كانت الأوقاف عند البابليين وجميع الأمم الوثنية وكيف انحطوا بها وكيف قلبهم المسلمون وكيف انقلبوا كمن سبقهم من الأمم . فقلت ان سؤالك هذا فتح لى بابا ما كان ليحظر لى . ذلك انك ذكرت الباطنية فى زمان الغزالى وذكرت الوفى المثلث وهذا يذكركنى أن هؤلاء الباطنية فى زمانه تناولوا علوم تلك الأمم وأدخلوها فى الاسلام كما ذكره ابن خلدون فيما تقدم أنفا وأما الوفى الذى طلبته فأنما أثبت لك لأحد الأوقاف ليهذا خاطرك وتعلم أن (علم الارتماتيقى) أو (علم خواص الأعداد) قد استعملته الأمم المسماة وغير المسماة فى غير ما وضع له وتناولوا به عن المعالى فلا ذكرك لك الشكل الخمس مما ذكرته فى كتابى « فى الفلسفة » نقلا عن كتاب أستاذى المرحوم على باشا مبارك وهذا صورته

١١	٢٤	٧	٢٠	٣
٤	١٢	٢٥	٨	١٦
١٧	٥	١٣	٢١	٠٩
١٠	١٨	١	١٤	٢٢
٢٣	٦	١٩	٢	١٥

فالصف الأفقى والصف الرأسى والقطران كلها متساويات اذا جعلناها . فكل صف منها (٩٥) وهكذا القطران . فهنا حصل التساوى فى (١٢) صف كل واحد منها (٩٥)

هذا هو الوفى الخمس من الأوقاف التى كانت فى علم خواص الأعداد التى هو أصل العلوم الرياضية والعلوم

الرياضية بها تحل مشكلات العلوم الطبيعية وترتقى المدينة فجعله هو أمثاله للاستجداء من السكواكب أو أوبأيات القرآن فصار الدين بابا للذلة والمسكنة والجهالة وقد اتضح هذا المقام والجد لله رب العالمين

﴿ جوهره فى قوله تعالى - ونبلوكم بالشر والخير فتنة - الخ ﴾

اعلم أن الخير مقرون بالشر وليس لأهل الأرض علم بمواقب الأمور فرب شر فى نظرهم كان خيرا كثيرا فهنا حروب كثيرة وزلازل وجذب وما أشبه ذلك فى الأرض . يعيش الناس ويموتون وأكثرتهم لا يعلمون ذلك فلا ضرب لك مثلا واحدا لشر فى نظر جميع الأمم واسكنه فى الحقيقة خير . هاك مسألة القطن نحن فى مصر نزرعه ونزرعه كثير من أهل الأرض وأهمهم أهل الممالك المتحدة . ولعمري ليس القطن من فائدة إلا الزيت والملابس والزينة . إن قطن بلادنا يخرج نوعا يسمى (السيكلاريدس) يستخرج الانجليزى معاملهم منه ما يشبه الحرير ويبيعونه بأعلى الأثمان . فالقطن فى الحقيقة ليس من ضروريات هذه الدنيا بل هو أشبه بالخاصيات أو بالزينة . فى الأرض جلود الأنعام وصوف الغنم ووبر الجبال ولذلك تجد عرب البادية يكتفون غالبا بالأصواف عن القطن . إذن الناس محتاجون الى القطن لأنه ضرورى كالغذاء والماء والهواء . إذن يكون ظهور القطن فى أرضنا بقدر فليس يجب أن يكون علما كهموم القمح . فتعجب من صنع الله الذى أرانا حكمته فى ذلك . وبيانه انه قد جاء فى كتاب « الجغرافية الحديثة » ماملخصه أن أن مساحة الأرض التى تزرع قطنا فى الولايات المتحدة (٧٠٠) ألف ميل مربع وهى تنتج (٧٨) مليون قطن فىصنع منها $\frac{1}{3}$ فى معازل (نيو انجلند) وبحرى الآن تجارب لانماء القطن الملون وتكاد تنجح . فهم

يطعمون القطن الأمريكى بالمصرى فينتج (تسكان) وباليورى فينتج أجرقانيا وبالصنى فينتج أصفر وبالهندى فينتج أزرق وبالكارولنى فينتج أخضر وتطعم الأمريكى الجنوبى بالمكسيكى ينتج أسود ولابد أن تحدث هذه التجارب اهتلابا عظيما فى الصناعة

هذا هو الخير المنتظر من القطن فى الولايات المتحدة . أما الشر المنتظر منه فهو أن هناك اقليم القطن الواقع جنوب خط (٣٨) درجة من خطوط العرض وشرق خط (١٠٠) درجة من خطوط الطول الغربية الذى يشمل جزءا كبيرا من ولايات المحيط الاطلانطىكى الجنوبية . فهذا الاقليم فيه أراض واسعة لزراعة القطن وأهل البلاد يبيعونه ويشترون منه ما يحتاجون اليه وقد استعملوا السماد لائتماء القطن . ولقد ضعفت الأرض كثيرا مع هذا التسميد المتكرر بتكرار زراعة القطن وكثرة الحيل المستنبطة لتقوية الأرض . هنالك عرفت الحكومة أنه لابد من تنوع الزراعة فى البلاد وقام الخطباء ونصحوا الملاحين ولكن لم يجد نصيح الحكومة ولاخطب الخطباء . ذلك لأن غير القطن من الفلات كالخنازير والبقول والشوفان لايسهل بيعه أوهره بخلاف القطن . أندرى ماذا حصل بعد ذلك . أرسل الله لهم خطباء من عنده فباعوهم كيف يزرعون . أولئك الخطباء هم دود القطن . ذلك دود اللوز الذى هجم بمجموعه على القطن فى اقليم (تكساس) سنة ١٨٩٢ وظل السود يفتك وينشر ثلاث سنين ولم يقدر العلماء على صدّه أو تقليل ضرره والى الآن لم يجد الناس سبيلا لإبادة هذه الجنود الممعدنة . فإذا حصل بعد ذلك . حصل المقصود وهو أن القوم قتلوا زراعة القطن فزرعوا الشوفان والبطاطس والبطاطة وربوا المواشى والخنازير وزيدت الخضار وصدرت للأسواق الشمالية وزاد ذلك أثناء الحرب الاوروية . إذن العودة أحدثت انقلابا زراعيافى ما أحدثته فصاحة الخطباء والحرب الأهلية من قبل ذلك . تلك الحرب التى منعت استعباد السود الذين كانوا وحدهم يقومون بزرعه وبعد الحرب مازالوا يزرعون القطن بطريق الاجبار . فحزير الرقيق لم يقاتل زراعة القطن وهكذا الخطباء ، وإنما الذى أتى بالنرج والعلى هى السود التى علمتهم - فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون - نسجلك يا الله لأنك تفعل معنا ما فعلته مع الولايات المتحدة . نجعل كل شئ فترسل الشر ليكون الخير . هذا معنى قوله تعالى - ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون - انتهى القسم الأول

(الْقِسْمُ الثَّانِي)

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءَ وَذَكَرًا لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ * وَهَذَا ذِكْرُ مُبَارَكِ أَرْثَانَاهُ أَقَانْتُمْ لَهُ مُسْكِرُونَ * وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ * قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ * قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ * وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ * جَعَلْنَاهُمْ جُذُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ

إِبْرَاهِيمُ * قَالُوا قَاتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ * قَالُوا أَنْتَ قَمَلْتَ هَذَا يَا لَهَيْتُنَا
 يَا إِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ قَمَلَهُ كِبَرُهُمْ هَذَا فَسَتَلَوْهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْقُطُونَ * فَرَجَعُوا إِلَىٰ
 أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ * ثُمَّ نَسُوا عَلَىٰ دُورِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ
 يَنْقُطُونَ * قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أَفِ لَكُمْ
 وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
 فَاعِلِينَ * فَلَمَّا يَأْتِيَ النَّارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمْ
 الْأَخْسَرِينَ * وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ
 وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ
 الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ * وَلُوطًا إِتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ
 مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ * وَأَدْخَلْنَا فِي رَحْمَتِنَا
 إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ
 الْعَظِيمِ * وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ
 أَجْمَعِينَ * وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخْتَصِمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَقَتْ فِيهِ غَمَمٌ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ
 شَاهِدِينَ * فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَسَخْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحُونَ
 وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ * وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِيُخْصِمَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ
 شَاكِرُونَ * وَسَلَيْمَانَ الَّتِي عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ
 شَيْءٍ عَالِمِينَ * وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ
 * وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا
 مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ
 وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ * وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ *
 وَذَا الثُّورِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاصِبًا وَقَطَنَ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ
 سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ *

وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ
يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا
خَاشِعِينَ * وَالَّتِي أَحْصَيْتَ فَرَجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَمَلْنَاهَا وَأَبْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ *
إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون * وَاتَّقُوا أَمْرَهُمْ يَتِيمَهُمْ كُلِّ إِنَّا
رَاجِعُونَ * مَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيدِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ *
وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنْهُمْ لَا يَرْجِعُونَ * حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَاجُوجُ وَهُمْ
مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ * وَقَفَّتْ رُوحُ الْحَقِّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارَ الَّذِينَ كَفَرُوا
بِأَوَّلِنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ * إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
خَتَبَ بِهِمْ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ * لَوْ كَانَ هُوَ اللَّهُ إِلَٰهَةً مَا وَدَّعَهَا وَكُلَّ فِيهَا خَالِدُونَ *
لَهُمْ فِيهَا زَوْجٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ * إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا
مُعَذُّونَ * لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ * لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ
الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ
كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ * وَلَقَدْ
كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ * إِنَّ فِي هَذَا
لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ * وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ * قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّكُمْ
إِلَهُ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرَىٰ أَقْرَبُ
أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ * إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهَنَّمَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ * وَإِنْ أَدْرَىٰ لَعَلَّهُ
فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ * قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ *

(التفسير اللفظي)

(ذكر سيدنا موسى عليه السلام)

قال تعالى (ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين) فهذه ثلاثة أوصاف للتوارة
يفرق بين الحق والباطل ويستضاء به في المشكلات وهو تذكرة وموعظة ثم وصف المتقين فقال (الذين يخشون
ربهم بالغيب) حال (وهم من الساعة مشفقون) خائفون (وهذا ذكر) القرآن (مبارك) كثير خبره
(أنزلناه) على محمد ﷺ (أفأنتم له منكرون) استفهام توبيخ

﴿ ذكر سيدنا إبراهيم عليه السلام ﴾

قال تعالى (ولقد آتينا إبراهيم رشده) الاهتداء والصلاح (من قبل) من قبل موسى وهرون (وكننا به عابدين) بأنه أهل لذلك آتينا ذلك (إذ قال لأبيه) أزر (وقومه) نمرود بن كنعان وأصحابه (ماهذه العنايل) على صورة السباع والطيور والانسان وفي هذا تجاهل لها تحقيرا مع علمه بتعظيمها (التي أتم لها عاكفون) أي لأجل عبادتها مقيمون فنجزوا عن إقامة الدليل على حجة ألوهيتها واستحقاق عبادتها (وقالوا وجدنا آباءنا لها عابدين) قتلناهم (قال) إبراهيم (لقد كنتم أتم وأبأؤكم في ضلال مبين) فالقائدون والمقلدون معا منخروطون في سلك ضلال ظاهر (قالوا أجبنا بالحق) بالجذب (أم أنت من اللاعين) أي الأجاذ أنت فيما تقول أم لاعب فأضرب عن قولهم قائلا انه جاد و (قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن) خلقهن . يقول الخليل كيف قلتم الآباء وتركتم عقولكم والعقول بنظرها الثاقب فيما خلق الله من السموات والأرض تعرف صانها فأنه نقش وصور وزرق صوراً في السموات والأرض لانه لا تعد وما أصنامكم إلا تماثيل صنعتها وهذه الحجة على النظام الذي جاء في قصة موسى وقد تقدم في سورة ﴿ طه ﴾ وأن ماعداً دلائل العقل ماني فالتقليد هنا والدلائل التي تقام بخوارق العادات لاحجة تقام بها إلا زماناً قليلاً ولئلا تبدأ بذكر قصة موسى تنبها على الحجة العقلية التي استنتجت من قصته وأنبها هذه القصة وفيها نفس حجة العقل وأن النظر في السموات والأرض هو المسند للأهم فلا تقليد ولا خوارق عادات ولا نحوها (وأنا على ذلكم) المذكور من التوحيد المبني على التمثل والنظر في العوالم العلوية والسفلية (من الشاهدين) من المتحققين والمبرهين فإني نظرت الكوكب والقمر والشمس واحداً بعد الآخر فوجدتها لا تصلح للعبادة ثم عرفت أن العبادة لا تصلح للأصنام لأنها أقل من الأجرام العلوية ولأنه السكواكب كلها فرجعت إلى الله كما في سورة ﴿ الأنعام ﴾ . إني وجهت وجهي لذي فطر السموات والأرض حنيفاً . الخ فهذه أيضاً مما يدعو المسلمين أن يرفعوا عن الجاهالة وينظروا في العوالم العلوية والسفلية ويتعلموا علومها فقد غلبتهم الفرجة . وقد قلنا أن الأبحاث ليس مسألة معينة بل هو كالغنى وكالثرة وكالكاء قليله ماء وكثيره ماء . فالأغتراف من بحر العلوم العلوية والسفلية أوسع نطاقاً فتسكون القلوب أوسع حكمة وأولى وأعلى وأبهج اشراقاً وأصح مدنية وأكثر غنى وثروة وقوة . ولما كان الأبناء قد أخذ عليهم الميثاق أن يعلموا أنهم وورشدهم قال (والله لا كيدن أصنامكم) أي لا يستهين في كسرهما (بعد أن تولوا) عنها (مدبرين) إلى عبيدكم وكان ذلك القول في سره ﴿ جعلهم جذاذاً ﴾ بضم الجيم وكسرهما جمع جذاذة كجاذبة وزاج على الأول أي قطعاً وجمع جذيد تخفيف وخفاف على الثاني وجذيد فغير من معنى فقول أي مقطوع (لا كثيراً لهم) للأصنام فكسرهما كلها بالفأس في يده إلا كبيرها فبطلن الناس في عنته (لعلهم إليه) إلى الكسير (يرجعون) فيسألونه عن كسرهما فينبين لهم عجزه (قالوا) أي الكفار حين رجعوا من عبيدهم (من فعل هذا يا هلنا إنه لن الظالمين) أي لشديد الظلم لجراوته على الآلهة المظمة عندنا (قالوا) قال رجل منهم (سمعنا في يد كرههم) بالهيب والسب ويهد بالسكسر (يقال له إبراهيم) أي هو إبراهيم (قالوا فاتوا به على أعين الناس) أي يجيؤا به ظاهراً يترأى من الناس وأما قاله نمرود (لعلهم يشهدون) عليه بأنه الذي فعل ذلك لأنهم يكرهون أن يحكموا عليه بغير بينة (قالوا) له (وأنت فعلت هذا يا هلنا يا إبراهيم) قال إبراهيم (بل فعله كبيرهم هذا) لأنه غضب إذ تعبدون هذه هذه الصغار وهو أكبر منها فكسرهما وذلك ليقم الحجة عليهم (فأما ألهم إن كانوا ينطقون) حتى يجزوا بمن فعل ذلك بهم * وفي حديث البخاري ومسلم وغيرها ما يخص أن إبراهيم كذب ﴿ ثلاث كذبات ﴾ منها اثنان في ذات الله قوله - إني مسقيم - وقوله - بل فعله كبيرهم هذا - وقوله لسارة هذه أختي * وقد قال العلماء في قوله - بل فعله كبيرهم هذا - قيل على سبيل التبكيت والاستهزاء فهو نفي للفعل بطريق نفي الإلهية بما هو أبغ

وقوله - إني نسيت - أي أن قلبى مقتم بكفركم أو أنى سأسقم وقوله فى سارة هذه أختى أى فى البن فهذه أشبه بالمعارضة والمعارضة صورة الكذب وباطنها حقائق وسماها رسول الله ﷺ كذبات بحسب ظاهرها * وفى حديث الشفاعة أن إبراهيم أشفق منها بؤاخذتها بها وهذا من المبالغة فى محاضرة الأنبياء من الكذب فاشفقوا عما يشبهه تعالى لنا أن نكون صادقين لأن الكاذب لا يصدق الناس فكيف يعلمهم وكيف يتقون به فلاشفاعة لهم كاذب لأنه لا يسمع عامه فى الدنيا (فرجعوا الى أنفسهم) وراجعوا عقولهم (فقالوا) فقال بعضهم لبعض (إنكم أنتم الظالمون) بعبادة من لا ينطق . ومن عادة المقلدين أنهم يعلمون ثم تغلب عليهم العادة بالتقليد (ثم نكسوا على رؤسهم) انقلبوا الى المجادلة . يقال نكسته قلبه فجعلت أعلاه أسفله فهو لا يستقاموا حين أقرتوا بأنهم ظالمون ثم انقلبوا عن تلك الحالة رأسا على عقب مكابرين وقالوا (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) فكيف تأمر بسؤالها والجهة سمت مسد مفعولى علمت (قال) محتجا (أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا) أى شيئا من النفع (ولا يضركم) * أف لكم ولما تعبدون من دون الله (أف صوت يدل على التضجر أى قبحا وتنقلا واللام للتعجب (أفلا تعقلون) قبح صنعتكم (قالوا) لما عجزوا عن الحق (حرقوه وانصروا آلهتكم) بالانتقام لها (إن كنتم فاعلين) ناصرين لها نصرا مؤزرا . والذي أشار بأحرقه نمرود أورجل آخر من أكراد فارس فحسبوا إبراهيم ثم بنوا بيتا وجعلوا خشبا وأشعاوه ناراكاد طير الحق أن يحترق من لهبها ثم وضعوه فى المنجنيق مقيدا متاولا فرموا به وهو يقول ﴿حسبى الله ونعم الوكيل﴾ وقال له جبريل هل لك حاجة قال أماليك فلا قال فسل ربك قال حسبي من سؤالي عامه بحالى وما أحرقت النار لإرواقه وجعل الله الخطيئة روضة فطاع عليه نمرود من الصرح فذهب أر بعة آلاف بقة تقربا إلى الله إبراهيم وكف عن إبراهيم وأذاه . وهناك رأى آخر وهوان النار كانت باقية على حالها ولكن لم تؤثر فى إبراهيم وهذا قوله تعالى (قلنا نار كوني بردا وسلاما) ذات برد وسلام أى ابردى بردا غير ضار (على إبراهيم) * وأرادوا به كيدا) مكررا فى اضرامه (فجعلناهم الأنسر) أخسر من كل خاسر (ونحنيناهم ولو طأ إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين) أى من العراق إلى الشام المباركة بالشجر والأثمار الكثيرة والأنهار والأنبياء وهكذا (ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة) أى زيادة لأنه سأل الله اسحق فأعطاء اسحق وزاده يعقوب (وكلناهم صالحين) أى كلا من الأربعة وقضاه للصالح (وجعلناهم أئمة) يقتدى بهم (يهودون) الناس إلى الحق (بأسرنا) لهم بذلك (وأوحينا إليهم فعل الخيرات) العمل بالشرائع (وإقام الصلاة) المحافظة عليها (وإيتاء الزكاة) الواجبة والصلاة لتعظيم الله والزكاة للشفقة على الخلق وهما إشارة للصلاة بين العبد وربيه وبين خلقه فيكون الإنسان إذ ذاك خليفة له (وكانوا لنا عابدين) موحدين مخلصين . هذه هى قصة إبراهيم ومعه اسحق ويعقوب من ذريته أما لوط فسأنى الكلام عليه وفى هذه الطائفة

﴿الطائفة الأولى فى قوله تعالى - بل ربكم رب السموات والأرض الذى فطرهن﴾

وأنا على ذلكم من الشاهدين - ﴿﴾

اعلم أن هذا الدرس هو عين الذى ألقاه موسى على فرعون إذ قال له ردا على طلب معرفة الله تعالى - ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه - الخ أن الله ما أنزل هذا فى القرآن لمجرد الحادثة معنا تكرر ذلك واتحد الأنبياء فى التعليم بحيث ترى موسى وترى إبراهيم اتفقا على تعاليم واحد . فوسى يقول انزلوا الأرض والماء والنبات . وإبراهيم يقول كذلك وهذا لم ينزل فى القرآن لأحد إلا لنا الآن ولا ينطق به إلا لأجلنا فإذا تناخوط به من بعدنا . فياحسرة على العلماء إذا لم يوقظوا الشعوب الإسلامية . وياحسرة على أمة سيدنا محمد ﷺ إذ نامت عيونها وظهرت عيوبها . أجبوا داعى الله إليها المسلمون . انزلوا دعاكم الله على لسان موسى وعلى لسان إبراهيم لتفكروا فى العالم . إن دين الإسلام هو هذا . دين الإسلام هو الذى يدعو إلى العلوم

العقلية والفكرية والا فلماذا يكرّر هذا . ولماذا نرى إبراهيم ينظر في النجم والقمر والشمس ثم يوجه وجهه للذي فطر السموات والأرض ثم يقول - وأنا على ذلكم من الشاهدين -

إن دروس إبراهيم الخليل ترجع الى دروس العلوم الطبيعية والرياضية ثم الانتهاء الى ما وراء الطبيعة لأنه درس السكواكب من أبعادها الى أعلاها . وهذا هو علم الفلك ولا يكون إلا بالرياضيات ومن درس النجوم فلا بد أن يعرف الطبيعة لأنها مركبة من عناصر تعرف بالطبيعة والكيمياء وبتفسير المسالمين في ذلك أثبتهم أوروبا . ومتى قرأوا فكروا . ومتى فكروا ارتقوا وطردهوا أوروبا من الشرق . يارب ألهم أمتنا الحكمة والعلم ورفقهم - إنك أنت السميع العليم -

أليس من عجيب أن المسلم في كل صلاة من صلاته يتدبّر قائلا - وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض - وذلك اتباع للخليق عليه السلام . ثم نراه لا يفكر في علوم السموات والأرض حتى في علم التوحيد يمر عليها كأنها ليست من دينه وبذلك وحده سبقنا أوروبا فإن العلم يورث حب الطبيعة وحب الأئمة وحب النظام وحب البشرية وحب الوطن . ومتى انفتح باب الحب فحدث ولا حرج . ولكن المسلم الغافل أقلل أمامه باب الحب فلا يشق العلوم ولا يحب الله . انتهت اللطيفة الأولى

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

جاء في حديث البخاري عن ابن عباس أن قوله تعالى - حسبنا الله ونعم الوكيل - قاله إبراهيم عليه السلام حين أتى في النار وقالها سيدنا محمد ﷺ في آية - الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم - الى قوله - ونعم الوكيل - وهذا يفيدنا أن الذين ينتقدون الأمم من الملاك يكونون متوكئين على الله تعالى وهذا التوكل أحد ﴿ قسمين ﴾ القسم الأول ﴿ التوكل بالقلب مع القيام بالأسباب ﴾ الثاني ﴿ انه اذا وقع فيما لا يقدر على دفعه فليسلم أمره لله تسليها تاما . انتهت اللطيفة الثانية

﴿ اللطيفة الثالثة ﴾

إن إبراهيم كسر الأصنام وهكذا سيدنا محمد ﷺ وهذان قدوتنا . فعلى علماء الاسلام وعليك أيها الذكي أن تكسر بقلمك ولسانك كل ما تراه معطلا لرق الأئمة الاسلامية . أليس من العار علينا أن نذر الأئمة جاهلة فلا نرشدها . لیسع الناس قولك أيها الذكي . قل لهم في مشارق الأرض ومغاربها الى متى تنامون . ان عبادة الأصنام تحصر الفكر فيها فتصدّه عن جمال السموات والأرض . إن عباد الأصنام لم يقولوا شيئا سوى أنهم يعبدونها لتقرّبهم الى الله زلفى . ولكن هذه الأصنام حجاب بينهم وبين جمال الله في الأرض وفي السماء . فليفهم المسلمون أن انحصار عقولهم في عاوم خاصة وحجباها عن السموات والأرض سيئة من سيئات التعطيل ان هذه ظلمة من الظلمات التي حجبت شمس الاسلام . حرام أن ينام المسلمون عن جمال الله ومعرفته كماله حرام أن يقف المسلمون مكتوفي الأيدي وأوروبا برعت فيما قاله الخليل - بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن - ثم أخذ يكسر الأصنام التي عاقت القوم عن هذه العوالم . فأفّت لأمة تقعد عن دراسة العلوم الشرقية والعلوم الغربية من جميع الأنواع . باقوم إن الوقت جدّ وقد - أزفت الأزفة لبس لها من دون الله كاشفة - انتهت اللطيفة الثالثة

﴿ اللطيفة الرابعة في قوله تعالى - قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم - ﴾

هذه من خوارق العادات وقد جاءت بعد قصة موسى سابقا وقصة موسى قد شرح فيها خوارق العادات شرحا وافيا . إن خوارق العادات استبدلت في القرآن بالعلوم العقلية كما رأيت في سورة (طه) ولتعلم أن المسلم اذا عمل عملا صالحا ولأجل تلك الطاعة أتى في النار فإن النار إن تسكون بردا وسلاما عليه بل يحرق بها . ففرق بين المسلم الذي جاء القرآن لتذكيره وبين إبراهيم . فأبراهيم صارت النار عليه بردا

ونحن لانكون علينا بردا ولكن أنزلنا الله أنزلنا عجبنا . ترىنا أن الآلام في طريق الحمد وضياء العمر وازهاق الروح اذا كان ذلك لاقامة مجد الأمة واسعادها سعادة هي كل السعادات . ابراهيم عليه السلام جاهد لنشر الدين فلجاهد نحن . فاذا متنا أوقفنا أو نصرنا فلمننا واحد بل نحن نال إحدى الحسينين . اما الحياة أعزاء واما الموت أعزاء فمن في الدارين بالفضيلة والجهاد أعزاء فيكون كل ما يصيدنا في سبيل المجد عزا وشرفا . فنعن إذن تكون النار التي سببها الألم بردا وسلاما علينا . وقد وعد الله المجاهدين فوزا والفوز بموتهم كالفوز بنصرهم والله لاعمى حياتنا إلا لرفع شأن أمنا والقيام بما خلقنا له . ثم ان القائم بالخير يجد في نفسه سلاوى عند المصائب تخففها ويأمل في نفسه آملا ترفع نفسه والمصائب في سبيل الواجب ترفع النفس . انتهت اللطيفة

الرابعة

﴿ الكلام على قصة لوط عليه السلام ﴾

قال تعالى (و) آتينا (لوطا) آتينا حكما (حكمة ونبوة وفصلا بين الخصوم (وعلمنا) بما ينبغي أن يعمله الأنبياء (ونجينا من القرية) سدوم (التي كانت تعمل الجباث) أى اللواط (لأنهم كانوا قوم سوء فاسقين) هذا تعليل (وأدخلناه في رحمتنا) في أهل رحمتنا (لأنه من الصالحين) الذين سبق لهم منا الحسنى (لطيفة)

هذه القصة ترىنا أن الصبر دائما يتبعه النصر والفوز . صبر ابراهيم فصارت النار عليه بردا وسلاما وصبر لوط فنجاه الله من القرية الفاسقة لأنه من الصالحين لحمل النجاة والادخال في الرحمة اصلاحه . وهذا معقول لأن الله يميز الخبيث من الطيب ويجعل الحديث بعضه على بعض والطيب بعضه على بعض

﴿ قصة نوح عليه السلام ﴾

قال تعالى (و) اذكر (نوحا) إذ نادى من قبل (إذ دعا الله على قومه بالهلاك من قبل المذكورين) فاستجبنا له) دعاءه (فنجينا أهله من الكرب العظيم) من الطوفان أو أذى قومه والكرب هو ألم الشدائد (ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا) إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم (أجسين) وانما كانوا قوم سوء ﴿ للأمرين ﴾ التكذيب بالحق والانهماك في الشر

﴿ لطيفة ﴾

هذه القصة قدوة لنا . إن الانسان اذا عمل ما قدر عليه وأخذ بالأسباب ولم يظلم غيره وانما قصد النفع العام يعقل ثم يرى انه يهوان ودعا الله فالن الله يستجيب له . وهذه المسائل لا تصح بقينا عندك إلا اذا جرت بها أما أنا فاني جرت منها كثيرا لاسيما في أثناء تأليف هذا التفسير فقد رأيت عجائب وغرائب لا محل لذكرها

﴿ قصة داود وسليمان عليهما السلام ﴾

(١) جاء في بعض الأحاديث عن أبي هريرة انه سمع رسول الله ﷺ يقول كانت امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن أحدهما فقالت صاحبتها انما ذهب بابنك وقالت الأخرى انما ذهب بابنك فتحاكما الى داود ففضى به للكبرى فخرجتا على سليمان بن داود فأخبرته فقال التوتى بسكين أشقعه بينهما فقالت الصغرى لا تغفل يرحمك الله هو ابنها ففضى به للصغرى . أخرجه في الصحيحين

(٢) وورد أيضا أن رجلين دخلا على داود أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم فقال صاحب الزرع ان غنم هذا دخلت زرعى ليل فوقع فيه فأفسدته فلم تبق منه شيأ فأعطاه رقاب الغنم بالزرع فخرجا فمرا على سليمان فقال كيف قضى بينكما فأخبراه فقال سليمان لو وليت أمركما لتضيت بغير هذا أوقال غير هذا أرفق بالتريقين فأخبر بذلك داود فدعاه وقال كيف قضى قال أدفع الغنم الى صاحب الحرث يتنفع بدها ونساها ووصوها ومنافها ويزرع صاحب الغنم صاحب الحرث مثل حوته فإذا صار الحرث كجهته يوم أكل دفع الى صاحبه وأخذ صاحب الغنم غنمه فقال داود القضاء ما قضيت وحكم بذلك وكان سليمان ابن إحدى عشرة سنة

وحكم داود وسليمان كان بإجتهد في هذه المسألة . أما مذهب الشافعي فإنه يرجب ضهان المتناف بالليل في هذه المسألة إذ المعتاد ضبط الدواب ليلا وهكذا قضى النبي ﷺ لما دخلت ناقة البراء حائطا وأفسدته فقال على أهل الأموال حفظها بالنهار وعلى أهل الماشية حفظها بالليل . وأما مذهب أبي حنيفة فإنه يقول لاضهان إلا أن يكون مع الدابة صاحبها ليلا كان أو نهارا مستدلا بقوله ﷺ ﴿ جرح الحجماء جبار ﴾

﴿ فصل في حكم الاجتهاد ﴾

في حديث البخارى ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن الماص قال قال رسول الله ﷺ ﴿ اذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران واذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر ﴾ فالجتهاد مصيبا كان أو مخطئا له أجر

﴿ وجه نظر داود وسليمان عليهما السلام ﴾

إن داود قتر الضرر في الحرث فكان مساويا لقيمة الغنم وكان الواجب قيمة مشل الحرث فسل الغنم الى الجنى عليه . وسليمان عليه السلام أوجب مقابلة الاصول بالاصول والزوائد بالزوائد وربما كانت منافع الغنم تلك السنة موازية لمنافع الحرث فحكم بها وهذا قوله تعالى (وداود وسليمان إذ يمتحنان في الحرث) في الزرع * ويقال انه كرم ثبات عنافيسه (إذ نفست فيه غنم القوم) رعته ليلا (وكننا حكمهم) لحكم الحاكمين والمتحاكمين اليهما (شاهدين) عالين (ففهمنها) أى الحكومة (سليمان وكالا) أى داود وسليمان (أئتنا حكما وعلما) واستدل بعض العلماء بهذه الآية على أن كل مجتهد مصيب وهذا قول أصحاب الرأى . وقال آخرون ليس كل مجتهد مصيبا فالجرح واحد لا يمينه وأجر المخطئ ليس على خطئه ولكن على اجتهاده

ولما وصف داود وسليمان في طريق حكمهما أخذ يصفهما فيما أتم عليهما بغير ذلك فذكر سبحانه أن داود أتم عليه ﴿ نعمتين ﴾ تسبيح الجبال والطيور معه أى سار وتعليمه صنعة الدروع لتكون صيانة للناس في الحرب . فأما سليمان فصفه أنه أطفأ الأجسام الطبيعية في مقابلة التسبيح هناك وأخربها وهى شياطين الجن والانس في مقابلة السروع التى تقي من الأعداء

﴿ نعم الله على داود عليه السلام ﴾

قال تعالى (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن) يقصدن الله بلسان الخال بحيث تمثل له مسجدة فتكون أملاك لوجدانه وجميع مشاعره فيستغرق في التسبيح (والطيور) عطف على الجبال أو مفعول معه (وكننا فاعلين) لأشأله ذلك فليس ببدع منا ذلك وإن كنتم أنتم منه تعجبون فإن المستغرقين في التسبيح والتقديس يحصل لهم من الأنس بالله ما يجعل العالم في نظرهم مسجدا وكان العوالم تنطق لهم به بلسان أفصح من لسان المقال وليس يدرك هذا أحد إلا بوجوده (وعلمناه صنعة لبوس) عمل السروع وقد كانت صفائح جعلها حلقا وسردها وقوله (السك) صفة للبوس ثم أبدل منه قوله (لتحصنكم من بأسكم) أى ليحصنكم داود من حرب عدوكم أولت حصنكم اللبوس على تأويل السرع (فهل أتم شاكرين) أمر في صورة استفهام بالبالغة في التقرع

﴿ نعم الله على سليمان عليه السلام ﴾

قال تعالى (و) سخرنا (لسليمان الريح) حال كونها عاصفة شديدة الهبوب وفى آية أخرى - رضاء - أى لينة فكانت كما يريد عاصفة أورضاء (تجرى بأمره الى الأرض التى باركنا فيها) يعنى الى الشام وكانت تجرى بسليمان وأصحابه رواحا بعد مسارت منه بكرة (وكننا بكل شئ عالين) أى بصحة التدبير فيه فنجزيه على ما تقتضيه الحكمة وانا نعلم أن سليمان سيعرف نعمتنا ويشكرنا عليها (ومن الشياطين) أى وسخرنا منهم (من ينفوصون له) في البحار ويستخرجون الدر والمرجان وما يكون فيها (ويعملون عملا دون ذلك) أى دون الغوص كبناء المحاريب والتمائيل والقصور والدور والجفان (وكننا لهم حافظين) أى ينفعوا عن أمره

﴿ لطيفة • سؤال ﴾

قال لي فاضل منافذة هذه القصص في كتاب الله تعالى وقد خول الله سليمان ملكا لا يبلغه أحد من العالمين . وإذا كان قصص الأنبياء للاقتداء فأين الاقتداء هنا ونحن نسمة أن الشياطين تقصص في البحر وتصح الحاريب والغنائيل ونسمع تسخير الحديد كنسخير الهواء ونحن لاقدرة لنا على هذا

﴿ الجواب ﴾

اعلم أن الله قد أعطى داود ﴿ خصلتين * الأولى ﴾ حب وشوق وإخلاص لله وذكر يجعل ما حوله كأنه يسبح ويرى الطير والجبال تسبح بلسان حالها . ويرى في حفيف الأشجار وهبوب الرياح وطنين الذباب وحركات الماء أصواتا تسكاد تسحره وتشجيه وتمزج أعصابه وكأنما الأطياف على الأشجار مفرجات فرحات في السمات وكأن هاتيك المفردات خطباء على منابر القلوب أو أوتار تحرك النفوس وتثير الوجدان وتبعث في القلب أثرا وفي العقل حكما وفي الفؤاد بهرا . فاذ ذاك يرى الناصر أو المفكر المعبر الدارس للعالم كأن الحق كله خطرات أفكار وحركات أسرار ومجاس أنس وجور وذكر وسرور ﴿ الخصلة الثانية ﴾ انه أعطى صنعة اللروع لتقي المجاهدين مصارع القتاتلين ومقاتل الحاربين . فعلى هذا صار داود روحانيا جسمانيا وسماويا أرضيا فلم يصدّه ذكر الله عن نظام الحروب ودفع الأعداء ولا الانهماك في الحرب عن ذكر الله وتسبيح الطير والجبال . هاتان الخصلتان يجب أن يزدان بهما المسلمون . فعلى طلاب العلم أن يقوموا بالصلاة خاشعين وبالتسبيح مخبتين وأن يكونوا على علم بنظام الحروب والضرب والكر والفكر . ان علماء الدين يجب عليهم أن يكونوا قد تعلموا الصناعة الحربية وليكن منهم قواد ماهرون وأيّ فرق بين قائد الجيش وقاضي النفقات النسائية بل قائد الجيش أعلى وأوفق لحفظ الأمة . والأمة قد تركت الجهاد ظهريا . حرام أن ينضم المسلمون وأن يقتصر على عبادة المساجد فهناك عبادة السيوف والرماح والمدافع والعقاقير السامة والمعمية والقناية فليعرفوها وليدرسوها . ومن عجب أن يقول الله - وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون - . طلب منا الله شكر النعمة وكيف نشكر نعمة يا الله فقدناها وما عرفناها بل عرفناها ألمانيا واليابان وانكترا وفرنسا أما نحن فابها جاهلون . ألا فليشكر الله المسلمون بتعلم عوام الحرب كلها من طيارات وأساطيل وليقوموا بحفظ ديارهم . هذا هو الشكر الحقيقي للنعمة . أما التفرّج على أساطيل الأمم والتلهي بحفظ آيات القرآن فذلك لا يبدى ولا يعيد ولا ينفع شرورى نقير

﴿ مواهب سليمان عليه السلام ﴾

أما سليمان عليه السلام فإن الله تعالى وهبه أن يسخر الشياطين لبناء المحارب وأماها . وهبه الرمح فكانت تسير به مسيرة شهر في الروحة وشهر في الغداة . وهل كان سليمان وجيشه على خشب منظم يجلس عليه هو وجنوده فتدخل الرمح تحت الحطب فتحتله . أم ذلك كان بساطا وهو فرسخ في فرسخ منسوجا من ذهب وحريرو له في وسطه منبر وحوله منابر من ذهب وقضة وغيرها والناس عليها بحسب مراتبهم ويكون هو وجيشه عليه وبعده إلى بابل وإلى أرض الترك وأرض الصين وأنه سار إلى أرض السند ومكران وفارس . كل ذلك لأعلم للناس به وإنما رواه الرواة عن بني إسرائيل والقرآن ليس فيه إلا ما سمعت فلا تثنى بشئ ليس متواترا . فكل ما في الأمر انه سخرت له الرمح على ما رسمه الله في القرآن وسخرت له الشياطين تصنع له الجحائب

﴿ انظر الذي يهمننا من هذا ﴾

يهمننا من هذا أن الله يقول للمسلمين . انظروا نبي سليمان سخرت له الرمح ولا تسخرها لأحد من بعده بطريق المجزة لأن هذا خاص بسليمان وحرمته على من بعده وإنما حرمته لأن قدمت لكم في سورة (طه) أن خوارق العادات لا ترقى الأمم ولا تثبت إيمانهم فأنما أرقى الأمم بأعمالها لا بظهور الخوارق فيها

فأتى في السكون هي هذا النظام العجيب . فإذا كان ذلك عمل في أرض وقد قلت لكم ان الرب مسنون
لساجن فكل ما يسخر تمكن الوقوع لأن المستحيل لا وجود له وإذا أمكن الحصول أمكن التحصيل فالقول
الإنسانية يجب عليها البحث . فليبحث أبناء آدم في الهواء هل يمكن تسخير به قلوبهم وصناعاتهم بحيث لا يكون
مكسرة بل علما وصناعة . أما ألمانيا وأوروبا فقد عرفوا به واستخرجوا من الهواء « الترات » فأصبحت
ذات عمل كبير في الحرب الساعمة ولما انتهت حروب المصانع الحربية التي قوامها على المواد المستخرجة من الهواء
الى مواد أزوتية نافعة في تسميد الزرع وهناك نحو سبع مصانع في ألمانيا كل مصنع فيه (٣٠٠) تلوفا لتجربة
الناس وبيع هذا السماد العجيب . وهكذا سخر الهواء لحل الطيارات للتجارات وللحرب والسفر وللابريد .
فالناس بهذا فتح الله لهم القرآن باب الرزق من الهواء بطريق الصناعة لا بطريق الهجرة الخاصة بالأنبياء فنام
المسلمون وقام بهذا العمل أهل أوروبا وهم لم يستنجوها إلا من عقولهم وآرائهم واجتهادهم

﴿ تنظيم الدولة ﴾

وأما تسخير الشياطين في عمل المحارب فان هذا فرع مما قمتنا في سورة (البقرة) إذ وضح هناك أن
الأمة عليها أن تقسم العمل على أفراد الشعب والأعمال جميعها فرض كفاية ويعطى لئلا يرى العقول الضعيفة
والأجسام الغليظة الأعمال المذكورة من غرض البحار و بناء القصور

﴿ عجائب هذا المقام ﴾

فهذا يأمر الله المسلمين أن ينظروا في ألطف أجزاء الطبيعة كالهواء والى أصلاهما كالحديد والى أشق الأعمال
الجسمية كعمل المحارب والى أطفها وأشرفها كأعمال الملوكة

﴿ المباني العظيمة في الدول ﴾

وللمباني العظيمة في الدولة فوائد تنوير الأذهان وتعليم الأطفال وإيجاد أشكال عجيبة تكون مائة أمام
المتعلمين ترفع من أقدارهم وتربهم الجمال والبهجة وهذه إحدى طرق ارتقاء العقول

﴿ الجوهر والدر والعسل والحبر ﴾

وقد ذكر القواصين المستخرجين الدر والمرجان . يذكر المسلمين بما يجب عليهم فهذه من إحدى
الصناعات الواجبة وجوب كفايا . اذا ترك الناس ما خلق الله لهم وأعرضوا عما في البر من العجائب وما في
البحر من الدر والمرجان أعرض الله عنهم وسلط عليهم من يأخذ الأرض منهم ويستولى عليها لأن الله خلق
الدر والمرجان لينتفع بهما عباده وخلق ما في الأرض وسخره لهم فاذا أعرضوا عنه عاقبهم بأن يستحوذ على
أرضهم غيرهم هكذا فعل سبحانه ببعض المسلمين وسيدخل الافرنج عنهم حينما يستيقظون . وان أمثال الدر
والمرجان بهجة وجمال تولى العقول بهجة وتصلها اذا تأملت وتفسكت فيها . إن الله خلق آلاء الطعومات
من حشرة وأنهم وأشرف الملوكة من دودة وأجل الخلى وأجلها من الصدفة . فالأولى للتحلة والثانية دودة
الخير والثالثة الصدفة التي تسكون فيها الهرارى في البحار وهذا تقدم من سورة الكهف موضعنا عند ذكر الحبر

﴿ ذكر قصة أيوب عليه السلام ﴾

قال تعالى (و) اذكر (أيوب) إذ نادى ربه أي مسنى الضر) أي دعا بأني مسنى الضر بالضم الضر
في النفس وبالفتح الضر في كل شئ (وأنت أرحم الراحمين) وصف نفسه بما يوجب الرحمة وذكر ربه بغاية
الرحمة ولم يصرح بالمطلوب فسكت عنه يقول أنا أهل أن أرحم وأنت أهل الرحمة والاحسان * يقال انه انما شكوا
تلذذا بالنعوى ولم يشكوا تضرا بالشكوى منه فالشكائية اليه غاية القرب والشكائية منه غاية البعد وهذا الأسلوب
من الطلب أنطف ما يكون في السؤال . يقال ان أباه كانت من أولاد عيسى بن اسحق وأمه من ولد لوط
ابن هاران وقد اصطفاه الله للنبوة وكان له في أرض خوارزم مع أرض الشام وما بينهما مال كثير وولد فابن

الله يهلك أولاده يهدم بيتهم عليهم وذهاب أمواله والمرض في بدنه مدة الاختلاف فيها عظيم من (٧) ساعات إلى (١٨) سنة فلا طائل في ذكره * روى أن أصرأته ماخير بنت ميثا بن يوسف قالت له يوما لودعوت الله فقال كم كانت مدّة الرءاء فقالت ثمانين سنة فقال أستحي من الله أن ادعوه ما بلغت مدّة ثلاثي مدة رءائي (فاستجبنا له) أجبنا دعاءه (فكشفنا ما به من ضر) فكشفنا ضره (وأبناؤه أهلوه ومثلهم معهم) بأن ولده ضعف ما كان * ويقال انه أحيا له أبناؤه وهؤلاء ورزقوا مثلهم * فأما كشف الضر فكأن انه قال له تعالى - ارض برجلك - فركض برجله فنبعت عين ماء فأصره أن يقتل منها ففعل فذهب كل داء كان بظاهره ثم أمره أن يضرب برجله الأرض مرة أخرى ففعل فنبعت عين ماء بارد فأمره أن يشرب منها فشرب فذهب كل داء كان بباطنه فصار كأصح ما كان وقوله (رحمة من عندنا) مفعول لأجله أى رحمة لأيوب (وذكرى للعابدين) أى تذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كصبره فيثابروا كشوابه * اه

﴿ لطيفة ﴾

انظر في ترتيب القرآن واطفه كيف ذكر قصة أيوب التي فيها الصبر على البلاء عقب قصة سليمان التي هي شكر على النعماء * فلما ذكر سليمان شاكران للنعم المترددة وأيوب صابر للنقم النازلة فأزيت عنه * قصتان ذكرهما الله إحداهما للشكر والثانية للصبر * إن الانسان لا يتجاوز صبر ومن شكر فصر على مكروه وشكر على محبوب فالحجوب ذكرنا به داود وسليمان والمكروه ذكرنا به أيوب وترى الله يقول - إن في ذلك لآيات لكل صابر شكور - فهذا هو الصابر وهذا هو الشكور * ما أعجب هذا الترتيب * إن الله ينزل البلاء وينزل النعماء للترتبة * ألا أذكرك بما ذكرته لك في سورة (البقرة) من ﴿ افترقاس ﴾ والآيات التي جاءت في هذا المعنى - وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة - الخ

الأتعجب مع كيف يذكر القول هناك تصريحا وهنا تاييحا * إن الأمم لا ترقى بالبلاء وحدها * كتب (سقراط) الفيلسوف لتلميذه (اسكنبر المقدوني) لما ملك بلاد فارس واستحكم أمره واستشاره ماذا يفعل بالملك وكيف يسوس الرعية فقال ﴿ لا تدع الرعية في هوى ولعب ولا تسلط عليهم النعمة وحدها فيهلكوا * إن الأمم تقدر على تحمل المشاق والمتاعب كالحروب والأعمال العظيمة والشغل الشاغل ولكنها قط لا تتحمل النعم وترادف العطايا فما أهلك الأمم إلا رخاؤهم ولا أبقى ملكهم إلا حذرهم وبادؤهم ﴾ اه

ويقال ﴿ إذا رأيت أمة خامدة فسلط عليها ضروب الرزايا والحن فانها تستيقظ من غفلتها وتقوم من رقدتها ﴾ إن الأمم أيام سرحها تعثرها حال تستخرج علم العليم وكرم الكريم وموهبة الذكي وتحدث في النفوس حالا عجيبية كأنها استخرجت بالكهرباء أو دلكت بالمغناطيس إذا حي الوطيس وهذا من بدائع القرآن ومجائب الفرقان * ثم إذا قرأت الشعر العربي رأيت هذه المعاني كثيرة فيه * قال أبو تمام

ملك يرى شرف المتاعب راحة * ويعد راحات الفراغ متاعبا

فيأبها الذكي أعلم انك إذا كنت ساعيا في الأعمال النافعة مخلصا لأمتك ولربك فان الله يخلصك من كل شدة ولا تعرف هذا إلا بالتجربة فحرب أمثال هذه القصص وبها تعرف كيف يكون الإيمان

﴿ ويلحق بأيوب اسماعيل وادريس وذوالكفل ﴾

قال تعالى (و) اذكر (إسماعيل وادريس وذالكفل) سمي به لأنه ذوالخط من الله والكفل الخط (كل من الصابرين) أما اسماعيل فقد صبر على الذبح * وأما ادريس وهو أنوخ فانه كان خياطا وهو أول من خط بالقلم وأول من غاط الثياب ولبس الخيط وكانوا من قبل يلبسون الجلود وهو أول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار * وقد تقدم انه هو الذي كان يعظمه المصريون (انظره في سورة مريم) وهو نفس (ازوريس) وأما ذوالكفل الذي اختلف العلماء من هو فقد تكفل انه يصلي الليل ولا يفتر ويصوم النهار ولا يفطر ويقضي

بين الناس ولا يفض بشكر الله له ونباه فسمى ذا الكفل وهذا صبر عظيم . فهؤلاء الثلاثة صبروا على مشاق التكليف وشدائد العبادة كما صبر أيوب على البلاء . فها هو ذا ذكر النعمة بداود وسليمان والصبر على البلاء بأيوب وعلى التكليف والعبادة بالثلاثة يسده (وأدخلناهم في رحمتنا) نعمة الآخرة (لأنهم من الصالحين) الكاملين في الصلاح

﴿ قصة ذى النون ﴾

بعد أن ذكر الله الشاكين ثم الصابرين بجميع أنواع الصبر أنبهم بذكر ذى النون الذى لم يصبر كصبر هؤلاء على ما ابتلى به فقال (وذا النون) وصاحب الحوت يونس بن متى أى اذكره (إذ ذهب مغاضبا) لقومه ومعنى مغاضبته لقومه أنه أغضبهم بفراقه وفعل غاضب للغلبة مخالفة في أنه أغضبهم بالمهاجرة من ديارهم ذلك أنهم لما تمادوا في تكذيبه وعذهم بالعذاب فلم يأثمهم العذاب لأنهم تابوا فسكره أن يكون بين ظهراى قوم يتزاورا عليه الخلاف فيما أوعدهم واستحيا منهم ولم يعلم السبب الذى رفع العذاب عنهم به فكان غصبه أفة من ظهور خلقت وعده وأنه يسمى كذابا لا كراهية لحكم الله وبحث عنه قومه فلم يجدوه لأنه نزل إلى سفينة في البحر هاربا فأخرجه الله من أولى العزم وقال انبيه محمد ﷺ - فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل - وقال - ولا تكن كصاحب الحوت ... ذلك أن ذا النون انطلق إلى السفينة فثقلت بمن فيها وأشرقت على العرق فعمل أهلها قرعة فخرجت على يونس ليرى في البحر لتخفيف الحمل فخذف بنفسه في البحر فالتقمه الحوت مدة اختلف فيها من أربع ساعات إلى (٧) أيام . يقول الله انه ذهب مغضبا قومه لأنهم خافوا لحوق العذاب بهم حين تركهم (فظن أن لن نقدر عليه) أى لن نقضى عليه بالقوبة مأخوذ من القدر * وقرئ - تقتر - متقلا بمعنى أى لن يضيع عليه (فنادى في الظلمات) الثلاث بجان الحوت والبحر والليل (أن لا إله إلا أنت) أى بأنه لا إله إلا أنت (سبحانك) من أن يهزك شئ (إني كنت من الظالمين) النفسى بالمبادرة إلى المهاجرة * وفى الحديث ﴿ مامن مكروب يدعو بهذا إلا استجيب له ﴾ (فاستجبنا له ونجيناه من الغم) بأن قدّمه الحوت إلى الساحل بعد أربع ساعات كان في بطنه فيها وقيل ثلاثة أيام وقيل سبعة . والنم غم الانتقام وغم الخطيئة (وكذلك نتجى المؤمن) إذا دعونا لتفريج غمهم وذلك لا تعرفه إلا إذا جرّ به بنفسك

﴿ لطيفة ﴾

انظر كيف كان هذا الترتيب الهيب . ذكر أهل الشكر . فأهل الصبر . فالذى ليس بصابر

﴿ قصة زكريا ويحيى عليهما السلام ﴾

قال تعالى (و) اذكر يا محمد (زكريا إذ نادى ربه) دعاه فقال (رب لا تدنني فردا) لا تدنني وحيدا بالاميين (وأنت خير الوارئين) فان لم ترزقني من يرثي فلا أبالي به (فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه) أى أصلحناها للولادة بعد عقرها وهكذا كانت حردة على زكريا فأصاحنا أخلاقها له لتحسن عشرته ثم عمل ما تقدمت به من إكرام هؤلاء الأنبياء المذكورين بهذه السورة فقال (لأنهم كانوا يسارعون في الخيرات) يبادرون إلى الطاعات ومنهم زكريا ويحيى (ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين) فهم مع طاعتهم يفزعون إلى الله رغبة في ثوابه ورهبة من عقوبته ويخشعون له أى يخافون خوفا ملازما للقلوب فلا ينسبون في الامور حذرا من الوقوع في الإثم . فهؤلاء الأنبياء عليهم السلام بطاعتهم وفزعهم في حالى الرغبة والرهبة إلى الله وخشوعهم له . كل ذلك جعلهم أهلا للعطايا التي تقدمت

﴿ قصة السيدة مريم وابنها عيسى عليهما السلام ﴾

قال تعالى (و) اذكر يا محمد (التي أحصنت فرجها) من الحلال والحرام يعنى مريم (ففنفخنا فيها من روحنا) أى أمرنا جبريل فنفخ في جيب درعها فخلقنا المسيح في بطنها بذلك النفخ . ويصح أن يقال

أبرئنا فيها روح المسيح وأضافه إليه تشرىفاً فإن الروح من أمر الله (وجعلناها وابنها) أى قصتهما أو حالهما (أية للعالمين) فإن المتأمل لقصتهما يتحقق بها كمال قدرة الله تعالى . ثم إن نتيجة السير المتقدمة في هذه السورة هي ما يأتي

(١) التذكير بالعلوم العقلية في قصة إبراهيم وموسى وأن المعول عليها
(٢) إزالة الضلالات العائقة عنها وذلك كتفسير الأصنام المذكور ويناسبه تفسير قيود الجهل في أمة الاسلام

(٣) قيام الأمم بالأعمال العظيمة كالأبنية المشيدة واستخدام قوى الطبيعة من أصلب الأشياء كالحديد إلى أطفها كالهواء وقيام الأمة كلها بالأعمال من أعلاها كالأنبياء إلى أدناها كالجهال وشياطين الانس والجن وأن لا يمنع الصلاح القلبي العمل الجسدى

(٤) وأن تتحلّى الأمة بالصبر اقتداءً بأيوب عليه السلام حتى يتقوا أهولهم ولا يكونوا غير صابرين كذى النون عليه السلام

(٥) وأن تكون الأمة واتفة بالفرج خاشعة لله راجية منه بما قدمت من الأعمال الصالحة كترك يا مريم (٦) وأن يكون في عاقبتها وخاصيتها العفة والوقوف في الشهوات عند حد لأن العفة ممدوحة كما مدحت مريم

هذا هو المقصود من ذكر هذه القصص . علم وصبر وشكر على النعمة أى قولاً وعملاً وعفة وإخلاص واستخدام جميع ماخلقه الله في الأرض للنافع العائقة . وهنا ﴿ سؤال ﴾ قال لى قائل . لقد اقتنعنا أن نشغل

أمتنا كلها في الأعمال النافعة . في العلم وفي الصناعات ونجتهد في بلوغ المآرب وجعل أعمال الحياة لاصلاح الأحوال . فن إن لنا استخدام الجن كسليمان . فقلت له نظير الجن أى النفوس الشريرة عندنا صغار العقول

وأهل الشر من النوع الإنسانى هم الذين تتخذهم عوناً على الأعمال العظيمة وذلك في كل الأمم . أما الجن وهم النفوس الشريرة فاعلم انه قد جاء في علم الأرواح أن الأرواح الكبيرة في هذه الأيام تستخدم الأرواح

التي ماتت وهي لازال متعلقة بعالمنا الأرضى في أعمال صغيرة لا تقدر تلك الأرواح العالية على مزاولتها كانتستعمل نحن العتالين والشياطين للأعمال التي يهجز عنها المفكرون منا . فاذا طلب من تلك الأرواح العالية شئ

من الأعمال التي هي أقرب الى المادية فهزت تلك الأرواح العالية تلك الأرواح المادية على عملها . فهذا من علم الأرواح الذى ملأ أوروبا كافتقنا في هذا التفسير . عجيب جداً . وكيف يجىء في القرآن أن سليمان

سخر الجن وبنى العلم الحديث فيقول بهذا المعنى لكن على هيئة أخرى ويطرق غير ما ذكر لسليمان مما يدلنا أن العالم سلسلة واحدة متحدة منتظمة وأن ما هناك من هنا وأن الآخرة والأولى أمران متتابعان متشابهان

فقال من أين لنا صدق الأرواح وعلمها . قلت للمقام ليس في صدقها وكذبها إنما أنت أثبت بشبهة على الدين وأن ماجاء فيه لا يجده مساناً أقول لك كما إن العلم الحديث أرانا كيف استخدم الناس الهواء لحل أقطابهم

ولصنع الأسلحة وإيجاد الآلات الحربية أرانا من جهة أخرى أن الأرواح الشريرة تستخدمها من هي أعلى منها ويكون ذكر هذا لسليمان فتحة لباب البحث . فعلى السامعين أن يدرسوا هذا العلم لأن الدين يطلبه .

بإفادة الأئمة لأمم من دراسة العلوم كلها شرقياً وغرباً ليعلم منها هاهوذا ديننا هاهوذا . انظروا كيف ذكر في سورة (طه) الوجه والسبب في كون خوارق العادات لا ترقى أمة ولا تكون سبباً في بقاء الامم

(ومخلص ذلك) أن تنزع الناس الى العلوم العقلية ثم جاء في سورة (الأنبياء) قائم العلوم الطبيعية بذكر منابها وأصولها وهي السموات والأرض وأنها صارا متعينين بعد الاتحاد ثم تعالى فوق ذلك بذكر قصص الأنبياء

أبرئنا العلم بقصة إبراهيم والملك بقصة داود وسليمان والصبر بالأنبياء بعده والعفة بذكر مريم وابنها . والقصاص مرتبة تربية عجيبة . فوسى لتبيان مجابهة في خوارق العادات وعدم الاتكال عليه وإبراهيم للعلوم وتقوية

القوة العقلية فالملك فالصبر وختم ذلك كله بالغة . فالقوة العقلية مقدمة ثم انتهى ذلك بالغة التي هي اصلاح
 للقوة الشهوية . فالقوة العقلية تحتها القوة الغضبية والشجاعة التي أشار لها بتكسير الأصنام ثم العفة الخ .
 فتجب من ترتب في ديننا ترقية عقولنا . قوموا أيها العقلاء ويا أيها الأمراء لترقية الشعب وأفهموه كل
 علم وكل صناعة . إن المسلمين مطالبون بالعلم الذي أنزل على الأنبياء واتهاج خطة الكمال

﴿ نتائج القصص المذكورة لأمة الاسلام ﴾

قال تعالى (إن هذه أمتكم أمة واحدة) يقول الله إن هذه الأمة الاسلامية ملتكم حال كونها متوحدة
 غير متفرقة . وإذا كانت هذه ملتكم فعليكم أن لا تنحرفوا عنها وهي في حال إشار إليها فيها بأنها ملة واحدة غير
 مختلفة ولا متفرقة . وملخص ذلك طلب الاتحاد من أمة الاسلام (وأنا ربكم) لإله غيري (فاعبدون) لاغير
 أي فليكن الاتحاد في النظام العام للأمة واتحاد في عبادتي . يقول الله هاأنتم أولاد أيها المسلمون قرأتكم قصص
 الأنبياء وعالمهم ورأيتم مشاربهم ودرسهم وقد شرحتها لكم لكي تتهجوا جميع المناهج التي تهيجوها فتعلمون
 علوم الطبيعة والفلك كما أشار لذلك إبراهيم ولا تركنوا إلى خوارق العادات كما يدل عليه قصص موسى ولا تدعوا نظام
 السولة كما كان داود وسليمان ولا تدنوا الصبر في جميع الأعمال وفي ترك المعاصي كأيوب ومن بعده وأن تكونوا
 أعفاه وهذه من الألباء متفرقة جعلها لكم في هذه السورة وجعلتكم أمة واحدة فإياكم أن تنفروا (وتقطعوا
 أمرهم بينهم) أي وتقطعتم التفت عن الخطأ إلى الغيبة كأنه ينقل عن الأمة الاسلامية ما أفسدته إلى آخرين
 ويقبح فعلهم ويقول لهم الآخرون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء المسلمون من الإثم . انظروا كيف غفلوا عن
 اتحاد هذه الملة ونفروا شيئا وذاق بعضهم بأس بعض وجعلوا الدين قطعا فيما بينهم كما تنوزع الجماعة الشئ
 و يتقسمونه فيصير هذا نصيب ولذلك نصيب (كل فينا راجعون) فجازبهم على نفرتهم وهذا أخبار بالغيب
 لما سيحصل في هذه الأمة الاسلامية وقد حصل فعلا وافتقرت سياسة واجتماعا وقرق بينها بعض رؤساء الدين
 وقد أعرض الله عن هؤلاء المختلفين وقطعهم بين الأمم كما قطعوا أمرهم بينهم واقتسموه . فقوم نظروا إلى
 العبادات وقوم إلى الصبر وقوم إلى العفة وقوم أنسكروا ذلك بقلوبهم . يقول الله هنا . كلا . خذوا علوم
 هذه السورة كلها واعملوا بها . فلتكونوا على دين إبراهيم علوما ومعارف وإزالة للشكر وعلى دين داود وسليمان
 صناعات ومساكن وعلى دين أيوب ومن معه صبرا . فأما أخذكم أيها المسلمون ببعض الدين علما وأعمالا فهذا
 تقطيع لما جعلناه في هذه السورة ولذلك أعرض عنهم فلم يخاطبهم وقال - وتقطعوا أمرهم بينهم -

هذا هو الحاصل الآن في أمة الاسلام . أعرضت عن العلوم الطبيعية والفلكية وقد أحبا إبراهيم وأعرضت
 عن نظام الممالك وقد أحبا سليمان وأعرضت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد أحبا إبراهيم وغيره
 لذلك أعرض الله عنهم ولم يخاطبهم ووبخنا ولذلك قطعنا بين الأمم كما قطعنا ديننا قطعاً لكل جماعة منا قطعة
 يقول الله . أموا الدين كله على حسب ما في هذه السورة والأهلككمكم بوزن يعكم بين الأمم كما قطعتم ديني
 وقد ذكر قطع بلفظ الماضي لبيان أنه محقق وقد تم هذا وهذه من إحدى معجزات الاسلام

﴿ نظرة ﴾

يا أمة الاسلام . هل من مدكر . هل من متفكر . انظروا كيف يعبر بلفظ قطعنا وهي فعل ماض يدل على
 التحقق في المستقبل من باب المجاز بالاستعارة كقوله - أتى أمر الله - . انظروا كيف تم هذا . انظروا
 كيف عبر بقطعوا أمرهم بينهم أي اقتسموه بحيث أخذ كل جماعة منه شئ . انظروا كيف تم ذلك فعلا .
 انظروا كيف تقطعت الأمم واقتسمتنا كما اقتسمنا العلوم والمعارف فكل أخذ ببعض وترك بعضا . انظروا
 كيف كان هذا إشارة منه تعالى إلى أن هذا التقطيع يلزمه تقطيعنا وتقسيمنا إلى الدول . نعم القرآن لم
 يذكره ولكنه يفهم ضمناً لأنه فيما سبأني يقول - ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها

عبادى الصالحون - وسترى نفسى بها . فآله يقول لنا تقطعتم وتوزعتم واقتسمتم الدين فشكل أخذ بقطعة ومن أخذ ببعض القطع فهو ناقص والناقص ليس صالحا لهارة الأرض . فإذن لابد أن أرسل أما أخرى تشارككم لتكتمل النقص فان كنتم جهالا بالعلم جأواهم وعمرؤا أرضكم وشاركوكم وان كنتم ناقصين فى إزالة المنكر أرسلتهم ليدربوكم . فاذن هذه الآية قد ذكرت استعمار أوروبا لبلاد الاسلام باضمالم الآية الآتية اليها وذكر التقطيع اشارة الى تقطيع دول بين دول أوروبا وتقسيمها لنا وكان الله سبحانه وتعالى ابقى ممالكنا تحت أيديهم حتى تظهر معجزة هذه الآيات وينشر هذا التفسير وأمثاله وتظهر المعجزة الدينية ثم يخرج المسلمين من ضيقهم وتبقى هذه الذكرى ماثلة عند الأجيال المقبلة وتصبح الأمم الاسلامية المستقبلية رشيده بالاختبارات التى حصلت عليها ويكون تمامها إن شاء الله معرفة الناس هذه العلوم وتحصل حركة كبرى لامتد لها وسيرها المسامون جميعا بعد انتشار هذا التفسير وأمثاله وستكون أمة لانظير لها فى الأمم كما سيأتى فى آخر السورة شرحه

﴿ افتراق الأئمة الاسلامية فرقا تبلغ نيفا وسبعين فرقة ﴾

قد ذكر المفسرون فى هذا المقام قوله ﷺ ﴿ تفرقت بنو اسرائيل على إحدى وسبعين فرقة فهلك سبعون وخلصت فرقة وان أمى ستفرق على اثنتين وسبعين فرقة فهلك إحدى وسبعون فرقة وتخلص فرقة واحدة قالوا يا رسول الله من تلك الفرقة الناجية قال الجماعة الجاعة ﴾ والمراد بالجماعة هم المتمسكون بعالم هذه السورة فيحفظون كيان دولتهم ويكونون علماء بجميع الفنون والصناعات ويقتسمون جميع أعمال الحياة بينهم ملكا وعلماء وصناعة كما تقدم . وقد طعن قوم فى صحة هذا الخبر لأن الأئمة لم تفرق فى أصول الدين بهذا المقدار . وقد روى ضد هذا أيضا ﴿ وهوانها كلها ناجية لإفريقية واحدة ﴾ وعلى كل حال الآية باقية وعلمها قد اوضح الآن وأن أئمة الاسلام التى اختلفت فى أعمالها لاسعاده لها إلا اذا بذلت الجهد فى الارتقاء كره أخرى والافالة كيف يقول الله لنا انه علم داود صنعة السروع لعنا نشكره فأين شكر الله الآن ونحن أجهل الأمم بعالم الحرب واتقانها وقد سبقتنا أوروبا بها . رجاك يا الله . رجاك يا الله . أمة دينها يحرم عليها الحرب تنبغ فيه وهم أمم النصرارى وأئمة ينص دينها على أن الله مشكور على تعليمهم الحرب فتجهل أسبابه . رجاك اللهم . أئمة الاسلام نامت ونامت فعلمها اللهم - إنك أنت السميع العليم -

﴿ فتح باب الرجاء لأئمة الاسلام ﴾

لما ذكر الله افتراق الأئمة وأنه واقع لمخالفة وأن تعاليم الأنبياء السابقة سيقصرون فيها وأنه يلزم ذلك أن تقسمهم الأمم أرفده بفتح باب الرجاء فقال (فن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإننا له كاتبون) أى فلا تصحيع لسعيه وإننا لسعيه مثبتون فى صحيفه عمله لانضيعه بوجه ما فيقبل الله توبة الأفراد وتوبة الأمم . فأئمة الاسلام متدع أمامها باب الفرج فلا يأس من رحمة الله

﴿ جوهره فى قوله تعالى - والى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين - الى قوله تعالى - إن هذه أئمتكم أئمة واحدة - الى قوله - كل الينا راجعون - ﴾

اعلم أن أرضنا التى نسكنها تبين اليوم فى علم الفلك انها كالعدم وبيانه أنهم أئمتوا حديثا أن القضاء فيه أجرام عظيمة هى الكواكب والمجرات فشكل مجرة مركبة من مئات الملايين من الكواكب ومجرتنا التى منها شمسنا فيها نجوم نسبة شمسنا اليها ضئيلة جدا حتى ان الجوزاء حجمها أكبر من حجم الشمس ٢٥ مليون مرة . قالوا ولو أن أرضنا صغرنا حتى صار حجمها كحجم الجواهر الفرد (ومعلوم انه لا يرى) صار حجم الكون الذى يرى بالتلسكوب مثل حجم الأرض الحالى وصار حجم الكون كله على ما يقضى به مذهب (أينستين) ألف مليون أرض منتشرة حولها فى الفضاء . إذن أرضنا على مقتضى تقريب هؤلاء العلماء عالم لاقية له صغير جدا وعلى قدر صغره يكون قدر سكانه وأخلاقهم ، وأشار الله لذلك بقوله - لقد كفر الذين قالوا إن الله

هو المسيح ابن مريم قل فمن علك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً
ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير -

فانظر لجهل هذا الانسان الذي أظهره العلم الحديث وأشار له القرآن وأعجب لنظام الآيات في سورة (المائدة)
حكم الله بكفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم . لماذا كفروا . لأن الأرض ومن عليها لاقيمة لهم
بالنسبة لمخلوقاتنا فانا قادران أهلك هذا الاله الذي ادعيتوه وأهلك أمه وأهلك من في الأرض جميعاً . فيقال
ولماذا هذا . فيقول أبالي بهؤلاء وأرضكم بالنسبة لمخلوقاتي أشبه بالمعدوم . فكيف اتخذ ولدا لي في عالم
لاقيمة له . ألم تروا اني أملك السموات والأرض وأنا على كل شيء قدير . فاذا كانت أرضكم أصبحت بالنسبة
للعوالم أشبه بالجوهر الفرد بالنسبة لألف مليون أرض فقد انقلب الوضع فيه . أن كان أهل الأرض مغترين
بأرضهم طائنين هذه السكواكب كلها ما هي إلا سرج وضعت في السموات لتضيء لأهل الأرض أصبحت الأرض اليوم
ملحقة بالعدم وسكانها أضعف منها وأقل حيلة . إذن سكان هذه الأرض قد اغترتوا بأنفسهم حين جعلوا لله
ولدا في أرضهم الفانيّة الضعيفة المعدومة في جانب مخلوقاتي . وهذا كله يفهم من قوله - ولله ملك السموات
والأرض - الخ . يقول الله هنا ان المسيح ابن مريم وأمه جعلناها آية للعالمين لانه إله ومن هي أمه ومن هم
أهل الأرض حتى يكون لي ابن يفهم . ولما كانت قصة مريم وعيسى آخر أنباء الأنبياء في هذه السورة خاطب
الله جميع الأمم شرقا وغربا فقال أيها الناس إن هذه الملة واحدة فان جميع الأنبياء انما جاؤا بالتوحيد فلم
تتفرقون ثم أتبعه بما يدل على حقارة الأرض ومن عليها كما جاء في حكاية عيسى سواء بسواء . فهناك يقول
انه لا أحد يقدر أن يدفع الأهلاك عن الأرض ومن عليها . وهنا يقول أيها الناس أمتكم واحدة فلم تختلفتم
ان محمداً وموسى وعيسى ومن قبلهم من أنبياء جميع الأمم كلهم واحدة نزلوا لاجتماع الكلمة تفرقتم
أنتم وانما تفرق الناس لأن عالم الأرض عالم متأخر . فاستعداد أهل الأرض ضعيف لا يقوى على الاتحاد
من أوّل وهلة فقد استبان ضعف أهل الأرض التي نسكنها بقراءة علم الفلك الحديث وبه استبان علما
لماذا لا يبالي الله بأهلاكم جميعاً واستبان أيضاً . لماذا تفرقوا مع أن الدين واحد فالأنبياء كلهم جاؤا لمقصد
واحد وهو اتحاد الأمم ولكن الناس لجهلهم قلبوا الوضع فجعلوا ما هو سبب الاتحاد سببا في الخلاف ثم هددهم
بقوله - كل الذين اراجعون -

الله عز وجل نادى جميع الأمم على لسان نبينا محمد ﷺ قائلا لهم إن أمتكم واحدة . وفي هذا النداء
رائحة اتحاد الأمم وربما يتم هذا أو ما يقرب منه فان لم يتحدوا على دين واحد فليتحدا على المسالمة والمسالمة
العامّة من مطالب الاسلام بل أهم مطالبه . ولقد ألفت لذلك كتاب «أين الانسان» الذي ذكرته كثيرا في
هذا التفسير ولخصه أهل أوروبا واستقرأ ذلك التلخيص في الأجزاء الأخيرة من هذا التفسير . ومقتضاه أن
كل أمة تعمل الرجال والنساء على حد سواء وتستخرج ما كمن في الأرض ومن عندهم أرض لاعمال فيها
يجب عليهم أن يقبلوا في أرضهم من يعمل فيها ويكون هذا فرضا لازما على الأمم وهكذا مما ستقره . وهذه
الأمنية تدور على الألسنة في كل زمان ومكان ومنها ما جاء في الأخبار العامة يوم الأربعاء ٨ أغسطس سنة ١٩٢٨
وهذا نصه

« افتتح المؤتمر الاشتراكي الأممي أمس الأول في بروكسل بحضور ستائة مندوب يمثلون (٣٣) أمة من الأمم
الغربية والشرقية . وإذا عرفنا أن الأحزاب الاشتراكية بلغت من القوّة درجة استطاعت معها أن تتولى زمام
الحكم في بعض الدول كالمانيا وسكندنافيا وأن تؤلف معارضة قوية في البعض الآخر كفرنسا وانجلترا أدركنا
ما سيكون لمقررات المؤتمر التي تعقد الآن في عاصمة البلجيكي من التأثير العظيم في سياسة العالم . ويؤخذ
من خطبة الافتتاح التي ألقاها السر (أرنور هندرسون) أن الاشتراكية الدولية عيل صبرها من تردّد جمعيّة

الأمم وتذبذبها وانها تنوى اسراج مركزها في اجتماعها المقبل وجعلها على تحديد خطتها تحديدا صريحا يعزز الآمال المعقودة عليها أو يفقدتها الثقة التي وضعها البشر فيها . ولارب في أن مندوبى معظم شعوب العالم واسيا الشعوب الصغيرة في هذه الجمعية غير مرتاحين الى أعمالها يتدبرون في سرهم من ضعفها واستكانتها ومن سيطرة المجلس عليها سيطرة جعلها آلة في يد الدول العظمى . وقد بدأ هذا التذمر يظهر منذ الاجتماع السابق ولا يبعد أن يتحول الى انفجار شديد في الاجتماع المقبل خصوصا اذا اتخذ المؤتمر الاشتراكي الحالى قرارات حاسمة في الموضوع ﴿

وما قاله المسيو (فندر فلد) الوزير البلجيكي السابق في أول جلسة عقدها هذا المؤتمر الاشتراكية الدولية يجب أن توجه أنظارها الآن الى (آسيا) و (افريقية) حيث يعمل الرأسماليون على استنزاف دم الوطنيين وهي كلمة خطيرة لايسع حكومات الاستعمار اهمالها أو سد الأذان عن سماعها لأنها صدى ذلك الصوت الهائل الصادر من أعماق الشرق منذ العالم بسوء المصير . وقد كان أحرار الغرب وفي مقدمتهم الاشتراكيون أول من أدرك خطورة الحالة وسعى الى معالجتها ودرء أخطارها . ولكن الجشع الاستعماري الذي أصبح طبيعة ثانية للشعوب القوية حال دون نجاحهم في الماضي . أما الآن وقد لمس الغرب الحقيقة بيديه ورأها بعيني رأسه سواء في تركيا وإيران أو في الصين وبلاد أفغان فلم يبق له مناص من الازعان لصوت الحق تأمينا لمصالحه ودرأ للأخطار التي تهدده وقد تناول برنامج المؤتمر المنعقد الآن في بروكسل هذا الموضوع فقسم الشعوب الشرقية الى ثلاثة أقسام وهي

(١) الشعوب التي هي جديرة بالاستقلال التام ويجب أن تتمتع به في الحال وبينها الصين ومصر وسورية والعراق
(٢) الشعوب التي تصير كقوى لادارة شؤونها بنفسها بعد تمرن قصير وهذه الشعوب يجب أن تساعد على ذلك وفقا للقواعد التي سيقترنها المؤتمر الاشتراكي بحيث تصبح بعد مدة قليلة أهلا للتمتع باستقلالها التام

(٣) الشعوب التي لا يتبظر أن تبلغ قريبا الى درجة تؤهلها لادارة شؤونها بنفسها بعض الشعوب الافريقية وسينظر المؤتمر في شأنها ويقرر التدابير التي براها ضرورة لصيانتها من عبث الدول الاستعمارية ومن سوء استعمال سلطتها وقوتها . وقد وافقت اللجنة التحضيرية للمؤتمر الاشتراكي الأهمي التي عقدت في بروكسل في شهر يونيو الماضي على قبول مندوبى هذه الشعوب في المؤتمر ضيوفا وخبراء للوقوف على آرائهم في شؤون بلادهم وسماع مطالبهم ونيل موافقتهم على القرارات التي تتخذ ويكون لها صلة بشعوبهم . وسيعمد في تنفيذ هذه القرارات الى الأحزاب الاشتراكية في مختلف البلدان . فالبلاد التي يسطر الاشتراكيون على حكومتها تدعى الى تنفيذ مقررات المؤتمر في الحال . أما البلاد التي يكون فيها الاشتراكيون في جانب المعارضة فيجب استعمال جميع الطرق للتأثير في حكومتها وجعلها على تنفيذ هذه القرارات في أقرب وقت ممكن بالتعاون مع جمعية الأمم ومع جميع الأحزاب الاشتراكية في العالم . وهكذا تقف الاشتراكية الدولية موقفا صريحا باراء الاستعمار أساسه المنطق والعدل فتكافئه في البلاد التي نعتها جديرة بالاستقلال التام وتحاول تقييده في البلاد التي لم تبلغ درجة من الرشد السياسي تؤهلها الى هذا الاستقلال وتحاول اصلاح وتخفيف أضراره في البلدان التي لا تزال متأخرة في مضمار الحضارة والعرفان . وهذه خطوة واسعة تخطوها الاشتراكية الدولية الآن في سبيل سلم البشر وراحتهم وطمأنينتهم وقد راعت فيها المنطق كما راعت مصالح الشعوب الحاكمة والحكومة فلم تلجأ الى التطرف في مطالبها شأن بعض الأحزاب المتطرفة ولم تقل بقول الرجعيين والرأسماليين الذين يمجدون باستعباد الشعوب لئلا تنسبهم الأخطار التي تهددهم من جراء هذا الاستعباد بل تقدمت بمطالب معقولة يقرها

جميع الأحرار وأنصار الحق والعدل من كل حزب وفي كل بلاد . فمضى أن تكون هذه الخطوة مقدمة لتسوية العلاقات بين الشرق والغرب على أساس ثابت وطيد الأركان وأن تتلوهها خطوات أخرى من جانب الحكومات المختلفة تؤدي إلى تعزيز السلم وتكون فاتحة عصر جديد يسوده الأمن والرخاء في ظل العدل المنظم . اهـ
هنا ما وصل إليه الاشتراكيون أثناء طبع هذا التفسير . ولا يدري إلا الله ماذا يفعل هذا الإنسان الذي سماه الله - ظلوما جهولا - وقال في حقه - قتل الإنسان ما أكفره -

ومن عجب أن كلام الاشتراكيين المذكور هنا في الأمم المتوحشة قد اقترب بعض الاقتراب مما ذكرته في ذلك التفسير فاني رأيت أن المتوحشين كما أشرت إليه في أول سورة (طه) يستحيل عليهم في رقيهم بأقرب الأمم إليهم ، فأهل مصر وأهل السودان المصري هم الذين يكونون سببا في رقي أقرب البلاد إليهم من أهل إفريقيا وهكذا . وقصاري الأمر وحجاده أن هذا العالم جبل تام ولكن أهل الأرض من العوالم المتأخرة فهم أقرب إلى النقص لا إلى الكمال ولكني أرجو أن تكون الحركة الجديدة في العالم مبشرة بالاتحاد كما يشتم من قوله تعالى - إن هذه أئمتكم أمة واحدة -

﴿ زيادةيضاح لهذا المقام ﴾

يقول الله هنا - وأنا ربكم فاعبدون - ويقول في ﴿ آل عمران ﴾ على لسان عيسى ابن مريم - ان الله هوربي وربكم فاعبدوه - ويقول المفسرون هناك ان هذه الجلة قد جعلت كل دين في الأرض لأن الدين انما هو علم وعمل والعلم يرجع الى ربي وربكم والعمل يرجع الى العبادة في قوله - فاعبدوه - وهذا تقدم هناك ولكن هنا جاء بالجملة موجزة لاعلى لسان عيسى ولاعلى لسان غيره بل أرسلها الله من تلقاء نفسه لأن المقام هناك في عيسى بخلاف القول على لسانه . أما المقام هنا فهو في الأنبياء المذكورين هنا فلذلك خاطب الله الأمم كلها هنا بنفسه ، يخاطب الله الأمم كلها جيلا بعد جيل . يخاطب الله أهل آسيا وأفريقيا وأوروبا وأمريكا والافريقيانوسية وسكان الجزائر في البحار بقول موجز . يخاطبهم جميعا بهذه الجلة الموجزة والموجز دائما كلام الملوك فما بالك بملك الملوك بخلاف هذه الجلة نفسها على لسان عيسى فهي ليست في إنجاز هذه الجلة لأنها على لسان عبد من عباده وهو عيسى . يقول الله هنا - وأنا ربكم - أي أنا الربى لسكم والترتبة ظاهرة في قوله تعالى - الحمد لله رب العالمين - وليست تعرف هذه الجلة إلا بما عرف به القسم الأول من الفاتحة فأقرأه هناك . لعمرى كيف يعقل الناس تربية الله للعالمين ورجته لهم من غير دراسة العوالم العلوية والسفلية وملاحظة التربية على وجه اخص في عوالم النبات والحيوان كما تقدم في سورة (الفاتحة) وفي سور أخرى لاسيما ما تقدمت قريبا في سورة (طه) عند قوله تعالى - الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى - فانه تقدم هنا مظهر من الفرق بين جنين السمك وجنين المرأة وجنين السجاجة وجنين دود القز وجنين حشرة ابي دقيق وكيف رأينا من هذه الأجنة غزرا لا نساجا ومقتنيا بالسم أو بمادة زلاية أو غير زلاية حفظت له كفاي الحيوانات اللبونية والسجاج والسمك . إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم - هكذا لابد من معرفة عوالم السموات وكيف ربيت في عصور قديمة ومآراه في سور كثيرة كيونس والأنعام . وهكذا ترى بعض الحيوانات والخبرات في سورة (النحل) وفي (هود) وفي (مريم) وغيرها . كل هذا لابد منه لمعرفة قوله تعالى - وأنا ربكم - وقوله - فاعبدون - راجع للقسم الثاني من (الفاتحة) من اننا نعبده ونستعين به ونطلب منه الهداية لصراط المستقيم صراط المنعم عليهم . فإذا كان الله بهذه الصفات من التربية والرحمة فعلى هذا النوع الانساني أن يعاون بعضه بعضا في تربية المجموع وهذا النوع الانساني لم يظهر منه الاخلاص العالم والصدق في المنفعة العمومية لاسائر الناس نبي الله على الناس تقاطعهم . يقول أنا ربيتكم ورحمتكم . أضأت شمسي وقرى لأتير سبلكم وخلقت بحارا وأهارا وجبالا ومزارع ودواب . كل ذلك ليربيتكم ولكنكم أنتم ايها الناس تجهلون قدرى - وما

قدروا الله حق قدره - ولو كنتم تعاونون قدرى اسكان بعضكم لبعض في الشرق والغرب ظهيرا . لذلك كان عليّ أن أقول - وقائلا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين -

لإن هذا النوع الانساني لن يكون قائما بأمرى إلا اذا تعاون جميع الناس في الأرض شرقا وغربا وعلى المسامحين حاملي هذا الكتاب أن يكون أول الأهم قوة و بأسا ثم هم الذين يقومون ببيت فكرة التعاون العالم بين الأمم . فان لم تقم الناس بحق الربوبية حقت عليهم كلتنا وهى - وتقطعوا أمرهم بينهم كل ليترا راجعون - وهؤلاء يرجعون ليتنا غير كامل أكثرهم بل هم جاهلون غافلون . انتهى يوم ١٦ أغسطس سنة ١٩٢٨ م ﴿ خاتمة الأمم . قيام الساعة ﴾

ولما كانت أمة الاسلام وغيرها خاتمتها قيام الساعة وخراب الأرض أردفه بقوله (وحرام) وواجب (على قرية أهلكتها) صفة القرية (أنهم لا يرجعون) أى واجب على كل أمة أهلكتها عدم رجوعهم الى الحياة أو ومنوع على قرية أهلكتها أنهم يرجعون بزيادة لا . وكلا المعنيين مقبول لأن حراما جاء بمعنى الواجب واستعمال الشئ في ضده مجازا مقبول في كلام العرب * قالت الحسناء

وان حراما لا أرى الدهر باكيا * على شجوة الالكيت على عمرو

غرام بمعنى واجب في البتة وزيادة لا كثيرة في القرآن وغيره وكلاهما يفيد أن من هلكوا لا يرجعون الى الدنيا قطعا . ثم بين نهاية الوقت الذى فيه يتمتع الرجوع للحيوة فقال (حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج) أى يستمر الامتناع من الرجوع أو وجوب عدم الرجوع الى ظهور أمارات الساعة وقيامها وحتى ههنا هى التى تحكى بصددها الجبل وقوله (وهم من كل حطب) تنز من الأرض أو - جدث - فى قراءة أخرى أى قبر (ينسلون) يسرعون النزول من الآكام والتلال . يقول الله لا تزال حياة الناس الذين ماتوا وهلكوا متمتعة فلا يرجعون حتى تقوم الساعة وتظهر أماراتها والناس من كل حطب ينسلون (واقرب الوعد الحق) وهو القيامة (فاذا هى شاحصة أبصار الذين كفروا) والفاء هى واذا التى للفتحة تظاهرها على ربها الجواب بالشرط والجواب قوله - هى شاحصة - الح وهى ضمير القصة . المعنى أن الناس لا يرجعون للحيوة حتى تزلزل الأرض زلزالها وتختلط الأمم ويختل نظام الأرض فتوح الأمم بعضها فى بعض بتفرق أجزائها لافرق بين يأجوج ومأجوج وغيرها . فإذن ذكر يأجوج ومأجوج رمز لاختلال الأرض وخرابها كأنه قيل اذا اختلطت الناس وماجت لخراب الأرض - واقرب الوعد الحق - هناك شخص أبصار الذين كفروا إذ يقومون من قبورهم أى ترتفع أجفانها فلانكاد تطرف من هول ما هم فيه يقولون (يا ويلنا قد كنا فى غفلة من هذا) لم نعلم انه حق (بل كنا ظالمين) لأنفسنا بالاختلال بالنظر وعدم الاعتداد بالنذر . فالقصد من فتح يأجوج ومأجوج الرمز لخراب الأرض وقد قدسنا فى سورة الكهف من هم يأجوج ومأجوج وأين مساكنهم . وعليه يكون القصد هنا اختلال حال الأرض وخرابها كما كان يختل بهم نظام الأمم حين يخرجون عليها كما تقدم فى سورة الكهف وهناك مقال واسع مستوفى فلا نعيد هنا

﴿ خطاب الله للكفار وتذكيرهم بما يكون يوم القيامة ﴾

قال تعالى (إنكم وما تعبدون من دوت الله) من الأصنام والبلبس وأعوانه الذين أطعتموهم (حصب جهنم حطبها وقرى) - حطب - (أنتم لها واردون) داخلون فيها * فقال ابن الزبعرى أليس اليهود عبدوا عزرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال عليه الصلاة والسلام بل هم عبدوا الشياطين التى أمرتهم بذلك فنزل - إن الذين سبق لهم منا الحسنى - الآية (لو كان هؤلاء آلهة ماوردوها) لأن الذى يعذب لا يكون إلها (وكل فيها خالون) لاخلص لهم (لهم فيها زفير) أنين وتنفس شديد (وهم فيها لا يسمعون) من الهول وشدة العذاب أولا يسمعون ما يصرهم (إن الذين سبق لهم منا الحسنى) الخصلة الحسنى

وهي السعادة والتوفيق والبشرى بالجنة (أولئك عنها مبعدون) لأنهم يرفعون إلى أعلى عليين والذين سبقت لهم الحسنى أعم من المسيح وعزير وغيرهما من المؤمنين (لا يسمعون حبيسها) صونها وحركة طيها إذا نزلوا منازلهم في الجنة (وهم في ما اشتبهت أنفسهم) من النعم والكرامة (خالدون) مقيمون (لا يحزنهم الفزع الأكبر) الفضة الأخيرة (وتتقاهم الملائكة) تستقبلهم على أبواب الجنة يهتفونهم ويقولون (هذا يومكم الذي كنتم توعدون) في الدنيا . يقول الله وتتقاهم الملائكة (يوم نظوى السماء) طيا (كطي السجل) أى الطومار وهي ما يكتب فيه الكتاب (الكتب) أى للعاني الكثيرة المكتوبة فيه . يقول الله يوم نظوى السماء فجعلها ممحوة الرسوم ذاهبة الأثر مذكورة النجوم بحيث ترقق فتقها فكما فتقنا الأرض منها نرتقها ونجعل العالم المشاهد محولا مغبرا ثم ندخل تلك الآثار في حال جديدة فتخاف أرضا جديدة وكواكب أخرى بعد حين وهكذا تخلفكم كذلك للحشر كي تحاسبوا فمن ترجع الناس للعبادة وغيروا طراز هذه الدنيا فجعلها عالما جديدا غير هذا كما تحشركم في حال أخرى غير هذه الحال وهذا قوله (كما بدأنا أول خلق نعيده) فكما خلقناه أولا نعيدُه فنعيد الناس ونعيد هذه العوالم في حال أخرى - يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات - راجع للثاني - وبرزوا لله الواحد القهار - راجع للأول . فتعجب كيف تطابق القرآن في الموضعين وكانت تلك الآية تفسيرا لهذه (وعدا علينا) مصدر مؤكد لما قبله (إننا كنا فاعلين) ذلك للاحتمال هذه هي قصة الإنسان في حشره وقصة عالمنا يوم حشرنا

﴿ لطيفة ﴾

من الجوانب أن الله في أواخر هذه السورة يذكر لنا أن السموات والأرض يعيدها كما بدأها وفي أول السورة أربانا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقهما . ومن أبدع ما يراه العلم الحديث أن علماء العصر الحاضر يقولون ﴿ الدليل على أن الأرض كانت كرة واحدة مع الشمس وأن الأرض وجيع السيارات قد فصلت من الشمس . انهم يرون بالآلات الفلكية والمناظير المقربة أن هناك ستين ألف كوكب تسكّن وهي في حائلها الطعري الأولى بصورة نارية فيعضها لاززال في أول التكوين وبعضها قارب أن يتم نظامه . انظره في كتاب ﴿ قراءة الدنيا الواسعة ﴾ في علم الجغرافيا باللغة الانجليزية في أوائل الكتاب . وأيضا لرحل حلقات حوله مضيآت متأهبات للانفصال منه كما انفصل القمر عن الأرض . وقد تقدّم رسمه في سورة الأنعام ﴾ هذه هي الجوانب التي كشفها العلم الحديث فلنفسر بها القرآن ولنقل هذه معجزة أخرى . قد ذكر الله في أوائل السورة أن الشمس كانت مع الأرض فيزها وها هو ذا هنا يقول سأعيد العالم لحاله الأولى فيعيد الشمس والكواكب بعد رجوعها للحال الأولى فيجعلها كما هي الآن أيضا ويجعلنا في حياة جديدة في عالم الآخرة في جنة أوتار وهذه معجزات عجيبة للقرآن . فانظر كيف ذكر العالم الحيواني والنباتي وغيرها في سورة (الحجر) كما قلنا مرارا وفي سورة (النحل) مرتين إلى أن وصل إلى سورة (الأنبياء) فذكر منشأ العالم ثم هاهو ذا يفهمنا كيف يرجعه . إن هذا هو منطوق العلوم التي عرفها الناس . فلنتعجب معي ولنتقرب كل علم وكل صناعة . ومعناه أن الأمم تجتهد في جميع العلوم والصناعات وكل طاقة تقوم بأحدها والله هو الولي الجيد ﴿ زيادة إيضاح لقوله تعالى - كطي السجل للكتب - أيضا ﴾

ليت شعري لم اختير التعبير بهذا التشبيه . نعم اختير ذلك لما فيه من الإيجاز العجيب المشتعل على معنى كبير . ألم ترأى ما ذكرته لك من أن السموات والأرض ترجع إلى حال أخرى لطيفة جدا تدق عن الإيصار وتدخل في معمل الطبيعة حتى تكون مغمورة فيها تائهة بين أجزائها في وسط العالم اللطيف الذي يسعى الأثير وهو مادة ألطف من النور وجيع العوالم مغمورة في بحرها اللجى . فاذا رجعت هذه العوالم لتلك العالم طويت صورها وخفيت رسومها ولم يظهر ما ترى من جبال وكال وعسل وصور وعجائب بل يكون كلمنا فيها يكون

النار في الأجبار والكهرباء في المواد المحسوسة . فانظر كيف تحمل عناصر الأرض والشمس والكواكب صوراً كاملة فيها . وكيف يكون استمدادها منظوياً على صور متتالية أدواراً وأجيالاً وأجيالاً ودهورا ودهورا . كل ذلك قد اخفي وانطوى في تلك المادة المنحلة من علما المفهورة في الأثير المحددة للظهور ككرة أخرى . أنشئ أين تلك المعاني كلها . كلها قد جمعت وطويت تحت قبولة - كطلى السجل للكتاب - أو للكتاب - على القراءتين أى كما ينطوى الطومار أو القرطاس على المعاني فتجيب - أليست الطبيعة كتاباً - أليست الصور فيها مكتوباً يكتب للناس فيقرؤنه . أليس طيها بعد نشرها إخفاء لتلك المعاني التي كانت مجسمة فصارت خفية . أليست تلك الصور البديعة المخبوءة في عوالمنا بعد فنائها أشبه بما يكتب في الكتب فيكون حروفاً صغيرة يستخرج منه أعمال وآراء كثيرة . فكل العلم وكل الدين وكل مبدع الكون

يمثل هذا ترمز بلاغة القرآن . يمثل هذا فليفهم المسلمون الكتاب الحكيم . ليقرأ المسلمون صحائف السموات وصحائف الله في الأرض . فالتة يقول انها ككتاب يطوى في يمينه يوم القيامة . ومقتضى هذا أنه كتاب منشور الآن لأن ما يطويه غدا هو ما ينشره الآن . إن العوالم التي نكسها اليوم جيلة . إنها كتاب يدرس . إن الله بهذه الآية يقول لنا ادرسوها واعتقلوها . إن القرآن يقول هناك كتاب الآن منشور وغدا يطوى . يقول الله ان الأرض والسموات صحائف منشورة هي كتابي فاقروها وافهموها واعرفوا نظامي تعرفوا مقامي . هكذا يقول الله هنا - لمثل هذا فليعمل العاملون - وفي مثل هذا فليتناقش المتنافسون ولهذا فليقرأ المسلمون . ليقرأ المسلمون كتاب ربهم الذي كتبه بيد: ثم يطويه يمينه . فليقرؤه وليفهموا ما سيأتي بعد وهو ﴿ أى الأمم أحق بالملك في الأرض اليوم وبالجنة في الآخرة ﴾ (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون) لقد كتب الله عنده وأثبت في علمه القديم الذى لا سهو معه ولا غفلة ولا نسيان أن جنس الأرض سواء أكانت أرض الدنيا أم أرض الجنة يرثها عباده الصالحون لها . وإذا كتب الكتاب شيئاً وأثبتته وهو ذا كغيرنا من ولا غافل كان ما كتبه لا بد أن يجه وينفذ فبغير الله عن هذا بأنه كتبه بعد الذكر الذى بسببه لا ينسى المكتوب أو كتب في الزبور أى جلس الكتب السماوية المزلزة من بعد الوحي المحفوظ ما تنقمت . ثم انظر أيضاً كيف قال الله ان السموات والأرض بعد فنائها يكونان كتاباً منظوياً أى كما كانا منظوياً بين يوم كانتا رتقا وفيهما انطوى هذا العالم وها هو ذا يظهر الآن على مقتضى ما طوى في صحائف السموات والأرض واستعدادهما ولا يبرز شئ إلا على مقتضى الاستعداد ومن ذلك انه كتب في الزبور أن الأرض الخ ﴿ تقسم الصالح وكيف يكون ﴾

اعلم أن الله عز وجل لا يضح شيئاً في غير موضعه لأنه وزن كل شئ وقتره تقديراً . انظر . أليست تراه أسكن الطيور أشجارها والحيات أوكارها والحوامل زواجرها والخشرات أوطانها والحيوانات البرية أقطارها والسمك بحارها والطائرات التي صنعها الإنسان حلقت في جوها . وضع الله كل مخلوق في المكان الذى استعد له هكذا هنا يقول جل جلاله . كتب في كتابي الأول وأتبعته بكتابي الثاني . كتب في لوحى المحفوظ وأتبعته بكتابي المنزل وقلت لكم لا أعطي القوس إلا لأبوابها ولا أسكن الدار إلا بأبنائها ولا أعطي شئاً (١) إلا إلى طبقة ولا أشفق كثيراً إلا في عزه ولا أعطي إلا بمقدار ولا أهب إلا على استعداد . فأننا حكم والحكمة هي التي بها قامت السموات والأرض . فهل ترون في خلقى من تفاوت . وهل رأيتم في عملى عوجاً . انظروا يا عبادى . انظروا . فصلاح كل شئ بحسبه ولا أعطي الشئ إلا لما يصلح له . فالصلاح للملك في الأرض بأربعة شروط وهي (١) أن يكون القادة في الأمة علماء حكماء مفكرين فهم يكونون أشبه بالعقل في الدماغ بالجسم الإنسانى (٢) وأن يكون للأمة جيش منظم يقوده ضابطه على شريطة أن يخضع لأولئك العقلاء وهذا أشبه بالقوة

(١) هذا مأخوذ من المثل ﴿ وافق شئ طبقة ﴾ لنفى وفناء توافقاً طبعاً فنزجاً

الدموية في جسم الانسان التي يقوم بتصر يفها القلب في تجويفي الأذنين وتجويفي البطنين والحركات المنتظمة
بصر في الآلة المصاحبة السكاينة أى الجاذبية والدافعة

(٣) أن يكون الفلاحون والعامل والفنانيون قائلين بأعمالهم مطيعين للفر يقين

(٤) أن تنظم هذه الطوائف الثلاثة بحيث تقسم جميع أعمال الدولة عليهم والصناعات التي يحتاج اليها
العمران الانساني فلا يذرون عمالا ولا صناعات إلا قسمها أولئك الرؤساء على الشعب . هذا هو الصالح الذي
ذكره الله هنا للحاكم في الأرض

﴿ اعتراض على المؤلف وجوابه ﴾

قال لي قائل لما سمع هذا المعنى . أيها الأستاذ . هل الله قال ذلك فوائته انك لتقول القائل من تلقاء
نفسك والله ما في الكتاب شيء من هذا . فقلت له لا تخالف وانظروني . لم ذكر الله هذه الآية في هذه السورة
ثم لم أخرها الى آخرها . ألم تراه ذكر الأنبياء وقد قسم أعمال الدولة عليهم ففهم صاحب السولة ومنهم صاحب
العلم والحكمة ومنهم من يهتم بالاصول الضالة ومنهم من استبان عفته واضحة وقد شرحنا هذا شرحا وافيا ثم قال
- إن ههنا أممكم أمة واحدة - فلتجمع جميع هذه الخصال . ثم ذكر أن المسلمين سيتعشرون وبأخذ كل
فريق بطرف من الدين وذهبهم على ذلك ثم حذر وذكر أمور الآخرة وفناء العالم ثم أنبأهم بهذه الآية فهي
ملخص ما تقدم به فان ما تقدمه نظام في الدنيا وحشر وبعث في الآخرة فكأنه قيل أى الناس أحق بهذا الملك
وبذلك الجدد فقل ما معناه - وان من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم - فأنا كما أسكنت السمك في
البحر والطير في الجوّ والأنعام والوحوش في القفر أسكنت الأمم المنظمة القوية في أرضي وملكتها ناصية الأمم
فان كن حافظا للأوضاع النظامية الثلاثة المتقدمة التي ذكرها (أفلاطون) في جمهوريته فاني أمملكها ناصية
الأرض وتسكون خلية لي . وهكذا ليكن كل رب بيت فيها قائما بنظام أسرته على الوجه الذي ينبغي وكل فرد
من أفراد الأمة حافظا لأخلاقه وأدابه . والقوة العقلية في الفرد والقوة الغضبية والقوة الشهوية فيه كلها على
نظام المجموع فليدلل المرء القوة الغضبية والشهوية للقوة العاقلة فان ذلك هو الذي يجعله كاملا ويعظم نظام
الأسرة بصلتها وتنظيم معاشها . الأمة التي على هذه الشريطة هي التي تملك قباد خلق واستخلفها في الأرض
فاذا اختل هذا الصلاح فأنا لست بغافل فلا سلطان عليهم من يتولى أمر أرضي فانه لا يترحمها إلا الصالحون
لعمارتها . هذا هو الكلام على ملك الدنيا

﴿ الصلاح للجنة ﴾

أما صلاح الناس لأرض الجنة فذلك راجع الى لطافة النفس وميلها الى الامور العلوية . فكلما كانت
المرء قاعا ذاكرار به أوصاف قواه العقلية والجسدية في خدمة المجموع نظمية باطنه وظاهره محافظا على الأخلاق
الجيدة مساعدا لأهله ولم ينفع بها على مساعدته في الأمة كان الى الجنة أقرب . وكلما كان أقرب الى التقصير في
مواهبه نفسه ولم ينفع بها على مقدار طاقتها أو مؤذيا أو كرها للناس غير نافع للمجموع انحطت درجته بعد
الموت فقلت قيسه فأت بعيدا عن السعادة ، هذا نموذج من صلاح الناس للجنة ومن صلاحهم للدنيا .
ولما كان هذا الكلام قد جمع نظام الدارين وأصبحت هذه السورة عروس القرآن وقابه ومناره وفيها الأنبياء
الذين تجلت عليهم ونظام الدولة في قصصهم وازدانت بنظام السولة وبنظام الأخلاق حتى يصل الناس الى ربهم
في جنته وبها عرف المسلم كيف احتلت أوروبا أكثر بلاد الاسلام . ولماذا أزال ملك كثير منا وان اجتياح
أهل أوروبا بالأهل الأمريكيين الأصليين وكذلك أهل استراليا وغير ذلك . كل هذا لتقريب أهل البلاد فاحطت
مداركهم فأرسل لهم أمما لأنهم لا يصلحون لإدارة بلادهم . وأمة الاسلام لاتصل الى هذا السرك فان هذا
كتابا وقد بينا بعض مقاصده وسيقوم في كل قطر منادون بهذه الآراء وينشطون بعد الجول ويعظمون

بعد الضمة ويصلحون بعد الفساد ويعرفون بعد الجهل ويحتمون بعد الافتراق . هكذا سيكون ان شاء الله فلا يتطرق الى هذه الأهم الفناء والدمار واستباحة الدار ولابد من رجوع مجدكم كما قررناه صراري هذا التفسير . أقول لما كان الأمر كذلك أعقب الله ما تقدم بقوله (إن في هذا لآياتا لقوم عابدين) أي أن ما في هذه السورة من نظام البول وقيام الدولة وحفظ الناس والنسب على أطب الأشياء كالماء وعلى أصلها كالخديد وعلى الجمع بين حرب الأعداء والاستغراق في ذكر الله والشجاعة والاقدام وتسخير العمال في الباني العظيمة واستخراج ما في البحار من الحلي وغير ذلك . يقول الله إن في ذلك المذكور لآياتا أي كفاية لقوم جامعين بين العلم والعمل فان العلم شجر والعمل ثمر . هذا معنى الآية وهو ترتيب عجيب لم يذكر الله هذه الآية إلا بعد ما أتم الأمر وبين نظام الدول والأعمال ، ثم بين من هم الذين يصلحون لعمارة الأرض . ثم أتبع بما يفيد أن علوم هذه السورة السياسية والنظامية كفاية لمن جمعوا بين العلم والعمل

فتعجب أيها النبي والله سالك عن كتابه وعن أمك وعن أهل بلدك فاصدع بما تؤمر في هذا القرآن مع الحكمة وأعرض عن الجاهلين ولتعلم أن الله سينصرك كما نصر الأنبياء المذكورين فلا تنزع عن ابلاغ معاني هذا القرآن . لا تنفل والله يحاسبك على علمك كما يحاسبك على قدرتك الجسمية فاني موقن أن الأمة الإسلامية متى دأبت هذه الآراء فيها وهي مقصود كتابها قامت كلها قومة رجل واحد الى نظام أمها ثم قامت بترية الأمم والأهم اليوم في ضلال . فليكن المسلمون بعد تدبر أمثال هذا والعمل به قادة العالم الانساني ولذلك أعقبه سبحانه وتعالى بقوله (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) وهذا المقام يحتاج الى بيان ﴿أميرين﴾ * الأول هل كان رسول الله ﷺ رحمة للعالمين فيما مضى مع انه استل سيف وقتل به كثيرا من الناس ﴿الثاني﴾ هل هذا الدين سيكون رحمة في مستقبل الزمان وكيف ذلك . لقد كنت كتبت مقالة في هذا الموضوع عنوانها ﴿كيف كانت حال العالم لولم يبقه المسلمون﴾ في مجلة (الموسوعات) صفحة ٢٤٥ وجعلت هذا المقام ﴿أربعة مباحث وخاتمة﴾ * المبحث الأول في أشهر السور التي كانت حين ظهر الاسلام ﴿المبحث الثاني﴾ في غرر انشراح الاسلام وفي الدين المسيحي ونحو ذلك ﴿المبحث الثالث﴾ في نتائج الحروب الصليبية ﴿المبحث الرابع﴾ في تقدير عدم وجود الأمة الإسلامية ﴿الخاتمة﴾ في حكمة الله في ذلك وفوائده وفي تلخيص ما تقدم

فأما المبحث الأول فلخصه أن الدولتين اللتين لم يشتهر غيرها إذ ذاك هما دولة الفرس وآسيا ودولة الرومان بأوروبا . فدولة الفرس كانت آخذة في السقوط . ودولة الرومان كانت منقسمة الى شرقية وغربية فالغربية قد أحاط بها الأمم المتوحشة بأورو بافدمروها تدميرا وكونوا أمما صغيرة باقية الى الآن . وأما الشرقية التي كانت عاصمتها القسطنطينية فكانت مبتدئة في الضعف وزالت بعد الهجرة بقس قرون لأن زوال الأمم على مقدار ضخامتها واتساعها يكون بطؤه . فأما المبحث الثاني فقد لخصته في أن الاسلام امتد الى الجهات الأربع وأن الخلفاء الراشدين وماوئك بنى أمة وطموا الأمن في البلاد التي حكموها وترجم العلماء في زمن العباسيين كتب الأمم السابقة . وأما الأمم النصرانية فكانت كلها متوحشة لإلا دولة الرومان . ثم إن الأمم المتحاربة للمسلمين في الأندلس وهم الأسبان والفرنسيون كان لهم نوع شعور بالحاجة الى التعليم . وذكرت في المبحث الثالث أن قراءة العالم أغذية للأمم وقراءة الدين أدوية والأمم التي تأخذ بظواهر الدين وقديجته أنه يسوقها للعلوم تموت لأنها لا أغذية لها والأمم التي تقتذى بالعلم ولا ترضى الدين تعرض مرضا اجتماعيا والمسلمون أخذوا بالأميرين والأورو بيون اقتصروا على الدين وأول من نبه للعلوم فرنسا حين دخل قواد المسلمين أسبانيا ووصلوا فرنسا حتى (نهر الوار) مسيرة ثلاثة أيام من باريس ومن هذا التاريخ نهبت فرنسا بين المتوحشين آباء الأورو بين الحاليين ولذلك يكن المسلمون يعرفون أورو با بالإبسم الا فرنج أي فرنسا حتى كان شر لكان ملكها بود هرون الرشيد . ولما كانت أورو با متوحشة إذ ذاك كان القسيسون يعشون بالأعراض والأموال

ويسيطرون على الملوك وما كانت العروس تجلّ لزوجها إلا بعد أن تزف إلى القسيس أولاً وكان الرؤساء يديعون الأرض بمن فيها من الرجال والمهاجم . ولما رأى القسيسون أن دين الاسلام قد هدد سيطرتهم وفقدوهم قاموا بحركة عظيمة لحرب المسلمين ليتخلصوا من هذا الدين فكانت الحروب الصليبية على التي انتهت بفشل رجال الدين وقيام سلطة الأمم والشعوب والحرية الحاضرة فأصلت الحرب الناس نارا حامية وقدا حترق رؤساء المسيحية بنارها إذ فقدوا سلطتهم ورجع القوم بنورها فحماؤا الكتب من بلاد الشرق واستناروا وأخذوا يحاربون الترك جهة الشرق وأهل الأندلس جهة الغرب فاقتطفوا بضئ ثمار العلوم فبعثت أوروبا من مرقدها من ذلك الحين حين هاجر إليها علماء الاستانة من الدولة الشرقية ونضجت هذه المدنية في أربعة قرون تقريبا

﴿ الشرقيون ﴾

فأما الشرقيون فإن توالى الحروب الصليبية من الغرب وحروب التتر من الشرق أضعف القرائح وأمت العلماء وأضع الكتب وخرجت أجيال تجهل ماضى . ولكن انحطاط المسلمين الآن أقل من انحطاط أوروبا في قديم الزمان فرجع مجدنا أقرب من رجوع مجدهم . وقلت في المبحث الرابع ﴿ ان الأمة العربية كانت واسطة هي ومن معها من الأمم الاسلامية في نقل العلوم بجميع أنواعها ثم تهذيبها ﴾ . وهناك في المقالة نقلت ما كتبه العالم الكبير (سديرو) الفرنسي إذ شهد لهم بتوسيع العلوم واختراع كثير من أنواعها وانهم لم يكتفوا بما نقلوه عن اليونان وأن أوروبا نقلت عنهم وذكرت ما قرأته في الكتاب المذكور المترجم من الفرنسية إلى العربية ترجمة المرحوم أستاذنا على باشا مبارك صفحة (٢٤٠) ولا أطيل بنقل تلك العبارة وإنما أوجز لك ملخصا منها وهاهوذا

(١) كذب المؤلف علماء الفرنجة وهو نفسه فرنسي كما عرفت في قوله ان العرب لافلسفة لهم وأثبت أن جميع مدارس أوروبا في القرون المتوسطة مستمدة من تاليف العرب الفلسفية كترجمة (حنين الطبيب) وبحي وغيرهما

(٢) أثبت المؤلف أن العرب زادوا كثيرا على ما نقلوه عن اليونان وكانوا يعرفون كتب (أفلاطون) و(فيثاغورس) و(أوميروس) و(أيراقليط) و(ديموقريط)

(٣) فضل المؤلف طب العرب واستعمالهم للعقاقير عن طب القدماء بما اخترعوه هم

(٤) ذكر المؤلف أن المؤلف (يسيل) أنصف العرب وانهم اشتغلوا بعلم الزلوجيا . وقال أيضا المؤلف ان العلامة (دساسى) نقل فصولا من كتاب (القزوينى) المشهور

(٥) وقال أيضا ان بحث اليونان كان في الأجسام العضوية وهى الحيوان والنبات . ولكن العرب رفقوه الى البحث في القوى الطبيعية والجواهر الأولية

(٦) وأثبت أيضا أن ما ادعاه الفرنج من الكشف في القرن الخامس عشر والسادس عشر من الميلاد كان أكثره قد اخترعه العرب من قبلهم . وأثبت ذلك بأدلة كثيرة في صفحة ٣٣٣ وما بعدها

(٧) ذكر المؤلف كيف دخلت العلوم أوروبا بالتدريج من طريق العرب وانها لم تدخل العلوم الرياضية بلاد الانجليز إلا بعد ما سأل سائح انجليزى من سنة ١١٠٠ الى سنة ١١٣٠ في أسبانيا ومصر وترجم كتب كثيرة وقلت في الخاتمة ﴿ إن المدنية لو لم يكن الاسلام لبقيت منقطة فالرؤساء في أوروبا يستبدون الشعب وأم أوروبا المتمدنية كانت شديدة الوطأة حتى ان ملك (رومه) أمر بحرقها ليشتمع بمشاهدة احتراقها ثم فتك بالتصارى فسكاد بها وكانوا ما بين مترفين منعبين وعبيد أذلاء

ومن هذا نفهم كون نبي الأمة سيدنا محمد ﷺ خاتم النبيين إذ الخاتم ما يطبع به على الشيء القابل للطبع ويظهر أثره فيه . وبالنظر في التاريخ والتأمل بالعقل يرى أن هذه الأمة الاسلامية أثرت في الأمم الغربية كما

يؤثر الخاتم في الورق ولذلك ظهرت النتائج في أوروبا كما تقدم وجاء في القرآن انه رحمة للعالمين ولم يقل للؤمنين فقط وإعرا انه بهذه العلوم المنتشرة في الشرق والغرب الذي كان سببها الوحيد الأمة الإسلامية بتعليمها وحرورها للنهضة للأفكار صارت الكرة الأرضية كبيت واحد يظهر لكل واحد في أقطار الأرض ما عليها من العلوم والمعارف حتى أصبح كل يأخذ ما تستعد له نفسه من ضعة ورفعة ودين فتمت حجة الله على خلقه فلم يبق احتياج لرسل يأتيون بعده ولم نسمع في التاريخ انه حصل مثل ذلك بعد نبي من الأنبياء فلذلك كان خاتم الأنبياء ثم اعلم أن شريعة عيسى عليه السلام جاءت بالعلم وموسى بالعمل وهذه الشريعة جاءت بالأميرين معا فكان خاتما طبع به عليهما وبقيا في جدال مع أهل الدين الاسلامي ولقد علمت ماضى في هذه السورة من علوم الأنبياء وصناعاتهم الخ

﴿الحاصل﴾

﴿أولا﴾ ان تقدم أوروبا في العصر الأخيرة حصول اختلاط أهلها بالمسلمين بعد الحروب الصليبية واقتباس الأوروبيين منهم المعارف والفنون
﴿ثانيا﴾ انحطاط المسلمين نشأ من طول العهد قست القلوب وكثرت الحروب الصليبية والتتارية والحروب الداخلية فاحتل قواهم العقلية وتمسكوا ببقية من الدين ليست هي الدين كله
﴿ثالثا﴾ لانسبة بين الشرقيين في حال انحطاطهم والغربيين في إبان جهالتهم إذ لا يخفى رفعة المسلمين لأن عندهم بقايا من الأصول المرعية

﴿رابعا﴾ ينتج من ذلك انه لو لم يكن الاسلام لكانت الأمم الآن في خجود تام لعدم ما يحرر أفكار الأوروبيين والحروب التي لأجل الملك وحده لاتكون عمومية فلان كفي لتزقية الأفكار العمومية
﴿خامسا﴾ ان آثار المدنية الآن في أمريكا واليابان والافقيانوسية وبعض افريقية وكثير من جهات (آسيا) أكثرها عن الأوروبيين الذين استمدوا من المسلمين إمامباشرة وأما بالنقل من النافلين فلو لم تكن أمة الاسلام لكانت هذه الأمم كلها الآن في خجود تام وجهالة عامة - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين -
هذا ملخص تلك المقالة المذكورة . وباعجاب كيف كنت أكتبها منذ عشرين سنة وأنا لم أعلم اني يوما سأكتب في تفسير القرآن . فالجدة الذي وفقني لهذا وما كنت لأعلم منه شيئا ولم يكن ليبدؤ بخلاص أن هذه الآية سأكتب في تفسيرها من قبل . واعلم أن الأنبياء السابقين لم تحصل بعد من أحد منهم حركات عمرانية مثل سيدنا محمد ﷺ . انظر كيف امتد البريد والبرق وأخذ الناس يتكلمون معا من بلاد بعيدة وأخذ العقل يفكر والله الأمر من قبل ومن بعد وهو العزيز الحكيم

واعلم أن مثل المصلحين في الأرض كمثل الماء وكمثل الهواء وكمثل الحرارة . فالماء مثلا به حياة كل شيء ولكن نراه يفرق فيه جاعة في سفينة فيهم الأطفال الرضع والشيوخ الرضع والنساء الضعيفات وهذا محتمل في جانب منفعة . هكذا نبينا ﷺ قتل في الحروب قوما توجب الحكمة قتلهم ومع ذلك بقي أعقابهم جميعا في الاسلام وعم الخير ام المسكونة إما مباشرة وإما بواحدة فهذا لا ينافي انه رحمة للعالمين . انتهى الأمر الأول
﴿الأمر الثاني هل هذا الدين سيكون رحمة في مستقبل الزمان وكيف ذلك﴾

أقول . من عجب اني كنت كتبت مقالة في مجلة تسمى ﴿نور الاسلام﴾ كانت تصدر بالرقاز في منذ نحو (٢٥) سنة ذكرت فيها حديث مسلم وهو . عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ﴿بدأ الاسلام غربيا وسيعود كما بدأ غربيا فطوبى للغرباء﴾

﴿تفسير الحديث فيما كتبت في الجريدة المذكورة ورؤيا منامية﴾

اعلم اني كنت نائما في ليلة بيندر الجزيرة وأنا إذ ذاك مدرس اللغة العربية في المدرسة هناك . وبينما أنا نائم

ليلا إذا قائل يقول لي في المنام مكررا مايقوله كره بعد كره من النساء الى طابع الفجر وكان قوله نكدا بدأ
الاسلام غريبا وسعود كما بدأ غريبا ﴿ أفهم ممناه

اعلم أن غريبا صفة المصدر محذوف أى بدأ بدأ غريبا أى لانظير له وسعود كما بدأ غريبا لانظيره في
نشأته وانتشاره ونفعه الناس . ثم يقول هل فهمت فأقول نعم . ثم أعاد السكرة وصار يعرب . ويقول إن
غريبا وصف المصدر محذوف فهو مقول مطلق . ثم يقول هل فهمت فأقول نعم . ولزال طول الليل يقول
لي هل فهمت أن الاسلام يسعود غريبا كما بدأ . أن يكون غريبا لظهور عيب النشأة والانتشار والاسراع
في اعلاء نظام الانسان والعدل وما أشبه ذلك . وما زال كذلك حتى طلع الفجر . فلما استيقظت صرت أعجب
من نفسي وأقول لعل هذا أضغاث أحلام لأنه كان يقوم بتفهم في الاعراب كما أفهم التلاميذ المفعول المطلق
في النحو وهذا أشبه بمثل من تلك الأمثلة . ثم اتى مع كثرة ترددي في الأحلام لاسيما انك تعمل ما تقم في
سورة (يوسف) من أن الأحلام يكاد لا يصدق فيها إلا النادر الذى هو كالكبريت الأجر ومع هذا كله رأيت
في وجداني معاني تختلج وفكرا يمتزج ولم أجد سبيلا أحفظ به هذه الفكرة خيفة ضياعها إلا أن أنشرها
في مجلة (نور الاسلام) بصيغة أن هذا المعنى من عندى فلا روبا ولا أحلام . ولما نشرت ردة عليها بعض
الناس وانتهى الأمر . ثم إن أحد الفضلاء كتب في جريدة الاهرام هذا المعنى وذلك أثناء طبع هذه السورة
وقال لعل قرأته من قول فلان أو فلان وعد نحو خمسة في عصرنا فحمدت الله عز وجل إذ أصبحت هذه
الفكرة معاملة ثم نشرت بين الناس ليعرفوها . فلما جاء تفسير الآية وأنا سائر في التفسير تبادلى أن كتبها
معنا ذلك لأن الله ألهم بعض الناس قسمرها في الجرائد فلم أجد بدا من ذكرها هنا وتبيان مصدرها ومن
أين أقبلت الى نفسي حتى نشرتها في مجلة (نور الاسلام) منذ أمد بعيد

واعلم أن أمة الاسلام أيام تلك الرؤيا والنشر أعني منذ نحو (٢٦) سنة لم تكن فيها أمة مستقلة إلا الترك
وكانت قد أشرفت على الموت . أما الآن فإن الأفغان استقلت والترك خلقت من جديد والفرس كذلك
وهكذا مصر تجاهد للاستقلال ومشاهدا كمش وهكذا أهل الهند يجتهدون لاختلاص من ذل الاستعمار
هذا هو الذى تم في العالم الاسلامي منذ الرؤيا الى الآن . ولتعلم أيها الذكر أن هذا المقام ليس مقام الرؤى
بل هو مقام الحكمة والعلم والعقل . واعلم أن الله قد حكم أن يجعل الرفع بعد الخفض والحياة بعد الموت
وكل ضد بعده ضده والمسلمون كانوا في ارتفاع ثم نالوا ثم هم الآن قد وصلوا الى أدنى دركات الانحطاط فلماذا
بعد المرض إلا الصحة . وهل بعد الموت إلا الحياة . وهل بعد الضعف إلا القوة . إن الله يجعل الضد بعد
ضده . وإذا سحت هذه القاعدة طبعا فلتطبقها على المسلمين ولتقل أن هذا الزمان هو زمان ارتقاؤهم . اتى والله
بشرت بأكثر من هذا في المنام ولكن لاسبيل لذكره الآن فلست أعول إلا على العمل والفكر وهذه الرؤى
لما كان يداخل الانسان الشك في صحتها وانها ربما كانت حديث نفس . كنت لا أعول إلا على الوجدان
ولعل الوجدان انبعث منها أوهى من الوجدان أو هما متلازمان . أقول فأن الآن أعمل على هذا الأمل
وهذا الأمل ألفيته ملازما لى منذ الصبا ولا فرق في اعتقادي ووجداني بنجاح الأمة الاسلامية بين زمن الشباب
وزمن الشيخوخة بل لى أجد الوجدان الآن في قلبى أشد منه في كل وقت فأنى أكتب وأنا واثق أن الأمم
الاسلامية سيطر فيها مفكرون وعلماء محققون وقضاة أرقى ممن سبقهم بعد العصر الأول ودول وممالك أهم
وأعم وانهم يكونون شهودا على الأمم يقضون بينهم بالحق ويعيدون بالسبق ويكونون خلفاء الله في الأرض
واذن يكونون رجة للعالمين . إن المسلمين لن يكونوا رجة للعالمين رجة تامة إلا إذا قرؤا كل علم وكل صناعة
وأنفقوا فروع النظم العامة في السكون فإن يصحبون قادة الشعوب قيادة رجة ممزوجة بالحزم ويكونون هم
أنفسهم جمعية الأمم القاضية بالعدل فالناس كلهم عيال الله وأفضلهم من قام بشأن هذه العيال

﴿ امتياز أمة الاسلام ﴾

ثم إن أمة الاسلام تتمايز بأن العلوم والصناعات اذا قرأتها وعملت بها يكون كل ذلك باعتبار انه أوامر دينية . فبني دخل المسلمون في هذا الطور وأن كل علم وكل صناعة وكل زراعة وكل تجارة وكل معدن وكل حكومة وهكذا كل ذلك من أعمال الدين وأن مكة الحديد والتلفراف والكهرباء وعمل الآلات الحربية . كل ذلك وغيره عبادات دينية والقائم بها قائم بعبادة شرعية وأن ذلك وإن لم يكن كالسلاة في فضلها فإن له فضلا آخر أشبه بفضل الجهاد . فإذا عرف المسلم ذلك ولقنه في صغره وأن القائم في كهر بائته والجبري لقطاره والصانع في صنفته والزارع في منزرعته والتاجر في تجارته . هؤلاء متى كانوا مجتدين صالحين يكونون في عبادة ورضا الله ولكن أفضلهم أجمعهم نفعاً . اذا عرف ذلك المسلم فإن الأمة تكون في طور لم يتحمل به من قبل ولم يتحمل به أمة في الأرض ذلك لأن أرباب الأديان الأخرى غالباً لا يمدحون هذه الأعمال باعتبار أن الدين يأمر بها كلاً بل يقولون انها أعمال دنيوية . أما في الاسلام على مقتضى هذا الخط للقرآن في فان العلوم كلها عبادات وهكذا الصناعات وأن العلوم الطبيعية هي العلوم التي يوصل الفكر فيها الله وبشر البعد من ربه . ذلك هو المثل الأعلى في الاسلام . واني أرى أن نشر هذا التفسير وأمثاله من كتب الفضلاء من الأمم الاسلامية سيجعل في الاسلام أمة لم يحلم الدهور بها . الأثر كيف جئت هذه السورة من قصص الأنبياء ما جمع كل فضائل الدين والعبادة . لم تركب رأيت داود وسليمان إذ يمشكان في الحرث أن القضاء أنبع فيه ما هو أصلح للتقاضين وإن كانت الحكمان اعتبر فيهما المائلة ولكن الرفق بهما كان في الثاني أكثر وهو حكم سلمان عليه السلام . فالقضاء أشبه بالظب فقوم يداون بالياء الحار والاستحمام به . وقوم يداون بخارورة الشمسية . وقوم بالهواء . وقوم بتعاطي الدواء . وقوم بالحسية ويكون ذلك كله لمرض واحد . ولكن الطبيب الخاذق من يرعى حالة المريض وأى هذه أوفق له بحيث لا يعود الدواء على المريض بالضرر . هكذا القضاء فيجب أن يكون القاضي مجتهداً أى عالماً بالمذاهب الاسلامية والخلاف فيها ثم يحكم بأقر بها لحال المتخاصمين وزيادتهم ولا يجمد على قول واحد أو مذهب واحد كما لم يجمد داود على الرأي الأول وهو بني فكيف بمن ليس بني لعمرى إن الله ما أنزل هذا إلا لتعليمنا كيف نسبر في القضاء ولا أنزل ما بعده إلا ليعلمنا كيف نقوم بعارة المدن ونفهم العلوم ونصبر ونشكر ونف عن الحرام الى آخر ما ذكرناه فيما تقدم والله هو الولي الحيد وأما قوله ﷺ ﴿ فطوئ للغرباء ﴾ معناه أن هؤلاء الغرباء الذين بدأ بهم الاسلام غرباء غريبة لم يعهد لها نظير سواء أكان في بدنه الأول أوفى نشأته الأخرى في هذه الأيام طوبى لهم فلهم في الدنيا الرقة والسود ولهم في الآخرة النعيم لأنهم رجة للعالمين . قاموا مقام نبينهم ﷺ ورجوا العالم الانساني لأن الراحين رحيمهم الرحمن وسيزفون الى نفوسهم ثم الى العالم كله أبكار العلوم والمعارف و يصيرون صيحة أخرى أوسع من الصيحة الأولى بدوى صاها في الخلافتين . هذا آخر المقال في تفسير قوله . وما أرسلناك إلا رجة للعالمين - ثم قال تعالى ﴿ قل انما يوحى الى أنما الحكم إله واحد فهل أنتم مسلمون * ﴾ فان تولوا ألعروا عن التوحيد (فقل آذنتكم) أعلمتكم ما أمرت به (على سواء) مستورين أنا وأنتم في العلم بما أعلمتكم به (وإن أدري) أى وما أدري (أقريب أم بعيد ما نؤعدون) من غلبة المسلمين عليكم والخسر ومع ذلك فهما كائنات للاحالة (إله يعلم الجهر من القول) ومنه ما يجهرين به من الطعن في الاسلام (ويعلم ما تكتبون) ومنه احذركم وضغائنكم على المسلمين فيجاز بكم عليها (وإن أدري لعله فتنة لكم) أى وما أدري لعل تأخير جزائكم استدراج لكم وزيادة في افتتانكم وامتحانكم لينظر كيف تعملون (ومتاع الى حين) أى تمتعون الى انقضاء آجالكم (قال رب احكم بالحق) وفي قراءة - قل رب - والأولى على حكاية قول الرسول ﷺ أى رب اقض بيننا وبين أهل مكة بالعدل أى بما يظهر العدل للجميع وذلك لا يكون إلا بنصري عليهم وهذا استجبال للعذاب

فَعَدَّ يَوْمَ بَدْرٍ (وَرَبَّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا نَصِفُونَ) مِنَ الشَّرِّ وَالْكَفْرِ وَالْكَذِبِ وَالْأَبَاطِيلِ وَالسَّخَرِيَّةِ
 إِنَّ اللَّهَ أَمَرَهُ أَنْ يَدْعُو اللَّهَ بِأَنْ يَحْكُمَ بِمَا يَظْهَرُ الْحَقُّ لِجَمِيعٍ وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَعَّدَ الْكَفَّارَ بِقَوْلِهِ - وَرَبَّنَا الرَّحْمَنُ
 الْمُسْتَعَانُ - الْحُجَّةُ أَيْ نَسْتَعِينُ بِهِ الْحُجَّةُ - تَمَّ تَفْسِيرُ سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ الْفُطْيِ لِـ لَيْلَةِ السَّبْتِ ٢٠ دَيْسَمْبَرِ سَنَةِ ١٩٢٤
 وَ٢٣ جَادَى الْأَوَّلَى سَنَةِ ١٣٤٣ هـ وَقَدْ سَنَحَتْ هَذِهِ السَّائِخَةُ عِنْدَ الطَّبْعِ وَهِيَ
 ﴿ جَوْهَرَةٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى - وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِي
 الصَّالِحُونَ ﴾ إِنَّ فِي هَذَا بَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ * وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ * قُلْ إِنَّمَا
 يُوَسِّى إِلَيَّ أَمْرُهُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَهَلْ أُنْتُمْ مُسْلِمُونَ - ﴿

أَكْتُبَ هَذَا هَذِهِ اللَّيْلَةَ السَّبْتِ (١٢) مِنْ شَهْرِ مَآيُوسَ سَنَةِ ١٩٢٧ قَبِيلِ الْفَجْرِ وَأَمَّا هَذِهِ الْخَرِيطَةُ الَّتِي
 رَسَمَهَا صَدِيقِي لَيْبُ بَكِ الْبَنْتُونِي فِي كِتَابِهِ ﴿ الرَّحْلَةُ الْجَزَائِرِيَّةُ ﴾ مِينَا فِيهَا بِلَادُ الْإِسْلَامِ فِي وَقْتِنَا الْحَاضِرِ تِلْكَ
 الْبِلَادُ الْمُتَرَاثِمَةُ الْأَطْرَافُ قُفِّلَتْ فِي نَفْسِي هَذِهِ بِلَادُ الْإِسْلَامِ - فَيَا لَيْتَ شَعْرِي أَيْنَ مَكَانُ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ هَذِهِ
 الْآيَاتِ - يَقُولُ اللَّهُ إِنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا الصَّالِحُونَ مِنْ عِبَادِهِ وَهَذِهِ الْأَرْضُ هِيَ الَّتِي كَانَ فِيهَا الْأَنْبِيَاءُ الْمَذْكُورُونَ
 فِي الْقُرْآنِ فِي هَذِهِ السُّورَةِ وَفِي غَيْرِهَا فَهَمَّ إِبْرَاهِيمُ النَّبِيُّ كَانَ فِي بَابِلَ وَهَاجَرَ إِلَى الشَّامِ وَسَافَرَ يَوْمًا مَا إِلَى مَكَّةَ
 وَدَاوُدَ بِالشَّامِ أَيْضًا وَمِثْلُهُ سُلَيْمَانُ وَأَمَّا يُوسُفُ فَقَدْ كَانَ بِمِصْرَ وَمُوسَى وَهَارُونَ كَذَلِكَ بِمِصْرَ وَبِالشَّامِ وَهَكَذَا
 زَكَرِيَّا بِالشَّامِ وَمِثْلُهُ يَحْيَى وَعِيسَى وَالْيَاسَ وَاسْمَاعِيلَ بِالْجَزَائِرِ وَأَمَّا يُونُسَ فَكَانَ فِي بَنِي وَطِيطَ وَبِالشَّامِ وَنُوحَ
 بِنَاحِيَةِ الْجَزِيرَةِ وَادْرِيسَ نَبِيَّ الْمَصْرِيِّينَ الْقَدَمَاءَ فَهَؤُلَاءِ هُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَهَذِهِ هِيَ بِلَادُهُمْ وَمَا هِيَ إِلَّا بَعْضُ هَذِهِ
 الْخَرِيطَةِ الَّتِي يَمْلِكُهَا الْمُسْلِمُونَ - لِذُنَّ الْمُسْلِمُونَ وَرَثُوا الْأَرْضَ الَّتِي كَانَ فِيهَا الْأَنْبِيَاءُ الْمَذْكُورُونَ فِي هَذِهِ
 السُّورَةِ وَفِي غَيْرِهَا أَيْ أَنَّ اللَّهَ ذَكَرَ كَثِيرًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فِي هَذِهِ السُّورَةِ ثُمَّ أَعْقَبَهَا بِقَوْلِهِ - إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ
 أُمَّةً وَاحِدَةً - ثُمَّ قَالَ أَخِيرًا إِنَّهُ لَا يَرِثُ الْأَرْضَ إِلَّا عِبَادِي الصَّالِحُونَ ثُمَّ نَظَرْنَا فَعَلَّ نَجْدٌ أَحَدًا وَرِثَ الْأَرْضَ هَؤُلَاءِ
 الْأَنْبِيَاءُ إِلَّا الْمَسَاحِينَ الَّذِينَ تَرَاهُمْ فِي هَذِهِ الْخَرِيطَةِ - هَذَا هُوَ الَّذِي أَرَاهُ الْآنَ أَمَامِي وَتَرَاهُ أَنْتَ أَيْهَا الذَّكَرُ
 وَلَكِنْ نَنْظُرُ نَظْرَةً أُخْرَى هَلِ الْمُسْلِمُونَ الْحَالِيُّونَ قَامُوا بِإِصْلَاحِ هَذِهِ الْأَرْضِ وَهَلْ هُمْ يَسْتَحِقُّونَ هَذَا الْمِيرَاثَ
 حَتَّى يَدُومُوا فِي هَذِهِ الدِّيَارِ الَّتِي وَرَثُوهَا - يَقُولُ اللَّهُ - وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ - وَيَقُولُ فِي آيَةٍ
 أُخْرَى - إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقِيينَ - فَالْمِيرَاثُ لِلَّهِ وَهُوَ يَعْطِيهِ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ
 عِبَادِهِ - وَمَهْلُومٌ أَنَّهُ حَكِيمٌ وَالْحَكِيمُ لَا يَعْطِي إِلَّا لِمَنْ يَسْتَحِقُّ وَيَنْتَعِزُّ مِنْ لَا يَسْتَحِقُّ (انْظُرِ الْخَرِيطَةَ فِي الصَّفْحَةِ
 التَّالِيَةِ شَكْلُ ١٤)

تمامه وكاله الاتحاد في الأعمال وفي النظام العام وقد تم هذا فعلا فقد كانت هذه البلاد التي أمامك في الخريطة في بعض العصور الأولى تحت نظام واحد فقد كانت تمتد من مراکش بل من الأندلس وتنتهي إلى بلاد الهند وذلك نحو ثمانين درجة في الطول فثأمله . حقيقة هذه هي الرحة . أمم مختلفة اللغات والأحوال تجتمع تحت قيادة واحدة وتصلى لقبلة واحدة . هذا هو التوحيد وهذا هو النظام . ولكن انظر ماذا جرى . قام أهل الدين بعضهم على بعض فقلب العباسيون الأمويين على الملك فتمزق الشمل وأخذت الأطراف تفصل من الأصل وهكذا واستمر ذلك إلى اليوم ثم نسي المسلمون أنهم أمة واحدة وتمزق شيعا وذاق بعضهم بأس بعض . فإذا جرى . جاءت الحرب الصليبية بألم صلاح الدين الأيوبي في فم كان للمسلمين إذ ذاك جامعة قوية بل كان ملوك المغرب الأقصى غير مباينين بما جرى لاختوانهم في الشام ومصر مع أن اللغة واحدة والدين واحد والقبائل أكثرها عربية ثم نظرت في أمر هذه الأمم في أيامنا هذه . هاأنذا في مصر وجدت فيها ونظرت في أمر أم الاسلام . فإذا وجدت . ألفت أبناء مراکش وأبناء الجزائر وأبناء تونس وأبناء طرابلس وأبناء مصر وأبناء الشام وأبناء اليمن وأبناء نجد وأبناء الحجاز وأبناء البحرين وأبناء العراق وأهل السودان المصري . وجدت كل هؤلاء لهم دين واحد ولغة واحدة وبلاد متصلة ولكن وجدتهم لا يعرف بعضهم بعضا . تقوم الحرب في مراکش أوفى مصر أوفى الجزائر فلا يهتم مسلم عربي بما حل بأخيه المسلم العربي من شؤم وذلك مع اتحادهم (لغة ودينا وأصلا وتجارهم ديارا) فهم متعدون في أربع خصال . ولكنهم يتجهلون مابه توصلهم وهم متخاذلون . وإذا كان هذا في أبناء العرب وحدهم فكيف يكون الأمر فيهم مع غيرهم من أمم الفرس والترك وأهل جاده وسومطره تلك الأمم الاسلامية البعيدة الاقطار . ثم اني نظرت في الأمم كلها فرايت أمم الصين واليابان والاسبان والفرنسيين وهكذا متحدين أي أن الناطقين بلسان واحد وهم من أصل واحد قد جعلوا لهم مملكة واحدة فجبت كل الحب للأمم الاسلام عموما والأمم العرب خصوصا

وقد جاءت الأخبار يوم الجمعة ١١ مايو سنة ١٩٣٨ بما حصل في بلاد الصين . تلك البلاد المترامية الأطراف البعيدة لاكتشاف التي انقسم أهلها إلى فريقين في فريق أهل الشمال وفريق أهل الجنوب وقد تخصم الحزبان واقتتل الطرفان لاصلاح البلاد . ولما أراد أهل اليابان التدخل في أمرهم وحاربوا أهل الجنوب وقالوا اننا تحتل أرضا بين الفريقين ليطالوا الحرب بينهم . لما قالوا ذلك مارسع قائد الشمال إلا أن أعلن انه أبطل الحرب لأنه انما يحارب لحفظ البلاد وأن تدخل اليابان أوجب على أن أصلط مع أبناء بلادى . ومعنى هذا أن ذلك القائد يريد فعلا أن ينضم إلى خصمه لأنه لا يريد أن يدخل العدو أرضهم وهذه مكرمة عظيمة وشرف نفس وهمة عالية وم استفاد هذا سواء أتم مايقوله أم لم يتم فنحن لانعلم الغيب . أقول ان القوم استفادوا هذا من العلم . إن العلم هو الذي يجعل الأمم متحدة . أعد نظرك في الخريطة مرة أخرى وانظر بلاد الصين التي أرادت أن تتحد اليوم . أليست ترى أن بلادها تمتد نحو ثلاثين درجة أمامك في الخريطة من درجات العرض أى من نحو درجة (٢٠) في العرض الشمالى إلى درجة (٥٠) ثم انظر إلى بلاد الاسلام كرة أخرى كيف اتحدت في العصر الأول وفي بعض الثاني وهي تمتد في درجات الطول نحو سبعين درجة

باعتبار كل العجب إن الاتحاد وعموم الرحة المحمدية ظهر بكاله في القرون الأولى كيف تكون أمة واحدة تشغل سبعين درجة من الأرض . إذن الاسلام جمع أمانى أرض أوسع من أرض الصين أكثر من مرتين أما الآن فإذا جرى تحاذل المسلمون ذلك والله لاجهل ذلك الجهل الذي خيم على أقطار الاسلام وأذكرك بما تقم في هذا التفسير أن أبناء العرب لما طردهم الاسبان من الأندلس ورجعوا إلى شبال أفريقيا نبذهم أبناء البربر هناك نبذ النواة وحقوقهم أجمعين ولم يقبلوهم إلا بعد أن أخذوا أموالهم وتقدم أن (سدبو) الفرنسي قال «مع أنهم أيام موسى بن نصير وطارق بن زباد وكانوا أمة واحدة» أقول وهذا قوله تعالى

— إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال —
 ظهر الحق أيها المسلمون . أنتم قوم لم تتعلموا والذي أضربنا اننا قوم جاهلون نأثمون . ظن كثير من
 أسلافنا أن المقصود من الخلافة أو الإمارة إنما هو أن يعيش الأمير والخليفة عيشة الترف والتعميم والفراغ تجي
 اليه ولم يعلموا أن نفس الترف هو الداعي الى سقوط الأمم والسرات في اللذات والهووان

للهم إني أبرأ اليك من السكتان . اللهم إني بينت في هذا التفسير داء المسلمين ودواهم في أكثر سور
 كتابك . اللهم انك أنت الملهم المعلم ولقد بعثت في نفسي شوقا قلبيا وغراما وولوعا بالنظر العام في أم الإسلام
 فيها أناذا أدعوهم الى العلم والحكمة . اللهم إني أخطب بهذا كل ذكي مطلع فاهم ما أقول . اللهم إني
 أنذرت وحذرت وأنا تارك هذه الأرض وذاهب اليك وقد تركت هذه الآراء لأذكيا . المسلمين فأصبح كل
 من اطلع على هذا القول وفهم ما أقول وأيقن به مسؤولا عن نشره بين المسلمين عموما وبلسانه وبقلمه وبماله
 وبأصحابه وبأهل وطنه

أيها المسلمون . ما فرقكم إلا الجهل وهذه البلاد التي ملكتموها شرقا وغربا اذا بقستم على ما أنتم عليه
 من الجهل أو قال كل امرئ منكم ﴿ يارب نفسي نفسي ﴾ وترك حبيل الأمة على غارها فاعلموا علما ليس
 بالظن أن الله يسترد منكم ميراثه الذي ورثكم إياه . ألم تعلموا انه هو الذي أدخل فرنسا واسبانيا في مراكش
 وفرنسا في الجزائر وتونس وإيطاليا في طرابلس والآنجلز في مصر والفرنسيين في الشام وانما أدخلهم في هذه
 البلاد الإسلامية ليوقفكم أيها المسلمون الى قراءة التاريخ والعلوم . هنالك تعرفون أن لغتكم ودينكم
 وأوطانكم وأصلكم واحد ولست كنتم لم تتعلموا ومن تعلم منكم لم يفكر ففكرا علما في هذه الأمم ولم يتحلى أبناء
 العرب أن يروا الصين المتراصة الأطراف قد ماتت للاتحاد وذلك بالعلم . اللهم إن كل من قرأ هذا التفسير
 وهو موقن به مسؤول عن نشر الفكرة . فليعلم المسلمين في أقطار المعمورة أن يعم التعليم الرجال والنساء
 وأن يكون شاملا لخلاصة التاريخ والجغرافيا وسائر العلوم الرياضية والطبيعية والسياسة العامة وليعلم أهل السنة
 والشيعية والزيدية والوهابية وغيرهم أن هذا التناذر والتباعد بين الأمم الإسلامية سببه الحقيقي هو الجهل . الجهل
 هو الذي أحاط بالمسلمين والافتكاف نسيم ما يتحلى في أم الإسلام إذ يشاع من وقت لآخر أن يقال إن أصحاب
 مذهب من المذاهب الإسلامية يكفرون أصحاب المذهب الآخر ويستحلون قتله وأخذ ما لهم وهذا حصل فعلا
 في أوقات مختلفة جهالة وغرورا بل إن بعض أبناء العرب أنفسهم يكفر بعضا آخر لأجل المخالفة في بعض أمور
 دينية . واعلم أن اختلاف الأمم العربية في القرون للتأخرة لا يختلف عن اختلافهم أيام جاهليتهم وقد أوضحت
 هذا في سورة ﴿ آل عمران ﴾ ايضاحا تاما فالجاهلية من العرب كانوا مختلفين وهكذا جاهلية المسلمين اليوم
 فهم مختلفون إما لمذهب اتبعوه أو لرأي أوجوه أو هو لزموه

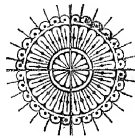
أيها المسلمون . أليس فيكم رجل رشيد . أليس فيكم أولو بقة ينهاون عن الفساد — في هذه
 الأرض التي ملكتموها . اسمعوا يا أبناء العرب خصوصا ويا أيها المسلمون عموما . هاهم أولاء الفرنجة
 يحيطون بكم من كل جانب وقد ملكوا كثيرا من بلاد أبناء العرب ومن بلاد غيرهم أنذركم صاعقة العذاب
 الهون عذاب الخزي في الحياة الدنيا وأنذر كل ذكي عالم موقن بما أقول انهم إن لم يجمعوا شملهم ويملوا
 شعنتهم ويعلموا على رؤس الأشهاد التعليم العام الذي ذكرته في هذا التفسير كما تعلمت جميع الأمم فان الله يغضب
 غصبة لا تقوم للمسلمين الحاليين قائمة بعدها ويملك أرضكم ودينكم لمن يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وإيس
 هذا الدين خاصا بكم فقد أخذ ينشره الله الآن في بلاد أمريكا واليابان والصين . فاذا أنتم لم تسمعوا ما ذكرته
 لكم وهو الارشاد للتعليم العام فالعذاب واقع ماله من دافع أي عذاب الخزي في الحياة الدنيا بالاختلال ثم
 الاحتلال وأشد العذاب يكون واقعا على أولى العلم واجاد الذين يعقلون هذا ولا ينشرونه بين المسلمين

هذا وأختم هذا المقال بأنه لولا اننى قد بشرت من الله بما يفيد قبول دعوتى للمسلمين ولولا أنه هو بعد هذه البشارة وفقى لكتابه هذا ولولا أنه هو الذى وفقى أناسا لطبه ونشره ولولا أنه هو الذى حبب كثيرا من المسلمين فى قراءته . أقول لولا ان الله هو الذى فعل ذلك كله ما قدرت على شئ من ذلك . أفلمست على حق اذا بشرت دعاء الاصلاح من قراء هذا التفسير بالنجاح والفلاح . بلى . اننى أبشرهم بالسعادة والنجاح والاصلاح والقبول والحمد لله رب العالمين

﴿ تذكران ﴾ الأولى فى قوله تعالى - حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج - الخ ﴿

أذكرك أيها الذى بما تقدم فى سورة (الكهف) فهو هناك مستوفى
 ﴿ الثانية ﴾ فى قوله تعالى - إن فى هذا لآيالا لقوم عابدين - وبيان أن هذه العبادة هى الواردة فى قول المصلى - إياك نعبد - وهذه الجملة جاءت بعد بيان أن الحمد يختص بالله رب العالمين وهذا الحمد لا يتم إلا بقراءة عاوم هذه الدنيا ولا يكاف الله نفسا فى هذه العاوم إلا وسعها . انتهى

(تم بحمد الله وحسن توفيقه الجزء العاشر من كتاب ﴿ الجواهر ﴾ فى تفسير القرآن الكريم
 ويليه الجزء الحادى عشر وأوله تفسير سورة الحج)



(اخطأ والصواب)

غلبنا التصحيح ففاننا سقط وأشياء أخرى يدركها القارئ بلاتنبية ه وهذا جدول مما عثرنا عليه من ذلك

صواب	خطأ	سطر	صفحة	صواب	خطأ	سطر	صفحة
بأم	يا أم	٢٨	١٢٧	في معاومات	معاومات	١٤	١٥
ونجارة	ونجارة	٢٣	١٤١	الى حصول	حصول الى	١	٢٠
كثمره	كثمره	٢٤	١٤٣	توحيداً	توحيد	٣	٢٣
نغربت	نقويت	١١	١٥٢	صصه	حصه	١	٣١
وفي المثل	وفي الأثر	١	١٧٠	٤٨	٤٢	٣٢	٣١
والكاكاو	والكاكا	٣٤	١٧٠	باللغات	للغات	١٧	٣٣
ونجاري	ونجاري	٣٩	١٩٥	هم	هم	١٢	٣٧
الجبعة	الجبعة	٢	١٩٦	جوريس	جوريس	١٣	٤١
الصلاة	الصلات	١٤	١٩٦	الجنة	الجنة	٧	٤٣
الصلاة	الصلات	١٥	١٩٦	اشراقا	شراقا	٢٩	٤٤
الصلاة	الصلات	١٥	١٩٦	وترقيه	وترقية	١٣	٥١
مشاهدة أثر	مشاهدة	٢٥	١٩٧	بعم	العلم	٨	٦٥
غيبه مشهده	غيبته ومشهده	٢٦	١٩٧	وحضر	وحصر	١٠	٦٥
هذا العلم	هذا العالم	٤	١٩٩	الذي	التي	١٤	٦٩
لم يبينوا	لم يبنوا	١٢	٢٠١	وانتقش فيها	وانتقش فيه	٧	٧٣
القوس	القوس	٨	٢٠٣	تقلبنا	تقلبنا	١٤	٧٥
كونفسوس	كونفسيرس	٢٠	٢٠٥	تتحرك	تتحرك	٧	٨٢
الخبر	الخبر	٢١	٢٠٥	المالي	المائي	١٢	٨٢
وقبل	وقبل	١	٢٠٦	السندال	السندان	١٨	٨٢
أصلها	أصلها	١٥	٢٢٢	فس	زس	٢١	١٠٥
أرسطاطاليس	سقراط	١٩	٢٢٣	أمة	الأمة	٢٢	١٠٨
تعب المكارم	شرف المتاعب	٢٧	٢٢٣	اللسانس	الساس	٢٣	١١٦
الكتاب	التفسير	٧	٢٣٠	أرضين	أراضين	٢٧	١٢٤
رقهم إلا بأقرب	في رقيمهم أقرب	٧	٢٣٠				

(تمت)

— فهرست الجزء المأثور من كتاب الجواهر في تفسير القرآن الكريم —

تحفة

- ٢ ﴿سورة مريم﴾ وهي ﴿قسمان * القسم الأول﴾ في ذكر سبعة أنبياء ﴿القسم الثاني﴾ نتائج أجاوبهم ذكر آيات القسم الأول مشكلا الى قوله - ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا -
- ٤ التفسير المفطلي لهذا القسم
- ٦ في هذا المقام ﴿أربع لطائف * الطائفة الأولى﴾ في قوله تعالى - إذ نادى ربه نداء خفيا - وبيان أن حقوى هذه الآية أن الانسان اذا قصد بالدعاء خدمة الناس أجاب الله دعاه . و بيان جواب الروح المستحضرة لمن سألها قائلة ان حب العلم وحب الانسانية وصفان يحبيان الله والملائكة فيمن اتصف بهما ﴿الطائفة الثانية﴾ في قوله تعالى - قال آيتك ألا تكلم الناس - و بيان أن هذه الآية تتضمن علما كبيرا ظهر في زماننا (وملخصه) أن حفظ الآراء بالصمت تنفط للنفس قوة تؤثر فيمن حولها بالحجة والاكرام بسبب المغناطيسية المحفوظة في النفس
- ٧ ﴿الطائفة الثالثة﴾ في قوله تعالى - والسلام على يوم ولدت ويوم أموت - الخ و بيان أن سلام ذكر باعلى نفسه له نظير في الاسلام وهو سلام المسلم على نفسه وعلى نبيه وعلى عباد الله الصالحين . فهو إذن وأهل الايمان في امان متى أيقنوا بمعنى - الحمد لله رب العالمين - وأن التحيات لله لأن ذلك يدل على رحمة تفوق الوصف . إذن لابد من معرفة العالم ليعقل ذلك
- ﴿الطائفة الرابعة﴾ في بيان أن أكبر علماء الطبيعة في انكثارها أثبت عالم الملائكة وانهم يهتمون بنا تفسير قصص مريم وعيسى عليهما السلام تفسيراً لفظيا
- ٩ أسئلة وردت على المؤلف فيها أمور جلية وأسرار تسمى المفكرين مثل ان ظهور الملائكة للناس أمر غير معقول والاجابة عليه بأن أرواح الأشرار ظهرت في تحضير الأرواح فالملائكة من باب أولى لبقوتهم العظيمة وشرح هذا المقام شرحا وافيا مثل ان الأرواح براها أكثر الناس وقت النوم والنادر براهم وقت اليقظة على شرط أن يأذن الله لها بهذا الظهور للنفع أو للضرر . وكلما ارتقى الروح استعدت لمناجاة الأرواح
- ١١ وبيان أن الروح قد يحجب باللفظ وقد يحجب بالانتقال الفكري وظهورها بأجنحة مثلا يكون رمزا لطبقته والروح في الحلم كثيرا ما يكون هو نفسه والانسان على الأرض يحجب علاقاته مع الأرواح . وبيان أن سهولة الرؤى في المرض وفي الليل لضعف ارتباط الروح بالجسد وأن الروح لا يراه الوسيط إلا في حال قريبة من الانحطاط ويقط بل يندرفي الناس من يرى الأرواح جهرة
- ١٢ والروح ترى بالهيئة البشرية والأنوار المتصاعدة من المقابر معروفة للناس فليست أنوار الأرواح وقد يمكن الروح نادرا أن يظهر هيئة حيوانية وبيان (الحديث السابع) من كتاب المذهب الروحاني وذكر ما اتفق لشاب في سن التاسعة عشرة في جزائر (زيلنده) إذ اتفق مع أصحابه أن يذهبوا لصاحا للصيد في جزيرة في البحر فسمع هاتفا يحذره من الذهاب معهم فامتل وغرق أصحابه ضحى . هكذا السيدة (كايدلى) وقت الاستحمام سمعت هاتفا حذرها فنجت من الملاك
- ١٣ القصص في التعليم أشبه بالكهرباء والعقول في قبول العلم ﴿قسمان﴾ سريع وبطيء كالأجسام في قبول الكهرباء . القصص كالأحلام صادقة وكاذبة والكاذبة أكثر والصادقة كقصص القرآن
- ١٤ الأذكى والبلاء من بنى آدم يحبون القصص وهذا القصص يورث التعجب وكلما كان التعجب أكثر كان الانسان أقرب الى العلم بمقداره وبضدها تميز الأشياء . فالقصة تقوى الخيال في الصغر وبهذا يستعد

العقل للعلم في الكبر . و بيان ملخص ماجاء في السور السابقة على (مریم) من ذكر العلوم الطبيعية و بيان أن عجائب السموات والأرض أرق من هذه القصص لأن علم الله لا يتبسط وأنها إذا تعجب من أمر عيسى يقال له فلتعجب إذن من الأشجار فمنها ما يلقيها الهواء كالسوط والقار . ومنها ما يلقيها الحشرات كالشجر الفاكه وذكر الشابة التي تدخل الزهرة لتستدفئ فتسكن سببا في الاقلاق ثم تخرج وهكذا ذكر نوم الزهر واستيقاظه مختلفا باختلاف أنواعه مقمرا باستيقاظ الحشرات ونومها . فهذا كله أعجب من أمر عيسى مثلا الذي ذكره الله في القرآن ليفتح للعقول هذا المجال . إذن عجائب الطبيعة تفوق الوصف وما خرج العادات إلا إيقاظا لأمثال هذا

١٧ كيف تقرأ سورة (مریم) و (الكهف) في الزهر . وكيف ذكر الله النحلة رمزا لذلك . و بيان أن امتياز النحل انفصال ذكره عن إناثه مماثل امتياز مریم عن النساء بأنها حملت بلا ذكر و بقية النبات تجد ذكرانه وإناثه في زهره في نبات أزهريتين فيه وهكذا . وهنا ﴿ثلاث جواهر * الجوهره الأولى﴾ في قوله تعالى - ذلك عيسى ابن مریم - الخ و بيان أن احتياج الأنثى للذكر عام لأجل النسل ولو بطريق عالم المثال كبریم وأن في عالم الحيوان مملكة عظيمة تقوم الأنثى فيها بالحل والتربية بلا ذكر فلاندرى هل تمثلت ذكر كبریم أم فيها قوة الإناث وقوة الذكور ، إذن الله يقول للناس ان المألوف عنكم يجب أن لا يحكم عليكم . ألا ترون مریم ونظيرها في المملكة الحيوانية المحار والودع وأم الخلول . و بيان وصف حيوان المحار وأنه ذو ﴿ثلاث رب﴾ ذوالصدفة وذوالصدفتين وكثير الصدف وجميع أنواعه تقوم الأم فيها مقام الأب والأم مع كسالة مریم و بيان نظام هيكل هذا الحيوان و بيان أن دمه عديم اللون وأن له عرقا يوصل الدم إلى أعلى وعرقا يوصله إلى السكب وعرقا يوصله إلى سائر الجسد وله أمعاء وكبد وقلب له أذنان ويطيان مثل كل حيوان

١٩ وأن الحيوان الواحد منه قد يبيض ألبي ألب بيضة وهذا البيض لاتراه العين ويرى كإربي يبيض السباح ويمك أولا في طبقات غشاء المحار التي لاتراه العين ثم تلتقط الأم عند الفقس جميع صفارها في الماء وهذه الصفار التي لا تميز إلا بالمظهر المعظم تسبح في الماء بشعور دقيقة وتحتمي بأمنها من نوايب الدهر ومعنى كبرت أزال تلك الشعرات ولصقت ببعض الصخور والأحجار . ومن المحار (الودع) ﴿الجوهره الثانية﴾ في عجائب العلم الحديث و بيان توليد الحياة بطريق كيميائية . ذلك أن المستر (مازور) يقول انه أخذ مجموعة من بيض (القوقعة) ومنجها بالكالسيوم فأصبح الجميع بعد أيام قووقات طبيعية حية . ويقول إن هذه تثبت نظرية التولد الثاني وتدحض مايسمونه مذهب (داروين) . ويقول أيضا انه مزج الغراء المعروف (بالماء المقطر) مع حمض الفينيك وعلى الجميع على النار فلما برد صار خلايا صناعية الخ

٢١ و بيان أن هذا القول ان صح فلم يفعل شيئا أكثر مما قاله عاملا أن كل حيوان خلق أولا في خط الاستواء إذ كانت الأحوال ملائمة وقد فات ذلك الآن وهذا الشاب يقول انه ركب تركيبا يناسب تلك الأحوال بعض المناسبة وتبين أن الله كأنه يوجه المسلمين بقصة عيسى التي ظهر سرها على يد المسيحيين فالسالمون كانوا أولى بذلك من الاستاذ (لوب) الذي بحث حيوانا بحريا نسميه في مصر (ترسا) إذ أخذ بيضه وصب عليه لقمعا مزجوا بماء البحر ففقس . وهكذا فعل في حيوان يسمى (التوبا) إذ نجو بغير تلقيح . وهكذا فعل في الضفادع . إذن أثبت أن الحيوان له أم وليس له أب كما نقم في (المحار) هنا وكما تقدم في أول سورة (الأنفال) من وجود حشرة لا أب لها غالبا

٢١ سر الوجود الكهرياء والأرواح . و بيان أن الكهرياء في كل مكان ولا تظهر إلا بالتفاعل . هكذا النفس الكلية المحطة بالأكون لا تظهر إلا إذا حصل التفاعل في أجسام فاستعنت لظهورها والكهرياء أثبتت سالباً وموجباً والحيوان جاء ذكراً وأنثى وهكذا النبات . وكما تختلف الكهرياء قوة وضعفا عند ظهورها هكذا تختلف الأرواح . فالمدار إذن على الاستعداد بذلك التفاعل

﴿ الجوهرة الثالثة ﴾ في قوله تعالى . قال إني عبد الله أتاني الكتاب - الخ . بيان أن كل دين نزل من السماء في أرضنا يختلط بأوهام الناس وخرافاتهم على مدى الزمان كدين (زردشت) وديانة المجوس والآشوريين والبابليين وخرى يستأ بالهند وقبلة البراهمة وقبلهم (كتاب الشيدا) الخ لذلك أنزل الله هذا الدين . وتبيان مقاله اللورد (هيدلي) الإنجليزي في تأليفه المسمى ﴿ ايقاظ الغرب للإسلام ﴾ في شأن المسيح وصلبه وأن هذا الصلب وروايته منقولة من لوحين بابليين مكتوبين بالخط الآشوري عثر عليهما الألمان سنة ١٩٠٣ وستة ١٩٠٤ في بلاد الآشوريين وفيها أن (ييل) سيق أسيراً وحوكم وضرب وتأمروعه شريان ولما صعد على الرابية زلزلت المدينة وأخذوا ملابسه وبكت عليه امرأة ثم رجع إلى الحياة في يوم صار عيداً كبيراً عند البابليين . وهذه القصة هي قصة المسيح سواء بسواء . وهنا قال اللورد هيدلي ﴿ من أين أتت عظمة المسيحية وقد رأينا روايته موجودة قبل ظهوره بألف سنة ﴾ وهنا خاطب أوروبا قائلاً ﴿ هذه حكاية من حكايات ملاجي الأطفال ولاخلاص لكم بالأم للمسيح بل بعملكم الروحي بأنفسكم كما جاء به الإسلام ﴾

٢٥ بيان أني أنا (مؤلف التفسير) قد اجتمعت به وذكر لنا تاريخ حياته . وبيان أن هذا هو الزمان الذي ظهر فيه سر قوله تعالى - ثم إن علينا بيانه - وقوله - سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - وأن الأستاذ (سنتلاند) الطلياني أبان أن فلاسفة أوروبا لم يصالحوا لعشر معشار معرفة (سقراط) و (أفلاطون) في مقصود الفلسفة الحقيقية وهو معرفة الله والنفس ونحو ذلك وأن نبوغهم إنما هو في الأمور المادية الحيوية وأن نسبتهم إلى أولئك كنسبة البقرة إلى الفيل . ولذلك قات ﴿ يا أمة الإسلام . ديانات الأمم اليوم خرافاتها بافراهم هم وعلمائهم . فعلينا إذن أن نقرأ كل علم ونعلم الأمم ديننا مزجاً بالعلم فإن بعض أسلافنا الشرقيين جالوا ديننا مخلوطاً مشوهاً وأنوا لهم بنى لم يصب ولم يضرب وقالوا لهم قد صلب ﴾ جوهرة في قوله تعالى - ما كان لله أن يتخذ من ولد - إلى قوله - مستقيم -

٢٦ وبيان أن هذه الآية متصلة بآخر سورة (الاسراء) وأول (الكهف) وآخرها وأول سورة (مريم) إذن اتصلت السور الثلاث بهذه المعاني المتحدة . وبيان أن القول هنا هو عين الكلمة في سورة (النساء) والكلمة إحدى كلمات الله التي في آخر سورة (الكهف) ولانهاية لها . فناعيسى إلا كلمة واحدة من كلماته . إذن هو كغيره في كونه كلمة وقد تجلت عظمة الله في هذا العصر . كيف لا والجوزاء أكبر من شمسا (٢٥) ألف مرة . وبيان ما ترتب على جهل الإنسان قديماً وحديثاً

٢٧ كلمات الله مطربات منعبات ولكنها تدرك بالبصر وكلمات الإنسان تدرك بالسمع أعني أن هذه العوالم منظمات مطربات بنظامها للفكرين وحدهم كما أطرب الصوت الناس أجعين . ووضح جهل الإنسان في العصور السابقة . بحث عن ربه بنظر لا يزيد عن نظر الخفاش فظنه المسيح ابن مريم مع أن الأرض ومن عليها من المسيح وغيره كلمة من كلماته التي لانهاية لها وهذا قوله - قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم - الخ . فالأمم قبلنا لم يتعمدوا المخالوq إلى الخلق لأنهم رأوا كلمة من كلمات الله أطربتهم بمعجزات وحكم لانفتاح صوتية شجية خضروا فيها أفكارهم كما فتن أهل الهند

ببؤا وأهل بابل وآشور فتنوا بن اسمه ابن الله وكذلك أهل (المسيك) . وهنا عجب . تشابهت قلوب الأمم تثلثا ونوبة وصلبا . هذه جهالة الانسان في (٥٠) ألف سنة أو (٣٠٠) ألف سنة الاسلام أخرج الانسانية من الظلمات الى النور . كسر الاسلام الأصنام كما فعل الخليل . إذن نظر لسكل حجر وشجر وحشرة ويقول ان جلاله اذال على جبال خالقتها ولا تقف عند شئ منها ولأن الشمس ظلمت معبوده لم يعرف الناس هذه الكواكب العظيمة التي هي أكبر من الشمس بمقدار آلاف الآلاف وأيضا ظهر للناس أن الاعتقاد بأن الله خدعة من خدع العقل كالتخداغ الذين فترى النور الصغير في ظلام الليل كبيرا وهذا القول ينطبق على المفكرين . فأما عامة المسيحيين فلا زالوا على ما كان عليه آبائهم ولو كان عيسى أو غيره ابنا لله لوجب علينا أن لانتعذى قوله إذن نقرأ كل علم قرينا . وترى الجهال من المسلمين وقت عقولهم على بعض شيوخ الصوفية الجاهلين أو على بعض الآراء . وترى الفقيه يرى الفقه كل شئ وهكذا . اقرأ هذا المقام في سورة (آل عمران) عند قوله تعالى - وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون - وبيان أن من وقف على مذهب واحد ولم يرفع رأسه الى أصل الدين ونظام هذا العالم فهو مغرور والمسلم له اخوان في دينه واخوان في وطنه واخوان في نوع الانسان كله وهكذا يجد المسلم انه مرتبط بالحيوان والنبات والعوالم الساكنة في السموات ويدرس الكواكب ليشتاق اليها و يعلم أن هناك رابطة بيننا وبينها . تفصيل لبعض الاجال

٣٠ الموسيقى في الأصوات وبيان أن القرعجة جعلوها من العاوم الطبيعية والمتقمنين جعلوها من العاوم الرياضية . وبيان تاريخ الموسيقى كأخذه عن العنديلين والطرار والهواء الداخل في المنافذ وطرق الصين والروم ، والآلات ﴿قمان﴾ ذوات الأوتار كالعود وذوات النفخ كالأرغن ويجمعها الطبل والزمار ٣١ آلات الصوت في الانسان سبع أولها تجويف الصدر وآخرها الأنف . مجل السمع الانساني ١١ ديوانا ولكن المجل الاعتيادي عشرة دواوين من (١٦) موجة في الثانية الى ١٦٣٨٤ فيها وليس للموسيقى إلا السبعة الأولى منها من ٣٣ في الثانية الى ٥٩٦ . خاق الجنين في رحم أمه جار على هذا النوال فيبضه تقسم ٢ - ٤ - ٨ - ١٦ وعلى هذه الطريقة مسألة الشطرنج في حبات القممع التي اخترعها الحكيم الهندى التي ستأتى في سورة (طه) . بيان أن الحكمة جاءت في الكتب القديمة كما جاء في (ويليام) و(فشتوربورا) وهكذا ينف وأر بعون كتابا وهي ناطقات كالمثلثات وبالروح القدس وهكذا قبل المسيح ٣٤ كشف ضمه له ثلاثة رؤس بالهند . ببؤا مصور بحال الذكورة والانوثة . الأول والثاني والثالث كل واحد مشتق من قبله عند قسما المصريين ، الكلمة لاهوت عندهم هي ابن الله في زعمهم ومردوخ هو الكلمة وابن الله البكر عند الآشوريين

٣٥ قصة ابراهيم الخليل وتدفيرا

٣٦ ﴿لطيفتان * الأولى﴾ في قوله تعالى - ياأبت إلى أخاف أن يمسخ - الخ وبيان أن الجوع والشبق والمرض كل هذه خلقت لمنفعتنا في الدنيا ففتدى ونلد وتداوى . وهكذا ذوا العقول يأمنون للجوع ويفرحون بالعلم كالم الجائع وسروره . كل هذا عذاب من الرحمن لامن الجبار . فاعجب كيف تكون هذه المعاني في هذه الجلة

٣٨ ما الطرق التعليمية لرفى الاسلام حتى يستحقوا أن يكونوا - خير أمة - ذلك بدراسة تشوق الى مكارم الأخلاق والى عاوم الفلك والطبيعة

٣٩ يقول المؤلف إن هذه الطريقة سيقروها الناس وسيعملون بها وسيرتقون

- ٤٥ قصة موسى عليه السلام وتفسيرها وقصة اسماعيل كذلك وإدريس
- ٤٦ آثار النبي إدريس وأنه قد نسب إليه أنه أول من غاط الثياب الخ وهكذا علم الفلك نسب له وتقسيم الدائرة
- فارتفعت الأمة المصرية وإليه الإشارة بقوله تعالى ... ورفعناه مكانا عليا ... وأمم الإسلام لم يعض لها
- زمن طويل
- ٤٧ ذكر الصالحين المضلين بعد الصالحين وتفسير ... نطف من يمدهم خاف ... إلى آخر القسم الأول
- ٤٨ ﴿ القسم الثاني ﴾ من السورة من قوله تعالى ... تلك الجنة ... إلى آخر السورة مشكلا
- ٤٩ التفسير المغننى للقسم الثاني من السورة
- ٥٠ بيان أن بني آدم معدون في الدنيا وبعضهم يمتد عذابه في البرزخ وبعضهم يمتد إلى الأبد
- ٥١ نصيحة للمسلم أن لا يتكلم على الأحاديث المسهلة للناس فيها أحاديث ضعيفة ومنها ماله عمل خاص
- طرق التهذيب لإدريس وترغيب وبيان حديث البخاري ومسلم ﴿ إننا نرى ربنا الخ ﴾ وفيه إن الناس
- يجوزون على الصراط
- ٥٢ آثار هذا الحديث في الدنيا وسر من أسرارهم وتطبيقه على أحوال الناس في الدنيا مثل أن نتخطفنا
- الهموم المختلفة في الدنيا مثل الكلاليب يوم القيامة الخ والتوسط في الأخلاق يشبه الصراط على جهنم .
- ثم إن عباد الأصنام ونحوها يرونها آلهة يوم القيامة والمسلم يقول: ليست آلهتنا . وإذا سئح للمسلم المتصوف
- خيال فلا يجوز له أن يتخددع به على هذا النوال وبيان حياة الخارجين من النار
- ٥٣ بيان أن حال آخر أهل النار دخولا تناسب حال الإنسان في الدنيا فهو دائما طالب للزبد
- تفسير قوله تعالى ... وإذا تنلى عليهم آياتنا ... تفسيرنا لفظيا إلى آخر السورة
- ٥٤ لطيفة في قوله تعالى - إنا أرسلنا الشياطين على الكافرين - وبيان أن هذا المقام مشروح في هذا
- التفسير في مواضع كثيرة وأن علم الأرواح أظهره (ومثال ذلك) أسئلة وأجوبة كثيرة بين علماء أوروبا
- والأرواح تبلغ (٤٥) سؤالاً ومثلها الأجوبة وفيها حكم كثيرة مثل أن الأرواح العالوية تحب الخير ومثل
- أن العلم وسعده لا يرفع الروح وأن الكبرياء هدم لشرف الإنسانية وأن الأرواح السكاذبة تعاقب وأت
- الأرواح الصالحة قد تفلت لقص عليها وأن الأرواح الشريرة تزرع الفساد في الأرض والأرواح العالوية
- تهدي الشريرة وقاصر الفهم من الأرواح إذا كان متواضعا ينقاد لمن يفهمه وبيان الحضار الفسكوى وأن
- الروح قد يمنع من المتاجرة عقابا له وشروط الاستحضار والأرواح تسمع طالعها مهما تبعاعدت والأرواح
- تهاب الوسيط الفاضل . ثم إن الطلاسم ونحوها لا تؤثر في الأرواح والروح العالوية يحضر مجالس كثيرة
- في آن واحد لأنه كالشمس . الأرواح النقية لا تحضر إلا قلوب نقية وتحضر روح الحي ولا تحضر روح
- الجنين وروح الحي قد يضرها الاستحضار مثل المريض والشيخ
- ٥٥ تطبيق هذه الأسئلة على ديننا الإسلامي . وبيان أن بعض ما تقدم بناسب قوله تعالى - وائل عليهم نبأ
- الذي آتيناها آياتنا - الخ أي قصة بلعام بن باعوراء وهكذا
- ٥٦ جوهره في قوله تعالى - فاختلف الأحزاب من بينهم - وذكر التثليث الذي كان عند قدماء المصريين
- وانهم أب وابن وأم . وبيان أن كناناس النصارى كانت مقسمة في القرن الرابع ﴿ قسمين ﴾ قوم
- يقولون إن المسيح إله وقوم يشكرون ذلك وكيف اختل الأمن بسبب ذلك وبيان ما كتبه لهم الملك
- (قسطنطين) ثم ما كتبه المؤرخون
- ٥٧ بيان نشاط ألوهية المسيح بعد موت (قسطنطين) وبيان الموازنة بين تثليث الهندوت وتثليث المسيحيين

- ٥٧ كيف ضلّ الانسان وغوى وما أصل التثليث عند الأمم
- ٥٩ ﴿سورة طه﴾ وفيها (ثلاثة مقاصد في المقصد الأول) مشكل الى قوله - له الأسماء الحسنى - والتفسير اللفظي له وبيان أن فوائض السور مقسمة الى قسمين ١٤ في القرآن و١٤ في أوائل السور وهي كنائز القمر عددا واختفاء وظهورا وأن هذا العدد هو الذي قدمه مهندس جمعية الأمم لاصلاح الشعوب في العالم واستحسنه الناس . وبيان أن نفس هذا العدد تام وماعنى التمام . وبيان أن الطاء والهاء في طه يرمران الى المقصود من السورة وهي لاعطاء الهداية في قوله - أعطى كل شيء خلقه ثم هدى - وهذا قد جعلت له المقدمة في أول السورة
- ٦٢ بيان أن النصائح تدخل ضمن القصص كما في - اذا الشمس كورت - فقد دخل فيها تحريم الولد في جلتين اثنتين من السورة . هكذا هنا دخل الاعطاء والهداية في خلال قصص موسى يخفى ذلك كل علم وكل فن
- ٦٤ بيان أن قوله - الرحمن على العرش استوى - ففتح باب المعرفة وظائف المالك والأمراء في الأرض فشكل من لم يكن منهم رحمة أخذ الله منه ملكه . فرجعه الله بها إلى كل مخلوق . وبيان أن قوله - وماتحت الثرى - ففتح باب علم الآثار وطبقات الأرض . وبيان أن سدّ الهرم عرفه الأوروبي وجهه المسلم وهو يتلوه في القرآن
- ٦٥ استبقت قبيل الفجر وفهمت من الوجود أن الكوكب الأصغر يكون أهله أجهل والأكبر يكون أهله أعلم وأن الأرواح تقول إن أرواحنا سنسبى هذه الأرض وهي ترتقي في العوالم العالوية
- ٦٦ بيان معنى - تزيلا عن خلق الأرض والسموات العلى - وأن أهل أرضنا المتمدنين منهم والمتوحشين متأخرون في الأخلاق . فانظر الى ملكة اشانتى الواقعة في سواحل بلاد الذهب وكيف يذبح كل أمير بعض عبيده في يوم مخصوص وكيف يشر بون المسكر في يوم العيد حتى يشعوا على الأرض وتلجسهم الكلاب وبيان عقابهم وديانهم وشيوخهم وانهم أقسام منهم من يعيشون في الغابات كبعض البوذيين وكيف تدفن المرأة مع زوجها وكيف يذبحون العبيد ليخدموا سيدهم الميت بعد الموت وكيف يكون للملك يوم واحد من السنة يقتل فيه كل من ظهر في المدينة فيفرون منها وهكذا وكيف تركهم أهل أوروبا لأجل أنهم لا يعيشون في تلك البلاد لأنهم يموت فيها نصف رجالهم كل سنة لعدم ملاءمة الجو . وبيان أن هذه صفحة من أخلاق هذا الانسان . إذن السموات هي العلى والأرض ضدها وهو المقصود
- ٦٩ ﴿المقصد الثاني﴾ من السورة والكلام على الفصل الأول والثاني من فصوله الأربعة مشكلا من قوله - وهل أتاك حديث موسى - الى قوله - لإله إلا هو وسع كل شيء علما - والتفسير اللفظي لذلك كله
- ٧٥ ﴿الطيفة الأولى﴾ في قوله - وهل أتاك حديث موسى - وبيان فائدة هذا الحديث في عصرنا وأن اشتعال النار في شجرة العليق فتح لك الباب على مصراعيه فاجلس كل يوم ساعة واذكر ربك حاضر اقلب فسترى فتوحا عليك به يستبقر قلبك كما استلزت شجرة العليق ومن لم يحب ارتقاء الأمة الاسلامية من المسلمين فهو ناقص عن هذه المعالي . وبيان حديث مسلم ﴿أهلك سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره﴾
- ٧٧ ﴿الطيفة الثانية﴾ في قوله تعالى - فألقاها فاذا هي حية تسعى - وأن في السادة من التزق والجانب ماهو أعظم من تزق عصا موسى بقدرة الله تعالى إذن ماجاء على يد موسى أقل مما جاء في فعل الله في عوالمه الجبية . إذن هو فتح باب لدراسة هذه الكائنات التي أبدعها الله

٧٨ نداء للأذكىاء و بيان أن المسلمين ناموا نوما عميقا وأن من وقفوا على عصا موسى وتركوا هذا الوجود فهم غافلون كأكثر المسلمين اليوم

٧٩ ﴿اللطيفة الثالثة﴾ في قوله تعالى - والسلام على من أتبع الهدى - وهذا السلام ظاهر في سلام المصلي

في صلاته على نبيه وعلى عباد الله الصالحين الخ ومعركة العوالم تزيد الإنسان أمانا لازدياد علمه بالله تعالى

وفي قصة موسى الأمان والسلام له في ﴿عشرة مواطن﴾ مثل إلقاء الحب عليه ورجوعه إلى أمه وهكذا

٨٠ ﴿الجوهرة الأولى﴾ - لعل آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى - و بيان أن في أضواء العناصر

الأرضية خطوطا سودا حين إيقادها بالنار هدتنا إلى أن نعرف بها عناصر الكواكب فهذا من هدى

النار وهكذا اهتدنا إلى مسألة الترييع في المسافة والجسر في أمر النار والكهرباء والجاذبية والنور

وهكذا وأن الحياة في الأرض لا تتم إلا بالحرارة وهي نارية وأن النار في الشجر جعل دليلا على البعث

لأن أجسامنا كالشجر والأرواح كالنار وهكذا رواية حتى بن يقظان التي ألفها ابن الطفيل فقد أظهر أن

الروح لا تكون في الجسم إلا حيث تكون الحرارة مناسبة في القلب ثم ترتفع إلى السماء في الأماكن

المناسبة لها . فهذا كله من سر - أو أجد على النار هدى - و بيان أن النار والنور والحرارة والكهرباء

والحرركات يرجع بعضها إلى بعض

٨٣ آية موسى في العصا وفي اليد وآية نبينا ﷺ إذ رفع إلى سكرة المتهى كلاهما كبرى وهاتان فتحتان

لنا باب العلوم ولا ينفع الناس بالآيات إلا إذا أثرت في عقولهم . أما الغافلون عن ذلك فلانفع لهم من

الآيات . فبهذه السموات وهذه الأرضون جميعها حاضرة ولكننا لا نتفح بها إلا بالبحث . فالله أرانا

الآيات العلمية في العلوم المنقولة عن الأمم ثم سلط علينا المدافع ليقول لنا ان لم تقرأ العلوم أهلكتمكم

على يد عبادي . و بيان أن الفهم تستخرج منه مئات الألوان والإنسان لا يتأثر إلا بأمر غريب

وأما بالتبحر في العلم والثاني هو المذللوب . و بيان أن الألمان يستخرجون من غاباتهم رب الورق

ومادة صنع الحرير فنه الورق ومنه الحرير فهذا عجب ومن الصخر ينبت الحرير الصخري المعروف بالكلام

على شجرة القشدة

٨٦ التفسير اللفظي لقوله - إنا قد أوحى إلينا - إلى قوله - وذلك جزاء من تركي -

٨٨ ﴿اللطيفة الأولى﴾ في قوله تعالى - قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه - الخ و بيان أن هذه الآية

أشبه بيت القصيد من قصة موسى واتصال هذه السورة بالسور المتقدمة من الحجر إليها وأن المواليد الثلاثة

رتبت في كل منها بترتيب خاص لحكمة وسورة الاسراء والصلوات الخمس والمحوارات مع موسى لما بين

الآيتين من علاقات العلم وقصص القرآن كالجمال الطبيعي وقصص (كبيلة ودمنة) كالحلى المصنوعة

بأيدي الناس والجمال والنبات في الزواج . هكذا في الجبال الحقيقي في قصص القرآن

من العصا والحية والجمال الصناعي بالروايات التي ألفها الناس أنتجا العلم الجم والحكمة . وكذا ان الشاب

والشابة في أول الحياة يقترنان للشهوة ثم ينتهي الأمر بالتربية هكذا هنا نسمع قصص القرآن ثم يتدرج

فيه إلى العليق الذي اقتدت فيه نار ثم ينتهي الأمر بالحقائق العلمية التي هي المقصود بالذات وهي النور

وسر النار

٩٠ ﴿اللطيفة الثانية﴾ في قوله تعالى - قال فما بال القرون الأولى - الخ و بيان أن فرعون أراد المغالطة

بمعرفة تاريخ الأمم السابقة فقال موسى لا تسألني هذا السؤال فعدى ﴿مجتبا * إحداهما﴾ العصا

واليد ﴿والثانية﴾ مصنوعات الله تعالى وهي أرقى من مجزئي فهل تريد بإفرون أن نخرجني من علم

الطبيعة الحقيقى الى علم التاريخ . كلا . موازنة إيمان سحرة فرعون بكفر بنى اسرائيل إذ عبدوا الجبل ذلك أن بنى اسرائيل جهال فلم يدركوا قوّة موسى القدسية ولما شاهدوا عجلا جسده له خوار فضأوه على العصا والسحرة عماء فأمّوا . إذن المدرع على العلم فى الإيمان لاعلى ظواهر المعجزات . مصداق هذا المقام من كلام (سبنسر) انه فضل نظام الطبيعة على نظام اللغات وهو العلم الأدبى واللغات تقوى الناكرة ولكن العلوم الطبيعية أشدّ تقوية والطبيعة فيها تقدّمنا فى الحياة وتبرّنا معا ودم المناقشات التافهة فى القضايد اليونانية والساسات التاريخية وحض على دراسة الطبيعة ومثل ذلك ضياع وقت المسلمين فى الخلاف بين سيبويه والكسائى ونحو ذلك . ونرى كثيرا من الممتازين يفخرون بعلم آدب اللغة وهم عن العلوم الطبيعية ونحوها معزّون . كل ذلك داخل فى محاوره فرعون مع موسى فى مسألة القرون الأولى والكلام على عجائب الأرض . بحث . مؤلف التفسير القراء أن يخطبوا بهذه المعاني فى بلاد الاسلام ويدينوا أن شعر الطبيعة أجمل من شعر الشعراء بالوحى وبالعلم مما . ويقول (سبنسر) ان عدد نجوم السماء وأنواع النبات والحيوان وصور الطبيعة أفضل للذاكرة من حيث الكثرة ومن حيث اتصال بعضها ببعض ومن حيث قوّة الحكم وتهذيب الأخلاق والاستقلال فى الرأى والاخلاص فى الطلب لحسن الجبال . كل ذلك يؤخذ من الآية المذكورة

٩٣ بهجة العلوم الطبيعية . نظم فى جبال العلوم الطبيعية (فوق مائة بيت) أولها
* قرأت كتاب الله فى كل سورة * الخ فيه الكلام على الكواكب وأعدادها بالعين المجردة وبالآلات واسم المجرة عند العامة والعلماء وأشكال النجوم وعجائب الأرض . وذكر المعادن السبعة والأشجار الخشنة وأنواع النبات مع اتصاله بسلسلة الحيوان وعجائب الماء فى الجبال وانه يبرد فى بانها فيكسر الحجر بعظم حجمه فتكون العيون . ونظام السحاب وانه مع الماء والشمس كالقصر والنار الخ وعجائب المعادن . وبيان أن أجل الملابس من دودة وأذن الطعوم من حشرة وهو الفسل وأحسن الخلى ما كان من صدفة وهو الجوهر . وبيان أن نحو الشب والزجاج والملح والكبريت يتولد فى أقل من سنة والدر والمرجان فى سنة أو أكثر على رأى القدماء والتحقيق عند المحدثين أن ذلك فى سنين لافى سنة كما فى مقام آخر . وهنا ذكرى النبات المعدنى والمعدن النبات وأن النبات مع المعادن سلسلة واحدة بيان أن القصص فى النباتات كالأشجار وأزهارها العلوم وقصة موسى زهرتها - قال ربنا - الخ وفى هذا المقام قصة (صصة بن داهر) الحكيم الهندى وأن الحيات الموزعة على بيوت الشطرنج فى تكاثرها بالمضاعفة كهيئة اقسام بيضة الجنين فى الرحم فهى (١-٢-٤-٨-١٦) وهكذا ونرى هذا حاصل فى اقسام كل جنين . والعجب أن بيضة المرأة دقيقة جدا وبيضة السجاجة كبيرة وكان القياس العكس . ذلك لأن بيضة المرأة يتغذى جنينها من دمها فلم تحتاج لغذاء من الخارج وجنين السجاجة يحتاج لغذاء يتغذى منه فلذلك جعل الغذاء معه وبيض السمكات ينزل قرب الشاطئ فيلقحه الذكر وبقفس ولا علم للأبوين بالولد والبيضة فيها الجنين وغذاؤه الى عدة أيام . وهكذا ترى دود القز ودود القراش يتقاربان فسرود القز ينسج على نفسه نسجا ينام فيه أياما ودود القراش نسجه قليل ولكنه ينام فيه . فهنا بيضة يغذى جنينها بدم أمه وجنين الأخرى يتغذى من نفس البيضة وجنين آخر هو اللى يغزل وينسج على نفسه وهذا الاختلاف عجيب مذهش أشدّ الدهش . وهنا ثمان صور تبين اقسام جنين المرأة وجنين السمكة والصفدة

٩٤ لمن خلقت هذه العجائب . ونقل كلام طيارس الحكيم أن البصر خلق ليعرف الناس الشمس والقمر

- والسكاك الخ . إذن المقصود من هذه الحجاب هم المفكرون لا غير
- ١٠٣ الموزنة بين جنين المرأة والسجادة من وجه ودين جنين السمك والفضلع من جهة أخرى ثم بين جنين السجادة والمرأة الخ والكلام في مسارعة الحيوانات النوية المفرزة من الرجل الى اقتحام بيضة الأنثى وسبق واحد منها اليها وأن أشرف نوع الانسان هم الأقاوين وفي عملية انقسام الجنين في الرحم وحساب مسألة الشطرنج بخذا فيه وأن الحب الذي حسب ابيوت الشطرنج يحتاج الى زرع الأرض كلها ٢٨ سنة قعها بما فيها البحار وغيرها . فأما اذا راعينا الصالحة للقمح وحدها ففحتاج الى مئات السنين وهذا يدخل في قوله تعالى - والشفع والور - . (حكاية ومسامرة) ذلك أن الشهي سأل ملك الروم عن طعام أهل الجنة وعن الجنين في بطن أمه وهل يبول أو يتغوط وعن أن الله ليس له أول ، فهل لهذا نظائر الخ والأجوبة الجلية عليه ومحاوره سياسية عجيبة
- ١٠٧ الوحدة العاتقة في التناسل . وبيان رأى طهارس الحكيم في هذه الدنيا وقوله ﴿ إن الله لا يحويه زمان وأن العالم من العقل والمادة وشئ مشترك بينهما ﴾
- ١٠٨ الفصل الثامن في أن مرتبة علماء الطب والتشريح والنبات في هذا المقام كمرتبة علماء النحو والصرف بالنسبة لعلماء البلاغة

- ١٠٩ الفصل التاسع في أن الأقوى الأكل وان كان قليلا أشرف من الأكثر اذا كان ضعيفا
- الفصل العاشر في أن الحشرات الترية المهلكة للناس ملأت السهل والجبل . بيان أن جسم الانسان مثل جنم وله أبواب كأبوابها وأن طهاوس يعتقد أن الله خلق أرواحنا كأرواح السكاك وانها مائة ولكن عند افتراقها في الأجسام ستحصل لها أحوال أخرى تغير أعمالها من حسن وقبح والكلام على مبدأ الخير والشر عند الفرس وهل لها إلهان أم هما عمل إله واحد كما في الاسلام الخ
- ١١٣ نمو الحشرات . وهنا رسم حشرة أبي دقيق التي تقدم الكلام عليها وحشرة دود القز
- ١١٤ وبيان طول خيط دود القز بالأمتار والنظم الذي أوله * وبضة تحضن الخ *
- ١١٥ ﴿ الجوهرة الثالثة ﴾ في صناعات الحيوان وحكوماته كالخردان تعيش في الكهوف ولها في الأدواح والغل لها بيوت (والجندبادستر) ينشئ بيوته مهندسة والسحاب يتخذ المراكب والقواقع وهكذا الدب يركب قطع الثلج (والدببورا) تركب السمك في البحر والعلب ونحوه يصطاد والعنكبوت ينسج وبعض السمك له منشار للسرطان درع والخنزير يشق الأرض والحرّة تتوق الزواجر الكريمة الخ كالخذر في القراب والخلياء في الغر وضع الزناير للورق ودود القز يغزل . وهكذا أهل مهندس له بيت منظم فيه ثمان حجرات مرسومة في صفحة (١١٩) فالملسكة حجرة وللذرية حجرة وللجوش حجرة وهكذا إلى ١١ حجرة وهكذا الى تمام (٤٠) حرفة للحيوان تعلمها الانسان كلها وزاد عليها
- ١٢٠ (الطيور النافعة للزراعة) منها ما كتب في سورة (يوسف) وزاد عليها كثير هنا في سورة (طه) مسامرة في حديث السحرة مع فرعون إذ قالوا - إنه من بأت ربه مجرما - الخ وبيان حال أيام الشباب وإني أغشى على وأنا في الحقل فأنتكرت الروح والحياة بعد الموت قياسا على غيوتي ثم رأيت قاتلا يقول لي هذه هي الروح في الجوف ثم رأيت كلام ابن مسكويه في كتابه ثم درست علم الأرواح وأن سكان جميع السكاك يجمعون ويصنعون موسيقى ثم هم يرتقون الى الله
- الانتقال من عملي في الحقل الذي يعقبه نشاط فكري عجيب الى ماعرف حديثا عن شبان الممالك المتعددة في الجامعات يعملون أيام العطلة في الحقول فيرجعون أذكي وأعلم وأصح من السابقين . فقله في الآية

- البرجات العلى * جنات عدن - الخ يناسب المسألة الأولى . وقوله - ومن يأتيه مؤمنا قد عمل الصالحات - يناسب الثانية وكيف تعمل الصالحات بأجسام سقيمة . و بيان أعلى الرياضة وأوسطها وأدناها كالرفاحة والمشى والتجربينات العضلية

١٢٥ الفاتحة والشهد والقنوت في الصبح ترجع الى حب الله والعلم وسعادة الناس وتوالتهم

١٢٦ الحيرة والشك وحوادث الدهر موقوفات للحكمة والراقي في أعمال الحياة

١٢٧ مسألة التثليث . ضرب الأمثال العلماء للناس فقالوا الله كالأب والمادة كالأُم والملائكة كالابن الذى بين الأب والأُم . استنتجوا من المادة ومن القوة لها خلقهما ولما تمدد الزمان ثلثوا

١٢٨ لطيفة في قوله تعالى - قال فن ربكما يا موسى - الخ و بيان أن سؤال فرعون عن القرون الأولى معناه اذا كان الله رحما فأين رحته في اهلاك الأُم فأجاب موسى في هذا المقام بالتسليم الى علم الله اجالا و بيان العجائب الأرضية تفصيلا وانهم سبعةون بعد الموت فانزل انتقال لاغير فهم خرجوا من رحمة الى رحمة

١٢٩ (الفصل الرابع) في قوله تعالى - ولقد أوحينا الى موسى - وتفسيره اللفظي

١٣٠ كيف تكون مدارس التعليم الدينية في مستقبل الزمان من اشارة هذه الآيات . العاوم العقيلة

١٣١ الحجر في الجبل نبع منه الماء المذكور في سورة (البقرة) مناسبة أن موسى ضرب الحجر بعصاه فانبعج الماء منه . أما هنا فالصا انقلب حية وشجرة الخ فناسب ذكر العاوم الطبيعية في هذه الآية لمتابعتها وهذا عجيب وتتابع هذا المقام (١) خوارق المعادات لانفيد اليقين (٢) التمثل والناهم هي المعطية اليقين

١٣٣ المناهج العلمية المستقبلية في أمة الاسلام في التعليم الدينى و بيان بعض كتب المؤلف في هذه العاوم

١٣٤ بيان أن المسلمين قد سحرت عقولهم فانزل السحر بعصا المعرفة كما أنزل موسى السحر بعصاه والمعرفة

تشمل الرياضيات والطبيعات الخ . و بيان أن هذا لازلة الجبل وهذا واجب

١٤٠ في المقصد الثالث في من قوله تعالى - كذلك نقص عليك - الى آخر السورة قد كتب مشكلا ثم نفسه به اللفظي بعده . شعر ترنس الانجليزى مترجما بالربية في معنى أن الفقراء يذوقون السعادة أكثر من الأغنياء وشعر (وليم وتون) في وصف السعداء بأنهم ذوو كمال وقناعة ووقار الخ و بيان أن هذا معنى قوله تعالى - ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا -

١٤١ بيان أن حياة الأفراد مقبسة على حياة الأُم كما قاله (أفلاطون) ومن هذا القياس تفرعت الأخلاق

وأصولها الأربعة من العفة والشجاعة والحكمة والعدل

١٤٢ فصل في الكلام على سعادة الانسان في الدنيا وكيف لا يعيش معيشة ضنكا وذلك بالصبر والصلاة وأن

لا يعتد عينه الى مال غيره وأن يأمر أهله بالصلاة

١٤٥ بيان الأحكام التى تشتمل عليها المشرائع ومنها القرآن وانها في ستة * الاعتقادات . العبادات . المشبهات

المعاملات . الزاجرات . الآداب الخلقية * وتفصيل ذلك

١٤٦ في اللطيفة الثانية في قوله تعالى - وقل رب زدنى علما - و بيان أن العالم كله ساجد لله طوعا أو كرها

وأن الصناع في كل أمة يعتدى أثرهم للأُم كماها أو بعضها قصدا أو لم يقصدوا ولكن الأنبياء من طبقة

أعلى فهم كالشمس ويريدون الخير للجميع ونبينا ﷺ قال رب زدنى علما كما تقول الشمس رب زدنى نورا . إذن ظهر الأمر واتضح أن هذه الجملة إذ نزلت عليه ﷺ ارتجت الأرض وحارب الشرق

الغرب والغرب الشرق وكانت الحروب الصليبية وقامت الحرب على ساق فتعارف الناس وانتشر العلم في

الدنيا كلها ولم يحصل ذلك قبل هذه العصور وانتشار العلم في العالم أفاد المسلمين الآن . فتعلم أهل الشرق

- والغرب تعليم لنا وهذا من دعوتهم عليه السلام ودعوة المسلمين معه في هذه الآية . والعالم الانساني مضى له ٣٠٠ سنة فست على اقبال ولم يزل هذا الرق المسمى إلا بعد رسالة نبينا عليه السلام إذن هو رجة للمسلمين لاغيره
- ١٤٧ بيان أن النفط الاسود وجد في أمريكا ونفع في مادة السكاوتشوك وألمانيا تجد في كاوشوك صناعي
- ١٤٨ بيان ما كشف حديثا من ظهور مادة الحياة المتحركة في النبات في جزائر (هاواي) ورسعها (شكل ١٠) الذي فيه الجرائم الحية . والكلام على السفر الى القمر وأن هذا معناهم الآن يبحثون في الجوق القريب من الأرض وأن مراكب هوائية ارتفعت الى الجوق وسرعته (٤٠٠) كيلومتر في الساعة ومتى أيقنوا في هذا الصيف (سنة ١٩٢٨) بأن الجوق الهاء فوق الأرض وما بعده صالح للسفر فيه فسكروا إذن في السفر الى القمر
- ١٥٠ بيان أن آية - وقول رب زدني علما - ميزان الأمم ارتقاء وانحطاطا . وبيان قول العلامة ابن خلدون أن علامات الرقي السياسي في الأمم حب العلماء والعباد واحترام العلم والانصاف بالكرم والمقة والعفو وهكذا . ومتى نزعته هذه الصفات نزعته السياسة أيضا والميزان الأكبر احترام العلم والعباد فإذا ظهر في قوم خلقته سائر صفات الكمال في السياسة ومتى نزع من قوم خلقته بقية صفات الكمال فزال لذلك
- ١٥١ بيان الأدوار الأربعة في الدولة العباسية من سنة ١٣٢ الى سنة ٦٥٦ هجرية وأكرام الرشيد للعلماء ومن بعده الى الوراق . وبيان محادثته مع العلماء في أمر الصحة واختلاف البلدان والبحار والجبال وهكذا . ولما جاء المتوكل قتل ابن السكيت وأهان العلماء والأطباء فقتل هو ثم انتقل العلم الى المالك المنفرقة مثل الرواية بالاندلس والسامانية وراء النهر والزيرية في جرجان والحمدانية بين النهرين واليهودية في العراق وپارس والغزنوية في أفغانستان والهند والفاطمية بمصر وهذا كانت لهم مع العلماء مجالس وهم يكرمونهم ويأمرونهم بالتأليف مثل ما ألف أبو علي الفارسي للعهد الدولة وأبو اسحق الصافي كتبها عالية وفي الدولة السامانية منعور بن نوح الذي استوزر العالم الفارسي ثم ابنه نوح الذي اقترح نظم (الشاهنامه) وفي الدولة الزيرية شمس العالي قابوس وكان هو نفسه عالما وشاعرا وفي الدولة الغزنوية بأفغانستان والهند السلطان محمود أمر الفردوسي بتعلم الشاهنامه . والسكلام على ما أمر به مأمون ابن مأمون أن يرسل له العلماء الذين في مجلسه كالن سينا والبيروني وأبي سهل وهكذا فقبل بعضهم وامتنع البعض . وبيان حب الدولة الحمدانية للعلم وكذا الرواية بالاندلس والدولة الفاطمية بمصر . وبيان ما أمر به أحمد بن طولون عالما قبطيا وهو أعلم أهل زمانه وقد تسلم في النصرانية واليهودية وأتى بأمر عجيبة في علم الجغرافيا وبناء الهرم ولغة قسما المصريين وهكذا
- ١٥٢ ذكر انحطاط التعليم في بلاد الاسلام إذ أحرقوا الكتب في بغداد فالتجأ العلم الى أوروبا فعذب يوههم هناك وقتلوا أتباعه ثم انتصر لهم دليهم ونفع في بلادهم بهد أن أخش ديوان التفتيش في قتل الملايين من الناس ثم رجوع العلم اليها ثانيا مرتقا
- ١٥٨ كيف يتعاون ملوك أوروبا الآن على العلم وأن ملكة روسيا ساعدت مؤلف دائرة المعارف الفرنسية في بلاده وبيان أن (باسطور) العالم الفرنسي قد أئخذ بعلمه في السكيميا فرنسا من الخراب فنفعها بمحقق البقر والغنم وهكذا وحفظها مالا بمقدار ما أعطته لألمانيا في الحرب ونفع الأمم كلها بذلك ومدحه (هكسلي) وجمع انكتار الملسكي وكافاته النمسا . فانظر كيف تعاونت أوروبا على نصر علم في وقت تعاون الترك والفرس ومصر في مطاردة الشيخ جمال الدين الأفغاني . وبيان مراتب العلماء . لا يجوز أن نأخذ مع علم أوروبا شرورها والاكان الضرر فقد أحدث تدخل الأوروبيين في مصر شرا كثيرا أثر في على

العلم الأوروبي . محادثتي مع ناظر مدرسة مصرى . النظام القديم والجديد . و بيان مايقوله الفرنجة عن الفلاسفة فى مصر التى يتصف بها الشبان والشابات

١٦١ مذكرة الإصلاح بالأزهر الشريف والمقصد منها الرجوع الى روح الاسلام و بهجته بقرأة العامم الطبيعية والرياضية وغيرها . ويراد به جعل الأزهر (قسمين) قسم كالمعاهد سابقا وقسم يدرس الطلاب فيه (١٥) سنة فى درجات التعليم الثلاث ويكون منهم رجال القضاء وغيرهم وهذا التقرر بخطوة أولى فى المقصود من هذا التفسير

١٦٣ العلم علما علم ضائع وعلم نافع . فالضائع هو ماأراه فى كتب كثيرة من علم الاوقاف ومن حساب الجبل كجمل (مجمد) ١٣٢ باعتبار الميم حرفين وهذا عدد حروف الفاتحة اللفظية فيظن الناس أن هذا سر وماهو بسر بل هو أمر اتفاقي وهكذا الاوقاف كالمثلث الموضح فى صفحته (١٦٤) وكجمل (طه) مناسبة لحواء فى الجبل ويضرب (٩ فى ٥) يكون جبل آدم وأن أحد العديدين ضلع أصغر والأخر ضلع أكبر وأن (٥) عدد كروى . فهذا العلم بعد فهمه لايفيد الأمم الاسلامية وليس سرا من أسرارها . أماالم النافع فهو الذى به نستخرج من الأرض كنوزها وبه نتفكر فى الدنيا والآخرة كما قال الله - لعلمكم تتفكرون فى الدنيا والآخرة - مثل ماثرى فى بلاد العراق عند (كر كوك) بلدة شرقى بغداد مكانا يقال له (بابا قرق) تخرج منه نار ممتدة فهذه منفعتها الحبيب

١٦٧ رسم (بابا قرق) شكل ١١ ورسم بحيرة من اللفظ شكل ١٢ فى نفس الصفحة

١٦٨ رسم آثار اللفظ (شكل ١٣)

١٦٨ الطائفة الثالثة فى قوله تعالى - ولقد عهدنا الى آدم من قبل - . إن هذه الآيات قص الله علينا خبر آدم فيها لفظتنا الى حال أنفسنا . فإذا قال ان آدم عصى وغوى وأخذ يذم من أسرف وهكذا قبل ذلك ذكر أكل آدم من الشجرة فافضح أمره وترتب على ذلك العصيان فأنما يريد بذلك أن يذكرنا بأن لانسرف فى الأكل والامرضنا وهكذا . وبيان أن كتاب (غاندى) العالم الهندى أبان أن نوع الانسان جاهل أكثره بما خبأ له الفعاشيون بالعو السجائر من وضع المواد المحترقة فى الدخان ودم الخمر والسنان والشاى والقهوة والكسكاو ودم كل اللحم والخضراوات ومدح الفواكه وجعل الحبوب بعدها وأمر بترك للملح والعدس والسكر وأطنب فى مدح المضغ وأن طبيا عظيما يقول (يكفى الانسان (٤) أوقيات اذا مضغ طعامه جيدا) وجعل الرياضة فى الخلاه من مقومات الحياة وأمر بتقليل الملابس وبقلة الشهوة الزوجية لأنها مضغفة للعقل والجسم وقال ان ٩٩ فى المائة يموتون بالهوان الفاسد

١٧٦ زيارتى لمتحف فؤاد الصمعى ومعرفة ما فيه من صورة أعضاء الجسم مجسمة و بيان وزن جسم الانسان والجهاز العصى والانسان قبل التاريخ ومعرفة ضرر المحترقات فى النضاج المكتوبة وهى نضاج غالية تبين كل ضرر فى المنزل أوفى الشارع وأغيرهما ونضاج الرجال والشبان والسيدات ومعرفة التمرين الجسمى

١٧٩ ظهور آثار ذلك سكه فى كلام ابن خلدون مثل قوله (إن البربر المنغسين فى الادام والخنطة أقرب للجهل والغبوة وترك العبادة من المتقشفين فى عيشهم المقصرين على الشعر والدرة

١٨١ فصل فى ايضاح ما تقدم . تجر بنى لسألتين من المسائل الطبية لعائدى فلقد نمت بعد الاستحمام الذى وصفه للأرقى . ولقد شفى من مرض (الزحير) بالجوع مع شرب عصير الليمون مع الماء الحار

١٨٢ الطائفة الرابعة مخلص ما تقدم

١٨٤ (سورة الانبياء) وهى (قسان) * القسم الأول مكتوب مشكلا

- ١٨٦ التفسير اللفظي
- ١٨٩ فصل في نبذة من علم الفلك وعلم طبقات الأرض للاستدلال على الوجدانية في هذه الآيات وذلك من (وجهين * الوجه الأول) جهة الأحكام وحسن التصوير والتقدير (الوجه الثاني) من جهة القرآن إذ أخبر بأمر لم تعلم إلا في القرن التاسع عشر
- ١٩٢ فصل في استبعاد هذه العلوم وأمثالها والاستهزاء بها ووعد الله للناس بأنه سيربها للناس في زماننا هذا
- ١٩٣ تفسير قوله تعالى - قل من يكأؤكم بالليل والنهار - الخ
- ١٩٤ الدوائر العلوية في علم الطبيعة قد جاء ذكرها في (سورة النجم) وفي (النحل) مرتين وقد ذكرت مجزأة في (الاسراء) وما بعدها الى (طه) . (وما يخص ذلك) أن الله يريد أن يؤسس الديانات على أساس علمي لا على خوارق العادات ولذلك أمره أن يدعو بازدياد العلم لا بازدياد خوارق العادات . وإذا كانت السور السابقة فيها المواليد الثلاثة فهذه فيها أصل المواليد وهي السموات والأرض وفتحها وورثتها
- ﴿ القائمة الثانية ﴾ - اقرب للناس حسابهم - وبيان أن القيامة مع تسكر وعد الأنبياء بها لم تهم وذلك يورث الشك عند البعض ويورث التواني والتباطؤ عند آخرين فيعصرون الله لطول المدة بين المعصية وجزائها . وبيان أن ذلك مدفوع بأن عذاب القبر بعد الموت والكشف الحديث يؤيده وأيضاً المذاب في الدنيا واقع والقرآن طافح بعذاب الدنيا . ألم ترى أكل ما يضر أو شربه أو الألفراط أو التفریط في حركة أو سكون أو أي عمل ما . فكل ذلك يقفه ألم على مقداره وهكذا الجهل والكسل كل ذلك له جزاء بقدره . إذن العذاب يبتدئ في الدنيا والناس لا يشعرون كما قال تعالى - ستعتبهم منين - الخ - وقال - أولئك لهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا -
- ١٩٦ ﴿ الحديث الحادي عشر ﴾ وفيه مقال للأرواح والكلام على الأرواح النائمة والأرواح النازمة لقيورها وهل تجسد في الدنيا والصلاة على الميت وجذبه روحه وميل بعض الأرواح لبعض الأماكن وكيف يكون الصالحون مفتونين بازعاج الأرواح وصاحب الفضيلة في الأرض قليل ومحادثة مع الروح التي أحدث قلقاً في شارع (نويه) وأنه مات منذ خمسين سنة وكان في حياته لا يعمل له . وبيان أن ما تقدم أشبه بما جاء في كلام الإمام الغزالي
- ١٩٨ إيضاح لما تقدم وأن هذا المقام يفسر قوله تعالى - ونضع الموازين القسط - الخ
- ١٩٩ ﴿ اللطيفة الثانية ﴾ في قوله تعالى - أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا - وبيان أن هذه معجزة نبوية لأن مسألة اشتقاق الأرض من الشمس لم يذكرها إلا القرنية في عصرنا وقد جهلنا الأمم السابقة وخطب المؤلف لأذكاء الأمم الإسلامية قائلاً ﴿ هل يلقى أن يكون هذا الكتاب في أيدي أجهل الأمم في الأرض مع سمو مطالبه ﴾
- ٢٠٠ بيان عقاب المسلمين في الدنيا وأن ألمانيا ٧٠ مليوناً والممالك المتحدة فوق مائة مليون نفس والأولون مملكة متحدة والآخرون كذلك . وترى أبناء العرب لا يزيدون عن ثمانين مليوناً في العراق والشام ومصر وبلاد المغرب والسودان فلم يكونوا مملكة واحدة بل ممالك . وهكذا تراهم في جزيرة العرب لا يكادون يبلغون بضعة ملايين وهم دول متنافرة . أليس ذلك جهلنا مع أن ديننا أشرف الأديان وهم علماء مع أن دينهم منسوخ
- جوهرة في قوله تعالى - وما أرسلنا من قبلك من رسول - الخ
- ٢٠١ ﴿ الفصل الأول ﴾ في دين قدماء المصريين وأن لهم ألف إله وإلاهة وانهم ثلاث مراتب وأن هذه الأمة

جعت المتناقضات سمو عقلى وسخافة والإله لا يسمى عندهم تعظيما له فلذلك عبدوا المخالقات وهم يقولون بالتناسخ حتى تكمل النفس

٢٠٢ دين قديماء الفرس وبيان انهم من الآريين بالهند الذين نفرّج منهم الفرس وكثير من أهل أوروبا وأن (زردشت) العظيم عندهم جميعهم وأنه كان موحدًا ولكن لما اختلطوا باليهوس أشركوا . فهناك قالوا هما ﴿ إلهان ﴾ أحدهما ﴿ للخير والآخر للشر ﴾ وعبدوا إله الخير وذلك بأربع فضائل والكلام على جهنم عندهم وعلى الصراط . ذكر نبدنين من كتاب (الاستوزند) ﴿ احداها التعجيات الى إله الخير ﴾ والثانية قانون الإيمان

٢٠٤ بيان أن ذكر ذلك هنا ﴿ لفرضين ﴾ الأول ﴿ الاطلاع على الديانات ﴾ الثانى ﴿ فهم قوله تعالى - يا أيها الرسل كلوا من الطيبات - الخ - و بيان أن الناس غشوا في الديانات كما غش التجارى الأطعمة المباعه والكلام على (بوذا) في الهند وآلهة الصين وآلهة بابل والكلام على ترجمة حياة (كنفوشيوس) الذى كان سنة ٥٥٠ ق . م وكيف كان ينصح تلاميذه ويضرب لهم الأمثال ورئيس الآلهة عند البابليين واتفاق الجميع على التوحيد أولا والتعدد ثانيا وما نقله الحفاريون الألمانىون من قصة الصلب عن ألواح بابل . و بيان أن السيارات عدوها آلهة هناك بعد التوحيد و بيان أن السبب في تعدد الآلهة ما فطر عليه الانسان من تنوع صوته ولغاته . فيذكر هنا عدد الآلهة وجعل ما كان . وصلا لله حجابا بينه وبينه

٢٠٨ ضرب مثل لذلك وأن المسلمين حجّجوا بالمذاهب والكتب عن أصل الدين كما حجّج الصابئون بالسكواك والهواء والماء والنار عن المعبود الحق . واذا وصف المشتري وزحل وغيرها يوصف انه رئيس الآلهة هكذا وصف الجاهلة من المسلمين بعض الصالحين بأنهم أحيوا الموتى وأثروا بالأسير وحجّجوا بهم عن الله ٢١٢ بيان الوقف الخامس الذى به يعرف كيف سحرت عقول الناس بنظام هذه الأوقاف فظنوها فوق طوق البشر وماهى إلا من علم خواص الأعداد . والكلام على قوله تعالى - ونبأوك بالشر والخير فتنة - وأن القطن في أمريكا يتوّعونه الى أحر وأصفر وهكذا وأنه قد عطّل بعض الزراعات ولم يقدر القوم على الاقلال منه إلا بأهلاك دودة الازر التى هى نقمة ظاهرا ونعمة حقيقة

٢١٣ ﴿ القسم الثانى ﴾ من قوله تعالى - ولقد آتينا موسى - الى آخر السورة مشكلا ونفسيره اللفظى

تفسير قصة موسى وإبراهيم عليهما السلام

٢١٥ لطفة في قوله تعالى - بل ربكم رب السموات والأرض - و بيان أن هذا القول كقول موسى وكلاهما يدعو للعالم جميعها . و بيان أن الأصنام إذا كانت حجّجا عن العاظم فإذا وجدوا العقول منعت عنها مثل ما هو حاصل الآن وجب إزالة هذا من العقول وتفسير قصة لوط ونوح وداود وسليمان واجتهد داود وسليمان في الحكم . مواهب سائمان

٢٢٢ الجواهر والنور والعسل والخير . و بيان أن قصة داود وسليمان للشكر وأيوب والغزاقيس اليونانى للصبر ويلمح به اسماعيل وادريس وذوالقفل . أما ذوالنون فانه لما لم يصبر ذكر آخره . قصة زكريا وبسبى وعيسى وأمه مريم . نتيجة السير المتقدمة ست

٢٣٦ نتائج القصص المذكورة لأمة الاسلام أن يفعلوا جميع ما فعلته أمم هؤلاء الأنبياء كالم الفلك لإبراهيم وعدم الانكسار على خوارق العادات كما في قصة موسى وكالسير لأيوب وتذكير أمة الاسلام بأنهم ان لم يفعلوا ذلك أرسل الله لهم أمما يعلمونهم وبأخذون أرضهم . فتح باب الرجاء لأمة الاسلام

٢٢٨ بيان - إن هذه أمتكم أمة واحدة - . المؤتمر الاشتراكي الأممي الذي مثله ٣٣ أمة والخطبة الاشتراكية المناسبة للآية هنا ولكتابي ﴿أين الانسان﴾ وبيان لنهم قسموا الأمم ﴿ثلاثة أقسام﴾ شعوب تسقى وشعوب قرب استقلالها وآخرون يحتاجون للعلمين أمدا طويلا

٢٣٠ بيان قوله تعالى - وأنا ربكم فاعبدون -

٢٣١ (خاتمة الأمم قيام الساعة) . خطاب الله للكفار ونذيرهم بما يكون يوم القيامة في تفسير - انتم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم -

٢٣٢ زيادة ايضاح لقوله تعالى - كطلى السجل للكتب -

٢٣٣ بيان معنى - كطلى السجل للكتب - وأن بدائع الصور تختفي إذ ذاك . تقسيم الصلاح وكيف يكون فصلاح قوم لأرض الدنيا وصلاح قوم لأرض الجنة . وبيان أن قوله تعالى - إن هذه أمتكم أمة واحدة - يقصد منها حوز جميع ما تقدم في هذه الأمة . وبيان أن عموم نفع الانسان يقر به من الجنة والتقصير بالعكس وأن أمة الاسلام لاتصل في نقصها الى دركات أهل استراليا لأن القرآن فيه أصول الرقي وهذا تفسيره

٢٣٥ كيف كانت حال العالم لولم يفتح المسامون وباحته الأربعة

٢٣٦ ملخص ما ذكره العلامة (سدير) في فضل العرب على أوروبا وأنه سبعة فصول

٢٣٧ وأن هذا معنى كونه ﷺ رجة للعالمين ثم اجمال ذلك كله

٢٣٨ بيان ما شاع في الجرائد من معنى ﴿بدأ الاسلام غربا الخ﴾ وأن هذا أصله فكرة خطرت لي وكتبتها في مجلة ﴿نور الاسلام﴾ بالرفازيقي الخ

٢٣٩ امتياز أمة الاسلام وتفسير - قل انما يوحى الى - الى آخر السورة

٢٤٠ جوهره في قوله تعالى - ولقد كتبنا في الزبور - الخ وأن جميع الأرض التي أرسل الله فيها الأنبياء المذكورين في القرآن تحت يد المسلمين الآن

٢٤١ خريطة العالم الاسلامي الآن . المطالع على هذه الخريطة يجدها ضعف بلاد الصين ومع ذلك جميعها المسلمون في مملكة واحدة يوما ما وأبناء العرب الآن لما اعتراهم الجهل لم تجمعهم كلمة ولادولة وهذا يحجب

٢٤٣ تفرغ المسلمين على الجهل الذي فرقهم مع ان العلم جمع الأمم التي ليست مسافة والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم